المركز القومى للترجمة

ڤرجيليوس

الإنيادة

الجزء الثانى

المشروع القومى للترجمة

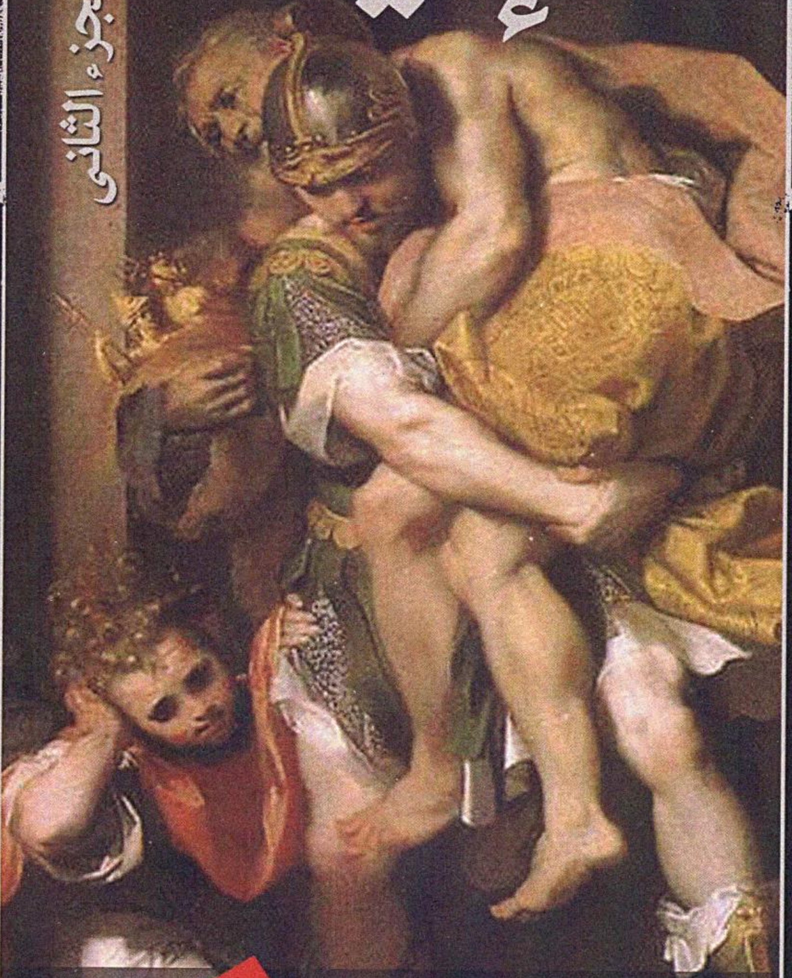

ميراث الترجمة

ترجمة : نخبة

مراجعة وتقديم : عبد المعطى شعراوى

1744

الإنيــادة

(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر سنة ٢٠٠٦ بإشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1744
- الإنيادة (الجزء الثانى)
- ڤرجيليوس
- عبد المعطى شعراوى، ومحمد حمدى إبراهيم، وأحمد فؤاد السمان
- عبد المعطى شعراوى
- 2011

هذه ترجمة كتاب:

Aeneis

Publius Virgilius Maro

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة.

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

الإنيـــادة

(الجزء الثانى)

تأليف : فرجيليوس

ترجمـــة

عبد المعطى شعراوى محمد حمدى إبراهيم

أحمد فــؤاد السمان

مراجعة وتقديم : عبد المعطى شعراوى

2011

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

فرجيل، يوليوس، فرجيليوس بارو، ٧٠-١٩ ق.م
الإنيادة (الجزء الثاني) فرجيليوس/ ترجمة: عبد المعطى شعراوى، محمد حمدى إبراهيم، أحمد فؤاد السمان، مراجعة وتقديم: عبد المعطى شعراوى
القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١١
٢٠٨ص، ٢٤سم
١- الإنيادة ٢- القصص اللاتينية
(أ) شعراوى، عبد المعطى (مترجم ومراجع ومقدم)
(ب) إبراهيم، محمد حمدى (مترجم)
(ج) السمان، أحمد فؤاد (مترجم مشارك)
(هـ) العنوان ٨٧٣

رقم الإيداع ٤٨٨٤ / ٢٠١١
الترقيم الدولى : 978-977-704-475-2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

مقدمة

فى أوائل عام ١٩٧١ صدر الجزء الأول من ملحمة «الإنيادة» للشاعر اللاتينى الخالد فرجيليوس. والآن، وبعد مضى أكثر من أربع سنوات، يصدر الجزء الثانى والأخير من الملحمة. ولا بأس من الإشارة إلى أن الجزء الأول قد حاز على جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة إلى العربية لعام ١٩٧٣، تلك الجائزة التى يمنحها المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب لأحسن ترجمة إلى العربية صدرت على مستوى جمهورية مصر العربية. ولعل ذلك يؤكد حاجة المكتبة العربية إلى مثل هذه الترجمات العربية الدقيقة التى تضع الأعمال العالمية الخالدة بين يدى القارىء العربى وتأخذ مكانها فى المكتبة العربية. كما أن ذلك أيضا قد يشجع الباحثين والمتخصصين على مضاعفة الجهد والمضى فى العمل من أجل القيام بمثل هذه الترجمات. وقد لا يخفى على القارىء العربى الكريم أن ظهور الجزء الثانى والأخير من ملحمة «الإنيادة» قد تأخر فترة ملحوظة. لكن ليس هناك سبب لهذا التأخير سوى محاولة توفير الوقت الكافى ومواصلة الجهد من أجل إخراج بقية الملحمة فى صورة أحسن وأقرب إلى الكمال. ولسوف يلاحظ القارىء الكريم كثرة الحواشى وغزارة مادتها، ولسوف يجد من خلال تلك الحواشى دراسة مفصلة للنص وإشارات وافية للخلفيات التاريخية والأدبية وعرضاً للأساطير والروايات التى تعتبر من أهم العوامل المساعدة على فهم النص الأصلى والتعرف على مواطن الجمال والروعة فيه، وتذوق الترجمة العربية. وبصدور الجزء الثانى والأخير من ملحمة فرجيليوس يكون قد تم ترجمة عمل يعتبر

من أضخم وأروع الأعمال الأدبية في العالم القديم والحديث على السواء. فتأثير ملحمة الإنيادة ، على الأدباء والكتاب عبر العصور المختلفة واضح وعظيم، وهو ما نوقش بالتفصيل فى مقدمة الجزء الأول من الملحمة .

ولئن كان الجزء الأول من « الإنيادة » قد قام بسد حيز ضئيل من الفراغ فى المكتبة العربية ، فإن الأمل كبير فى أن يسد الجزء الثانى والأخير حيزاً أكبر . والله الموفق ..

د. عبد المعطى شعراوى

الكتاب الثاني

د: عبد المعطى شعراوى

وأنت أيضاً — ياكايتا — يا مربية آينياس — قد منحت بموتك شواطئنا شهرة أبدية ، (١) وما زالت عظمتك حتى الآن تحفظ مثواك ، وما زال يوجد فى هسبيريا العظيمة — إن كان فى ذلك عظمة لك — (٢) اسم يميز رفاتك . ولكن بعد تأدية الشعائر الجنائزية المعتادة على الوجه الأكمل، وإقامة نصب على القبر ، وبعد أن هدأت مياه اليم العميق ، غادر آينياس الورع الميناء وبدأ رحلته بالسفن (٣) . كانت النسائم تمر بين طيات الليل ، لا يعرقل القمر المضيء مسعاها ، وكانت صفحة الماء تلمع تحت ضوئه المرتعش . وسرعان ما أبحروا بمحاذاة شواطىء الأرض الكيركية (٤) حيث تجعل ابنة الشمس الثرية أدغالها المقدسة ، التى لم يطأها قدم (٥) ، تجلجل بنشيد غير منقطع ، وتشعل أخشاب السدر الأرج لتبعث الضوء فى قصرها المهيب بينما تمر فوق النسيج الدقيق بالمشط ذى النغم (٦) . هناك كانت تسمع من بعيد صيحات غاضبة لأسود تحاول أن تحطم قيودها وتواصل الزئير خلال ساعات متأخرة من الليل، وخنازير لها شعر غزير ، ودببة تصيح فى جنون وهى فى داخل حظائرها، وأشباح ضخمة لذئاب تعوى حولتهم كيركى ، الربة القاسية ، بواسطة أعشابها ذات القوة السحرية من صورة البشر إلى صورة الحيوان(٧). وحتى لا يقاسى الطرواديون الأبرار من ذلك التحول المريع ، وحتى لا ينجذبوا نحو الميناء فيصلوا إلى الشواطىء المخيفة ، فقد ملأ نبتونوس قلاع سفنهم برياح مواتية وساعدهم على الفرار ودفعهم بعيداً عن الضحضاح الثائر .

شكل (١)
(آنية فخارية موجودة فى المتحف البريطانى بلندن) الســـاحرة كيركى والبطل الاغريقى اودوسيوس

كان لون صفحة الماء حينذاك يميل إلى الاحمرار بفعل أشعة الضوء وكانت أورورا (٨) ذات اللون الأصفر تتألق فى عربتها الوردية وسط السماء العالية : ذلك عندما هدأت الرياح ، وسكنت فجأة كل نسمة ، وطفقت المجاديف تضرب بعنف صفحة البحر المزبد . هناك رأى آينياس أجمة ضخمة تبرز من الماء . ووسط تلك الأجمة ينطلق التيبر الذى يبهج الأعين بمجراه ويندفع بدواماته السريعة ، وقد احمر لونه بما يحمله من طمى وفير حتى يصب فى البحر . ومن فوق آينياس ومن حوله كانت طيور متعددة الأنواع ألفت ضفاف النهر ومجراه تهدىء من روع السماء بنشيدها وترفرف فوق الأجمة المقدسة : عندئذ أمر آينياس رجاله أن يغيروا خط سيرهم وأن يحولوا مقدمات سفنهم نحو اليابسة ، بينما أخذ هو يشق طريقه سعيداً فى المجرى الظليل (٩) .

هيا الآن ، يا إراتو (١٠) ، فلسوف أتحدث عن الملوك ،
وعن العصور . ولسوف أوضح كيف كانت حال لاتيوم القديمة
عندما دفع ذلك الجيش الأجنبى لأول مرة بأسطول نحو الشواطىء
الأوسونية . ولسوف أستعيد ذكرى المعركة منذ بدايتها .
فلتلهمى شاعرك ، فلتلهميه ، أيتها الربة المقدسة . فلسوف أروى
قصة معارك مريرة ، ولسوف أتحدث عن حروب دامية ، عن
ملوك دفعهم الغضب إلى الهلاك (١١) ، عن القوات التورهينية (١٢)
وعن هسبيريا (١٣) ، التى أرغمت بأكملها على حمل السلاح .

أن سلسلة عظيمة من الأحداث تمر أمامى ، إننى لمقدم على عمل عظيم .

شكل (٢)
فاونوس ؛ اله الغـــابات والحقول ؛ واول ملك اسطورى من ملوك ايطاليا .

ظل الملك العجوز لاتينوس يحكم مدناً آمنة ومزارع فى سلام دائم . ويقال (١٤) إنه ابن فاونوس (١٥) من ماريكا ، الحورية اللاورنتية (١٦) ، وإن والد فاونوس هو بيكوس(١٧) ، وبيكوس بدوره هو ولدك ، يا ساتورنوس ، إنك الجد الأكبر للأسرة. لم يبق له ابن — تحقيقاً لمشيئة الآلهة —،ولم تبق له ذرية من الذكور قط ، فلقد قضى عليها فى فجر شبابها (١٨) . لكن ابنة واحدة هى التى حافظت على كيان الأسرة وأبقت على مستقرها العظيم . إنها الآن ناضجة تستحق زوجاً بعد أن بلغت سن الزواج (١٩) . ولقد طلب يدها أشخاص كثيرون من لاتيوم العظيمة ومن جميع أنحاء أوسونيا . طلب يدها تورنوس (٢٠) ، الذى فاق الآخرين جميعاً فى الوسامة وفى عراقة الحسب والنسب (٢١) . وكانت الملكة تشجع زواج ابنتها منه بشغف شديد ، لكن نذراً عديدة مروعة من عند الآلهة عرقلت ذلك الزواج.

كان يوجد فى وسط القصر وبالقرب من المحراب الداخلى المرتفع شجرة غار مقدسة (٢٢) . بقيت هذه الشجرة مصونة مرهوبة الجانب لمدة سنوات عديدة . يقال إن الملك لاتينوس عثر عليها بنفسه ونذرها للإله فويبوس عندما كان الملك على وشك أن يشيد أولى قلاعه ، ومن هنا اكتسب سكان المدينة اسم اللاورنتيين (٢٣) . فوق قمة هذه الشجرة — ياله من شىء مدهشة روايته — حمل الأثير السائل (٢٤) مجموعات من النحل وهى تحدث طنيناً عالياً أثناء دورانها حول القمة . وبأرجل متشابكة كل منها بالأخرى تشابكاً تاماً تدلت مجموعات النحل فجأة من على فرع مورق فى شكل عنقود (٢٥) وعلى الفور صاح العراف

« إننى أرى رجلا غريباً يقترب منا ، وجيشاً يصل من نفس المنطقة (التى وصل النحل منها) ويسعى نحو نفس المنطقة (التى سعى النحل إليها) ، ويحكم قلعتنا العالية (٢٦) » .

بل هناك ما هو أكثر من ذلك .. بينما كانت العذراء لافينيا تقف بجوار والدها وهو يغذى نيران المحراب بشعلات مقدسة ، شوهدت — ويا للهول — النيران وهى تمسك بخصلات شعرها الطويلة وتحرق ملابسها الكهنوتية بلهيبها الحار . واشتعل شعر الأميرة ، وامتدت النيران إلى عصابة رأسها المرصعة بالأحجار الكريمة . عندئذ أصبحت الأميرة ملفوفة فى سحب داكنة من الدخان واللهيب ، فأخذت تنشر النيران فى جميع أنحاء القصر . عندئذ قيل إن ذلك المنظر كان مروعاً ومثيراً للدهشة ، فلقد فسره العرافون بأنها سوف تنال الشهرة والجاه ، لكن ذلك كان يعنى أيضاً أن حرباً ضخمة تنتظر شعبها .

شكل (٣)
السنة النيران تمسك بخصلات شعر لافينيا

لكن الملك ، بعد أن أفزعته تلك النذر المشؤومة ، ذهب إلى نبوءة والده فاونوس ، المتنبىء بالمستقبل ، إلى الأجمة المقدسة الواقعة أسفل ألبيونيا الشاهقة (٢٧) ، التى تفرق الأجمات المقدسة عظمة ، والتى تحدث من ينبوعها المقدس رنينا ، وتنفث أبخرة داكنة عنيفة قاتلة . فلقد اعتادت

قبائل إيطاليا وكل منطقة أوينوتريا (٢٨) اللجوء إلى تلك الأجمة فى كل ضائقة . إلى هناك حمل الكاهن العطايا ؛ وعندما افترش واستلقى فى سكون الليل فوق فراء الأغنام المذبوحة وبحث عن النوم (٢٩) رأى أشباحا كثيرة تسلك سلوكا يثير الدهشة ، وسمع أصواتا متباينة ، ونعم بمحادثة الآلهة ، كما تحادث أيضا مع أخيرون فى أعماق أفيرنوس (٣٠) .

هناك وفى ذلك الوقت أيضا كان الملك لاتينوس نفسه يستطلع رأى النبوءة . قدم مائة رأس من الأغنام غزيرة الصوف اللائقة بالتضحية (٣١) حسب العادة المتبعة ، ثم افترش فراء الأغنام المذبوحة ، واستلقى فوقها على ظهره . وفجأة انطلق صوت من الأجمة الشاهقة يقول :

« يا بنى ، لا تسع كى تزوج ابنتك من واحد من اللاتين ، ولا تثق فى بيوت الزوجية التى أعدت من أجلها (٣٢) . سوف يحضر غرباء يصبحون أبناء لك ، وسوف يرتفع اسمنا نحو النجوم بفضل اقتراننا بهم ، وسوف يرى أحفاد سلالتهم (٣٣) العالم بأكمله - حيث ترقب الشمس المحيط أثناء دورانها فى كلتى الناحيتين (٣٤) - مطويا ومحكوما تحت أقدامهم (٣٥) » .

وبالرغم من أن الأب فاونوس وجه إجابته وتحذيره تحت جنح الليل الهادىء، فإن لاتينوس نفسه لم يكتمهما فى صدره ، بل نقلتهما فاما (٣٦) ، التى تنتقل من مكان إلى مكان ، ونشرتهما فى جميع أنحاء المدن الأوسونية ، بينما كان الشباب اللاؤميدونى (٣٧) يرسى سفن أسطوله على ضفة النهر المعشوشبة .

ألقى آينياس وقواده وإيولوس الوسيم بأنفسهم تحت أغصان شجرة عالية . وأقاموا احتفالا دينيا ، ووضعوا كعكات مصنوعة من القمح ومط الأعشاب تحت طعامهم (الطقسى) (٣٧م) ، - هكذا أشار عليهم جوبيتر فى عليائه - ثم كدسوا الفواكه البرية فوق الأطباق المصنوعة من القمح (٣٨) . وعندما أتوا على بقى الكميات الأخرى من الفواكه ، دفعتهم قلة الطعام إلى التهام ما تبقى من قمح قابل وحطموا بأيديهم وبأسنانهم الحسورة محيط

الكعكة التي صنعها القدر وأتوا على حدود أرباعها (٣٩). عندئذ قال إيولوس مازحا «هيه: لقد أتينا حتى على الموائد»، ولم يقل أكثر من ذلك. ووضع ذلك القول حدا لمتاعبهم في الحال. فحالما بدأ إيولوس الحديث، انتزع والده من فمه الكلمات وأسكته بعد أن أصيب بالذهول من جراء المعاني المقدسة التي فهمها من كلمات إيولوس (٤٠)..

صاح آينياس على الفور قائلا: أيتها الأرض التي منحتني الأقدار إياها، سلاما. وأنتم يا آلهة البيناتيس المخلصين لطروادة، سلاما. ها هنا منزلي. هاهنا وطني. فلقد أورثني والدي أنخيسيس — إنني أتذكر الآن كثيرا مما تخبئه الأقدار (٤١): «يابني، عندما يدفعك الجوع — بعد أن تصل إلى شواطيء مجهولة — إلى التهام الموائد بسبب نقص الأطعمة أثناء الاحتفال، عليك أن تأمل حينئذ — وأنت مجهد — في مستقر لك، وأن تتذكر أن تشيد هناك بيدك أول مسكن لك وتحصنه بمتراس». ذلك هو الجوع، وذلك هو آخر ما ينتظرنا حتى يوضع حد لمتاعبنا المقلقة. هيا إذن، وأنتم سعداء بأول ضوء للشمس (٤٢): نستطلع المنطقة ونعرف من يسكنها وأين مقام أهلها. هيا نستطلع نواحيها المختلفة مبتدئين من الميناء (٤٣). فلتسكبوا الآن كؤوس النبيذ تكريما لجوبيتر ولتبتهلوا إلى روح والدي أنخيسيس في صلواتكم. ولتضعوا النبيذ مرة أخرى فوق الموائد»..

هكذا تحدث آينياس، ثم طوق صدغيه بغصن مورق، وأخذ يصلي لجن المكان (٤٤)، وللأرض أقدم الأرواح (٤٥)، وللحوريات (٤٦) وللأنهار التي لم يعرفها بعد (٤٧)، ثم أخذ يناجي الليل، والظواهر الناشئة من الليل (٤٨)، وجوبيتر الإيدي (٤٩)، والأم الفروجية (٥٠)، ثم والديه الاثنين في السماء وفي باطن الأرض (٥١)، كلا حسب دوره. عندئذ، أرسل الوالد القادر على كل شيء (٥٢) صاعقة رعدية واضحة تمام الوضوح من السماء العالية، وتكرر ذلك ثلاث مرات، ثم بعث بأمارة من السماء وهو يهز بيده سحابة تلمع بأشعة الضوء الذهبي (٥٣). وانتشر فجأة بين القوات الطروادية قول مؤداه أن قد جاء اليوم الذي

سوف يشيدون فيه مدينتهم الموعودة : وبقوة وثقة أقاموا الاحتفالات من جديد ، وأحضروا الدنان وهم مسرورون بالبشرى العظيمة وزينوا أوانى النبيذ بالأكاليل .

وعندما بزغ أول ضوء لليوم التالى وغطى البقاع ، انتشروا فى اتجاهات مختلفة لاستطلاع مقام القوم وحدود أراضيهم وشواطئهم : هذه هى غدران نبع نوميكوس (٥٤) ، وهذا هو نهر التيبر ، وهنا يسكن اللاتين الشجعان . عندئذ اختار ابن أنخيسيس من بين جميع الرتب مائة رسول (٥٥) ، وأمرهم بالذهاب إلى المدينة الكبرى فى المملكة ، على أن يغطى الجميع أجسادهم بأغصان بالآس (٥٦) ، وأن يحملوا الهدايا للملك ، ويطلبوا الأمن والسلام للتيوكريين (٥٧) : وبناء على ما صدر إليهم من أوامر انطلقوا دون تأخير وتحركوا فى خطوات سريعة . أما هو نفسه (٥٨) : فقد حدد مكان مدينته بخندق غير عميق وأخذ يجهز المكان ، ويحيط المنشآت الأولى المقامة على الشاطىء فى هيئة معسكر بأبراج ومتاريس .

وشق الرجال طريقهم ، فشاهدوا أبراج اللاتين ومباكنهم الشاهقة ، واقتربوا من أسوار مدينتهم : بالقرب من المدينة (٥٩) صبية وشبان فى مقتبل العمر يتدربون على استخدام الخيول (٦٠) ، ويتمرنون على ركوب العجلات الحربية فوق الأرض الترابية ، أو يستخدمون الأقواس السريعة (٦١) ، أو يقذفون بالحراب القوية من فوق أكتافهم ، ويتبارون فى العدو والملاكمة . وفى أثناء ذلك كان رسول يمتطى صهوة جواده ، ينقل إلى أسماع الملك العجوز أن جماعة من رجال ضخام البنية (٦٢) قد وصلوا فى ملابس غريبة ، فأمر بدعوتهم إلى داخل القصر ، واتخذ مجلسه وسط قاعة عرش أجداده .

كان قصره مهيبا ، ضخما ، قائما على مائة عمود ، واقعا فى أعلى المدينة (٦٣) . كان من قبل ملكا لبيكوس اللاورنتى (٦٤) . كان رهيبا بغاباته المقدسة وبالهيبة الدينية التى كانت للأسلاف . فقد كان فألا حسنا للملوك أن يتسلموا الصولجان فى ذلك المكان ، وأن ترتفع الفاسكيس

أمامهم لأول مرة (٦٥) . كان ذلك المعبد برلمانا لهم (٦٦) ، وقاعة يقيمون فيها احتفالاتهم الدينية . وهناك أيضا اعتاد الشيوخ أن يجلسوا ، سويا حول الموائد الطويلة بعد ذبح الحمل (٦٧)، بالإضافة إلى ذلك ، كان يقف فى المدخل -- وفى صف واحد -- تماثيل من أخشاب السدر (٦٨) للأجداد الأوائل ، وإيتالوس ، والأب سابينوس زارع الكروم وهو ممسك بالمنجل المقوس ، وساتورنوس العجوز (٦٩) ، ويانوس ذى الوجهين (٧٠) ، والملوك الأوائل الآخرين الذين أصيبوا بجروح فى ميدان القتال أثناء دفاعهم عن الوطن (٧١) . وزيادة على ذلك ، كانت هناك أسلحة كثيرة معلقة فى البوابات المقدسة (٧٢) وأيضا عجلات حربية استولى عليها أثناء الحرب (٧٣) وفؤوس مقوسة (٧٤) ، وذؤابات خوذ حربية ، ومزاليج ضخمة لأبواب ، وحراب ، ودروع ، ومقدمات سفن انتزعت من سفنها (٧٥) ، أما بيكوس ، مروض الخيول ، فقد وقف شامخا بينهم (٧٦) ، ممسكا بصولجان كويرينوس ، مدثرا بعباءة كهنوتية قصيرة ، حاملا فى يسراه الدرع المقدس (٧٧) . إنه بيكوس الذى ضربته كيركى -- بعد أن وقعت أسيرة حبه -- بعصاها الذهبية ، ومسخته بسمومها فحولته إلى طائر (٧٨) ، ولطخت جناحيه بالألوان (٧٩) .

شكل (٥)
الإله ساتورنوس (انظر حاشية رقم ٦٩ ص ٥٣)

شكل (٤)
يانوس ذو الوجهين
(انظر حاشية رقم ٧٠ ص ٥٣)

دعا لاتينوس التيوكريين إليه فى داخل القصر : بينما كان يجلس وسط معبد الآلهة الرائع وعلى عرش آبائه . وعندما وصلوا إلى الداخل : نطق بهذه الكلمات .

« فلتخبرونى : أيها الداردانيون ، إذ أننا لا نجهل مدينتكم ولا أصلكم ، وإذ أننا قد سمعنا أيضا أنكم قد اتخذتم طريقكم فى البحر — (٨٠) ماذا تطلبون ؟ أى سبب ، أو أية حاجة ، قد دفعت بسفنكم عبر كل تلك المساحات المائية الزرقاء إلى الشاطئ الأوسونى ؟ وسواء ضللتم الطريق وأرغمتكم العواصف — فكثيرا ما يقاسى البحارة مثل هذه الصعوبات الضخمة على صفحة البحر العميق — فقد وصلتم إلى ضفاف النهر ورسوتم فى الثغر . لا ترفضوا ضيافتنا ، واعلموا أن اللاتين من سلالة ساتورنوس ، وأنهم فى عدلهم لا يخضعون لقيود أو قوانين ، بل يسيطرون على أنفسهم بأنفسهم طائعين مختارين تبعا لعادة إلههم القديم(٨١) . بل إننى فى الحقيقة أتذكر — رغم أن القصة قد أصبحت غامضة بعض الشىء بمرور السنين ، فهكذا كان يرويها شيوخ أورونكا (٨٢) — كيف اتخذ داردانوس ، الذى نشأ فى هذه المنطقة ، طريقه نحو المدن الإيدية فى فروجيا (٨٣) وساموس الثراقية التى تعرف الآن باسم ساموثراقيا(٨٤) . فمن هنا غادر وطنه ، كوروثوس التورهينية ، واليوم يستقبله قصر السماء المتلألئة بالكواكب الذهبية ، ويضيف عددا آخر من المحاريب إلى محاريب الآلهة .

هكذا تحدث (لاتينوس) ، ثم تبعه إليونيوس (٨٥) بهذه الكلمات :

« أيها الملك ، يا ابن فاونوس النبيل ، لم ترغمنا الأمواج أو العواصف القائمة على اللجوء إلى أراضيكم ، لا ، ولم تخدعنا النجوم أو الشواطئ ونحن نسلك طريقنا . بل أتينا جميعا إلى مدينتكم هذه عمدا وبنفوس راضية : بعد أن طردنا من مملكة كانت فى يوم من الأيام أعظم الممالك التى أطلت عليها الشمس أثناء ظهورها من أقصى حدود الأولومبوس (٨٦) . من جوبيتر يبدأ أصل سلالتنا . إن الشباب الداردانى ليسعد بجده جوبيتر . وإن مليكنا نفسه ، آينياس الطروادى ، الذى ينتمى إلى أسرة جوبيتر العظيمة السامية ،

هو الذى أرسلنا إلى أعتابك(٨٧) . يالها من عاصفة مروعة تلك التى هبت من موكيناى الضارية على السهول الإيدية . ويالها من أقدار تلك التى أصابت كلا من عالم أوروبا وآسيا فجعلته يحمل السلاح كل منهما ضد الآخر (٨٨) . لقد سمع عنها كل إنسان – وحتى ذلك الذى تفصله أقصى حدود اليابسة حيث تنحسر مياه المحيط(٨٩) ، وحتى ذلك أيضا الذى تبعده عنا منطقة الشمس الحارقة الممتدة وسط المناطق الأربع(٩٠) ..

وبعد أن هربنا من ذلك الطوفان ، وركبنا عبر عدد كبير من البحار الفسيحة ، فإننا نطلب الآن مقاما متواضعا لآلهتنا القومية ، وشاطئا وديعا ، والماء والهواء اللذين هما حق للجميع (٩١) سوف لا نكون عارا على المملكة ، سوف لا يكون حظكم من الشهرة على هذا ضئيلا ، سوف لايضيع جزاء ذلك الصنيع العظيم هباء ، سوف لا يأسف الأوسونيون على أنهم احتووا طروادة فى أحضانهم . إننى أقسم بأقدار آينياس ، ويمناه القوية ، التى عرفها الآخرون سواء فى إقامة صداقات أو فى الحروب أو فى حمل السلاح ، لا تعاملونا باحتقار لأننا نتقدم إليكم وفى أيدينا أكاليل الزهر وعلى شفاهنا عبارات الابتهال (٩٢) . فإن شعوبا كثيرة وأمما متعددة رغبت فى أن تستميلنا إلى جانبها وأرادت أن تتحالف معنا . لكن مشيئة الآلهة دفعتنا بسلطانها إلى البحث عن أراضيكم . فهنا نشأ داردانوس ، وإلى هنا يعود (٩٣) . لقد نادانا أبوللون ودفعنا بأوامره الصارمة (٩٤) نحو التيبر التورهينى والغدران المقدسة لنبع نوميكوس . هذا بالإضافة إلى أنه (٩٥) يقدم إليك هدايا متواضعة من بين ما كان لدينا من ثروة ، إنها بقايا أنقذت أثناء حريق طروادة . فمن هذا الإناء الذهبى اعتاد الوالد أنخيسس أن يصب السكائب على المذابح المقدسة ؛ وهذا هو ما كان يحمله برياموس عندما كان ينطق بالقوانين أمام الأمم المجتمعة فى نظام : هذا الصولجان ، وهذا التاج ، وهذا الرداء(٩٦) ، صنعته النسوة الطرواديات(٩٧) » .

على أثر كلمات إليونيوس هذه نكس لاتينوس وجهه فى ذهول ، ووقف ثابتا على الأرض دون حراك ، يجول بناظريه من حوله فى عزم وتصميم . لم تؤثر فى الملك أعمال التطريز الأرجوانية ولا صولجان برياموس

بقدر ما أثر فيه تفكيره فى زواج ابنته ومنزل الزوجية الذى ينتظرها. كان يقلب فى صدره نبوءة فاونوس العجوز(٩٨). إنه هو من خرج من وطن أجنبي : من حددته الأقدار ليكون زوجا لابنتى واستدعته ليصبح شريكا لى فى الحكم.منه سوف تنشأ ذرية تمتاز بالفضيلة وتسيطر فى قوة على العالم بأكمله(٩٩). أخيراً قال فى سعادة :

« فلتبارك الآلهة مشروعنا(١٠٠) ، ولتبارك أيضا فألها(١٠١) !! سوف تنال أيها الطروادى ما تريد. إننى لا أحتقر هداياكم. وطالما ظل لاتينوس ملكا فإنكم لن تكونوا فى حاجة إلى قوة إنتاج مزارع خصبة أو إلى ثروة طروادة(١٠٢). كل ما هنالك هو أن يأتى آينياس إلى هنا بنفسه ، — إذا كان شغفه بنا عظيما ، وإذا كان راغبا فى أن يقيم صداقة بيننا وبينه ويصبح حليفا لنا — ، لا تدعه يخشى مقابلة وجوه صديقة. إن شرطا من شروط التحالف بالنسبة إلى هو أن أضع يمينى فى يمين قائدك(١٠٣). فلتذهب الآن إلى قائدك ، ولتبلغه بهذا الشرط. إن لى ابنة لا تسمح نبوات محراب أجدادنا ولا دلائل عديدة من السماء بتزويجها من رجل من بنى جلدتنا. بل رأت(١٠٤) أن زوجا سوف يأتى من شواطىء أجنبية ، وأن اسمنا سوف يرقى إلى السماء بفضل اقترانا به ، — كما رأت أن ذلك سوف يكون من نصيب لاتيوم (١٠٥). إنى مؤمن بأنه هو من تطلبه الأقدار. وإنى لراغب فى ذلك — إن كان هناك شىء من الصدق فيما أتكهن به ».

بعد أن قال الوالد ذلك ، اختار خيولا لكل المجموعة. كان يقف فى الحظائر المرتفعة ثلاثمائة حصان أملس. وعلى الفور أمر بأن تمنح لجميع التيوكريين (١٠٦) — كل حسب دوره — خيول ذات أقدام سريعة ، مكسوة بأغطية مطرزة بلون أرجوانى ، تتدلى على صدورها قلائد (١٠٧) ذهبية معلقة مجللة بجلة ذهبية ، وتعض بأسنانها شكائم من الذهب الأصفر المائل إلى الحمرة (١٠٨). كما أمر بأن تمنح لآينياس الغائب عن المجلس عربة وزوج من الخيول من سلالة سماوية ، يزفران من أنفيهما لهيبا ،

إذ كانا من نسل تلك الخيول التى حصلت عليها كيركى الماكرة خلسة دون علم والدها ، إنها خيول مهجنة من أم تنتمى إلى عالم الأرض(١٠٩). وعاد أتباع آينياس بهذه الأنباء من ساحة لاتينوس ، شامخين فوق ظهور الخيل محققين الأمن والسلام .

ها ! وانظر !! لكن بينما كانت زوجة جوبيتر القاسية عائدة من أرجوس الإناخية (١١٠) ، وممسكة بالهواء الذى يحملها ، شاهدت من السماء العالية ، من فوق باخينوس الصقلية(١١١) ، الأسطول
٢٩٠ الداردانى وآينياس وهو ينعم بالسعادة . شاهدته ورفاقه يشيدون المساكن ويثقون فى الأرض(١١٢) ، بعد أن غادروا سفنهم . وقفت بلا حراك وهى تشعر بأسى عظيم ، وأخذت تهز رأسها وهى تبعث بهذه الكلمات من أعماقها :

« أيتها الذرية الكريهة (١١٣) ، ويا أقدار الفروجيين التى تتحدى أقدارنا(١١٤) !!! هل اندحروا فى السهول السيجية(١١٥) ، هل أصبحوا أسرى عندما أسروا ؟ هل أحرقت طروادة رجالها عندما احترقت ؟ !! لقد وجدوا لأنفسهم مخرجا من وسط الجيوش والنيران(١١٦) . إن قوتى الربانية ، كما أعتقد ، قد خرت أخيراً متعبة ، أو إننى قد أشفيت غليلى فهدأت وأصبحت لا أحس الكراهية نحوهم(١١٧) ، لا ، بل لقد جرؤت(١١٨) أن أعاديهم وأطاردهم وسط الأمواج بعد أن طردوا
٣٠٠ من وطنهم ، وأن اعترض طريقهم فى جميع أنحاء المحيط أثناء فرارهم . لقد أنهكت قوى السماء والبحر فى مقاومة التيوكريين . أى فائدة قدمتها إلى سورتيس (١١٩) أو سكيلا أو خاريبديس الشاسعة(١٢٠) ، إنهم الآن يحتمون بمجرى نهر التيبر ، الذى كانوا يريدون الوصول إليه ، آمنين من البحر ومنى . لقد استطاع مارس أن يحطم جنس اللابيثيين الشرس (١٢١) ، وترك والد الأرباب بنفسه كالودون العجوز فريسة لغضب ديانا (١٢٢) . أى جريمة منكرة ارتكبها اللابيثيون أو كالودون حتى يكفروا عنها ؟ لكننى زوجة جوبيتر العظيمة ، أنا ، التعسة ، التى

لم أطق أن أترك شيئا دون أن أقدم عليه : أنا التي أقحمت نفسي في كل شيء . لقد هزمني آينياس !! فإن كانت قوتي الربانية ليست عظيمة بالقدر الكافي ، فإنني لن أتردد على الاطلاق في أن أطلب مساعدة من أية قوة كائنة في أي مكان (١٢٣) وإن لم أستطع أن أستميل آلهة السماء ، فانني سوف أستفز أخيرون(١٢٤) . سوف لايتحقق إبعاده عن مملكة اللاتين — فليكن ذلك — وسوف يظل زواجه المحتوم من لافينيا كما هو . لكن من الممكن أن تؤجل وتعطل هذه الأمور الهامة : نعم ، من الممكن القضاء على شعبي كل من الملكين . سوف يأتي الحم وزوج الإبنة في مقابل ذلك الثمن الذي يدفعه شعباهما . أيتها العذراء ، سوف يكون صداقك دماء طروادية وروتولية ، وسوف تمكث بللونا بجوارك عرابة (١٢٥) . فليست كيسيس وحدها (١٢٦) — التي حملت في أحشائها شعلة من النار — هي التي تنجب شعلة عرائسية ، لا ، بل إن فينوس أيضا قد أنجبت نفس المواود — نعم — باريس آخر — ، ومرة ثانية سوف يكون هناك شعلة عرائسية تحمل الموت إلى برجاما (١٢٧) التي أعيد بناؤها (١٢٨) .

شكل (٦)
ربة الحرب بللونا
(انظر الكتاب السابع ، حاشية ١٢٥ ؛ الكتاب الثامن ؛ حاشية ١٧٦)

بعد أن قالت هذه الكلمات : اتجهت الرهيبة (١٢٩) نحو الأرض . دعت أليكتو (١٣٠) المسببة للحزن من مقام الربات المخيفات في الأعماق المظلمة ، دعت أليكتو التي تجد لذة في إثارة الحروب الكئيبة والغضب الشديد وتدبير الخطط والخيانات والاتهامات المؤذية . وحتى الوالد بلوتون نفسه(١٣١) فإنه يكره تلك المخلوقة البشعة كما تكرهها أيضا أخواتها في تارتاروس (١٣٢) .

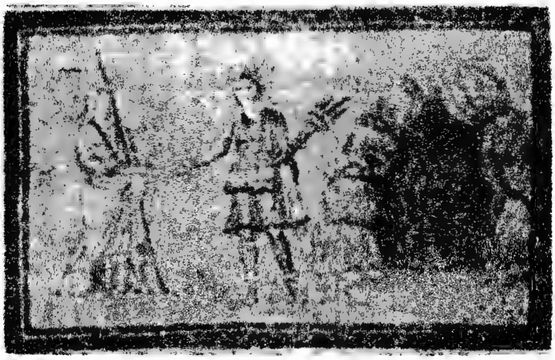

شكل (٧)
الربة جونو واليكتو الكئيبة

إنها تغير وتبدل من ملامحها ، وتبدو بوجه مخيف مع كل تغيير (١٣٣) ، يسعى على رأسها عدد ضخم من الحيات فتبدو ملامحها قاتمة (١٣٤) . واستحثتها جونو بهذه العبارات التى نطقت بها كما يلى :

« أيتها العذراء ، يا من أنجبتك ربة الليل ، فلتفعلى من أجلى هذا العمل الذى يناسبك ، ولتقدمى لى هذا الصنيع ، حتى لا تنهار مكانتى ولا تفقد سمعتى هيبتها ، وحتى لا تستطيع أسرة آينياس السيطرة على لاتيوم عن طريق هذه الزيجة أو تحاصر الإقليم الإيطالى . إنك تستطيعين أن تثيرى قتالا مسلحا بين إخوة متكاتفين ، وأن تخربى البيوت بإثارة الكراهية ، وتنفذى إلى داخل المنازل بالسياط ومشاعل الدمار . إن لك ألف اسم (١٣٥) ، ولديك ألف وسيلة للإيذاء. فلتهزى صدرك الخصيب (١٣٦) ولتفرقى شمل السلام الذى اجتمعوا من حوله ، ولتبذرى بذور القتال ، ولتجعلى محاربيهم يرغبون على الفور فى حمل السلاح ، ويطالبون به ، ويسرعون نحوه . »

بعد ذلك سعت أليكتو ، الغارقة فى السموم الجورجونية (١٣٧) أولا إلى لاتيوم ومنازل ملك لاورينتم ، وجلست فى هدوء أمام مدخل مسكن أماتا (١٣٨) ، التى كانت تحرقها الهموم الأنثوية (١٣٩) ، ويقلقها الغضب من جراء وصول التيوكريين وزواج تورنوس . ألقت الربة عليها

حية من بين جدائلها السوداء ، وجعلتها تتزلق إلى أسفل نحو صدرها وتصل إلى أعماق قلبها ، كى تزعج البيت بأكمله وهى مخبولة بفعل السحر الشيطانى . وبينما كانت تتزلق بين ملابسها وصدرها الناعم دون أن تلمسه ، تكورت ، ونفثت زفيرا ساما ، دون أن تلمحها أماتا الخانقة . وتحولت الحية الضخمة إلى قلادة من الذهب المجدول حول عنقها ، ثم تحولت إلى شريط ملتو يتدلى من عصابة رأسها ، ثم أصبحت فى هيئة شعرها المجدول ، ثم تجولت فى خفة فوق أجزاء جسدها (١٤٠) . وبينما كانت أولى مراحل السم السائل تسرى وتتسرب إلى مشاعرها وتنفث النيران فى عظامها (١٤١) ، أحست على الفور إحساسا قويا بالنار (١٤٢) تسرى فى كل صدرها ، وتحدثت فى رقة – بالطريقة المتبعة عند الأمهات – وهى تبكى بكاء شديدا من أجل ابنتها ومن أجل زواجها بالفروجى (١٤٣) :

« هل ستمنح لافينيا زوجة إلى التيوكريين المشردين (١٤٤) ، أيها الوالد (١٤٥) ؟ ألا تشفق على نفسك وعلى ابنتك ؟ ألا تشفق على والدتها ، التى سوف يتركها القرصان الخائن (١٤٦) مع أول ريح مواتية قاصدا أعالى البحار بعد أن يحمل معه الفتاة ؟ ولكن ، ألم يقتحم الراعى الفروجى لاكيدايمونيا بنفس الطريقة ويحمل هيلينا ابنة ليدا إلى القلاع الطروادية (١٤٧)؟ ماذا تقول عن ميثاقك المعهود ؟ وعن اهتمامك بشعبك فى الماضى ، وعن يمناك التى غالبا ما أعطيتها لتورنوس الذى هو من أقربائنا ؟ (١٤٨) وإذا ما سعيت ليكون أجنبى من الجنس اللاتينى زوجا لابنتك ، وإذا كان ذلك قد تقرر فعلا وأوامر والدك فاونوس ترغمك عليه ، فإننى فى الحقيقة أعتبر كل أرض حرة تبعد عن حدود سلطاننا أرضا أجنبية ، وأعتقد أيضا أن الآلهة ترى نفس الشىء. فأجداد تورنوس – إذا ما تتبع المرء أصل نسبه الأول – هما إناخوس وأكريسيوس ، وهو من أواسط موكيناى (١٤٩) » .

نطقت دون جدوى بتلك الكلمات . فلقد رأت لاتينوس واقفا ضدها ولقد سرى سم الحية الزؤام تماما فى أعضائها الحيوية (١٥٠) ، وانتشر

فى كامل جسدها . عندئذ أثارتها تلك التخيلات الواسعة(١٥١) : فانطلقت التعسة ، مخبولة غير واعية ، وقد سيطر عليها الجنون ، عبر المدينة الواسعة : — انطلقت مثل دوامة (نحلة) كانت فيما مضى تدور بفعل سوط دوار — مثل دوامة يضربها بالسوط صبية منهمكون فى اللعب فتمضى فى دائرة واسعة داخل قاعة خالية ؛ وهى تسرع ؛ بعد أن يلهبها السوط ، وتدور ثم تدور حول نفسها ، بينما يحملق مجموعة من الصبية الأغبياء ، وهم معجبون بالدوامة الدوارة : فالضربات تمنحها الحياة — وبسرعة لاتقل عن سرعة الدوامة انطلقت(١٥٢) وسط المدن وبين القبائل الشرسة . بل أكثر من ذلك ، فقد انطلقت نحو الغابات ، بادية وكأنها واقعة تحت تأثير قوة باكخوس(١٥٣) ، مرتكبة إثما أعظم ، مقدمة على جنون أعنف ، إذ خبأت ابنتها فى الجبال المليئة الشجيرات كى تحرم التيوكريين من غرفة العرس(١٥٤) وتؤخر مشاعل الزواج :

« إى يوى (١٥٥) ، باكخوس ، صرخت وهى ترفع عقيرتها ، « أنت وحدك ، ولا أحد سواك ، جدير بالعذراء (١٥٦) ، إذ إليك ترفع المخاصر اللدنة (١٥٧) ، وحولك تصطف فى رقصة دائرية(١٥٨) ، وترسل شعرها طويلا موقوفا لعبادتك (١٥٩) » .

طار الخبر وانتشر ، فدفعت على الفور ثورة من نفس النوع جميع الأمهات — وقد التهبت صدورهن بنار الخبل (١٦٠) — ليبحثن لأنفسهن عن مأوى جديد . هجرن المنازل على الفور ، تركن رقابهن وشعورهن للرياح (١٦١) ، بينما ملأت أخريات الأفق بصيحات مدوية ؛ وحملن حرابا ملفوفة بأوراق الكروم (١٦٢) وهن مدثرات بجلود الحيوانات (١٦٣) ؛ أما هى فكانت وسطهن ثائرة تحمل إلى أعلى مشعلا متوهجا مصنوعا من أشجار الشربين (١٦٤) ، وتغنى احتفالا بزواج ابنتها من تورنوس وبينما هى تحملق بمقلتيها الحمراوين هنا وهناك ، صاحت فجأة فى وحشية :

« يوى ، أيتها النسوة اللاتينيات جميعا : فلتصحخن السمع ؛ أينما تكن ،

إن كانت هناك محبة لأماتا التعسة فى نفوسكن الطيبة ، وإن كان هناك ما يثير اهتمامكن بما للأم من حقوق ، فلتحللن الأربطة من شعوركن ، ولتبدأن معى فى إقامة الطقوس » (١٦٥) .

شكل (٨)
واحدة من عابدات باكخوس

وهكذا دفعت أليكتو بالملكة — تحت تأثير سحر باكخوس — فى كل مكان بين الغابات ومراتع الوحوش الضارية .

بعد أن بدا لها أنها قد حققت المرحلة الأولى (١٦٦) من عملها بأن أثارتهن للدرجة كافية ، وأن خطة لاتينوس قد أفسدت ومنزله بأكمله قد انقلب رأسا على عقب ، طارت ربة الكآبة على الفور بأجنحتها الداكنة

من هناك قاصدة أسوار الروتولى الباسل(١٦٧) ، إلى تلك المدينة التى يقال إن داناى قد أسستها وأسكنت فيها مستوطنين من ذرية أكريسيوس(١٦٨) ؛ وذلك بعد أن دمرتها ريح الجنوب العاصفة . كان الأجداد فى سالف الأزمنة يسمون ذلك المكان أرديا ، وحتى الآن مازال أرديا اسماً عظيماً(١٦٩) لكن ثروته قد أصبحت فى خبر كان . هناك كان تورنوس فى قصره العالى ينعم بنوم عميق تحت جنح الليل الحالك . وتخلصت أليكتو من ملامحها القُظيعة ومن هيكلها المريع ، وغيرت ملامحها إلى ملامح امرأة عجوز ، ورسمت على جبينها العبوس خطوطا تشبه التجاعيد ، وزينت شعرها الأبيض بعصابة ، ثم ربطت فيها غصن زيتون ، وبذلك تقمصت شخصية كالوبى العجوز ، كاهنة معبد جونو ، ونطقت بهذه الكلمات وهى تلقى بنفسها أمام عينى الشاب :

« أيا تورنوس : هل تتحمل دون فائدة ذلك السيل المتدفق من المتاعب التى لاحصر لها ، وهل تصبر على أن ينتقل سلطانك إلى المستوطنين الداردانيين ؟ إن الملك يحرمك من أن تكون زوجا لابنته ومن الحصول على الصداق الذى تستحقه بسبب قرابتك لها ، ويبحث عن وارث أجنبى للمملكة ، فلتذهب الآن ، أيها الشاب المهان ، ولتواجه أخطارا مخزية . لتذهب ، واسحق القوات التورهينية ، واحم اللاتين عن طريق نشر السلام . هذه هى الرسالة التى أمرتنى ابنة ساتورنوس القادرة على كل شيء (١٧٠) — وهى تبدو أمامى بشخصها — أن أبلغك إياها بينما أنت راقد(١٧١) تحت جنح الليل الساكن . هيا إذن ، واستعد — وأنت تشعر بالسعادة — لتسليح محاربيك والتحرك عبر مداخل مدينتك نحو القتال . هيا اقض على القادة الفروجيين ، الذين تجمعوا على ضفة النهر الجميل ، وعلى سفنهم المزخرفة . إن سلطان آلهة السماء العظيم يأمرك بذلك . فلتجعل الملك لاتينوس نفسه يثوب إلى رشده ، إذا لم يوافق أن يمنحك إياها زوجة وأن يفى بوعده ، ولتجعله فى نهاية الأمر يعرف من هو تورنوس ، عندما يغشى ميدان القتال » .

من ناحية أخرى ، بدأ الشاب ، مستخفاً بالعرافة (١٧٢) ، يبعث بالكلمات من فمه على النحو التالى :

« لم تخف عنى : كما تعتقدين ، هذه الأنباء ، التى تقول إن الأساطيل قد اعتلت سطح نهر النهر . لاتتخيلى وجود مثل هذه الخوارق أمامى . وليست الملكة جونوناسية لأقدارنا (١٧٣) ... ولكن الشيخوخة الطاعنة ، التى لاتفطن إلى الحقيقة ، تجعلك ، يا أماه (١٧٤) ، نهبا للهواجس دون طائل وتسخر من نبوءتك بيأس زائف وسط أسلحة الحكام . إن مهمتك هى المحافظة على تماثيل الآلهة والمعابد . أما الرجال فيباشرون شئون الحرب والسلام ، وهم الذين من واجبهم شن الحروب (١٧٥) » .

على أثر تلك الكلمات ، اشتعلت أليكتو بنار الغضب ، لكن فجأة انتابت رعشة مفاجئة أطراف تورنوس أثناء حديثه ، وتحجرت مقلتاه فلقد جعلت الإيرينية (١٧٦) حياتها تبعث فحيحا متواصلا ، وجعلت وجهها يبدو ضخما للغاية . عندئذ دفعته إلى الخلف ، وهى تجول بمقلتيها المتوهجتين هنا وهناك ، بينما كان يتلعثم ويرغب فى أن يقول أشياء أخرى أكثر مما قال ، ثم جعلت حيتين تبرزان من بين شعرها ، ولوحت بسوطها فأطلق رنينا ، ثم أضافت أخيرا هذه الكلمات فى نغمة مخيفة :

« ها : أنظر !! إن الشيخوخة الطاعنة ، التى لاتفطن إلى الحقيقة تسخر من نبوءتى بيأس زائف وسط أسلحة الحكام (١٧٧) !! أنظر إلى هذه الأشياء (١٧٨) — لقد أتيت من عند ربات الغضب ، وأنا أحمل فى يدى الحرب والدمار . . . . . (١٧٩) »

هكذا تحدثت ، ثم ألقت بمشعلها نحو الشاب ، ووخزت صدره بشعلة تبعث لهيبا داكنا مختلطاً بالدخان . انتزع الفزع الشديد النعاس من عينيه ، وانساب العرق المتصبب فوق كل جسده ، ثم على أطرافه ونفذ إلى عظامه . وصاح فى جنون يطلب السلاح ، ويبحث عنه فى سريره (١٨٠) ، وفى مسكنه . لقد ثارت فى نفسه الرغبة فى استخدام السلاح والشغف الآثم بالقتال ، وفوق كل ذلك ، فقد استولى الغضب عليه :

كان مثله فى ذلك مثل مجموعة من فروع الأشجار المشتعلة وضعت – وهى تحدث صوتا عاليا – تحت جانبى مرجل يغلى وفار مابداخله من ماء بفعل شدة الحرارة .فتيار الماء الداكن فى الداخل ينطلق بشدة ويفور أثناء غليانه فيصنع زبدا ، وسرعان ما ينحسر اندفاع الماء، ويصعد بخار داكن عاليا فى الهواء .

لذلك ، أمر قادة قواته بالسير نحو الملك لاتينوس – وهو بذلك يكون قد أخل بالسلام – ، والاستعداد للقتال ، والدفاع عن أمن إيطاليا ، وطرد العـــدو من حدودهم . وقال إنه سوف يكون ندا للتيوكريين واللاتين معا ، بعد أن قال ذلك ، وأشهد الآلهة على ما قدمه من عهود (١٨١) ، حث الروتوليون كل منهم الآخر نحو السلاح : فهذا قد أثارته روعة شباب الملك ووسامته ، وذاك أثاره أجداده الملوك ؛ وذلك ماقدمته يمينه من أعمال رائعة .

وبينما كان تورنوس يملأ نفوس الروتوليين بروح البسالة ، كانت أليكتو تسرع بأجنحتها الاستوجية (١٨٢) نحو التيوكريين . وبحيلة جديدة (١٨٣) استطلعت المكان حيث كان إيولوس (١٨٤) الوسيم يصطاد الحيوانات على الشاطى سواء بالكمائن أو بالجرى وراءها . هناك أصابت العذراء الكوكوتية (١٨٥) كلابه بجنون مفاجئ ، وبعثت فى أنوفهم برائحة مألوفة ، فطفقوا يطاردون أيلا فى شغف شديد –كان ذلك أول مصدر للشر ، وألهب نفوس أهل الريف نحو الحرب .

كان الأيل جميل المنظر ، ضخم القرون ، اختطفه صبية تورهيوس (١٨٦) من على صدر أمه ، وتعهدوه بالتربية ، هم ووالدهم تورهيوس الذى كانت القطعان الملكية تحت إمرته ، وكانت حماية السهل الواسع موكولة إليه . عودته (١٨٧) أختهم (١٨٨) سيلفيا أن يخضع لأوامرها كما اعتادت أن تزينه بكل اهتمام ، وتضع بين قرونه أكاليل رقيقة ، وتمشط فروته ، وتحمه فى مياه عين صافية . ألف يدها واعتاد على مائدة سيده ، لذلك كان يتجول فى الغابات ثم يعود

مرة أخرى بنفسه إلى المنزل وإلى البوابة التى عرفها – مهما تقدم الليل : وبينما كان يتجول هناك فى المناطق البعيدة ، حيث كان يسبح فى المجرى الأدنى للنهر تارة ويخفف عن نفسه من وطأة الحر على الضفة الخضراء تارة أخرى ، أزعجته كلاب إيولوس المخبولة أثناء الصيد . لكن أسكانيوس (١٨٩) نفسه – وقد ألهبه حب المديح العظيم – صوب نحوه حربة من قوسه المقوس . وساعدته روح ربانية على ألا تخطئ يمناه فى إصابة الهدف (١٩٠) ، ونفذ السهم المنطلق فى جنبه وبطنه وهو يحدث صفيرا عاليا . لكن ذا الأربع الجريح (١٩١) لجأ إلى داخل المسكن الذى يعرفه ، ثم دخل الحظيرة وهو يئن ، وتسيل منه الدماء ، ويملأ المنزل كله بالأنين كما يفعل المستجير (١٩٢) .

وعلى الفور أخذت الأخت سيلفيا تطلب النجدة ؛ وطفقت – وهى تضرب ذراعيها بيديها – تدعو الريفيين الأشداء للسلاح . ولأن الشيطان الحائر (١٩٣) كان مختبئا وسط الغابات الحادئة ، فقد حضروا فى غمضة عين . هذا مسلح بعصا صلبة محترقة (١٩٤) ، وذلك بعقد من ساق شجرة ثقيلة . فكل ما وجده المرء أثناء بحثه قد حوله الغضب إلى سلاح . ونادى تورهيوس الفلول – إذ كان مصادفة يشق ساق شجرة بلوط إلى أربعة أجزاء بواسطة أسافين فى وضع متقاطع – وهو يلهث فى جنون وقد أمسك بفأسه . لكن ربة الكآبة ، بعد أن انتهزت لحظة الشر – سعت من برج المراقبة (١٩٥) نحو سقف الحظيرة المنحدر وأطلقت من أعلى القمة صيحة القتال الرعوية (١٩٦) ، ورفعت صوتها التارتارى مصاحبا للنفير المحدب (١٩٧) فارتعدت على الفور الأجمة بأكملها ورددت الغابات الفسيحة من أعماقها صداه . سمعته بحيرة تريفيا (١٩٨) من بعيد ، سمعه نهر نار (١٩٩) الأبيض بمياهه الكبريتية ؛ كما سمعته أيضا ينابيع فلينوس (٢٠٠) . واحتضنت الأمهات المفزوعات أطفالهن بقوة فى صدورهن . عندئذ تدفق من جميع الجهات الفلاحون غير المتمدينين ، مسرعين نحو الصوت الذى أطلقه النفير المروع ، وقد حملوا السلاح . وبالمثل فتحت بوابات

المعسكر على مصاريعها ، وخف الشباب الطروادى لمساعدة أسكانيوس . ونظموا صفوفهم (٢٠١) . ولم يكن القتال فى المعركة الريفية حينذاك بسيقان الأشجار الصلبة أو بالعصى المحترقة ، بل صمموا على القتال بالسيوف ذات الحدين (٢٠٢) ، ونما على نطاق واسع محصول مميت من السيوف المجردة (٢٠٣) ، ولمعت الأسلحة النحاسية ، إذ كانت واقعة تحت أشعة الشمس ، فعكست ضوءا ظهر تحت السحب — مثل ذلك مثل موجة بدأ لونها يتحول فى بادىء الأمر إلى البياض بفعل الريح ، وارتفع البحر شيئا فشيئا ودفع بالأمواج إلى ارتفاع أكثر فأكثر ، ثم ارتفع من أعمق أعماقه حتى وصل إلى عنان السماء .

هنا فى الصف الأول أصاب سهم — كان يحدث أثناء انطلاقه صفيرا — ألمو ، الذى كان أكبر أبناء تورهيوس (٢٠٤) ، إذ أصابته ضربة قاتلة فى حلقه ، عرقلت بالدماء رحلة صوته السائل (٢٠٥) وأتت على حياته الرقيقة . وأحاط بالمكان عديد من جثث المحاربين ، من بينهم جالايسوس ، (٢٠٦) العجوز ، الذى قتل عندما ألقى بنفسه وسط المحاربين يريد السلام . كان فيما مضى أكبر الأوسونيين عدلا وثراء ، كان يملك خمسة قطعان من الأغنام ، وخمسة قطعان من الماشية العائدة من المرعى ، ومائة (٢٠٧) من ثيران الحرث التى كانت تقلب التربة .

بينما كانت هذه الأحداث تدور عبر السهول فى حرب غير حاسمة ، وبعد أن خضبت الربة التى استطاعت أن تفى بوعدها ، ساحة القتال بالدماء وساوت بين الطرفين فى مواجهة مميتة (٢٠٨) ، غادرت هسبيريا ، وعادت فوق أجنحة الرياح ، ثم قالت لجونو فى صوت فخور بالانتصار :

« ها : أنظرى : لقد تحول النزاع — حسب مشيئتك — إلى حرب مؤسفة : مريهم الآن أن يعودوا إلى الصداقة . وأن يعقدوا معاهدة فيما بينهم (٢٠٩) . وبقدر ما لطخت التيوكريين بالدماء الأوسونية فإننى سوف أضيف أفعالا أخرى إلى تلك الأفعال — إذا ما تحقق لى أن هذه هى مشيئتك . سوف أدفع المدن المجاورة إلى الحرب ، وسوف أشعل فى نفوسهم رغبة

مارس (٢١٠) الهائج ، وهكذا سوف يحضرون من كل مكان من أجل المساعدة : سوف أنثر الأسلحة فى الحقول » .

عندئذ أجابت جونو :

« يكفى ذلك الرعب والأذى، فأسباب الحرب قائمة. إنهم يقاتلون والسلاح فى أيديهم . إن دماء جديدة تخضب الأسلحة التى سبق أن قدمتها الفرصة الأولى . فليكن ذلك هو العرس ، ولتكن تلك هى أناشيد الزواج التى سوف يحتفل بها ابن فينوس المجيد والملك لاتينوس نفسه ، لكن الوالد العظيم (٢١١) ، المهيمن على قمة الأولومبوس ، لا يرضى أن تتجولى فى حرية تامة بين الأجواء السماوية . فلتغادرى هذه الأماكن وسوف أتولى أنا بنفسى ما بقى من متاعب أثناء القتال (٢١٢) .

بعد أن قالت ابنة ساتورنوس تلك الكلمات ، رفعت الأخرى (٢١٣) جناحيها ، اللذين يرسلان فحيحا لما عليهما من حيات (٢١٤) : وسعت نحو مقرها فى كوكوتوس (٢١٥) تاركة طبقات الجو العليا . هناك مكان فى وسط إيطاليا ، تحت سفوح الجبال العالية ، معروف ومشهور فى مناطق شاطئية كثيرة — وادى أمسانكتوس — تحيط به من الجانبين منطقة صخرية وعرة مظلمة بشجيراتها الكثيفة ، وفى الوسط يندفع نهر صاخب يحدث رنينا بين الصخور بداومته السريعة الدوران . هناك يرى كهف مخيف وثغرة يتنفس منها ديس (٢١٦) العبوس ، وهوة سحيقة تكونت نتيجة لتدفق أخيرون ، تكشف عن فوهة تحمل الدمار . فى تلك الفوهة اختفت الإيرينية الربة الكريهة ، وأراحت الأرض والسماء من وجودها . ولكن أثناء ذلك راجعت الملكة ، ابنة ساتورنوس ، خطتها من أجل إثارة الحرب مراجعة نهائية .

تدفق الرعاة بكامل عددهم من ساحة القتال إلى داخل المدينة ، يحملون قتلاهم — الصبى ألموجالايسوس بوجهه المشوه — ويدعون الآلهة وينادون لاتينوس . وحضر تورنوس ، وضاعف من شدة الفزع وسط الصياح المؤلم بسبب إراقة الدماء ، إذ كان يصرخ قائلا إن التيوكريين قد طلب

منهم المجيء إلى المملكة وإن دماء فروجية تختلط بدماء اللاتين (٢١٧) : وإنه (تورنوس) قد طرد من أرضهم . بالإضافة إلى ذلك ؛ بعد أن تجمع من كل مكان هؤلاء الذين أصيبت نساؤهم بمسة من باكخوس وأخذن يرقصن فى مجموعات مخمورة فى الغابات الخالية من الطرق . وإن اسم أماتا ليس بالأمر الهين (٢١٨) – بعـد أن تجمع هؤلاء ، واتفقوا معا ، أخذوا يطالبون بالقتال . كانوا يطالبون جميعا بحرب محرمة (٢١٩) فى الحال : ضد النبوءات ؛ وضد مشيئة الآلهة . فلقد ضربوا عرض الحائط بالقوى المقدسة . أحاطوا بجمهرتهم المتدفقة قصر الملك لاتينوس وصمد الأخير مثل صخرة راسخة فى بحر ، مثل صخرة فى بحر عندما يدركها صوت حطام (٢٢٠) ، فإنها تحتفظ بكتلتها كما هى وسط الأمواج العديدة التى تزأر من حولها . فالصخور والأحجار المزبدة تصطدم بها من كل ناحية دون جدوى ، وحشيشة البحر ترتطم بجانبها فترتد إلى الخلف ، لكن لما لم تكن لديه القوة كى يقضى على خطتهم العشواء ، ولما كانت الأمور تسير حسب هوى جونو القاسية ، فقد صاح الأب وهو يشهد – مرارا – الآلهة والهواء الخالى (٢٢١) :

« وا أسفاه : إن الأقدار تحطمنا ، والعواصف الهوجاء تقذف بنا !! بدمائكم الآثمة ذاتها سوف تدفعون ثمن ذلك ، أيها البائسون . وأنت يا تورنوس ، سيبقى لك ما ترتكب الآن من إثم ، سوف ينتظرك عقاب أليم ، سوف تضرع للآلهة وتبتهل إليهم بعد فوات الأوان . أما أنا فقد حصلت على الراحة ، وفقدت ميتة سعيدة وأنا مازلت على مشارف الحياة (٢٢٢) : ولم يقل أكثر من ذلك ، ثم أغلق على نفسه القصر ، وترك الحبل على الغارب (٢٢٣) .

كان فى لاتيوم (٢٢٤) الهسبيرية تقليد استمرت المدن الألبانية فى احترامه وتقديسه (٢٢٥) . وما زالت روما سيدة العالم تحترمه حتى الآن عندما يستحثون (٢٢٦) مارس ليستهل القتال : سواء عندما يستعدون أنفسهم لشن حرب تثير الحزن بين الجيتيين (٢٢٧)

أو الهيركانيين (٢٢٨) أو العرب (٢٢٩) أو عندما يستعدون لمهاجمة بلاد الهند ومتابعة أورورا (٢٣٠) واسترداد الألوية من البارثيين (٢٣١) . هناك توجد بوابتا الحرب — هكذا يسمونهما — مقدستان لمارس المروع من قدسية ورهبة ، يغلقهما مائة قضيب من النحاس ومائة كتلة صلبة من الحديد الخام ، ولا يغادر مدخليهما الحارس يانوس (٢٣٢) على الاطلاق . وعندما يستقر رأى الشيوخ نهائيا على إعلان الحرب . فإن القنصل — وهو يتشح بعباءة كويرينوس وزنار جابينيوس (٢٣٣) — يفتح بنفسه هاتين البوابتين اللتين تحدثان صريفا . ثم يعلن بنفسه بدء القتال ، وعندئذ يتبعه بقية الشباب وتدوى الأبواق بأنغامها المزعجة تعلن الموافقة .

شكل (٩)
الربة جونو تهبط من السماء وتفتح بوابات الحرب .

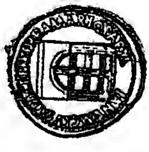

شكل (١٠)
معبد يانوس حيث توجد بوابات الحرب
عملة رومانية من عصر نيرون

وتمشيا مع ذلك التقليد أمر لاتينوس بإعلان الحرب ضد أتباع آينياس وفتح البوابتين المؤذيتين . لكن الأب (٢٣٤) رفض أن يلمسهما وتحول عنهما ، وربأ من أن يقوم بتلك المهمة الكريهة ، وانتحى بنفسه فى مكان حالك الظلمة . عندئذ هبطت ربة الأرباب فى خفة من السماء ودفعت — هى نفسها — بيدها البوابتين اللتين تأخر فتحها ، وأدارت ابنة ساتورنوس بشدة أبواب الحرب المصنوعة من

الحديد على محاورها نحو الخلف (٢٣٥) . واشتعلت أوسونيا ، بعد أن كانت هادئة ساكنة قبل ذلك الوقت : استعد البعض للسير على الأقدام عبر السهول ، وامتطى البعض الآخر ظهور الجياد العالية وانطلقوا فى عنف وسط سحابة من الغبار . الجميع يبحثون عن السلاح . يحك البعض الدروع بالدهون الكثيفة كى تصبح ملساء ورءوس الحراب كى تصبح لامعة، ويشحذون الفؤوس على المشحذ الحجرى ، ويحسون بالسرور وهم يحملون رايات الحرب ويسمعون صوت النفير . إن خمس مدن تنصب السنادين وتعد الأسلحة : أتينا القوية (٢٣٦) ، تيبور المتعالية (٢٣٧) ، أرديا (٢٣٨) ، وكروستوميرى (٢٣٩) ، وأنتمناى ذات الأبراج (٢٤٠) .

البعض يجوفون الأغطية الواقية للرءوس (٢٤١) ، ويلوون أغصان الصفصاف المجدولة حول هياكل الدروع (٢٤٢) . وآخرون يشكلون دروعاً نحاسية لحماية الصدر (٢٤٣) ، ودروعا ملساء للساقين من الفضة اللينة (٢٤٤) . لم يعد هؤلاء يرون تشريفا لهم فى استخدام سلاح المحراث أو المنجل المقوس ، ولم يعد أولئك يحسون بالشوق الكبير نحو المحراث (٢٤٥) . بل أخذوا يشكلون فى الأفران سيوف أجدادهم من جديد (٢٤٦) . إن أبواق الحرب تدوى ، وكلمة السر من أجل الحرب تنتقل من فرد إلى آخر : هذا يلتقط فى عجلة خوذة من منزل ، وذاك يدفع النير فوق أعناق الخيول المزبدة ويمتشق الدرع المستدير والقميص الواقى ذا الحلقات الثلاث (٢٤٧) ، ويربط السيف الأمين حول خصره .

فلتكشفن عن أسرار هيليكون (٢٤٨) ، أيتها الربات (٢٤٩) ، ولتحركن فى نفسى نشيدا يروى قصة الملوك الذين دفعوا إلى القتال وفلول المقاتلين الذين كان يتبع كل منهم الآخر فيملأون السهول ، وهؤلاء الأبطال الذين ازدهرت بهم — حتى فى ذلك الوقت — الأرض الإيطالية السخية والأسلحة التى تلألأت بها إيطاليا ، ذلك لأنكن تتذكرن — أيتها

الربات المقدسات — ، ولديكن القدرة على التذكر ، أما نحن فلا تكاد تصل إلينا سوى نسمة رقيقة من المعلومات .

كان أول من جاء من الشواطئ التورهينية ، وبدأ القتال وجهز الجيوش بالأسلحة هو ميزنتيوس العنيف المتمرد على الآلهة (٢٥٠) . كان يصاحبه ابنه لاوسوس ، الذى لم يكن هناك من هو أكثر منه وسامة سوى تورنوس اللاورنتى ، إنه لاوسوس ، مروض الخيول ومصارع الحيوانات المفترسة ، كان يقود ألف رجل ساروا خلفه دون فائدة (٢٥١) من مدينة أجيلا . لقد كان جديرا بأن يكون أكثر سعادة بمملكة والده ، وبأن يكون له والد آخر غير ميزنتيوس (٢٥٢) .

ثم بعدهما جاء أفنتينوس الوسيم ، الذى ينحدر من نسل هيراكليس الوسيم ، يزهو بعجلته الحربية المزينة بسعف النخيل وبالخيول الفائزة (٢٥٣) ، ويحمل فوق درعه شعار والده — مائة حية وهودرا المتوجة بالحيات (٢٥٤) . إنه أفنتينوس ، من فى غابة تل أفنتينوس وضعته الكاهنة ريا خلسة داخل حدود الضوء (٢٥٥) : امرأة اختلطت بإله (٢٥٦) ، بعد أن صرع القاهر التريثى (٢٥٧) جيريون (٢٥٨) ووطئت قدماه الحقول اللاورنتية ، وأحم الثيران الهيبرية (٢٥٩) فى النهر التورهينى (٢٦٠) .... (٢٦١) يحملون (٢٦٢) فى أيديهم أثناء القتال حرابا ثقيلة (٢٦٣) وخناجر (٢٦٤) لاترحم ، ويحاربون بسيوف عريضة ملساء (٢٦٥) ومناخس سابلية (٢٦٦) . أما هو (٢٦٧) فكان راجلا ، مدثرا بجلد أسد ضخم ، فروته كثة تبعث الرعب ، ويحيط رأسه (٢٦٨) بأسنانه البيضاء : هكذا كان يدخل القصر الملكى ، بمظهره الذى يثير الفزع ، ورداءه الهيراكلى (٢٦٩) الذى يحيط بكتفيه (٢٧٠) .

شكل (١١)
البطل هيراكليس والصولجان
البحر هودرا

بالإضافة إلى ذلك ، غادر أخوان توأمان أسوار تيبور وشعبا اكتسب اسمه من اسم أخيهما تيبورتوس (٢٧١) — كاتيللوس وكوراس الشجاع —

ومعهما الشباب الأرجوسي (٢٧٢) ، وألقوا بأنفسهم فى الصفوف الأولى بين الأسلحة الكثيفة . كانا مثل قنطورين من قناطير السحاب (٢٧٣) عندما يهبطان من قمة جبل شاهقة وهما يغادران فى سرعة شديدة هومولى وأوثروس (٢٧٤) المغطى بالجليد فتفسح الغابة الضخمة الطريق أمامها وهما مندفعان تاركين الغابة الكثيفة وسط هدير شديد .

ولم يكن مؤسس مدينة برايننستى (٢٧٥) غائبا — الملك كايكولوس الذى يعتقد كل جيل أن فولكانوس قد أنجبه وسط قطعان الماشية فى المراعى وأنه وجد فوق المدفأة (٢٧٦) . كانت تصاحبه فرقة منظمة من سكان الريف ، رجال يسكنون برايننستى المنحدرة (٢٧٧) ، وحقول جونو الجابينية (٢٧٨) ، وأنيو الباردة (٢٧٩) ، والصخور الهرنيكية الرطبة (٢٨٠) ، لما فيها من غدران ، والتى تغذيها أناجنيا (٢٨١) الغنية ، وأنت أيها الأب أما سبنوس (٢٨٢) . لم يكن لدى جميع هؤلاء أسلحة ، ولم يكن لديهم دروع أو عجلات حربية تقرقع . بل كان معظمهم يقذف بكرات من الرصاص الرمادى اللون ، بينما كان البعض يحملون فى أيديهم حربتين ويغطون رؤوسهم بقبعات من جلود الذئاب الغبراء . وأسفل أقدامهم اليسرى عار تماما عندما يسيرون ، بينما يحمى أقدامهم اليمنى حذاء من الجلد الخام .

شكل (١٢)
نموذجان لكرات الرصاص رمادية اللون التى كان يقـــذف بها المحاربون أثناء القتال (المتحف البريطانى بلندن)

أما ميسابوس (٢٨٣) ، مروض الخيول ، وسليل نبتونوس ، الذى لم يكن أحد يستطيع أن يصرعه بالنار أو بالحديد — فهو يدعو شعبه فجأة للسلاح ، شعبه الذى ظل هادئا منذ فترة طويلة ، والذى

لم يعتد الحرب، فيحمل السلاح من جديد. كان هؤلاء يشغلون الخطوط الفسكنينية (٢٨٤) والأيكويفالسكية (٢٨٥)، ويحتلون مرتفعات سوراكتي (٢٨٦) والحقول الفلافينية (٢٨٧) وبحيرة وجبل كيمينوس (٢٨٨) وأدغال كابينا (٢٨٩). كانوا يسيرون في خطوات منتظمة وينشدون لمليكهم (٢٩٠). كان مثلهم في ذلك مثل بجع ناصع البياض بين سحب رطبة أثناء عودته من المرعى، وهو يطلق من خلال أعناقه الطويلة صيحات منغمة: النهر (٢٩١) يردد صداها من بعيد، والمستنقع الأسيوي . .. . (٢٩٢). ربما لم يكن يعتقد المرء عندئذ أن فرقا عسكريا مدرعة قد تجمعت في هيئة جيش ضخم، بل ربما كان يعتقد أن سحابة هوائية من طيور ذات صوت أجش تسرع من فوق اليم العميق نحو الشاطئ (٢٩٣).

وانظر!! هناك كلاوسوس، سليل الدماء السابينية العريقة، وهو يقود جيشا ضخما – بل إنه هو جيش ضخم في حد ذاته –، منه انحدرت قبيلة وأسرة كلاوديا وتنتشران الآن عبر حدود لاتيوم منذ أن شارك السابين في حكم روما (٢٩٤). هناك جيش أميترنوم (٢٩٥) الضخم، والكويريتيس القدماء (٢٩٦)، وكل جماهير إريتوم (٢٩٧) ومونوسكا ذات بساتين الزيتون (٢٩٨)، ومن يسكنون مدينة نومينتوم (٢٩٩) والريف الروسي (٣٠٠) بالقرب من فيلينوس (٣٠١) ومرتفعات تيتريكا المخيفة وجبل سيفيروس (٣٠٢) وكاسبيريا (٣٠٣) وفورولي (٣٠٤) ونهر هيميلا (٣٠٥)، ومن يشربون من ماء التيبر وفاباريس (٣٠٦)، ومن أرسلتهم نورسيا (٣٠٧) الباردة وفصائل هورتا (٣٠٨) والقبائل اللاتينية، وهؤلاء الذين يجرى فيفصل بينهم أليا – ذو الاسم المشئوم (٣٠٩) –. كان مثلهم مثل الأمواج الكثيرة التي تتدحرج على صفحة البحر الليبي (٣١٠) عندما ينطلق أوريون (٣١١) العاصف بين الأمواج الشتوية العالية، مثل سنابل القمح الكثيفة عندما تنضج تحت أشعة شمس الصباح، سواء في سهل هرموس (٣١٢)

أو فى حقول لوكيا (٣١٣) الذهبية . كانت دروعهم تحدث صليلا ، والأرض تهتز تحت وقع أقدامهم .

بعد ذلك يأتى هالايسوس الأجا ممنونى ، عدو الاسم الطروادى (٣١٤) وهو يربط الخيول فى عجلاته الحربية ، ويصطحب معه ألفاً من البشر الأشداء : هؤلاء من يقلبون بفؤوسهم التربة المسيكية السعيدة بباكخوس (٣١٥) ، ومن أرسلتهم شيوخ أوورونكا (٣١٦) من فوق التلال المرتفعة ، ومن يسكنون بالقرب من السهول السيدبكية (٣١٧) : ومن غادروا كاليس (٣١٨) ، ومن يسكنون بجانب نهر فولتورنوس (٣١٩) الضحل ، والساتيكوليون (٣٢٠) العتاة وجماعات الأوسكيين (٣٢١) . كانت أسلحة هؤلاء هراوات مصقولة اعتادوا أن يثبتوها بأربطة متينة من الجلد (٣٢٢) . وكان يحمى جوانبهم اليسرى أثناء الاشتباك دروع من الجلد وسيوف منقوشة (٣٢٣) .

لكنك لن ترحل ، يا أويبالوس (٣٢٤) ، دون الإشارة إليك فى نشيدنا ، يامن يقال أن تيلون أنجبك من الحورية سبيثيس (٣٢٥) أثناء حكمه لكابرياى ، مملكة التليبويين (٣٢٦) ، وحين كانت قد أدركته الشيخوخة . لكن ابنه لم يقنع بحقول أجداده فبسط نفوذه حينئذ هنا وهناك وأخضع الشعوب الساراستية ، والسهول التى يرويها سارنوس (٣٢٧) ، ومن يسكنون روفراى وباتولون وحقول كليمنا (٣٢٨) ومن تطل عليهم أسوار أبيلاى (٣٢٩) ذات بساتين التفاح .

هؤلاء اعتادوا أن يقذفوا الحراب بالطريقة التيوتونيكية (٣٣٠) . أغطية رءوسهم قشور منزوعة من أشجار الفلين (٣٣١) ، ودروعهم النحاسية تبعث بريقاً ، وسيوفهم النحاسية تبعث بريقا (٣٣٢) .

وأنت أيضا يا أوفنس (٣٣٣) ، يامن تنعم بالشهرة وبالأسلحة السعيدة ، أرسلتك نرساى (٣٣٤) الجبلية إلى ميدان القتال . يامن يسكن بنوجلدتك الأيكويكيوليون (٣٣٥) فوق الكتل الطينية الصلبة يفوقون الجميع فى الخشونة ، ويتقنون الصيد الكثير فى الغابات . يفلحون الأرض وهم

مدججون بالسلاح ، ويجدون لذة فى أن يحصلوا كل يوم على أسلاب جديدة ، ويعيشون على النهب والسلب .

بالإضافة إلى ذلك أيضا فقد حضر كاهن من قبيلة ماروفيا(٣٣٦) ، يضع فوق خوذته إكليلا من أغصان الزيتون اليانعة ، مرسل من قبل الملك أركيبوس(٣٣٧) –إنه أومبرو (٣٣٨) أشجع الشجعان ، الذى اعتاد أن ينثر النعاس بنشيده أو بلمسةمن يده على الأفاعى الخطرة وحيات الماء ذات الفحيح العالى ويهدىء من غضبها ويخفف بفنه من لدغتها. لكنه لم ينجح فى أن يعالج إصابة الحربة الداردانية، كما أن أناشيده التى تبعث النعاس وأعشابه التى كان يحصل عليهامن الجبال المارسية لم تقدم له أية مساعدة لشفاء جرحه(٣٣٩) . ياأجمة أنجيتيا(٣٤٠) ،ياموجة فوكينوس (٣٤١) الزجاجية ، ويا أيتها البحيرات الصافية ، لقد بكاكم . . . . (٣٤٢) .

وسار أيضا إلى الميدان سليل هيبولوتوس (٣٤٣) ، فيربيوس(٣٤٤) الذى يفوق الجميع فى الوسامة ، والذى أرسلته الأم أريكيا(٣٤٥) ، وتعهدته أحراش إجيريا المقدسة (٣٤٦) الواقعة حول الشواطىء الرطبة(٣٤٧)

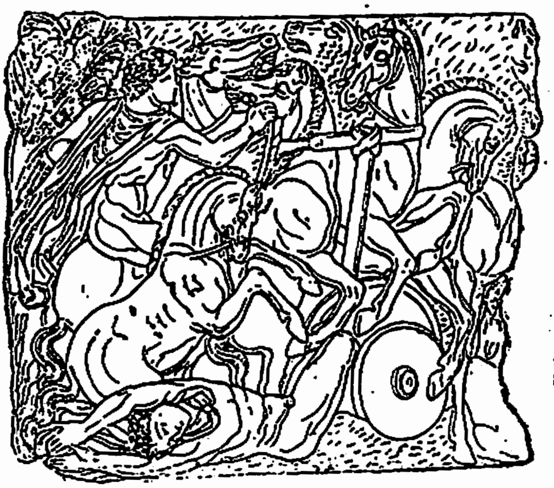

شكل (١٣)
موت هيبولوتوس

حيث يوجد محراب ديانا الكريم الرحيم (٣٤٨). إذ أن هناك رواية تقول إن هيبولوتوس، بعد أن وقع فى مكيدة دبرتها زوجة والده ومزقته خيوله المذعورة إربا كى يحقق بدمائه انتقام والده ، عاد مرة أخرى إلى السماء الأثيرية وتحت النسائم السماوية العليا ، إذ أعيد إلى الحياة بواسطة الأعشاب السحرية البايونية وبفضل حب ديانا له (٣٤٩). ولما أحس الوالد القادر على كل شيء (٣٥٠) بالإهانة ، التى قد تلحق به إذا ما صعد أى بشر فان من عالم الظلال السفلى إلى ضوء الحياة ، أصاب بصاعقته سليل فويبوس (٣٥١) ، مكتشف مثل ذلك النوع من العلاج والوسائل ، وقذف به وسط الأمواج الاستوجية . ولكن التريفية (٣٥٢) الحنون أخفت هيبولوتوس فى مكان خفى ، وعهدت به إلى الحورية إجيريا وأجمتها المقدسة حتى يقضى حياته مغمورا وحيدا وسط الغابات الإيطالية ويتغير اسمه فيصبح فيربيوس . لذلك فإن الخيول ذات الحوافر ممنوعة من الاقتراب من معبد التريفية وأجمتها المقدسة ، لأنها قذفت بالشاب وعجلته فوق الشاطىء بعد أن أفزعتها مردة البحر (٣٥٣) . لكن بالرغم من ذلك استطاع الابن أن يخضع خيوله الجامحة فوق السهل المستوى وينطلق بعجلاته نحو ميدان القتال (٣٥٤).

وها هو أيضا تورنوس بنفسه يتحرك بين القادة وهو يمتشق سلاحه ويسمو بهيكله الوسيم ، ويعلو بهامته فوق الجميع ، تحمل خوذته العالية – ذات الذؤابة المكونة من خصلات ذيل حصان – الخيمايرا (٣٥٥) وهى تنفث من حلقها نيران ايتنا (إتنا) – كان يزداد فحيحها وشراستها المصحوبة بلهيب مفزع كلما ازداد وطيس المعارك وتدفقت الدماء (٣٥٦). وعلى درعه كانت إيو بقرنيها المرفوعين إلى أعلى منقوشة بالذهب ، وهى فى صورة بقرة مغطى جسدها بالشعر (٣٥٧) – إنه رمز عظيم – (٣٥٨) ونقشت أيضا صورة أرجوس حارس العذراء (٣٥٩) وصورة والدها إناخوس وهو

شكل (١٤)
الخيمايرا .. عملة قديمة كانت مستخدمة فى سيكيونيا

يصب ماءه من قارورة منقوشة (٣٦٠). كان يتبعه سحابة من الجنود المشاة ، وكانت جميع السهول تزدحم بفلول من حاملي الدروع :

شكل (١٥)
ابو وارجسوس وميكوريسوس – منظر من
نقش موجود على جدار فى مدينة هيركولانيوم

الشباب الأرجومى (٣٦١) ، والجماعات الأورونكية(٣٦٢)والروتوليين (٣٦٣) ، والسيكانيين القدامى (٣٦٤) والقوات السكرانية (٣٦٥) ، واللابيكيين (٣٦٦) ذوى الدروع المنقوشة . إنهم من يفلحون منحدراتك أيها التيبر ، وشواطىء نوميكوس المقدس ، ومن يعملون بالمحراث فوق التلال الروتولية والمرتفعات الكيركية (٣٦٧) ،ومن على حقولهم يشرف جوبيتر أنكسورس من عليائه (٣٦٨) وفيرونيا(٣٦٩) المسرورة وسط أجمتها الخضراء، وحيث تقع غيضة ساتورا السمراء (٣٧٠) ، وحيث يشق أوفنس (٣٧١) البارد طريقة خلال الوديان المنخفضة ويختفى فى البحر.

بالإضافة إلى هؤلاء حضرت كاميلا (٣٧٢) ، سليلة الجنس الفولسكى ، تقود فصيلة من الفرسان وجمهورا مهيبا بأسلحته النحاسية ، إنها محاربة لم تعتد يداها الأنثويتان قرناس منيرفا أو سلالها(٣٧٣) ، بل هى عذراء اعتادت أن تتحمل المعارك الضارية وتفوق الرياح

فى سرعة قدميها . قد تنطلق عبر الأطراف العليا لنبات قمح غير مشذب دون أن تؤذى سنابل القمح الرقيقة أثناء انطلاقها ، وقد تسلك طريقها فى وسط البحر معلقة فوق موجة هائجة دون أن تبتل قدماها السريعتان بالماء (٣٧٤) : وتدفق جميع الشباب من المساكن والحقول ، وانطلقت جمهرة من النسوة ، الجميع ينظرون إليها فى دهشة ، ويلاحقونها بنظراتهم أثناء سيرها ، لقد بهتوا ، واستولى الذهول على عقولهم : كيف يغطى اتهاء الملكى كتفيها الرقيقتين باللون الوردى ، كيف يربط إبزيم من الذهب بين خصلات شعرها ، وكيف تحمل بنفسها الجعبة الملوكية (٣٧٥) وحربة الرعاة ذات النصل المعدنى (٣٧٦) .

حواشي الكتاب السابع

(١) كايتا Caieta ، مربية آينياس التي فارقت الحياة – شأنها في ذلك شأن عدد كبير من أتباع البطل الطروادي الطريد – أثناء تجواله بحثا عن وطنه الموعود. وهذه هي المرة الثالثة التي يقول فيها فرجيليوس إن اسما من أسماء أتباع آينياس قد أطلق على نتوء بحري : المرة الأولى اسم ميسينوس Miscnus (الكتاب السادس ، سطر ٢٣٤ راجع المجلد الأول، ص٢٨٦) ، والثانية اسم بالينوروس Palinorus (الكتاب السادس، سطر ٣٨١ ، راجع المجلد الأول ، ص ٢٩٣) . أما عن الاسم كايتا : Caieta فقد أطلق على نتوء بحري ومدينة بحرية واقعة على الحدود بين منطقة لاتيوم Latium وكمبانيا Campania . وحتى الآن توجد مدينة تعرف باسم جايتا Gaeta ، وهي أقوى وأضخم قلاع جنوب إيطاليا (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ١٤٧ ، ص ٣٢٦) .

(٢) يقصد فرجيليوس أن الموتى لا يشعرون بما يفعله الأحياء من أجل تخليد ذكراهم فقد يقوم الحي بعمل ما من أجل تخليد ذكرى ميت ، ولكن الميت لا يحس بما يفعله الحي.

(٣) لعلنا نتذكر أن آينياس قد ترك ميناء أنتاندروس Antandros حيث بنى أسطوله (راجع الكتاب الثالث ، سطر ٦ ، المجلد الأول ، ص ١٦٦) ومعه عشرون سفينة (راجع الكتاب الأول ، سطر٣٨١، المجلد الأول ، ص٩٤) . لكنه فقد واحدة منها أثناء العاصفة التي تعرض لها الأسطول عند سيرتيس ، وهي السفينة التي كان يقودها أورونتيس (راجع الكتاب الأول ،سطور١١٣ – ١١٧ ، المجلد الأول ، ص ٨٦) ، ثم فقد أربع سفن أخرى نتيجة لغضب النسوة المرافقات له (راجع الكتاب الخامس ، سطرى ٦٩٨ و ٦٩٩ ، المجلد الأول ، ص ٢٦١) . وبذلك يتضح أن أسطول آينياس أصبح يتكون حينئذ من خمس عشرة سفينة . فإذا علمنا أن كل سفينة كانت تحمل مائة وعشرين رجلا (راجع إلياذة هوميروس، الأنشودة الثانية، سطر ٥١٠) ، فإن القوة التي كانت ترافق آينياس أثناء حملته ضد هسيريا (إيطاليا) لم تكن تزيد على ألف

وثمانمائة رجل . وعندما نقول ذلك فإننا نفترض أن آينياس كان قد ترك جميع النسوة والعجائز – ما عدا كايتا – فى جزيرة صقلية (راجع الكتاب الخامس ، سطر ٧٥٠، المجلد الأول ،ص ٢٦٣) .

(٤) أبحر آينياس ورجاله من ميناء دريبانوم فى صقلية وعبروا البحر حتى وصلوا إلى كوماى ، ، حيث زار العالم الآخر ، ثم كايتا ، ثم كيركيى Circeii (= جبل شيرشيللو Monte Circello فى العصر الحديث) التى قيل إنها كانت جزيرة فى العصور القديمة وكانت مقراً للساحرة كيركى Circe .

(٥) لم يطأها قدم آينياس من قبل . لكن أودوسيوس ذهب إلى هناك وكاد يلقى حتفه لولا أن هرب بصعوبة بالغة بعد أن فقد اثنين وعشرين من رجاله (راجع هوميروس، الأوديسا ، الأنشودة العاشرة ، سطر ٢١٠ وما بعده) .

(٦) إنه تعبير غير عادى ،إذ يصف فرجيليوس المشط الذى يستخدم فى آلة النسيج (النول) بأنه يبعث أنغاما . لاحظ أيضا أن ما جاء فى سطرى ١٣، ١٤ يتفق مع ما جاء فى الأنشودة الخامسة من أوديسا هوميروس ، حيث يصف الساحرة كالوبسو .

(٧) الإشارة هنا إلى الساحرة كيركى ، التى كانت تبعث من شواطىء الجزيرة بأنغام تجذب الملاحين إليها ، وما أن وطئت أقدامهم أرض الجزيرة حتى قبضت عليهم وحولتهم إلى حيوانات : فالأسود والخنازير والدببة والذئاب الذين سمع آينياس ورجاله صيحاتهم كانوا رجالا قبل أن يقعوا فى قبضة كيركى .

(٨) أورورا Aurora ، وهى ربة الفجر (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٦١ ، ص ١٩٨) ، والصورة تعبر عن طلوع الفجر .

(٩) يسير آينياس حسب المعلومات التى تنبأ بها شبح زوجته كريوسا عندما قابله أثناء فرار آينياس من طروادة (راجع الكتاب الثانى، سطر ٧٨١ ، المجلد الأول، ص ١٥٢) .

(١٠) إراتو Erato ، هى ربة الشعر الغنائى عند الرومان ، لقد تناول فرجيليوس فى الكتب الستة الأولى وفى الستة والثلاثين بيتا الأولى من الكتاب السابع من الملحمة الرحلات التى قام بها آينياس والأهوال التى تعرض لها فور سقوط طروادة حتى وصل إلى إيطاليا . إن فرجيليوس فى ذلك قد فعل مثل ما فعل هوميروس عندما تناول فى ملحمة الأوديسا الرحلات التى قام بها أودوسيوس والأهوال التى تعرض لها فور سقوط طروادة حتى عاد سالما إلى وطنه إيثاكا . وابتداء من البيت السابع والثلاثين من الكتاب

السابع من الأينيدة يبدأ فرجيليوس فى رواية الحروب الطاحنة والمعارك الدامية التى قام بها آينياس فى إيطاليا . وإنه فى ذلك أيضا قد فعل مثل ما فعل هوميروس عندما تناول فى الإلياذة الحروب التى قامت بين الاغريق والطروادين. وإنه لواضح تمام الوضوح أن الأبيات من ٣٧ إلى ٤٥ (المكتوبة بالبنط الأسود) ليست إلا فقرة انتقالية بين جزئى ملحمة الأينيدة . بل إن مطلعها يشبه مطلع الإلياذة حيث يناجى هوميروس ربة الشعر قبل أن يبدأ فى رواية قصة غضب أخيليوس أثناء الحروب الطروادية .

(١١) قارن افتتاحية الإلياذة حيث يطلب هوميروس من ربة الشعر أن تروى قصة أخيليوس الذى تسبب فى بلاء الاغريق وموت عدد لا حصر له من المحاربين ولعل فرجيليوس يقصد فى هذه الفقرة الإشارة إلى مصير كل من تورنوس ملك الروتوليين الذى لقى حتفه على يد آينياس (أنظر نهاية الكتاب ١٢) وميزنتيوس ملك أجيلا وحليف تورنوس الذى لقى حتفه أيضا على يد آينياس (أنظر الكتاب العاشر ، سطر ٩٠٧) وغيرهم من القادة والملوك الذين أرغموا على الاشتراك فى القتال ضد قوات آينياس.

(١٢) نسبة إلى الشعوب التورهينية Tyrrheni التى كانت تسكن قديما منطقة إترووريا (راجع الكتاب العاشر ، حاشية رقم ١٩) .

(١٣) هسبيريا Hesperia (= إيطاليا) ، (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٦٧ ، ص ١١٧) .

(١٤) الترجمة الحرفية هنا هى : إننا نسمع أو نقبل « accipimus » .

(١٥) فاونوس Faunus ، راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٧١ .

(١٦) ماريكا Marica ، راجع حاشية رقم ٤٦ أدناه .

(١٧) لاتينوس فى هذه الفقرة هو ابن فاونوس بن بيكوس Picus بن ساتورنوس Saturnus . لكن الشاعر الإغريقى هيسيودوس (القرن الثامن ق . م.) يروى أن لاتينوس هو ابن البطل أودوسيوس من كيركى ، بينما يروى المؤرخ الاغريقى ديونوسيوس الهاليكارناسى (القرن الأول ق.م.) أن هيراكليس هو الذى أنجبه أما فاونوس فهو الذى تبناه وقام بتربيته .

(١٨) أنجب لاتينوس من أماتا Amata اثنين من الذكور ، لكن بعض الروايات تقول إن أماتا قتلتهما أو أصابتهما بالعمى لأنهما أرادا مشاركة والدهما لاتينوس فى الحكم.

(١٩) هذه الابنة هى لافينيا Lavinia (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٢ ، ص ١١١) .

(٢٠) تورنوس Turnus ، راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ١ .

(٢١) حرفيا : قويا بأجداده وأجداد أجداده cavis atavisque potens .
استخدم الرومان التعبيرات الآتية : الابن filius ، الأب pater ، الجد الأول avus ، الجد الثانى proavus ، الجد الثالث abavus ، الجد الرابع atavus . ويؤكد التعبير الذى يستخدمه فرجيليوس عراقة أصل تورنوس .
وقد لا يخفى على القارىء غرض فرجيليوس من وراء ذلك. فسوف ينافس آينياس فى حب لافينيا ، وسوف يلقى تورنوس مصرعه على يد آينياس . فالغرض هو تمجيد آينياس بطل الأينيدة .

(٢٢) كان يتوسط المنزل الرومانى مساحة غير مسقوفة ــ ربما أمكن أن نسميها « صحن الدار » . وكان من الممكن أن تنمو فى تلك المساحة بعض الأشجار ذات الطابع الخاص. عثر لاتينوس على هذه الشجرة المقدسة، فغرسها فى المنطقة غير المسقوفة الواقعة فى وسط القصر الملكى ، وتعهدها بالرعاية والعناية ، ونذرها للإله فويبوس (= أبوللون) ، وأقام بجوارها محرابا مقدسا حسب عادات الرومان .

(٢٣) تعنى كلمة لاوروس Laurus فى اللاتينية شجرة الغار . واللاورنتيون Laurentes هم جماعة كانت تسكن مدينة ساحلية من مدن منطقة لاتيوم تسمى لاورنتوم Laurentum ، التى كانت مقراً للحكم فى عصر الملك لاتينوس . وتسمى هذه المدينة الآن تورى دى باترنو Torre di paterno . وهنا يرى فرجيليوس أن اسم لاورنتوم (واللاورنتين) مشتق من اسم شجرة الغار (لاوروس) التى عثر عليها الملك لاتينوس أول ملوك جماعة اللاورنتين .

(٢٤) المقصود بالأثير السائل هنا هو الرياح التى تهب من ناحية البحر ، إذ تكون محملة بالماء .

(٢٥) إنه منظر مدهش غير عادى فعلا : جماعات لا حصر لها من النحل تأتى مسرعة ثم تحوم حول قمة شجرة الغار ، ثم تتعلق بعض هذه الجماعات فى فرع من أفرع الشجرة المورقة ثم تأخذ باقى المجموعات فى التعلق بأرجلها فى أرجل جماعات النحل الأخرى ، ثم فجأة تكف جميع المجموعات عن الحركة وقد اتخذت شكل عنقود من العنب يتدلى فى هدوء وسكينة أسفل فرع الشجرة . وإن مثل ذلك المنظر كان ولا بد لافتا لأنظار الجميع وخاصة العراف الذى اعتاد تفسير كل ما يراه حسب تجربته الدينية ومعتقدات قومه .

(٢٦) رأى العرافون الرومان فى جماعات النحل رمزاً لغزو أجنبى . ويخبرنا المؤرخ الرومانى تيتوس ليفيوس (الكتاب الرابع والعشرون ، الفصل العاشر) أنه عندما ظهرت جماعات من النحل فى الساحة العامة Forum فى روما فقد فسر الرومان ذلك بأن روما سوف تتعرض لغزو أجنبى . وهنا يفسر العراف اللاورنتى ما شاهده فى قصر لا تينوس بنفس الطريقة . فجماعات النحل قد أتت من ناحية البحر ، لذلك فإن الغزو الأجنبى سوف يأتى من ناحية البحر ، وإذ حطت جماعات النحل رحالها فى قصر الملك لاتينوس حيث توجد قلعة لاورنتوم العالية فإن الغزاة سوف يسيطرون على تلك القلعة ، وما أن وقعت قلعة المدينة فى قبضة الغزاة فقد سيطروا على المدينة بأكملها .

(٢٧) كان لفاونوس Faunus أجمة مقدسة حيث وجدت نبؤته . أما ألبونيا Albunea فهى حورية كانت تسكن منطقة بها مسقط مائى يعرف بنفس الاسم . ومن هنا جاء التعبير « تحدث من ينبوعها المقدس رنينا » . فالمقصود بالينبوع المقدس هو المسقط المائى والرنين هو الصوت الناتج عن سقوط المياه (راجع هوراتيوس ، مجموعة الأناشيد ، الكتاب الأول ، الأنشودة السابعة ، سطر ١٢) . تقع هذه المنطقة بالقرب من نهر التيبر ، وهى من أقوى المساقط المائية الموجودة فى ذلك الاقليم . ولعل ذلك هو المقصود بالتعبير « تفوق الأجمات المقدسة عظمة » . مياه هذه المنطقة كبريتية ، لذلك فهى تبعث بأبخرة داكنة ذات رائحة كريهة . تعرف المساقط الكبريتية الآن باسم ألبولا Albula وتقع على نهر أنيو Anio . ولكن ، من المعروف أن لاورنتوم — مقر حكم الملك لاتينوس — كانت تقع على بعد ثلاثين ميلا من نهر التيبر . ومن ناحية أخرى فإن من المعروف أيضا أنه كانت توجد بعض ينابيع كبريتية بالقرب من لاورنتوم . ولعل ذلك قد جعل بعض النقاد والمعلقين يعتقدون أن فرجيليوس إنما يشير إلى واحد من هذه الينابيع — مثل ينبوع ألتييرى Altieri القريب من هيكل أنا بيرينا Anna Perenna على الطريق الموصل إلى أرديا Ardea لكن من الصعب الاقتناع بصحة هذا الاعتقاد .

(٢٨) أوينوتريا Oenotria حيث كان يسكن سكان إيطاليا الأصليون (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٢٣ ، ص ١٩٤) .

(٢٩) كان النوم فى المعبد أثناء الليل وسيلة لرؤية الأحلام الصادقة (راجع بلاوتوس ، السوسة Curculio ، الفصل الثانى ، المنظر الثانى ، سطر ١٦ ؛ هيرودوتوس ، الكتاب الثامن ، فصل ١٣٤) . وربما كان الهدف من افتراش فراء الحيوانات حديثة الذبح ضمانا لتحقيق ذلك .

(٣٠) أخيرون . Acheron وأخيرنوس : راجع المجلد الأول ، حواشى رقم ١٩ ، ٢١ ص ٣١٤ ، ٣١٥ على التوالى) . هكذا كان يتخيل النائم أنه قد هبط إلى أعماق العالم السفلى .

(٣١) هنا يستخدم فرجيليوس لفظ bidentes والمفرد منها bidens وهولفظ مركب من جزأين : الأول (bis ويعنى « زوج » والثانى dens ويعنى : سن . فاللفظ bidens يعنى : ذو زوج من الأسنان » ويستخدم هذا اللفظ فى وصف الشاة أو الحمل الذى بلغ أكثر من عام . والمعروف أن الحمل عند ولادته يكون له ثمان أسنان فى الفك الأسفل ، فإذا ما بلغ عاما انخلعت سنتان وظهر مكانهما أخريان أقوى وأكبر حجما . وبذلك تتميز الخراف الناضجة عن الحملان الرضيعة . ولقد اعتاد الرومان تقديم الأضاحى للآلهة من بين رؤوس الأغنام التى بلغ عمرها أكثر من عام واحد ، ومن هنا جاءت الصفة bidens والتى آثرنا أن نترجمها هنا بالتعبير « اللائقة بالتضحية » .

(٣٢) المقصود هنا بـ « واحد من اللاتين » هو تورنوس ، الذى كان على وشك الزواج من لافينيا ابنة لاتينوس . ويستخدم فرجيليوس هنا صيغة (= بيوت الزوجية ، غرباء . . . الخ) تمشيا مع العادة المتبعة عند القدماء : فكل ما كان يصدر عن نبوءات الآلهة غامض وغير مباشر ولا يذكر أسماء بعينها أو يحدد أشخاصا تحديداً مباشراً .

(٣٣) المقصود هنا هو حضور آينياس إلى لاتيوم وزواجه من لافينيا ، ثم تأسيس مدينة روما ، والانتصارات التى يحققها حكام تلك المدينة على مدى العصور . والمقصود بالأحفاد هنا هم القياصرة الرومان ، وخاصة الامبراطور أوغسطس .

(٣٤) أى من الشرق إلى الغرب والعكس ، والمقصود بالمحيط oceanum هو الماء الذى يحيط باليابسة من جميع الجهات .

(٣٥) تعكس هذه الصورة ما كان يفعله المنتصر . ولدينا رسومات كثيرة تصور كيف كان يقف القائد المنتصر شامخا وهو يضع قدمه فوق رقبة المهزوم المطروح أرضا . وفى ذلك رمز إلى قوة المنتصر وجبروته وإلى ذلة المهزوم وضعفه.

(٣٦) فاما Fama ، هى ربة الشائعات . راجع المجلد الأول ، ص ٢٠٨ .

(٣٧) أى آينياس ورفاقه الطرواديون . (راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٨).

(٣٧م) المقصود هو الطعام الذى كان يجب أن يكون وفقا لطقوس دينية معينة .

(٣٨) لم يستخدم آينياس ورفاقه موائد اوضع الصحاف عليها ، ولم يستخدموا صحافا يضعون فيها طعامهم ، بل استخدموا الأرض المعشوشبة موائد والكعكات الجافة المصنوعة من القمح صحافا . وهكذا وضع كل منهم طعامه فوق كعكة ثم وضع عليها أكواما من الفاكهة ، وبدأوا فى تناول « الوجبة المقدسة » .

(٣٩) فى هذه الفقرة تفاصيل قد يصعب على القارىء أن يدرك معانيها من أول وهلة . فالأسنان « جسورة » ، لأنها تجرأت أو تجاسرت على التهام الكعكة المقدسة « التى صنعها القدر » . كانت الكعكة المقدسة مستديرة مقسمة إلى أربعة أجزاء متساوية غير منفصلة عن بعضها تمام الانفصال ، وذلك حتى يسهل تقسيمها قبل أكلها . وهكذا يقصد فرجيليوس عندما يقول إنهم « أتوا على حدود أرباعها » أى قسموها وكسروها بأيديهم قطعا وفتتوا أجزاءها بأسنانهم ثم التهموها .

(٤٠) عندما سمع آينياس كلمات إيولوس تذكر نبوءات سابقة (أنظر الحاشية التالية) ، فاعتبر كلماته فألا حسنا ، لذا كان عليه أن يقاطعه على الفور . فلقد اعتقد الرومان فى ضرورة التقاط الفأل الحسن من فم المتحدث والإشادة به والتعبير عن الرضا لسماعه وذلك قبل أن يتبعه المتحدث بكلمات أخرى أو يقطع متحدث آخر استمرار حديث المتحدث الأول . كما إعتقدوا أيضا فى ضرورة مقاطعة من ينطق بفأل سيىء والتعبير عن عدم الرضا لسماعه ودعاء الآلهة كى تمنع تحقيقه .

(٤١) تذكر آينياس نبوءات سابقة : فى الكتاب الثالث (سطر ٢٥٣ ، وما بعده : المجلد الأول ، ص ١٧٤ — ١٧٥) سمع آينياس كيلاينو تقول : «إنكم تولون وجوهكم شطر إيطاليا ، وبعد أن تتضرعوا للرياح ، فانكم سوف تصلون إلى إيطاليا ، وسوف يسمح لكم بدخول مرفئها ، لكنكم لن تحيطوا مدينتكم الموعودة بالأسوار إلا بعد أن يدفعكم الجوع القارص ، لقاء ما أنزلتموه بنا من مذبحة ظالمة إلى أن تنحتوا بأسنانكم الموائد الخاوية » . وفى الكتاب الثالث أيضا (سطر ٣٩٢ وما بعده : المجلد الأول ، ص ١٨٠) قال هيلينوس : « سوف يكون ذلك المكان هو مكان المدينة ، وسوف يصبح ذلك المستقر راحة أكيدة لك من المشاق . لاتخف من نحت الموائد الخالية بالأسنان فى المستقبل فسوف تشق لك الأقدار طريقا . ولسوف يساعدك أبوللون عندما تتوسل إليه » . لكن آينياس لايذكر هنا هاتين النبوءتين ، بل يذكر فقط حديث والده أنخسيس وهو الحديث الذى لم ينقله فرجيليوس إلى القارىء من قبل ، ولكن ربما أشار إليه بطريقة موجزة عندما قال فى الكتاب السادس (سطر ٨٨٩ وما بعده ، المجلد الأول ، ص ٣١٢) : « ثم رفع (أنخسيس) من روحه

المعنوية ، مبشراً إياه بأمجاد المستقبل محذرا من حروب قادمة ، عليه أن يخوض غمارها : وعلمه ماينبغي له أن يعلم عن شعوب لاورنتوم ومدينةلاتينوس : وكيف يتحمل أو يتجنب كل مشقة » .

(٤٢) واضح أن آينياس ورفاقه وصلوا إلى الشاطىء قرب الفجر ؛ ولعل رؤية الشمس وهى ترسل أول شعاع لها على الكون يبعث دائما على النشاط ويحث على العمل .

(٤٣) كان ذلك من عادة آينياس ، شأنه فى ذلك شأن كل مغامر تطأ أقدامه أرضا غريبة لأول مرة . عليه أن يستطلع المكان ويتعرف على طبيعته ويجمع المعلومات عن سكانه ويراقب حركاتهم . . . الخ حتى يؤمن موقعه ويطمئن على سلامة رفاقه . والأينيدة مليئة بمثل هـذه الفقرات . فى الكتاب الأول – على سبيل المثال – يقول فرجيليوس (سطر ٣٠٤ وما بعده ، المجلد الأول : ص ٩٣) : « لكن آينياس التقى ظل يفكر فى أمور شتى طوال الليل ، ثم – وكما لو أنه قد وهب فى الحال نورا يساعده على التفكير – قرر أن يبرح مكانه ، وأن يستطلع المواقع الجديدة ، ليرى إلى أى الشواطىء قد اندفع مع الريح ، وليتعرف على من يسكنونها أناس هم أم وحوش – . . . . . » .

(٤٤) جن المكان أى الروح الحارسة للمكان Genium loci . كان لكل مكان روح تقوم بحراسته وحمايته . وغالبا ما تخيل الرومان تلك الروح فى هيئة ثعبان يأكل من فاكهة موضوعة أمامه . قد يؤكد ذلك ما ورد فى الكتاب الخامس من الأينيدة (سطر ٩٥ : المجلد الأول ، ص ٢٣٥) حيث يرى آينياس ثعبانا يخرج من خلف المعبد فيقول فرجيليوس وهنا استأنف آينياس الاحتفالات .... وهو غير متأكد ما إذا كان ذلك الثعبان هو جن المكان أو روح والده .

(٤٥) الأرض أقدم الأرواح Tellus prima deorum . كان هناك اعتقاد راسخ فى أن الأرض هى الأولى والأقدم إذا ما قورنت نشأتها بنشأة باقى الأرباب والربات . راجع سوفوكليس : أنتيجونى : سطر ٣٣٨ .

(٤٦) الحوريات Nymphae ، هن حوريات المجارى المائية والتلال والأجمات المقدسة . ارتبطت عبادتهن بعبادة آلهة الأنهار . ورد فى الأينيدة ذكر عدد لا حصر له من الحوريات مثل : ماريكا Marica حورية نهر ليريس Liris ، إجريا Egeria حورية أجمة تعرف بنفس الاسم ، سبيثيس Sebethis حورية نهر

سيبثوس Sebethus الذى يجرى فى منطقة كمبانيا Campania : أريكيا Aricia حورية أجمة تعرف بنفس الاسم ..... الخ .

(٤٧) اعتاد الرومان تقديم الصلوات لآلهة الأنهار الموجودة فى المنطقة وإذ أن آينياس لم يكن قد عرف بعد الأنهار الموجودة فى المنطقة فقد كان عليه أن يقدم صلواته « للأنهار التى لم يعرفها بعد » .

(٤٨) الليل Nox والظواهر الناشئة من الليل Noctis orientia signa : أى القمر والكواكب والنجوم والنيازك والشهب المتحركة وغير ذلك من الأشياء المرتبطة بالليل . وجميعها أرواح جديرة بالمناجاة والتكريم .

(٤٩) جوبيتر الإيدى Iovis Idaeus ، الذى كان معبده قائما فوق جبل إيدا الواقع فى جزيرة كريت والذى أشار إليه فرجيليوس فى الكتاب الثالث من الأينيدة (سطر ١٠٥ ، المجلد الأول ، ص ١٦٩) . ربما تكون الإشارة هنا أيضا إلى زيوس الطروادى الذى كان معبده قائما فوق جبل إيدا الطروادى كما جاء فى إلياذة هوميروس.

(٥٠) الأم الفروجية Phrygia Mater : كانت تسمى أيضا الأم الكبرى Magna Mater وهى الربة الفروجية كوبيلى Cybele . وصلت عبادة هذه الربة من منطقة بسينوس Pessinus فى فروجيا إلى روما أثناء الحروب القرطاجية بقيادة هانيبال .

(٥١) والدا آينياس : الربة فينوس Venus والدته ، وبالتالى فهى تسكن السماء (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٥٢ ، ص ١١٦). أنخسيس والده الذى توفى فى الجزء الأول من الملحمة (راجع المجلد الأول ، ص ١٩٠) ، وبالتالى فهو يسكن فى باطن الأرض .

(٥٢) الوالد القادر على كل شىء Pater omnipotens هو جوبيتر رب الأرباب ، مرسل الصواعق والبرق والرعد .

(٥٣) كان الرقم ثلاثة مقدسا ؛ وكان الهدف من تكرار الظاهرة هو لفت الأنظار إليها وتأكيد أهميتها . ولقد سبق أن أرسل جوبيتر مثل هذه الظواهر ليؤكد مساندته لأسرة آينياس . راجع على سبيل المثال المجلد الأول ؛ ص ١٤٧ — ١٤٨ .

(٥٤) نبع أو نهر نوميكوس Numicus ، هو نهر صغير كان يجرى فى منطقة لاتيوم ، لكن مياهه جفت الآن واختفت معالم مجراه . يقال إن آينياس لقى حتفه فى ذلك النهر ودفن فى مكان قريب منه . راجع تيتوس ليفيوس ، الكتاب الأول : الفصل الثانى .

(٥٥) الرقم مائة هو الرقم المفضل عند فرجيليوس . لكن اعتاد الرومان فى أغلب الأحيان أن يرسلوا ثلاثة رسل فقط .

(٥٦) أى يحملون كميات كبيرة من أغصان الربة بالاس (= مينيرفا) حتى تكاد تخفى أجسادهم . وغصن بالاس هو غصن الزيتون رمز الربة مينيرفا وهو أيضا رمز السلام (راجع الكتاب الثامن ، سطر ١١٦ ، ١٢٨) .

(٥٧) التيوكريون هم الطرواديون ، راجع المجلد الأول ، ص ١١٦ ، حاشية رقم ٤٩ .

(٥٨) المقصود هنا هو آينياس .

(٥٩) مدينة لاورنتوم مقر حكم الملك لاتينوس .

(٦٠) خصص الاغريق والرومان مساحة واسعة من الأرض الواقعة عند مداخل المدينة لتدريب الشباب على فنون الحرب . فكان سهل مارس Campus Martius الواقع عند مدخل مدينة روما ميدانا للتدريبات العسكرية .

(٦١) قد لا يكون من اللائق وصف القوس بأنه سريع ، لكن ربما يقصد فرجيليوس هنا الإشارة إلى السهم نفسه الذى يعتمد فى انطلاقه وسرعته على حركة القوس ، إذ يرى فرجيليوس أن السهم والقوس جزءان لسلاح واحد .

(٦٢) اعتاد فرجيليوس وصف الطرواديين بضخامة البنية تماما كما اعتاد أن يصف آينياس نفسه . راجع المجلد الأول (ص ٢٦٥) حيث يقول : استقبل (خارون) فى قاربه آينياس الضخم البنية ، وتأود القارب ذو الألواح المرصوصة تحت ذلك الحمل الثقيل ..

(٦٣) كان مسكن الملك يشيد دائماً فوق أعلى منطقة فى المدينة . لذلك فإنه لم يكن فقط مسكناً للملك ، بل كان قلعة تحمى المدينة ، ومعبداً تقام فيه الاحتفالات الرسمية ، وقاعة اجتماعات تناقش فيها شئون الدولة الداخلية والخارجية ، ومتحفاً يحج إليه الغرباء ليقفوا على تاريخ الأسرة الحاكمة وعلى أمجاد الأجداد .

(٦٤) بيكوس هو والد فاونوس ، وفاونوس هو والد الملك لاتينوس . راجع حاشية رقم ١٧ أعلاه .

(٦٥) تفاءل ملوك لاورنتوم بالجلوس فى تلك القاعة ومباشرة شئون الحكم فيها . أما الصولجان فهو عصا ضخمة منقوشة بالألوان الزاهية ومرصعة بالمعادن والأحجار الكريمة ، كان يحملها الملك رمزا للسلطان . كان يتقدم الملك الرومانى إثنا عشر شخصاً

يحملون الفاسكيس fasces ، وهى مجموعة من العصى تتوسطها بلطة رمزاً لحق الملك فى الحكم بالجلد أو الإعدام .

(٦٦) اللفظ المستخدم هنا هو Curia ويعنى برلمان أو مجلس شورى. إنه يذكرنا بقاعة هوستيليا Curia Hostilia . وهى قاعة الاجتماعات فى مجلس الشيوخ الرومانى .

(٦٧) بعد ذبح الحمل : أى بعد تقديم حمل أضحية وتكريما لآلهة المملكة .

(٦٨) كانت التماثيل تصنع فى بادىء الأمر من الأخشاب. واختار الرومان أخشاب السدر لأنها أشد صلابة وأكثر احتمالا .

(٦٩) إيتالوس Italus ، والأب سابينوس Pater Sabinus ، وساتورنوس العجوز Saturnus Senex : اعتقد الرومان أن أفراد كل قبيلة أو شعب قد انحدروا من جد واحد واكتسبوا لقبهم من اسمه : فإيتالوس هو الجد الأول للإيطاليين ، وسابينوس الجد الأكبر للسابين ... وهكذا . وجدير بالذكر أن السابين كانوا شعباً عنيفاً محباً للحرب ، ولم يشتهروا شهرة كبيرة بإنتاج النبيذ (راجع هوراتيوس ، مجموعة الأناشيد ، الكتاب الأول ، الأنشودة العشرون ، سطر ١) . لذلك فإن ما يلفت النظر فى هذه الفقرة هو أن فرجيليوس يصف سابينوس بأنه زارع الكروم vitisator وماسك المنجل المقوس ، وأولى بهاتين الصفتين ساتورنوس ، الذى عرف بأنه أول من أدخل الزراعة فى إقليم لاتيوم (راجع المجلد الأول ، ص ١١٢ ، حاشية رقم ١٠) . لكن النص واضح فى هذه الفقرة ، ولا نستطيع أن نفعل غير ما فعله فرجيليوس ، وإن كنا لا نتفق معه فى ذلك .

(٧٠) يانوس ذو الوجهين Ianus bifrons ، هو ديانوس Dianus . كان له أكثر من وظيفة : كان رب الأبواب المفتوحة ويسمى عندئذ باتولكيوس Patulcius ورب الأبواب المغلقة ويسمى عندئذ كلوسيوس Clusius . وكان رب أول النهار (أى الصباح) ويسمى عندئذ الأب ماتوتينوس Matutinus Pater .

ولما كان العمل فى الحقل عند الإيطاليين يبدأ فى الشهر الحادى عشر من السنة (حسب التقويم الإيطالى القديم) والشهر الأول من السنة (حسب التقويم الإيطالى المتأخر) فإن ذلك الشهر كان — وما زال — يسمى يانيواريوس (يناير) Ianuarius .

ذلك هو يانوس — أو ديانوس — الذكر . أما صنوه الأنثى فهى ديا يانا Dea Iana

أو ديانا Diana . ومن هنا اكتسب لقب ذي الوجهين ، أي وجه كل من ديانوس الذكر وديانا الأنثى .

(٧١) يقسم فرجيليوس الملوك إلى مجموعتين : الأولى هي مجموعة الملوك الذين عاشوا في سلام ، والثانية هي مجموعة المحاربين الذين خاضوا المعارك دفاعا عن أوطانهم. وهناك رأي آخر يقول إن فرجيليوس يقسمهم إلى مجموعتين : الأولى مجموعة الملوك الآلهة ، الثانية مجموعة الملوك الأبطال . ويذكر فرجيليوس من المجموعة الأولى إيتالوس ، وسابينوس ، وساتورنوس ، ويانوس ، أما المجموعة الثانية فلم يذكر منها أحداً .

(٧٢) اعتاد الملوك والقادة أن يعلقوا على بوابات قصورهم ومعابدهم الأسلحة والأسلاب والغنائم التي حصلوا عليها من أعدائهم أثناء الحرب .

(٧٣) ليس بغريب أن تعلق العجلات الحربية على البوابات . فقد كانت عجلات الرومان والاغريق خفيفة الوزن ففي إلياذة هوميروس مثلا (الأنشودة العاشرة ، سطر ٥٠٥) يفكر ديوميديس في أن يحمل عجلة ريسوس فوق كتفه .

(٧٤) غالبا ما استخدمت الفؤوس كأسلحة في القتال . ففي فقرة تالية (سطر ٥١٠) يستخدم تورهينوس Tyrrhenus فأسه في الحرب ، وفي الكتاب الحادي عشر (سطر ٦٩٦) تتسلح كاميلا Camilla بفأس .

(٧٥) كانت المنصة التي يقف عليها المتحدثون في الساحة العامة في روما محلاة بمقدمات السفن التي حطمها الرومان أثناء الحروب اللاتينية العظمى . ولذلك سميت روسترا Rostra (أي مقدمات السفن) . كما زين القائد بومبي منزله بمقدمات السفن التي حطمها أثناء مقاومته للصوص البحر .

(٧٦) لأن بيكوس هو صاحب القصر والملك الأكبر ؛ فإن تمثاله أيضا يشمخ بين باقي التماثيل .

(٧٧) من المعتقد أن كويرينوس Quirinus (= رومولوس) هو أول من تصوره الرومان وهو يمسك بالصولجان lituus ويتدثر بالعباءة الكهنوتية trabea (راجع أوفيديوس ، قصائد التقويم Fasti : القصيدة السادسة : سطر ٣٧٥) . لكن فرجيليوس يرى في هذه الفقرة أن بيكوس هو الذي كان يمسك بذلك الصولجان ويتدثر بتلك العباءة ، وهو بذلك يمنحهما تاريخاً أطول وهيبة أكثر ومجداً أعظم . كذلك يرى أيضاً أن بيكوس كان يحمل الدرع المقدس ancile . كما أن الدرع كان

مرتبطاً أيضاً بجماعة الساليّ Salii القائمين على عبادة الإله مارس جرافيدوس . (راجع الكتاب الثامن . حاشية رقم ٥٩) .

(٧٨) روى الشاعر الرومانى أوفيديوس (التغيرات ، القصيدة الرابعة عشر ، سطر ٣٢٠ وما بعده) قصة بيكوس وكيركى : أحبت الساحرة كيركى بيكوس إلى حد الجنون : لكنه كان يحب بدوره الحورية كانيوس يانيجينا Caneus Ianigena . أثار ذلك حقد كيركى فمسته بعصاها السحرية وجعلته يشرب من كأسها السحرى فتحول إلى طائر (راجع أيضاً أوفيديوس ، قصائد التقويم ، القصيدة الثالثة ، سطر ٣٧) .

(٧٩) يصف لنا أوفيديوس كيف اكتسب بيكوس — الطائر — هذه الألوان فيقول : أصبح جناحاه قرمزيين مثل لون لفاع (كوفية) كيركى ، وصدره ذهبى اللون مثل لون مشبك صدرها الذهبى ؛ ورقبته أيضاً مطوقة باللون الذهبى .

(٨٠) يعلم الملك من هم هؤلاء الغرباء ، ومن أين جاءوا ، فلقد وصلته أنباء رحلتهم البحرية الشاقة وتجوالهم الطويل . وربما وصلته تلك الأنباء بعد أن خرج أسطول آينياس من كوماى اليوبية (راجع المجلد الأول : ص ٣١٢) لكنه فى نفس الوقت لا يعرف سبب مجيئهم .

(٨١) أى أن العدالة وكرم الضيافة بين شعب لاتينوس لا يفرضهما القانون ، بل اكتسبهما الشعب عن جده الأكبر : الرب ساتورنوس ، الذى كان عادلا كريماً مضيافاً .

(٨٢) أورونكا Aurunca ، هى بلدة قديمة كانت تقع فى اقليم كمبانيا .

(٨٣) المدن الإيدية فى فروجيا هى البلدان الواقعة فى آسيا الصغرى ، والمقصود هنا مدينة طروادة .

(٨٤) اعتاد هوميروس تسميتها ساموس Samos (الإلياذة ، الأنشودة الرابعة والعشرون ، سطر ٧٨ : ٧٥٣) أو ساموس التراقية Samos Threikie (الإلياذة ، الأنشودة الثالثة عشرة : سطر ١٢) ، بينما عرفها هيرودوتوس باسم ساموثريكى Samothreike . ربما كانت معروفة فى بادىء الأمر باسم ساموس ، ثم أضيفت إلى الاسم كلمة ثراقيا لتمييزها عن ساموس الواقعة على شاطىء آسيا الصغرى ، ثم فى النهاية ظهر الاسم المركب فأصبح ساموثراقيا . ومن الناحية الجغرافية فإنه من الطبيعى أن يصل داردانوس أولا إلى ساموس قبل أن يصل إلى « المدن الإيدية فى فروجيا (= طروادة) . لكن لاتينوس يذكر وصوله إلى طروادة أولا ، لأن طروادة والطرواديين وكل ما يتعلق بهم كان شاغله الأعظم أثناء حديثه مع رسل آينياس .

(٨٥) إليونيوس Ilioneus ، هو رفيق آينياس المخلص ، والمتحدث باسمه . ورد اسمه لأول مرة فى سطر ١٢٠ من الكتاب الأول (المجلد الأول ، ص ٨٦) ، كما سبق أن تحدث إليونيوس باسم آينياس أمام الملكة ديدو (راجع المجلد الأول ، ص ١٠٠) .

(٨٦) المقصود هنا مملكة طروادة . والمقصود بالأولومبوس السماء ، إذ قيل عن الشمس حين تشرق من ناحية الشرق أنها تظهر « من أقصى حدود الأولومبوس » .

(٨٧) آينياس هو ابن أنخيسيس بن لاوميدون بن داردانوس بن جوبيتر . وهكذا ينتمى آينياس إلى أسرة جوبيتر العظيمة السامية .

(٨٨) إنها الحرب التى شنها الاغريق تحت قيادة أجا ممنون ملك موكيناى على السهول الإيدية (= طروادة) واستمرت عشر سنوات سقطت بعدها طروادة وفر آينياس باحثاً عن وطن جديد فى شبه جزيرة إيطاليا . وهكذا كانت الحرب الطروادية ترمز إلى الصراع بين أوروبا وآسيا فى عصور ما قبل الميلاد .

(٨٩) بسبب ضخامة الحرب وبشاعتها وكثرة الجيوش المشتركة فيها يتخيل إليونيوس أن كل فرد — مهما كان بعيداً عن منطقة القتال — لابد وأنه قد علم بها : حتى من يسكن فى أقصى الشمال حيث تصطدم مياه المحيط بالمرتفعات الساحلية الواقعة فى الجزر البريطانية ، أو من يسكن فى أقصى الجنوب تفصله عن إيطاليا المنطقة الاستوائية .

(٩٠) قسم الرومان — تماماً كما يفعل علماء الجغرافيا فى العصور الحديثة — العالم إلى خمس مناطق مناخية : المنطقة الحارة (=الاستوائية) ، المنطقة المعتدلة (المدارية) الشمالية والمعتدلة الجنوبية ، والمنطقة الباردة (القطبية) الشمالية والباردة الجنوبية . كانت المنطقة المعتدلة الشمالية تمثل الجزء المسكون من الكرة الأرضية فى نظر فرجيليوس ومعاصريه . وكانت المنطقة الباردة والمنطقة الحارة اللتان تحيطان بها تمثلان طرفى العالم وتكادان أن تكونا خاليتين من السكان . أما المنطقتان الواقعتان جنوب المنطقة الحارة فلم يكن يعلم فرجيليوس عنهما شيئاً .

(٩١) أى أنهم لايطلبون شيئاً مستحيلا : فقط رقعة من الأرض يقيمون عليها وطنا ، وشريطاً ساحلياً يقيمون عليه مرفأ لسفنهم ولا يستخدمونه فى أغراض عسكرية (وهذا هو المقصود بلفظ « وديع ») ، وماء وهواء وهما حق لكل رجل حر . هكذا نلاحظ أن آينياس قد أحسن الاختيار عندما اختار إليونيوس ليتحدث باسمه .

(٩٢) لاحظ الروح الرومانية العالية والنفس الأبية : لقد أتى إليونيوس ورفاقه

إلى أرض غريبة . إنهم يتحدثون إلى حاكم هذه الأرض ، وهم يحملون أكاليل الزهر وأغصان الزيتون ، يطلبون منه أن يفتح صدره لهم ، وأن يستقبلهم فى مملكته ويقدم لهم المساعدة حتى يستطيعوا إقامة وطن لهم ، وبالرغم من ذلك ، فانهم لا يستعطفونه ولا يركعون عند قدميه ، بل يتحدثون إليه حديث الند للند ، دون تردد أو رهبة . فهكذا يتحدثون إليه : كان فى استطاعتهم الذهاب إلى أراض أخرى ، وأن يتحالفوا مع ملوك آخرين ، لكنها مشيئة الآلهة هى التى دفعت بهم إلى مملكته ، فعليه إذن الاذعان والطاعة .

(٩٣) ولد داردانوس فى مدينة كوروثوس Corythus (= كورتونا Cortona الحديثة) . واليوم يعود إليها مرة أخرى – ممثلا فى أبناء جلدته : آينياس ورفاقه الدواردانيين (راجع المجلد الأول ، ص ١٧١ – ١٧٢ ، ص ١٥ أعلاه) .

(٩٤) حدث ذلك عندما أراد آينياس أن يؤسس مدينة فى جزيرة كريت ، إذ تحدثت إليه آلهة البيناتيس أثناء نومه ، وكانت تتحدث إليه نيابة عن الإله أبوللون (راجع المجلد الأول ، ص ١٧١ وما بعدها) .

(٩٥) آينياس ، الذى ينوب عنه المتحدث .

(٩٦) آثرنا تكرار اسم الإشارة فى الأبيات الأربعة السابقة ، ينطق بهذه الأبيات إليونيوس أثناء تقديم هدايا آينياس إلى لاتينوس : فهو يذكر الهدية ويتحدث عنها بينما يناولها إلى لاتينوس .

(٩٧) بيت من الأبيات الناقصة فى الملحمة (راجع مقدمة المجلد الأول ، ص٤٩)

(٩٨) راجع ماقاله فاونوس للملك لاتينوس أثناء نومه الأخير فى المعبد (سطور ٩٦–١٠٢ ؛ ص ٧) .

(٩٩) فى الأبيات الأربعة السابقة (٢٥٥–٢٥٨) يتحدث لاتينوس إلى نفسه .

(١٠٠) يقصد التعاون والتحالف بين لاتينوس وآينياس .

(١٠١) المقصود بالفأل هو ظهور جماعة من النحل حول شجرة الغار الموجودة فى قصر الملك لاتينوس (راجع سطر ٦٤ وما بعده ، ص ١١) .

(١٠٢) سوف يقدم لاتينوس إليهم كل ما يحتاجون إليه . سوف لا يصبحون فى حاجة إلى استصلاح الأراضى أو زيادة إنتاج المحاصيل ، وسوف لا يحسون بفقدان ثروة طروادة الطائلة التى كانوا ينعمون بها قبل سقوط المدينة .

(١٠٣) أعرب لاتينوس على الفور عن موافقته على التحالف مع آينياس ، لكنه وضع شرطا لتنفيذ ذلك الاتفاق : أن يحضر آينياس إليه وأن يضع كل منهما يده في يد الآخر . ويستخدم فرجيليوس عند الإشارة إلى آينياس لفظ Tyrannus (سطر ٢٦٦) ويعني الحاكم أو الملك الذى لم يصل إلى السلطة عن طريق الوراثة ، كما أنه يستخدم في السطر التالى (سطر ٢٦٧) لفظ Rex ومعناه الملك : ولعل ذلك يشير إلى اقتناع لاتينوس بضرورة عقد ذلك التحالف . ولقد آثرنا ترجمة هذين اللفظين بكلمة « قائد » .

(١٠٤) يعود فاعل « رأت » هنا على النبوءات والدلائل السماوية . لاحظ التكرار المقصود للإشارة إلى تلك النبوءات والدلائل السماوية التي تؤكد ضرورة زواج لافينيا ابنة لاتينوس من آينياس بعد رفض تورنوس والرجال الآخرين الذين رغبوا في الزواج منها .

(١٠٥) هذا هو الشرط الثانى — وإن لم يذكره لاتينوس بطريقة مباشرة : أن يتزوج آينياس ابنة لاتينوس .

(١٠٦) لقد سبق (سطر ١٥١ ص ١٠) أن حدد فرجيليوس عدد التيوكريين الذين أرسلهم آينياس إلى تورنوس . كان عددهم مائة ، بينما كان عدد الخيول الموجودة في الحظائر ثلاثمائة . ومن هنا استخدم الشاعر فعل «اختيار» : أى اختار مائة حصان من بين ثلاثمائة .

(١٠٧) اعتاد الرومان تزيين أعناق الخيول إما بمجموعة من الأحجار الكريمة والخرزات الملونة وغيرها والتى كان يربط بينها سلك رفيع من الذهب ويسمى mumile — وهو اللفظ المستخدم في هذا المكان ، أو بسلك ذهبي واحد مجدول بطريقة معينة وملفوف حول عنق الحصان ويسمى torquis .

(١٠٨) لعل المقصود من هذه المبالغة في وصف المعادن الثمينة والأحجار الكريمة والأغطية الفاخرة المطرزة بالذهب هو تأكيد ثراء مملكة لاتينوس والدلالة على مقدرة الملك على تعويض الطرواديين عن الثروة الضخمة التى حرموا منها بعد سقوط مدينتهم.

(١٠٩) كانت الساحرة كيركى مغرمة بتربية الحيوانات وترويضها لدرجة أنها حولت أفراد البشر الذين قذف بهم القدر إلى شواطئ جزيرتها إلى حيوانات (راجع سطر ١٥ وما بعده ، ص ٩ ، وحاشية رقم ٧ أعلاه) . عرف والدها هيليوس Helios : إله الشمس ، بعجلته الذهبية التى كان يجرها جياد مقدسة تزفر

من أنوفهاليبا : سرقت كيركى واحدا من جياد والدها ، وجعلته يعاشر — دون علم والدها — فرسا عاديا من بين أفراسها وبذلك حصلت على نوع معين من الخيول ، مزدوج المولد ، يزفر من أنفه لهيبا. هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى كان بيكوس ، جد لاتينوس ، يعرف بلقب « مروض الخيول » ، وأنه كان على علاقة بكيركى (راجع سطر ١٨٧ وما بعدها ، ص ١٣) . ومن ذلك ربما نستطيع أن ندرك كيف حصل لاتينوس على ذلك النوع النادر من الخيول الذى أهداه إلى آينياس . ويخبرنا هوميروس فى الإلياذة (الأنشودة الخامسة ، سطر ٢٦٥ وما بعده) أن آينياس كان لديه نوع معين من الخيول . فلقد أهدى رب الأرباب إلى تروس Tros نوعا مقدسا من الخيول ، لكن أنخسيس حصل على ستة خيول من سلالة ذلك النوع بعد أن استخدم مع لاوميدون نفس الحيلة التى استخدمتها كيركى مع هيليوس . واحتفظ أنخسيس بأربعة جياد ، وأعطى الاثنين الباقيين إلى آينياس .

(١١٠) أرجوس Argos ، هى عاصمة منطقة أرجوليس ، (راجع المجلد الأول ، ص ١١٢ ، حاشية ١١) ، والإناخية Inachius ، نسبة إلى إناخوس Inachus ، مؤسسها وأول ملوكها (أنظر سطر ٣٧٢ ، ٧٩٢ ؛ ص ٢٣ ، ٤٠) .

(١١١) كانت جونو ، زوجة جوبيتر ، فى طريقها عبر الهواء عائدة من أرجوس قاصدة قرطاجة — إذ أن هاتين المدينتين كانتا مقاما مفضلا لدى الربة . وعندما توقفت لحظة فى وسط الطريق شاهدت من عل آينياس وأسطوله ، وتوقفت الربة بفوق منطقة باخينوم الصقلية Pachynum siculum وهى قمة ساحلية تقع جنوب شرق جزيرة صقلية ، وتبعد عن مصب التيبر مسافة ٣٥٠ ميلا (راجع أيضاً الحاشية رقم ١١٤ أدناه) .

(١١٢) أى يشعرون بالاطمئنان فى الأرض الجديدة .

(١١٣) وقفت جونو فى جانب الاغريق ضد الطرواديين حتى سقطت طروادة . ثم حاولت بعد ذلك القضاء على آينياس أثناء بحثه الطويل عن وطنه الموعود . لكن تجدد حقدها الآن حين رأته ينعم بالطمأنينة ويستعد لإقامة وطن فتى : إن جونو تكره على الدوام كل ما هو طروادى .

(١١٤) مازالت جونو غاضبة كارهة للجنس الطروادى . كان الصراع فى بادئ الأمر بين أرجوس (= بلاد الاغريق) — المدينة المفضلة لدى جونو — وطروادة — مقر الجنس الطروادى. لكن بعد سقوط طروادة وفرار آينياس الطروادى إلى إيطاليا أصبح الصراع بين روما (= إيطاليا) — حيث استقرت ذرية آينياس —

وقرطاجة (= شمال إفريقيا) : المدينة المفضلة أيضاً لدى الربة جونو. وهكذا نجد أن فرجيليوس قد أجاد تصوير موقف جونو ببراعة فائقة حين جعلها تقف فى الهواء فوق جزيرة صقلية ، أى فى منتصف الطريق بين روما (الواقعة شمال البحر المتوسط) وقرطاجة (الواقعة جنوبه) ، وترقب آينياس ورفاقه الطرواديين وهم يشيدون وطنهم الجديد فيستولى عليها الغضب .

(١١٥) السهول السيجية Sigei campi : نسبة إلى مدينة سيجيوم Sigeum الواقعة فى طروادة . والمقصود هنا هو السهول الطروادية حيث كانت تدور رحى الحرب.

(١١٦) لم تصدق جونو عينيها حين رأت الطرواديين يعاونون ويكافحون فى سعادة وطمأنينة .. فلقد رأت شعب طروادة قبل ذلك وهو يلقى الهزيمة فى ميدان القتال ، ويقع فى الأسر ، ويحترق وسط النيران التى التهمت طروادة .
لكنها تحققت الآن أن شعب طروادة لم يمت ، ولم يظل أسيراً إلى الأبد ، ولم تأت عليه النيران التى أتت على طروادة. فلقد وجد شعب طروادة مخرجا له ، فهرب إلى إيطاليا وأقام وطنا جديداً .

(١١٧) تتهكم جونو وهى تنطق بهذه الكلمات : فقوة جونو لاتكل ولاتتعب ، وكراهيتها للطرواديين لاتقل ولا تتضاءل مع مرور الأعوام .

(١١٨) . . . رغم إرادة إله البحر نبتونوس ودفاع الربة فينوس عنهم .

(١١٩) فقد آينياس ثلاث عشرة سفينة من أسطوله عند سورتيس (راجع المجلد الأول ، ص ص ٨٥ — ٨٦) ، وذلك بفضل تدبير جونو ونتيجة لغضبها الذى كان يلاحق الطرواديين .

(١٢٠) تفادى آينياس ورفاقه كلا من سكيلا وخاريبديس (راجع المجلد الأول ، ص ١٨١) بأن أبحروا حول جزيرة صقلية ، وذلك طبقا لنصيحة العراف هيلينوس (راجع المجلد الأول ، ص ١٨٩) .

(١٢١) اللابيثيون Lapithae ، هم أفراد قبيلة تسالية اشتركت فى قتال ضد جماعات الكنتورى أثناء زواج بيريثوس Peirithous (راجع المجلد الأول ، ص ٣٢٠ ، حاشية رقم ٩٤) . اعتادت المصادر القديمة — ومن بينهم فرجيليوس نفسه (راجع الزراعيات ، القصيدة الثانية ، سطر ٤٠٦) — أن تنسب سبب قيام ذلك القتال إلى تأثير الإله باكخوس Bacchus لكن فرجيليوس هنا ينسبه إلى الإله مارس . وقد اعتاد كل من الاغريق والرومان بوجه عام أن ينسبوا سبب كل قتال دام أو اشتباك مسلح إلى الإله مارس .

(١٢٢) كالودون Calydon ، وهى مدينة قديمة كانت تقع فى أيتوليا Aetolia . قدم أوينيوس Oeneus ملك كالودون الأضاحى تكريما لجميع الآلهة ؛ لكنه تجاهل الربة أرتميس الاغريقية (= ديانا عند الرومان) . وأغضب سلوك الملك الربة فأرسلت دبا متوحشا لينتقم لها من سكان المدينة . لكن ميلياجر Meleager بن أوينيوس استطاع بعد فترة من الزمن أن يقتل ذلك الدب . أنظر هوميروس، الإلياذة ، الأنشودة التاسعة ، سطر ٥٣٣ ؛ أوفيديوس ، التغيرات ، القصيدة الثامنة : سطر ٢٧٠ ومابعده .

(١٢٣) هذه الفقرة بأكملها (ابتداء من سطر ٢٩٣) مضللة : إذ أن جونو تتحدث حديثاً هو فى الواقع مزيج من التهكم والتعبير عن المرارة والأسى ، فبالرغم مما بذلته من أجل القضاء على الطرواديين إلا أنها فشلت فشلا ذريعاً فى ذلك .

(١٢٤) فى هذه الحال سوف تحاول جونو أن تستميل آلهة العالم السفلى . وآخيرون Acheron كناية عن العالم السفلى بأكمله .

(١٢٥) ليس هناك كلمات تعبر عن غضب جونو الشديد أروع من تلك الكلمات : فإن جونو تعلم تماماً أنها لا تستطيع أن تعارض زواج لافينيا من آينياس ، لذلك فإنها تدبر مكيدة للانتقام من العروس والقضاء على بهجة العرس . سوف تشعل حرباً شعواء يشترك فيها الطرواديون (أتباع آينياس) والروتوليون (أتباع تورنوس). وهكذا سوف تكون دماء كل من الشعبين صداقاً للعروس وتكون ربة الحرب بللونا Bellona (راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ١٧٦). عرابة أواشبينة العروس، أى الفتاة التى تصاحبها أثناء الزفاف .

(١٢٦) كيسيس Cisseis ، هى ابنة كيسيوس Cisseus ملك ثراقيا ، هى هيكوبا Hecuba زوجة ملك طروادة العجوز برياموس Priamus ووالدة الأمير الطروادى باريس Paris الذى كان سبباً فى قيام الحرب الطروادية .

(١٢٧) برجاما التى أعيد بناؤها : هى وطن الطرواديين الجديد فى إيطاليا ، فكلمة برجاما Pergama تعنى طروادة (راجع المجلد الأول، حاشية رقم ٣٢، ص ١٥٧).

(١٢٨) قيل إن هيكوبا رأت فى المنام أنها تحمل فى أحشائها شعلة متوهجة ، وذلك قبل أن تضع باريس (أنظر شبشرون ، التنبؤ بالغيب ، ١ ، ٢١ ، ٤٢) . كما قيل أيضاً إن المشاعل التى أضاءت حفل زواج باريس هى التى أشعلت النيران فى مدينة طراودة وكما أنجبت هيكوبا باريس ، فإن فينوس هى الأخرى قد أنجبت

باريس آخر (= آينياس) الذي سوف تقوم حرب ضروس بسبب زواجه من لافينيا، وسوف تتحول مشاعل الزواج إلى مشاعل مشئومة تحمل الدمار إلى وطن الطرواديين الجديد .

(١٢٩) الرهيبة : أي جونو ولعلنا نذكر أن جونو كانت حتى ذلك الوقت تحلق فوق البحر المتوسط .

(١٣٠) أليكتو Allecto ، وهي واحدة من ربات الغضب والعذاب ، اللائى تحدث عنهن فرجيليوس في الكتاب الرابع ، سطر ٤٧٣ (راجع المجلد الأول : ص ٢١٨) مستخدماً لفظ Dirae . راجع أيضاً الكتاب العاشر ، حاشية رقم ١٤ .

(١٣١) باوتون Pluton (= ديس Dis عند الرومان) هو رب العالم السفلى (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٧٢ ، ص ٢٣٤) . يقول فرجيليوس إن والد أليكتو هو بلوتون ، بينما تروى معظم المصادر القديمة أنها كانت ابنة آخيرون من نوكس Nox (= ربة الليل) .

(١٣٢) تارتاروس Tartarus ، وهو الجحيم (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٣٠ ، ص ٣١٥) . كانت ربات الغضب على وجه العموم مكروهة من البشر والآلهة على السواء (راجع أيسخولوس ، ربات الرحمة ، سطر ٧٢) . لكن فرجيليوس يبالغ في وصف بشاعة أليكتو إذ يقول إن والدها يكرهها وأخواتها أيضاً يكرهنها .

(١٣٣) بعد بضع عشرات من السطور (راجع سطر ٤١٥ : ص ٢٦) سوف تغير أليكتو هيئتها فتتحول إلى امرأة عجوز . وسوف نجد واحدة أخرى من ربات الغضب — ميجايرا Megaera — وهي تتحول إلى طائر . فلقد اعتقد الرومان في قدرة الأرواح الشريرة على الخروج من هيأتها العادية والتحول إلى هيئة أخرى أو أكثر .

(١٣٤) لم يكن شعر أليكتو سوى مجموعة ضخمة من الحيات التي تضفي على ملامحها الكآبة والسواد (قارن سطر ٣٦٤ ، ص ٢٣ ؛ سطر ٤٤٢ ص ٢٧) .

(١٣٥) كان الإله يذكر بأكثر من اسم واحد ، وكان كل اسم يرمز إلى وظيفة من وظائف الإله ، وغالباً ما كان يحدث نفس الشيء بالنسبة للأبطال والملوك . وكلما ازداد عدد الأسماء للإله أو الشخص الواحد ازدادت رفعة مقامه وأهميته . ولذلك تنادى جونو الربة أليكتو بهذه العبارات وتخلع عليها كل ذلك التكريم حتى تستجيب إلى مطلبها .

(١٣٦) صدر أليكتو ملىء دائماً بالمكائد والخطط والأفكار الشريرة . والصورة هنا مأخوذة من الرداء الذي يهزه المرء مرة بعد أخرى حتى يتأكد من عدم بقاء شيء

فى حروبه أو بين طياته . وبالتالى ، يعنى هذا التعبير أن المطلوب من أليكتو هو أن تختبر جيداً كل ما فى صدرها الحموم وكل ما تحمله فى نفسها الشريرة حتى تختار من بينها جميعا ما هو أشد فتكاً وإيذاء .

(١٣٧) نسبة إلى الجورجون ميدوسا التى صرعها برسيوس (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٤٥ ، ص ٣١٦) . والإشارة هنا إلى الحيات التى تسعى فوق رأس أليكتو بدلا من خصلات شعرها .

(١٣٨) أماتا Amata هى زوجة لاتينوس ووالدة لافينيا . كانت راغبة فى زواج ابنتها من تورنوس .

(١٣٩) أى الهموم التى تسيطر دائماً على المرأة .

(١٤٠) الغرض من هذه السطور التمهيد لوصف جنون أماتا وخبلها وتبرير سلوكها الجنونى فيما بعد وما ينتج عنه من أذى .

(١٤١) المقصود هنا هو نار الشوق نحو التفكير فى مستقبل ابنتها ونار عاطفة الأمومة الملتهبة .

(١٤٢) اعتقد الرومان أن العظام — وخاصة ما بداخلها من نخاع — مركز الاحساس فى الإنسان .

(١٤٣) الفروجى = الطروادى = أينياس .

(١٤٤) المقصود « بالتيوكريين المشردين » هو أينياس ، والهدف من استعمال صيغة الجمع هو التعبير عن الاحتقار الشديد .

(١٤٥) أى والد لافينيا : لاتينوس .

(١٤٦) القرصان الخائن هو أينياس — كما تراه أماتا .

(١٤٧) الراعي الفروجى Phrygius pastor : هو باريس Paris بن برياموس الذى هبط على لاكيدايمونيا Lacedaemonia (=اسبرطة) : واختطف هيلينا ابنة ليدا Leda وزوجة منيلاوس . وفر بها إلى طروادة . ويؤدى استخدام الصفة « فروجى » — بدلا من طروادى — نفس الغرض : وهو التعبير عن الاحتقار الشديد (راجع الحاشية رقم ١٤٤) .

(١٤٨) كان تورنوس ابناً لفنيليا Venilia شقيقة أماتا : وبالتالى كان من أقرباء لاتينوس زوج أماتا .

(١٤٩) إناخوس Inachus هو أول ملوك أرجوس الأسطوريين : وأكريسيوس Acrisius رابعهم . أما موكيناى Mycenae فكانت مقر حكم ملوك أرجوس فى الأزمنة الغابرة .

(١٥٠) أعضاء الانسان الحيوية هى القلب والرئتين والمخ ... الخ . وقد عرفها الرومان بلفظ viscera . لذلك كان من الضرورى أن يسرى السم أولا فى هذه الأعضاء، ثم بعد ذلك يسرى فى بقية أجزاء الجسم .

(١٥١) خرجت أماتا عن وعيها ، فأصبحت عيناها لا تريان شيئاً بينما انطلق خيالها السقيم عبر البلدان والمدن ، فليس كل ما تراه حقيقة بل أوهاماً وتخيلات .

(١٥٢) فاعل « انطلقت » مقدر وتقديره « أماتا » . ليست الصورة التى يرسمها فرجيليوس غريبة على القارىء العربى : تنطلق أماتا فى عنف، لا تلوى على شىء ، تدور حول نفسها ، وترسم على الأرض أثناء دورانها دائرة واسعة وهى تجر قدميها أثناء الدوران : مثلها فى ذلك مثل دوامة، أى نحلة . والدوامة هى ذلك الشىء المصنوع من الخشب ، له رأس مستدير مبطط وجسم أسطوانى انسيابى ينتهى بمسمار معدنى مدبب ، يضربه الصبى بسوط من الخيط المجدول، فيدور حول نفسه فى سرعة بالغة ، وكلما اشتدت ضربات السوط ازدادت سرعة الدوامة حول نفسها . وهكذا يلهو الصبى بدوامته ، بينما يقف صبى آخر مبهوتاً لا يدرى كيف تدور هذه الدوامة حول نفسها ، ولماذا . فالدوامة هى أماتا ، والسوط هو القوة الشيطانية التى تلهب جسدها ، والصبى الذى يلهو بالدوامة هو جونو — ممثلة فى أليكتو — ، والصبى المبهوت هو شعب لاتينوس .

(١٥٣) بفضل مكر أليكتو وخبثها جعلت ربة الغضب أماتا تبدو وكأنها واقعة تحت تأثير قوة باكخية ، وذلك حتى يتبعها النسوة نحو الغابات . فلو علمت النسوة أنها واقعة تحت تأثير أليكتو لما تبعتها إلى الغابات وشاركنها فى إقامة الطقوس الباكخية، بل لحاولن تخليصها من تأثير أليكتو الخبيثة ودعوة الآلهة كى يساعدنهن فى ذلك .

أما عن العبادة الباكخية (نسبة إلى باكخوس Bacchus — ديونوسوس Dionysus) فإنها وصلت إلى روما من جنوب إيطاليا وعبر منطقة إترووريا Etruria . نشأت هذه العبادة أصلا فى آسيا ، ثم اكتسحت بلاد الاغريق أثناء القرن الخامس ق.م. وهذه العبادة معروفة بسيطرتها على مشاعر النسوة وسلب عقولهن فينطلقن نحو الغابات والمناطق المهجورة ليؤدين طقوس وشعائر قد يأنفها أى مجتمع متحضر . لذلك عندما

وصلت هذه العبادة إلى روما أثارت الفوضى ونشرت مبادىء وتقاليد لم يقبلها الرومان. وأدى ذلك إلى صدور قرار من مجلس الشيوخ الرومانى (قرار خاص بالباكخيات: Senatus consultum de Bacchanalibus) فى عام ١٩٦ ق. م. يمنع إقامة الشعائر الباكخية.

(١٥٤) غرفةالعرس Thalamus : هى كلمة ترمز إلى الزواج؛ كانت تعنى فى بادىء الأمر الغرفة التى ينام فيها الزوج والزوجة. ومشاعل الزواج Taedae هى المشاعل التى كانت تضيء أثناء حفلات الزواج وهى تعنى أيضاً هنا الزواج.

(١٥٥) إى يوى Euoe ، هى صرخة كانت ترددها عابدات باكخوس Bacchanales أثناء دعائهن للإله باكخوس.

(١٥٦) غالباً مااتهم الإله ديونوسوس (= باكخوس) بغواية المرأة بوجه خاص، وذلك لأن عبادته كانت غالباً ما تتصف بالمرح واللهو. كما كانت هناك بعض مناسبات خاصة بعبادته لا يشترك فيها سوى النسوة (راجع تراجيديا عابدات باكخوس ليوريبيديس). وهكذا ترى أماتا أثناء خبلها أن الإله باكخوس وحده هو الجدير بابنتها.

(١٥٧) اعتادت عابدات باكخوس أن يحملن فى أيديهن مخاصر أثناء أدية الطقوس الباكخية. والمخصر Thyrsus قضيب أو عصا من الخشب يمسكها العابد — أو العابدة — ويرفعه إلى أعلى ويطوح به فى الهواء. ينتهى الطرف العلوى من العصا بمخروط أو قمع من خشب الشربين بينما يغطى باقى العصا فروع مورقة من شجرة الكروم.

(١٥٨) كان الرقص والغناء جزءاً أساسيا فى عبادة باكخوس: وغالباً ما كانت تصطف العابدات فى شكل دائرة ليؤدين الأناشيد المرحة المصحوبة بالرقصات الخفيفة بينما تتخيل العابدات أن الإله يرقص ويغنى فى وسط الدائرة.

(١٥٩) أطلقت العابدات شعورهن فوق الأكتاف؛ ولم يكن يستطيع إنسان قط أن يقص شعر عابد أو عابدة، فقد كان مقدساً موقوفاًلعبادةالإلهة؛ ولا سلطان للمرء عليه. لذا كان قص شعر العابد أو العابدةالباكخية إثماً لايغتفر (راجع يوريبيديس، عابدات باكخوس: سطر ٤٦٧).

(١٦٠) قيل عن الحبل الباكخوسى إنه كان سريع العدوى واسع الانتشار وخاصة بين النسوة المتزوجات.

(١٦١) هكذا تظهر الباكخيات فى الأعمال الفنية الباقية لدينا: رقابهن مشرئبة،

رؤوسهن متجهة إلى الخلف ، وجوههن متجهة نحو السماء ، وشعورهن مرسلة تتقاذفها الرياح .

(١٦٢) أى: محاصر (راجع الحاشية رقم ١٥٧) ، إذ كانت عابدات باكخوس تستخدمن المحاصر أثناء ثورتهن كحراب يدافعن بها عن أنفسهن أو يهاجمن من يعاديهن.

(١٦٣) اعتادت عابدات باكخوس أن يضعن فوق أجسادهن جلود الحيوانات، وخاصة جلود الغزلان ، كما اعتدن أيضاً أن يحملن على أكتافهن أو فوق صدورهن صغار الحيوانات .

(١٦٤) كانت معظم احتفالات باكخوس تقام فى الغابات أثناء الليل ، لذلك كانت بعض الباكخيات يحملن المشاعل المضيئة ، والبعض الآخر يحملن المحاصر .

(١٦٥) هكذا كان يخيل إليها أنها تحتفل بذلك الزواج الذى كانت شغوفة للاحتفال به قبل أن تقع تحت تأثير أليكتو .

(١٦٦) إثارة أماتا وبقية نساء مملكة لاتينوس هى المرحلة الأولى من عمل أليكتو : والمرحلة الثانية هى إثارة تورنوس (سطر ٤٢١) ، والثالثة إثارة الطرواديين (سطر ٤٧٦) .

(١٦٧) الروتولى الباسل ، هو تورنوس ملك الروتوليين .

(١٦٨) داناى Danae هى ابنة أكريسيوس Acrisius (راجع حاشية رقم ١٤٩ أعلاه) .

(١٦٩) أرديا Ardea ، هى مدينة قديمة كانت عاصمة الروتوليين ، ولكنها أصبحت فى عهد فرجيليوس بلدة صغيرة مهجورة غير ذات أهمية . قد يكون هناك علاقة بين مدينة أرديا Ardea ومدينة أردوا Ardua ، لكنها علاقة غير واضحة . إذ أن أوفيديوس (التغيرات ، القصيدة الرابعة عشرة ، سطر ٥٧٤) يقول إنها سميت هكذا تكريماً لبطلة من البطلات عرفت بنفس الاسم ، وقيل إن هذه البطلة قد عادت إليها الحياة ، بعد أن ماتت وأحرق آينياس جثتها . على أية حال ، تعرضت هذه المدينة لعاصفة شديدة هبت عليها من الجنوب وأتت عليها نهائياً ، ثم أقيمت بعد ذلك من جديد بواسطة رجال من أرجوس ، وأقيم فيها معبد للربة جونو .

(١٧٠) ابنة ساتورنوس القادرة على كل شيء Saturnia omnipotens ، وهى الربة جونو Juno ، التى كان لها معبد فى مدينة أرديا Ardea مقر حكم الملك تورنوس .

(١٧١) سبق أن أشار فرجيليوس (سطر ٤١٤) إلى أن تورنوس كان نائماً قبل أن تصل إليه أليكتو ؛ ثم هناك إشارة أخرى إلى أنه نائم (سطر ٤٥٨) . ومع ذلك فان أليكتو تؤكد هنا أيضاً (٤٢٧) أنه نائم ، وأنه يراها أثناء نومه . ذلك ما يحدث أيضاً فى إلياذة هوميروس (الأنشودة الثانية ، سطر ٢٣) حيث يذكر أونيروس Oneiros (رب الأحلام) أجا ممنون أنه يغط فى النوم . فغالباً ما كانت الأوامر الربانية تبلغ للبشر أثناء نومهم .

(١٧٢) بيت من الأبيات الناقصة (بيت ٤٣٩) . راجع مقدمة الجزء الأول ، ص ٤٩ .

(١٧٣) العرافة Vates هى أليكتو التى ظهرت لتورنوس فى هيئة كالوبى العجوز ، كاهنة معبد جونو .

(١٧٤) مازال تورنوس يوجه حديثه إلى من يعتقدها كاهنة معبد جونو ، لذلك فهو يناديها بلفظ « يا أماه » .

(١٧٥) ترد نفس الفكرة عند هوميروس (الإلياذة ، الأنشودة السادسة ، سطر ٤٩٢) ؛ إذ كان القتال وعقد المعاهدات ونشر السلم عملا يخص الرجال دون النساء .

(١٧٦) الإيرينية Erinys ، هو لقب آخر من ألقاب أليكتو ، أما حيات الإيرينية فهى التى توجد فوق رأسها والتى سبق أن وصفها فرجيليوس من قبل (راجع سطر ٣٢٨ وما بعده). لذلك كان على أليكتو أن تجعل وجهها ضخماً حتى يتضخم — بالتالى — رأسها وتظهر الحيات بوضوح . ومن هنا جاء وصف فرجيليوس لتورنوس فى البيتين السابقين : ترتعش أطرافه فجأة ، وتتحجر مقلتاه من شدة الفزع والخوف من منظر أليكتو بعد أن خرجت من هيئة الكاهنة كالوبى .

(١٧٧) تردد أليكتو فى تهكم مخيف كلمات تورنوس التى قالها إليها من قبل (سطر ٤٤٠ وما بعده) .

(١٧٨) أى أنظر إلى الآن . . . فأنا لست كالوبى العجوز ، كاهنة معبد جونو أنظر إلى وجهى ، إلى أعضاء جسمى ، إلى سوطى ، إلى مقلتى المتوهجتين ، إلى الحيات الموجودة فوق رأسى . فأنا ربة من ربات الغضب . لم يشأ فرجيليوس أن يقول كل ذلك بطريقة مباشرة ؛ لكن القارىء يستطيع أن يدركه بسهولة من سياق الحديث .

(١٧٩) بيت من الأبيات الناقصة (راجع مقدمة المجلد الأول ، ص ٤٩) .

(١٨٠) كما هي عادة الملوك والحكام في جميع العصور : فالسلاح دائماً موجود تحت وسادة الحاكم أو بجوار سريره .

(١٨١) اعتاد الملوك والقواد الرومان أن ينذروا الآلهة نذرا ويتعهدون بالوفاء به إن منحتهم الآلهة النصر . وهنا يشهد تورنوس – على عادة الرومان –الآلهة على على ما قدمه من عهود .

(١٨٢) أجنحتها الاستوجية Stygiae alae ، نسبة إلى نهر ستوكس Styx الذي يجري في الجحيم (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٢٩ ،ص٣١٥) .

(١٨٣) وما أكثر حيل أليكتو ووسائلها من أجل إثارة الفتنة ونشر الدمار (راجع سطر ٣٣٨ ، ص٢٢) .

(١٨٤) إيولوس Iulus ، هو ابن آينياس من كريوسا Creusa .

(١٨٥) العذراء الكوكوتيه Cocytia virgo ، أي أليكتو ،نسبة إلى كوكوتوس Cocytus ، وهو مكان في الجحيم .

(١٨٦) تورهيوس Tyrrheus (أو تورهوس Tyrrhus) : هو راع معروف بين رعاة الملك لاتينوس .

(١٨٧) تعود الهاء في « عودته » على الأيل .

(١٨٨) أي أخت صبية تورهيوس ، أي ابنته .

(١٨٩) أسكانيوس Ascanius : هو اسم آخر لإيولوس بن آينياس (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٤٢ ، ص ١١٥) .

(١٩٠) أثارت أليكتو كلاب إيولوس ولفتت أنظارها إلى الأيل فطفقت تطارده . بذلك تكون قد لفتت أنظار إيولوس أيضا إلى وجود الأيل . ولم تترك أليكتو الفرصة . فساعدت إيولوس أثناء تصويبه للسهم نحو الأيل فأصابه . وكان ذلك في حد ذاته مصدر شقاء للطرواديين أجمعين .

(١٩١) ذو الأربع Quadrupes : لفظ استخدمه الرومان ، بدلا من كلمة animal : بمعنى حيوان .

(١٩٢) لاحظ اللمسة الانسانية في معالجة فرجيليوس لشخصياته – حتى الحيوانات فالأيل يلجأ إلى المنزل الذي يعرفه nota ، ويئن gemens ، ويملأ المنزل بالأنين questu ، ويسلك سلوك المستجير inplorans : وكلها ألفاظ استخدمها اللاتين عند الحديث عن البشر .

(١٩٣) الشيطان الجائر pesto aspera : ليس إلا أليكتو ، التي سرعان ماجعلت الريفيين يخفون إلى نجدة سيلفيا حتى يستولى عليهم الغضب والحماس عند رؤية الأيل الجريح .

(١٩٤) العصا المحترقة : فرع شجرة مستقيم كان يوضع فى النار حتى يصبح جافا صلبا داكن اللون، ثم يستخدم بعد ذلك كالحربة أو السهم. فى أوديسا هوميروس، (الأنشودة التاسعة ، سطر ٣٨٧) يضع أودوسيوس فرع شجرة زيتون فى النار قبل أن يفقأ به عين الكوكلوبس .

(١٩٥) أى المكان الذى كانت تقف فيه أليكتو منذ بداية وصولها إلى السهل لتراقب من بعيد مايدور دون أن يراها أحد .

(١٩٦) أى قلدت الصيحة التى كان يطلقها الرعاة قبل أن يتجمعوا استعدادا للقتال فى أوقات الخطر .

(١٩٧) الكورنو Cornu : نوع من أنواع النفير كان يستخدمه الرعاة . كان محدبا مجوفا مصنوعاً من المعدن . أما فى بادىء الأمر فلم يكن سوى صدفة طبيعية . وهو ما يسميه فرجيليوس فى سطر ٥١٩ بوكينا bucina .

(١٩٨) بحيرة تريفيا Lacus Triviae ، هى بحيرة قرب أجمة ديانا ومعبدها فى أريكيا Aricia . قدسها الرومان كشخصية ثلاثية : ربة القمر فى السماء ، ربة الرماية والصيد على وجه الأرض ، وربة الموتى (= هيكاتى Hecate) فى العالم السفلى . وقدسوها أيضا تحت اسم تريفيا Trivia فى محاريب أقيمت عند مفترق طرق ثلاث.

(١٩٩) نار Nar ، هو نهر فى إقليم أومبريا Umbria ، ينبع من جبال الأبنين ، ويلتقى بينابيع فلينوس (أنظر الحاشية التالية) ، ثم يصب فى نهر التيبر ، مياهه بيضاء اللون لما فيها من مادة الكبريت .

(٢٠٠) ينابيع فلينوس Fontes Velini : هى بحيرة سابينية ونهر سابينى ، بالقرب من بلدة رياتى Reate (= رييتى Rieti الآن) حيث يصب نهر نار Nar على بعد سبعين ميلا تقريبا من المعسكر الطروادى .

(٢٠١) المقصود هنا هو كل من الفلاحين والطرواديين : فكل من الجانبين بدأ فى تنظيم قواته استعدادا للقتال .

(٢٠٢) السيوف والأسلحة النحاسية هى التى كان يحملها الطرواديون . وربما

كان الفلاحون أيضا يحملون سيوفا وأسلحة نحاسية بالإضافة إلى سيقان الأشجار والعصى .

(٢٠٣) كان عدد لا حصر له من المحاربين يرفعون إلى أعلى السيوف المجردة وقد وقف كل منهم بجانب الآخر أو كاد أن يلتصق به حتى نيحسب الناظر أن الحقول قد أنتجت محصولا من السيوف .

(٢٠٤) ألمو Almo : هو أكبر أبناء تورهيوس . واستخدام فرجيليوس للفعل في زمن الماضي «كان» – تمهيداً للحديث عن مقتله : يريد فرجيليوس أن يقول إن ألمو «كان» أكبر أبناء تورهيوس – قبل أن يموت .

(٢٠٥) الصوت السائل Vox uda ، تعبير غير عادي–وإن كان من الممكن تفسيره على النحو التالي: لا يستطيع المرء أن ينطق بالكلمات في سهولة ويسر إلا إذا كان اللعاب (أي السائل) متوفرا في فمه وحلقه ، فإذا ما جف اللعاب في فمه وحلقه وقفت الكلمات في حلقه وتوقف المرء أو تلعثم في الحديث ؛

(٢٠٦) جالايسوس Galaesus ، هو شيخ مسن كانت له مكانة عالية بين الفلاحين . أراد أن يتدخل لوقف القتال بين الطروادين والفلاحين. لكنه لقي حتفه وهو يسعى لتحقيق السلام . عرف جالايسوس بالعدل وتميز بالثراء . ربما يرجع سبب الاعتقاد في ثرائه إلى وجود نهر يحمل اسمه (نهر جالايسوس Galaesus flumen) يجري في منطقة وافرة الثراء والخصوبة وخاصة في زراعة القمح وانتشار النباتات العشبية ، كما تشتهر هذه المنطقة أيضاً بوفرة الأغنام (راجع هوراتيوس ، الأغاني ، الكتاب الثاني ، الأغنية السادسة ، سطر ١٠) .

(٢٠٧) سبقت الإشارة إلى أن فرجيليوس كان مغرماً بذكر العدد مائة (راجع سطر ٩٣ ، ١٥٣ ... الخ) .

(٢٠٨) لم تكن المعركة بين الفلاحين والطروادين حاسمة ، فلم يخرج أحد الطرفين منها منتصراً . بل كانت معركة مريرة قاسية أصابت الطرفين بضرر عظيم .

(٢٠٩) ما زال التهكم المرير واضحاً في حديث كل من جونو وأليكتو منذ أن صممت جونو على البدء من جديد في مطاردة آينياس ورفاقه .

(٢١٠) مارس Mars : هو إله الحرب . يعني هذا اللفظ الحرب نفسها .

(٢١١) الوالد العظيم ille pater : هو جوبيتر ، رب الأرباب : المهيمن على عالم السماء والأرض . أما أليكتو فمقرها العالم السفلي : وهي خاضعة لسلطان هاديس

الملك ليس مسموحاً لمثل هذه الربة أن تتجول بحرية فى عالم غير عالمها ، أو أن تباشر مهامها فى غير نطاقها الشرعى.

(٢١٢) أو ما قد ينشأ من متاعب أثناء القتال ، فبعد أن أشعلت أليكتو نار الفتنة ودفعت سكان المنطقة بأكملها إلى حمل السلاح ، فان جونو الآن سوف تراقب سير الأحداث ، وتدبر الأمور كى يستفحل الخطب ويسود الدمار .

(٢١٣) الأخرى : أليكتو .

(٢١٤) سبق أن لاحظنا وجود مجموعة من الحيات فوق رأس أليكتو بدلا من شعرها (أو بين شعرها) ، لكننا نلاحظ هنا أن مجموعة أخرى من الحيات موجودة فوق جناحيها بدلا من الريش الذى يساعدها على الطيران .

(٢١٥) سبق أن وصف فرجيليوس أليكتو بالعذراء الكوكوتية (سطر ٤٧٩) . لذلك فالتعبير « مقرها فى كوكوتوس » ربما يعنى أنها تقيم فعلا فى كوتوس . والحقيقة هى أن فرجيليوس يتحدث عن أنهار العالم السفلى بطريقة محيرة . ويرى بعض النقاد أنه يستخدم ثلاثة ألفاظ — الأخيرون Acheron ، ستوكس Styx ، وكوكوتوس Cocytus عند الإشارة إلى نهر « الموت » بطريقة واضحة كل الوضوح. فالأخيرون يصب كل مياهه فى كوكوتوس، وستوكس يقع فى أعماق العالم السفلى. ومن ناحية أخرى ذكر فرجيليوس بوضوح أن نهر فليجيثون Phlegethon يحيط بتارتاروس Tartarus .

(٢١٦) ديس Dis هو بلوتون (راجع الجزء الأول ؛ حاشية رقم ٧٢ ، ص ٢٣٤) .

(٢١٧) اعتبر الرومان الفروجيين غير جديرين بالمصاهرة . إذ كانوا — فى رأى الرومان — مخنثين يميلون إلى حياة الرفاهية والبذخ ، وهو مالم يكن يلائم الحياة الرومانية أو يتفق مع سلوك الرجل الرومانى . ولهذا السبب يحتج تورنوس على محاولة لاتينوس إتاحة الفرصة للفروجيين للاختلاط باللاتين ومصاهرتهم .

(٢١٨) من أهم الأسباب التى دفعت أهالى النسوة إلى الثورة والمناداة بضرورة القتال هو أن أماتا — زوجة مليكهم تورنوس — هى التى كانت تقود النسوة وسط الغابات .

(٢١٩) كانوا يطالبون بحرب « محرمة » : إذ أن النبوءات والدلائل المقدسة والآلهة وجميع الظواهر الأخرى قد حذرت لاتينوس من القيام بمثل هذه الحرب .

(٢٢٠) يحذف بعض محققى النص القدامى هذا البيت (بيت ٥٨٧) على أنه

ليس ضرورياً : لما فيه من تكرار للمعنى . لكن المخطوطات القديمة تؤكد وجوده في النص الأصلي . ولعل فرجيليوس يقلد هوميروس في هذا التكرار (راجع على سبيل المثال الإلياذة : الأنشودة العشرون : سطر ٣٧١) .

(٢٢١) هكذا يتهم لاتينوس الهواء : أنه خال ... من العواطف أو الأحاسيس ؛ فهو يبدد كلمات تورنوس ، ولا يوصلها إلى أسماع الآلهة في السماء العالية .

(٢٢٢) اختلف النقاد والمعلقون حول تفسير هذه الفقرة (سطرى ٥٩٨ - ٥٩٩) . والحقيقة أن النص نفسه غامض والترقيم غير متفق عليه منذ عصر سرفيوس Servius (راجع مقدمة المجلد الأول ، حاشية رقم ٣ ص ٢١) . ولقد آثرنا التفسير التالي : تحدث لاتينوس عن موقف اللاتين عموماً ، ثم بدأ يحدد مصائر كل على حدة : فشرذمة الشعب الثائر سوف يقدمون دماءهم ثمناً لثورتهم وتمردهم ضد الآلهة ، وتورنوس سوف ينتظره عذاب أليم جزاء جريمته الآثمة . أما لاتينوس نفسه فعقابه أقل قسوة من عقاب الآخرين . فلقد نال الراحة أخيراً ، سوف لا يستمر ملكاً على لاتيوم ، وبالتالي سوف لا يضطر إلى قيادة الجيوش وتدبير الشئون الداخلية ، وسوف لا يدخل في منازعات أو يعقد اتفاقيات مع جيرانه ، ولكن ما هو عقابه ؟ لقد فقد « ميتة سعيدة »؟؟ ، أى سوف يموت وهو فرد عادى من أفراد الشعب ؛ وتشيع جثته إلى مقرها الأخير بلا موكب أو احتفالات رسمية رغم أنه ما زال « على مشارف الحياة » ، أى رغم أنه ما زالت أمامه سنوات وسنوات كان يمكن أن يقضيها ملكاً .

(٢٢٣) لا يواجه لاتينوس ذلك الموقف الصعب دون تفكير أو روية ، ولم يستخدم القوة حتى لا يزيد من صعوبة الموقف : بل رفض إعلان الحرب ، ولجأ إلى قصره حتى تتاح له فرصة لبحث الأمور في هدوء وروية .

(٢٢٤) لاتيوم الهسبيرية Hesperium Latium : أى منطقة لاتيوم عندما كانت إيطاليا تسمى هسبيريا (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٦٧ ، ١١٧) ، أى قبل أن يصل إليها آينياس وأتباعه .

(٢٢٥) الألبانية Albanae : نسبة إلى ألبالونجا Alba longa (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٤ ، ص ١١٢) التي أسسها أسكانيوس ، والتي أقيمت بعدها مدينة روما . وهكذا بدأ التقليد منذ نشأة مدينة لاتيوم ثم استمر وجوده في عهد مدينة ألبالونجا ثم مدينة روما .

(٢٢٦) الفاعل هنا عائد على سكان روما والمفهوم ضمناً من سياق النص :

أى الرومان : وربما اضطر فرجيليوس إلى حذف لفظ Romani (الرومان) حتى يستقيم وزن الشعر . « ويستحثون مارس ليسهل القتال » أى « يفكرون فى القتال » .

(٢٢٧) الجيتيون Getae ، قبائل كانت تسكن منطقة سكوثيا الأوربية بالقرب من منابع نهر إيستر Ister (= الدانوب فى العصر الحديث) . ويشير فرجيليوس إلى غزو هذه القبائل فى عام ٢٥ ق.م. وهزيمتها المنكرة على يد لنتولوس Lentulus .

(٢٢٨) الهيركانيون Hyrcani ، هم سكان هيركانيا Hyrcania الواقعة فى جنوب البحر الكاريبى . والإشارة هنا إلى حرب قامت بين الهيركانيين والرومان فى عصر أوغسطس ، وإن كان من الصعب تحديد تاريخ تلك الحرب .

(٢٢٩) العرب Arabes ، والمقصود بالعرب هنا هم سكان بلاد اليمن السعيد Arabia Felix . والإشارة هنا إلى الحملة الرومانية التى قام بها القائد Aelius Gallus حاكم مصر من قبل الامبراطور أوغسطس ضد بلاد اليمن فى عام ٢٤ ق.م .

(٢٣٠) أورورا Aurora (= الفجر). المقصود بمهاجمة بلاد الهند ومتابعة أورورا هو الإشارة بوجه عام إلى الحملات التى قام بها الامبراطور أوغسطس فى المناطق الشرقية بعد انتصاره الساحق فى معركة أكتيوم (عام ٣١ ق. م.) . والتى تغنى بها أغلب شعراء العصر الأوغسطى مثل فرجيليوس (الأينيدة ، الكتاب السادس ، سطر ٧٩٤ ، الزراعيات ، الكتاب الثانى ، سطر ١٧١) وهوراتيوس (الأغانى ، الكتاب الأول ، الأغنية الثانية عشرة ، سطر ٥٥) .

(٢٣١) البارثيون Parthi ، هم قبائل كانت تسكن المنطقة الواقعة جنوب شرق البحر الكاريبى . والاشارة هنا إلى الألوية التى فقدها الرومان أثناء الحرب تحت قيادة كراسوس Crassus عام ٥٣ق.م. والتى استردها القائد فرآتيس Phraates ، عام ٢٠ق.م. أثناء حكم الامبراطور أوغسطس .

(٢٣٢) بوابتا الحرب geminae belli ، هو معبد أو ممر ذو سقف على شكل محدب ، له بوابة فى أوله وأخرى فى آخره . كان موقوفا لعبادة مارس ذى الوجهين = يانوس (راجع سطر ١٧٨ ، وحاشية رقم ٧٠ أعلاه) . قيل إن هذا التقليد بدأ منذ عصر الملك نوما Numa ، فلقد اعتاد الرومان فتح ذلك المعبد فى وقت الحرب واغلاقه فى وقت السلم ، إذ كانوا يعتقدون أن الإله مارس يقبع بداخله . راجع كذلك النقش المشهور Res Gestae, Ch. 13 حيث توجد معلومات هامة عن هذا المعبد Janus Quirinus .

(٢٣٣) عباءة كويرينوس Quirinalis trabea ز نارجابينوس Cinctus Gabinus هي عباءة كان يرتديها الرومان أثناء احتفالاتهم الرسمية بطريقة قيل إنهم عرفوها عن طريق اتصالهم بسكان بلدة جابيى Gabii الفولسكية. توضع العباءة على الجسد والرأس، ثم تربط عند الوسط بأحد الأربطة السائبة الموجودة فى العباءة.

(٢٣٤) الأب Pater، هو الملك لاتينوس. عندما يقرر شيوخ المدينة، تصبح قراراتهم أوامر بالنسبة للملك. ومن هنا استخدم فرجيليوس فعل «أمر» iubebatur.

(٢٣٥) ربة الأرباب regina deum = ابنة ساتورنوس Saturnia = جونو Juno. بعد أن رفض لاتينوس إعلان الحرب، كان من الطبيعى أن يتولى ساتورنوس هذه المهمة، إذ أنه قد أصبح قائما مقام الملك. لكن فرجيليوس يجعل جونو تقوم بالمهمة لعله يهدف من وراء ذلك تأكيد أهمية ذلك العمل وتصميم جونو على القضاء قضاء مبرما على لاتينوس وحلفائه أتباع آينياس.

(٢٣٦) أتينا Atina، هى بلدة كانت تقع فى لاتيوم فى الجزء التابع لقبائل الفولسكى Volsci. وما زالت تعرف بنفس الاسم حتى الآن، وتبعد عن روما بحوالى سبعين ميلا من الجهة الجنوبية الشرقية.

(٢٣٧) تيبور Tibur، هى بلدة واقعة على نهر أنيو Anio، وتسمى الآن تيفولى Tivoli. تقع على قمة تل، ومن هنا عرفها الرومان «بالمتعالية» Superba.

(٢٣٨) أرديا Ardea، هى عاصمة الروتوليين Rutuli (راجع حاشية رقم ١٦٩ أعلاه).

(٢٣٩) كروستوميرى Crustumeri (= كروستوميريوم Crustomerium) وهى مدينة سابينية، واقعة على نهر التيبر وتبعد عن روما بحوالى خمسة عشر ميلا.

(٢٤٠) أنتمناى Antemnae، هى مدينة سابينية، واقعة عند نقطة التقاء نهر أنيو والتيبر. عرفت بكثرة أبراجها الحربية وقوة قلاعها.

(٢٤١) أى يصنعون الخوذ الحربية، ويعنون عناية فائقة بإعداد التجويف الذى تشغله رأس المحارب أثناء ارتدائه للخوذة.

(٢٤٢) كان هيكل الدرع يصنع أولا من أغصان النباتات (وخاصة نبات الصفصاف)، ثم يغطى ذلك الهيكل بطبقة من الجلد أو الزق، ثم بعد ذلك يغطى الجميع بطبقة من المعدن.

(٢٤٣) هى دروع كانت تصنع خصيصاً لوقاية صدر المحارب. كانت تصنع بطريقة خاصة كى لا تعوق المحارب عن سرعة الحركة. ومن الواضح أن الرومان عرفوا مثل هذه الدروع من الاغريق، فالكلمة المستعملة هنا هى Thorax، وهو نفس الاسم الاغريقى الذى كان يطلق على نوع من الدروع الاغريقية الواقية للصدر.

(٢٤٤) كان هناك أكثر من نوع واحد من الدروع الواقية لساق المحارب. يشير فرجيليوس هنا إلى درع الساقين الأملس Ocrea الذى كان يصنع من الفضة اللينة.

(٢٤٥) طغى الحماس والرغبة فى القتال على مشاعر اللاتين فهجروا الزراعة وألقوا بالمنجل والمحراث وفضلوا أن يحملوا السلاح (أنظر أيضاً الحاشية التالية)

(٢٤٦) هجر المزارعون أراضيهم، ولكن لما لم يكن لديهم أسلحة، فقد بحثوا عن أسلحة أجدادهم العتيقة، وأخذوا فى إصلاحها وإعدادها أو استخدام خاماتها فى صنع أسلحة جديدة.

(٢٤٧) القميص الواقى ذو الحلقات الثلاث Trilix Lorica، هو نوع من أنواع الدروع الواقية للصدر. فهو يشبه الثوراكس Thorax (راجع الحاشية رقم ٢٤٣). كان يصنع من الجلد أو القماش السميك ويغطى بحراشيف من قرون الحيوانات أو المعدن كى يصبح قابلا للثنى، أو كان يصنع من حلقات معدنية متصلة ببعضها البعض. كان القميص الواقى إما bilix أى ذا حلقتين أو trilix أى ذا ثلاث حلقات. وذلك تبعاً لعدد الأربطة المستخدمة فى ربط الحلقات المعدنية ببعضها.

(٢٤٨) هيليكون Helicon: هو جبل فى منطقة بويوتيا Bocotia، وهو مقر الإله أبوللون Apollon والموسيات Musae (أنظر الحاشية التالية).

(٢٤٩) أيتها الربات (= الموسيات): يقلد فرجيليوس هوميروس فى ملحمة الإلياذة إذ يتوجه للموسيات قبل أن يبدأ فى وصف «قائمة السفن» (الإلياذة، الأنشودة الثانية، سطر ٤٨٤ وما بعده). يرجو فرجيليوس الموسيات أن يكشفن له عن الأسرار المكنونة فى جبل هيليكون Pandite Helicona حتى يستطيع بدوره أن يصفها للقارىء. لكن يرى بعض العلماء أن فرجيليوس يرجو الموسيات أن يفتحن بوابات هيليكون حتى يستطيع أن يصل إلى أعماق هيليكون. ولقد آثرنا التفسير الأول إذ أنه غير معلوم لنا أن معبداً كان موجوداً فوق جبل هيليكون حتى يطلب فرجيليوس من الموسيات أن يفتحن بواباته. على أية حال، كانت الموسيات هن اللائى يساعدن المرء على التذكر، إذ كن بنات منيموسونى Mnemosyne (أى الذاكرة).

(٢٥٠) ميزنتيوس Mezentius : هو حاكم بلدة أجيلا فى اترورريا : عضد تورنوس فى قتاله ضد آينياس : ولقى حتفه على يدى الأخير (أنظر أيضاً الكتاب الثامن ، سطر ٤١٨ ؛ الكتاب العاشر ، سطر ٨٥٠ وما بعده).

(٢٥١) إذ أن لاوسوس سوف يلقى مصرعه، وسوف يلاقى رجاله هزيمة منكرة.

(٢٥٢) المقصود بالجزء الأول من الجملة هو أن لاوسوس سوف لا يحس بالسعادة بالرغم من أن والده ملك — إذ أن الأخير سوف يبعد عن عرش أجيلا فى القريب العاجل. والمقصود بالجزء الثانى هو أن لاوسوس الوسيم الرقيق الشجاع فى نفس الوقت كان يستحق أن يكون ابنا لرجل آخر لا يتصف بصفات والده ميزنتيوس العنيف المتمرد على الآلهة.

(٢٥٣) ليس لدينا معلومات كافية عن شخصية أفنتينوس Aventinus ، فكل ما نعرفه عنه هو ما جاء عند سرفيوس الذى يقول إنه كان هناك شخص يدعى أفنتينوس وكان يحكم قبائل الأبوريجينيس Aborigines ، وأنه قتل ودفنت جثته فوق تل الأفنتينوس . والمعروف أن سعف النخيل كان يوزع على الفائزين فى سباق العجلات (راجع الجزء الأول ، حاشية رقم ١٢ ، ص ٢٦٩). لكننا لا نعرف كيف ومتى فاز أفنتينوس بهذه الجائزة أو حقق تلك الانتصارات.

(٢٥٤) والد أفنتينوس هو هيراكليس. ومن بين أعمال هيراكليس الاثنى عشر هو القضاء على أفعوان البحر هودرا Hydra (راجع المجلد الأول — حاشية رقم ٤٣ ، ص ٣١٦). من المؤكد أن فرجيليوس متأثر بما جاء عند الشاعر التراجيدى الاغريقى يوريبيدس فى تراجيديا الفينيقيات Phoenissai (سطر ١١٣٤ وما بعده) حيث يحمل درع الملك أدراستوس بن هيراكليس نفس الشعار.

(٢٥٥) لعل فرجيليوس متأثر أيضاً بأسطورة مولد رومولوس وريموس ، اللذين وضعتهما الكاهنة ريا سيلفيا Rhea Silvia نتيجة لعلاقتها بالإله مارس (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٤٤ ، ص ١١٥).

(٢٥٦) المرأة هى الكاهنة ريا ، والإله هو هيراكليس الذى عاشرها خلسة فى الخلاء.

(٢٥٧) القاهر التريثى Tirynthius victor ، هو هيراكليس نفسه ، الذى قيل إنه ولد فى مدينة تيرينس Tiryns (أو تيرينثيس Tirynthis) ، الواقعة فى منطقة أرجوليس (راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٥٠).

(٢٥٨) جيريون Geryon (أو جيريونيس Geryones)، هو المسخ الذى صرعه هيراكليس واستولى على ثيرانه (راجع الكتاب الثامن، حاشية رقم ٤٤).

(٢٥٩) الهيبرية Hiberea، نسبة إلى نهر هيبروس Hiberus (إبرو Ebro) الذى يجرى فى أسبانيا. أحضر هيراكليس الثيران من إريثيا Erythia الواقعة بالقرب من مدينة قادش عبر جبال البرانس والألب ثم اخترق ليجوريا Liguria حتى وصل إلى تورهينى Tyrrheni.

(٢٦٠) النهر التورهينى Flumen Tyrrhenum = نهر التيبر.

(٢٦١) يرى أغلب النقاد والمعلقين وجود فجوة فى النص قد يصل حجمها إلى عدة أبيات، حيث يصف فرجيليوس قوات أخرى غير قوات أفنتينوس ويحدد المنطقة التى جاء منها. ولعل ذلك يؤكد الرأى القائل بعدم اكتمال الأينيدة ومراجعتها مراجعة نهائية قبل موت فرجيليوس (راجع مقدمة المجلد الأول، ص ٤٩).

(٢٦٢) الفاعل مقدر عائد على أفراد القوات الذين ذكرهم فرجيليوس فى الأبيات المفقودة (راجع الحاشية السابقة).

(٢٦٣) حراباً ثقيلة Pila. كان كل جندى رومانى يحمل حربتين، ويستخدمهما فى الهجوم أو الدفاع عن النفس: يرمى كلا منهما بقوة نحو العدو من بعيد أو يقبض عليها بيده ويطعنه فى صدره.

(٢٦٤) خناجر dolones، نوع من أنواع الخناجر، يوضع فى غمد مصنوع من الخشب.

(٢٦٥) سيف عريض أملس mucro teres، هو نوع من أنواع السيوف كان أملس لامعاً، قصيراً وعريضاً، بيضاوى الشكل من جهة النصل، ينساب فى ضيق نحو المقبض.

(٢٦٦) منخس سابلى veru Sabellum، سابلى (= سابينى)، نوع من أنواع الحراب الخفيفة، دقيقة الطرف حادته.

(٢٦٧) قائد القوات التى ورد ذكرها فى الأبيات المفقودة (راجع الحاشية رقم ٢٦٢ أعلاه).

(٢٦٨) أى أن رأس القائد كانت محاطة بأسنان الأسد البيضاء.

(٢٦٩) اشتهر هيراكليس بارتدائه جلد أسد، يظهر ذلك واضحاً فى عدد من الآثار المرئية التى خلفها الاغريق والرومان.

(٢٧٠) هذه الفقرة (سطور ٦٦٦ — ٦٦٩) غير واضحة والترقيم غير متفق عليه .

(٢٧١) أي غادرا المدينة ومن يسكنها . كان يسكن المدينة شعب اكتسب اسمه من اسم تيبورتوس Tiburtus ، وهو شقيق ثالث لكاتيللوس Catillus وكوراس Coras . وتروى المصادر القديمة أن كاتيللوس بن أمفياراوس Amphiaraus نزح إلى إيطاليا وأن أبناءه الثلاثة تيبورتوس وكاتيللوس الأصغر وكوراس أسسوا مدينة تيبور (راجع حاشية رقم ٢٣٧) .

(٢٧٢) الشباب الأرجوسي هم شباب تيبور ، إذ أن موطن أمفياراوس الأصلي هو أرجوس .

(٢٧٣) قناطير السحاب nubigenae Centauri ، هم أفراد قبيلة كانت تسكن في احدى مناطق آسيا الصغرى . قيل إنهم أول من أدخلوا عادة ركوب الخيل فنظر إليهم جيرانهم نظرتهم إلى القناطير : النصف الأعلى على شكل آدمي والأسفل على شكل حصان . قيل أيضا إنهم من ذرية السحاب فعندما حاول إيكسيون Ixion الاعتداء على جونو ، صنع زوجها جوبيتر شبحا من السحاب يشبه جونو ، وضاجع إيكسيون الشبح فأنجب منه رجلا أصبح بدوره جدا لهؤلاء القناطير .

(٢٧٤) هومولى Homole وأوثروس Othrys ، هما جبلان في ثساليا .

(٢٧٥) برايـنسـتي Praeneste (= باليسترينا Palestrina في العصر الحديث) هي مدينة بلاسجية قديمة في لاتيوم ، أقيمت بين الجبال واعتاد نبلاء الرومان زيارتها من أجل جوها الرطب .

(٢٧٦) يروى سرفيوس هذه القصة بالتفصيل ، ثم يضيف أن كايكولوس Caeculus كان في بادىء الأمر قاطع طريق ، ثم أسس مدينة وادعى أنه ابن لفولكانوس وحاول اثبات ادعائه بالنيران التي كانت تحيط به .

(٢٧٧) تقع برايـنستي فوق تل منحدر على بعد عشرين ميلا شمال شرقي روما .

(٢٧٨) الجابينية Gabinae ، نسبة إلى جابيي Gabii ، الواقعة بين برايـنستي وروما . كانت في الأزمنة الغابرة من أغنى مدن لاتيوم ، لكنها أصبحت أقل ثراء في عصر هوراتيوس (أنظر : هوراتيوس ، الأناشيد ، الكتاب الأول ، الأنشودة الحادية عشرة : سطر ٧) . كان معبد جونو المقام في مدينة جابيي ذائع الصيت . ولما كانت جابيي مستعمرة من مستعمرات ألبالونجا ، وفرجيليوس يتحدث

فى هذه الفقرة عن عصر لم تكن ألبالونجا نفسها قد تأسست بعد ، فإن الملك فانه يستخدم عبارة « حقول جونو الجابينية » فى الإشارة إليها .

(٢٧٩) ليس المقصود هنا نهر أنيو Anio الذى ينبع من أعالى الأبنين ويصب فى نهر التيبر ، بل المنطقة المحيطة به .

(٢٨٠) الهرنيكية Hernica نسبة إلى الهرنيكيين Hernici الذين كانوا يسكنون فى المنطقة الواقعة جنوب شرق برابنستى ، وقد اشتق الاسم من لفظ هيرنا Herna ومعناه « صخرة » باللغة السابينية .

(٢٨١) أناجنيا Anagnia ، هى بلدة معروفة بثرائها ، واقعة بين الصخور الهيرنيكية ، وتعرف اليوم باسم Anagni ، وهى عاصمة الهيرنيكيين .

(٢٨٢) الأب أماسينوس Pater Amasenus ، هو نهر ينبع من أعالى بريفرنوم Privernum ويصب فى البحر بالقرب من أنكسور Anxur . يعرف اليوم باسم أمازينو Amazeno . وغالباً ما استخدم الرومان لقب « الأب » للتعبير عن الاحترام والتقديس لآلهة الأنهار .

(٢٨٣) ميسابوس Messapus هو البطل الأسطورى الذى سميت من بعده منطقة ميسابيا Messapia (يابوجيا Iapygia) الواقعة فى أقصى جنوب « كعب » شبه جزيرة إيطاليا . ولأنه ابن نبتونوس ، رب البحار والمحيطات ، لم يكن يتأثر بالنار تماماً كما لا يتأثر الماء بالنار بل يطفئها .

(٢٨٤) الفسكنينية Fescenninae ، نسبة إلى بلدة فسكينيا Fescennia فى اتروريا ، أسسها البلاسجيون على الشاطىء الغربى لنهر التيبر .

(٢٨٥) الأيكويفالسكية Aequi Falsci ، نسبة إلى قبائل عرفت بنفس الاسم كانت تسكن بلدة فاليرى Falerii الواقعة على نهر التيبر غربى بلدة فسكينيا ، والتى تسمى اليوم كيفيتا كاستللانا Civita Castellana

(٢٨٦) سوراكتى Soracte ، هو جبل فى اتروريا ، يسمى اليوم جبل سانت سيلفسترو Monte di S. Silvestre .

(٢٨٧) الفلافينية Flavinia ، نسبة إلى فلافينيا Flavinia ، وهى بلدة غير معروفة لنا اليوم ، ومن المحتمل أنها كانت تقع فى منطقة اتروريا .

(٢٨٨) كيمينوس Ciminus ، هى بحيرة تقع غرب بلدة فاليرى Falerii بالقرب من جبل يحمل نفس الاسم .

(٢٨٩) كابينا Capena ، هى بلدة صغيرة ، جنوبى جبل سوراكتى .

(٢٩٠) أى يمدحون مليكهم أثناء سيرهم نحو ميدان القتال . ويشبه فرجيليوس غناءهم بصياح البجع بينما يشبه تجمعاتهم أثناء السير بمجموعات الطيور المهاجرة . وذلك لكثرة عددهم (سطرى ٧٠٤ — ٧٠٥) .

(٢٩١) المقصود هنا بالنهر هو نهر كاوستر Cayester ؛ والمقصود بالمستنقع هو مجموعة الأحراش الرطبة والمراعى المحيطة به .

(٢٩٢) بيت من الأبيات الناقصة فى الأينيدة (راجع مقدمة الجزء الأول ، ص ٤٩) .

(٢٩٣) الهدف من تشبيه قوات ميسابوس بالبجع والطيور المهاجرة وصف الهرج والمرج الذى ينتشر بين صفوفهم والأناشيد التى ينشدونها — الهدف من كل ذلك هو الإشارة إلى أن هذه القوات ليست لائقة للقتال وتأكيد أنها ليست ذات خبرة سابقة بالحرب .

(٢٩٤) كلاوسوس Clausus ، هذا الاسم مقتبس من اسم أتوس كلاوسوس Attus Clausus ، وهو شخص سابينى من بلدة رجيلوم Regillum ، هاجر إلى روما عام ٥٠٤ ق. م . ، وأصبح يلقب أبيوس كلاوديوس سابينوس رجيلينسيس Appius Claudius Sabinus Regillensis — كون قبيلة كلاوديا الرومانية المعروفة . لكن يبدو أن فرجيليوس هنا ينسب تاريخ تكوين هذه القبيلة فى روما إلى عصر سابق على عصر هجرة كلاوديوس إلى روما : « منذ أن شارك السابين فى حكم روما » ، أى بعد اختطاف الرومان للنساء السابينيات فى عصر الملك رومولوس وما تبعه من عقد معاهدة بين الرومان والسابين (راجع الكتاب الثامن ، حواشى رقم ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤) .

(٢٩٥) أميترنوم Amiternum ، هى بلدة هامة من البلدان الواقعة بين سلاسل جبال الألب على بعد ستين ميلا من مدينة روما . كانت تابعة لقبائل الفستينى Vestini الذين يسكنون المناطق الواقعة شمال شرق السابين .

(٢٩٦) الكويريتيس القدماء Prisci Quirites ، هم سكان مدينة كوريس Cures مسقط رأس كل من تيتوس تاتيوس Titus Tatuis ونوما Numa اللذين قيل إن الرومان اكتسبوا لقب كويريتيس بسبب نسبهم إليهما .

(٢٩٧) إريتوم Ereum هى بلدة غير ذات أهمية ، على شاطىء نهر التيبر ، تبعد اثنى عشر ميلا شمالى روما وإلى الجنوب من مدينة كوريس Cures .

(٢٩٨) موتوسكا Mutusca ، بلدة غير ذات أهمية ، كانت شهيرة بزراعة الزيتون ، اسمها بالكامل هو تريبيولا موتوسكا Trebula Mutusca .

(٢٩٩) نومينتوم Nomentum ، تقع على بعد أربعة عشر ميلا إلى الشمال الشرقى من روما (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ١٠٩ ، ص ٣٢٢) .

(٣٠٠) الريف الرومى rura Rosea ، التسمية غير واضحة الدلالة. قد تكون تسمية وصفية نسبة إلى نمو بعض أنواع الورود Rosae فى المنطقة . لكن ذلك قد لا يتفق مع عادة الرومان فى تسمية المناطق .

(٣٠١) فيلينوس Velinus ، هو نهر يصب فى نهر نار Nar (راجع حاشية رقم ١٩٩ أعلاه) بالقرب من رياتى Reati ويساهم فى تكوين بحيرة فيلينوس Lacus Velinus .

(٣٠٢) تيتريكا Tetrica وسيفيروس Severus ، قمتان من القمم الجبلية الوعرة التى تتكون منها سلسلة جبال الأبنين الوسطى .

(٣٠٣) كاسبيريا Casperia ، هى بلدة سابينية لم يرد ذكرها كثيرا عند الكتاب القدامى .

(٣٠٤) فورولى Foruli ، هى بلدة سابينية تسمى الآن كيفيتا توماسا Civita Tomassa .

(٣٠٥) هيميلا Himella ، هو نهر صغير يجرى فى الأراضى السابينية ، لم يرد ذكره كثيراً عند الكتاب القدامى .

(٣٠٦) فاباريس Fabaris ، نهر صغير يسمى الآن بنهر فارفا Farfa .

(٣٠٧) نورسيا Nursia ، هى بلدة تقع وسط قمم الجبال ولذلك فإن مناخها شديد البرودة ، وتسمى الآن نورشيا Norcia .

(٣٠٨) هورتا Horta (أو أورتا Orta) ، هى بلدة واقعة على الشاطئ الإتروسكى لنهر التيبر شمال مدينة روما .

(٣٠٩) أليا Allia ، هو نهر يصب فى التيبر على بعد ستة أميال من مدينة روما . هزم الغال الجيوش الرومانية بعد معركة ضارية قامت على شاطئ نهر أليا فى الثامن والعشرين من شهر يوليو عام ٣٩٠ ق.م. وعرف ذلك اليوم بيوم أليا dies Alliensis ، واعتبر من الأيام المشئومة .

(٣١٠) الليبى Libycum ، أى ذلك الجزء من البحر المتوسط الواقع شمال الشاطئ الشمالى لأفريقيا .

(٣١١) أوريون Orion ، هو كوكب الجوزاء . يصحب ظهوره فى الأفق وغروبه طقس عاصف . يظهر أوريون فى نوفمبر من كل عام ، أى فى الشتاء .

(٣١٢) هرموس Hermus ، هو نهر يجرى فى منطقة لوديا Lydia (فى آسيا الصغرى) المعروفة بخصوبة أراضيها .

(٣١٣) لوكيا Lycia ، هى منطقة جبلية فى آسيا الصغرى ، لكنها رغم ذلك تشتهر بخصوبة أراضيها الزراعية .

(٣١٤) هالايسوس الأجاممنونى Halaesus Agamemnonius ، أى من أسرة (أومن أصدقاء) البطل الاغريقى أجاممنون قائد الحملة الاغريقية ضد طروادة . لذلك فهو عدو لدود لكل ماهو طروادى حتى لفظ « طروادى » . لقى هالايسوس مصرعه على يدى بالاس Pallas بن إفاندروس Evandrus (راجع الكتاب العاشر ، سطر ٤١١) .

(٣١٥) المسيكية Massica ، نسبة إلى جبل ماسيكوس Mons Massicus الواقع شمالى غرب كمبانيا Campania . اشتهرت هذه المنطقة بانتاج الكروم ، لذلك يعنى تعبير « السعيدة بباكخوس » الملائمة لانتاج الكروم . إذ أن باكخوس إله الكروم والنبيذ .

(٣١٦) أورونكا Aurunca ، هى مدينة كانت تقع جنوبى نهر ايريس Liris .

(٣١٧) السيديكية Sidicia ، كان السيديكيون يسكنون منطقة من مناطق اقليم كمبانيا تتوسطها مدينتهم الرئيسية تيانوم Teanum التى تبعد كثيراً عن نهر فولتورنوس Volturnus من ناحية الشمال .

(٣١٨) كاليس Calles ، مدينة فى إقليم كمبانيا ، مشهورة بانتاج الكروم ، واقعة جنوبى مدينة تيانوم Teanum .

(٣١٩) فولتورنوس Volturnus ، نهر يجرى فى كمبانيا يسمى الآن فولتورنو Volturno .

(٣٢٠) الساتيكوليون Saticuli ، نسبة الى مدينة ساتيكولا Saticula الواقعة فى سامنيوم Samnium شرق كابوا Capua .

(٣٢١) الأوسكيون Osci هم قبائل عاشت فى عصور ضاربة فى القدم على شاطئ كمبانيا .

(٣٢٢) اللفظ المستخدم هنا فى الاشارة إلى هذا النوع من الهراوات هو aclydes وهى هراوة ذات نصل مدبب ، يبلغ طوله أحياناً قدمين. كانت تربط بسيور من الجلد المتين حتى يستطيع المحارب أن يستعيدها بعد قذفها فى صدر عدوه لاستخدامها فى الهجوم مرة بعد أخرى .

(٣٢٣) اللفظ المستخدم هو Cetra ، وهو نوع من الدروع ،المصنوعة من الجلد . كان يستخدمها شعوب غير إيطالية وخاصة الشعوب الاغريقية والأسبانية والأفريقية . أما السيوف المنقوشة folacti enses فهى نوع من أنواع السيوف المحدبة أو المقوسة وهى تشبه فى شكلها السيف الذى كان يعرفه العرب باسم « الأحدب » .

(٣٢٤) لم يرد اسم أوبيالوس Ocbalus قط عند الكتاب القدماء ، فهو ليس معروفا سوى لفرجيليوس ، وفى هذه الفقرة فقط . لكن فرجيليوس يؤكد أهمية شخصية أوبيالوس بين الشخصيات المتعددة التى وردت ضمن قائمة القادة والشعوب التى اشتركت فى الحرب ولعل ذلك يرجع وجود شخصية تعرف بنفس الاسم .

(٣٢٥) سبيثيس Sebethis ، هى حورية من حوريات سبيثوس Sebethus ، وهو نهر صغير يصب فى خليج نابلى المقابل لجزيرة كابرياى Capreae .

(٣٢٦) التليبويون Teleboae ، هم جماعة من قراصنة البحار ، كانوا يسكنون الجزر التافية Taphiae Insulae الواقعة فى البحر الأيونى بين ليوكاديا Leucadia وأكارنانيا Acarnania . أما كابرياى Capreae فهى جزيرة معروفة تقع فى مواجهة شاطئ كمبانيا بالقرب من سارنتوم Sarrentum . إنها الجزيرة التى أقام فيها الامبراطور تيبريوس بعد اعتزاله الحكم . قيل إن جماعة من التليبويين احتلوا كابرياى (راجع تاكيتوس ، الحوليات ، الكتاب الرابع ، فصل ٦٧) .

(٣٢٧) الساراستية Sarrastis ، نسبة إلى قبائل كانت تعرف بنفس الاسم . ربما كانت هذه القبائل من الجنس البلاسجى الذين ارتبط اسمهم بنهر سارنوس Sarnus الذى قيل إن مجراه قد تحول نتيجة لانفجار بركان فيزوف Vesuvius ، الذى تسبب أيضاً فى إبادة مدينتى هركولانيوم Herculaneum وبومبيى Pompeii .

(٣٢٨) روفراى Rufrae ، باتولوم Batulum ، كليمنا Celemna ، أبيلاى Abellae : كلها أماكن واقعة شمال نهر سارنوس فى كمبانيا أو سامنيوم Samnium .

(٣٢٩) ترى المصادر القديمة أن فرجيليوس يذكر أبيلاى بدلا من ...
نولاى Nolae ، وذلك لخلاف كان قد قام بين فرجيليوس وسكان البلدة الأخيرة . تقع أبيلاى – وتعرف الآن باسم أفيلا Avella – على بعد خمسة أميال شمالى شرقى نولاى. اشتهرت هذه البلدة بانتاج نوع معين من المكسرات عرف باسم بندق أبيلاى nux Abellana : ولقد عثر العلماء على نص لمعاهدة قامت بين أبيلاى وبلدة نولاى . كتب هذا النص باللغة الأوسكية وعثر عليه منقوشا على حجر كان يستخدم عتبة لأحد المنازل، ثم نقل عام ١٧٥٠ ميلادية إلى متحف بلدة نولاى ومازال هذا النقش معروضا تحت اسم نقش أبيلاى cippus Abellanus .

(٣٣٠) التيوتونيكية Teutinicus (= الجرمانية) ، أى على عادة أهل جرمانيا Germania .

(٣٣١) استخدم الفلين فى عصر فرجيليوس فى صنع خلايا النحل (راجع الزراعيات ، القصيدة الرابعة ، سطر ٣٣) ، ومازال يستخدم فى بلاد الهند حتى الآن فى صناعة بعض المعدات الحربية .

(٣٣٢) آثرنا تكرار الألفاظ رغبة فى المحافظة على ماجاء فى النص الأصلى .

(٣٣٣) أوفنس Ufens ، هو اسم نهر يجرى فى اقليم لاتيوم ، ولكنه أطلق هنا على شخص مثلما حدث من قبل مع ألمو Almo وجالايسوس Galaesus . أوفنس هو حاكم قبائل الأيكوليين Aequiculi وقائدهم .

(٣٣٤) نرساى Nersae ، هى بلدة موقعها غير معروف على وجه التحديد لكن من الثابت أنها كانت تابعة لقبائل الأيكويكوليين .

(٣٣٥) الأيكويكوليون Aequiculi ، هم قبائل كانت تسكن المناطق الجبلية المحيطة بمنابع نهر أنيو. كانت معروفة بالقوة والشجاعة فى ميدان القتال .

(٣٣٦) ماروفيا Marruvia ، هى قبيلة كانت تسكن فى المناطق المارسية السابينية ، جنوبى شرق بحيرة فوكينوس ، حيث أقيمت بالقرب منها مدينتهم الرئيسية ماروفيوم Marruvium والتى تعرف الآن باسم بنديتو الجنوبية S. Benedetto .

(٣٣٧) أركيبوس Archippus ، هو ملك ماروفيوم (راجع الحاشية السابقة).

(٣٣٨) أمبرو Umbro ، هو اسم الكاهن.

(٣٣٩) لهذه الفقرة أهمية بالغة ، إذ أنها تلقى ضوءا على معتقدات الشعب الإيطالى فى عصوره المبكرة . فبالرغم من أن قبائل ماروفيا كانت تتصف بالشجاعة

والاقدام فإنها كانت تؤمن أيضاً بالسحر والشعوذة : فكانوا يعالجون الجروح بالأناشيد واللمس بالأيدى ، كما كان من الممكن أيضاً شفاء لدغةالثعبان بنفس الوسائل . فالطب كان لديهم – شأنهم فى ذلك شأن الشعوب البدائية الأخرى – « فنا » وليس مهنة .

(٣٤٠) أنجيتيا Anguitia (Angitia =) ، هى ربة محلية كان يقدسها أفراد قبيلة ماروفيا .

(٣٤١) فوكينوس Fucinus ، هى بحيرة فى منطقة أومبريا Umbria تعرف الآن بأسم لارجو دى كيلانو Largo de Celano (راجع حاشية رقم ٣٣٦ أعلاه) .

(٣٤٢) بيت من الأبيات الناقصة (راجع مقدمة المجلد الأول ، ص ٤٩). هذا البيت من الأبيات الناقصة التى لم يستطع العلماء والمعلقون إكمالها أو التعرف بوجه عام على ما أراد أن يقوله فرجيليوس فى الجزء الناقص من البيت .

(٣٤٣) هيبولوتوس Hippolytus ، ابن ثسيوس Theseus وهيبولوتى Hippolyte ، أما زوجة والده فهى فايدرا Phaedra .

(٣٤٤) فيربيوس Virbius ، هو الاسم الذى سمى به هيبولوتوس بعد أن أعيد إلى الحياة مرة أخرى . يرى المعلق القديم سرفيوس أن فيربيوس Virbius اسم مركب من كلمتين : vir (= أصل كلمة vis) بمعنى القوة أو الحياة و bis بمعنى مرتين . وبذلك يكون معنى الاسم : «الذى منح الحياة مرتين » .

(٣٤٥) أريكيا Aricia ، هو اسم حورية من حوريات الأحراش واسم بلدة فى لاتيوم بالقرب من ألبالونجا ، وتعرف الآن بأسم لاريشيا La Riccia ، واسم بحيرة أيضا تقع وسط أحراش لاتيوم .

(٣٤٦) أحراش إجيريا المقدسة : تقع بالقرب من أريكيا : كانت موقوفة لعبادة الحورية إجيريا Egeria التى تعهدت نوما Numa بالرعاية .

(٣٤٧) المقصود بالشواطئ الرطبة هنا هو بحيرة نيمورينسيس Lacus Nemoriensis الواقعة بالقرب من أريكيا .

(٣٤٨) كانت أريكيا مشهورة بمحراب الربة ديانا Diana ومعبدها الذى كان يقوم برعايته كاهن من واجبه « أن يقتل القاتل ثم كان عليه أن يقتل بعد ذلك » ، وهو ما اتبعه الامبراطور كاليجولا فيما بعد . ومحراب ديانا « كريم » أى

محمل بالهدايا والعطايا ومشتعل بالأضاحي . ولذلك فهو « رحيم » أيضا . أى أنه مستعد لتلبية دعوة المكروبين .

(٣٤٩) يروى أن هيبولوتوس كان شابا مغرما بالصيد ولايهوى المغامرات النسائية ، وهو بذلك كان الأقرب إلى قلب ديانا (= أرتميس عند الاغريق) وبعيدا كل البعد عن عبادة فينوس (= أفروديتى عند الاغريق) . أرادت فينوس أن تنتقم من هيبولوتوس ، فأشعلت نار الهوى فى قلب زوجة والده فايدرا . وأبى هيبولوتوس أن يستجيب لحب فايدرا ، فما كان منها إلا أن اتهمته أمام والده بمحاولة اغتصابها . عندئذ يستنزل ثسيوس اللعنة على ولده ، فيلقى الأخير مصرعه تحت أقدام الخيل أثناء السباق. تشفق عليه ديانا ، وتطلب معونة إله الطب أسكولابيوس ، وهو ابن الإله أبوللون (= فويبوس) ؛ فيعود هيبولوتوس إلى الحياة من جديد ثم تعهد به ديانا إلى حورية من حوريات الغابات وهكذا يعيش هيبولوتوس من جديد تحت اسم فيربيوس .

(٣٥٠) الوالد القادر على كل شئ Pater omnipotens هو رب الأرباب جوبيتر .

(٣٥١) سليل فويبوس Phoebigena ، أى ابن فويبوس ؛ وهو أسكولابيوس Sculapius .

(٣٥٢) الثريفية Trivia ، هى الربة ديانا (راجع حاشية رقم ١٩٨ أعلاه) .

(٣٥٣) تروى الأسطورة أن نبتونوس — إله البحر — هو الذى أرسل بعض المردة من سكان البحار لتثير الفزع فى خيول هيبولوتوس فتضطرب خطواتها وتطرحه أرضا .

(٣٥٤) بالرغم من مصرع هيبولوتوس ، فقد ركب ابنه فيربيوس عجلته الحربية واتجه نحو ميدان القتال .

(٣٥٥) الخيمايرا Chimaera ، وحش أسطورى ضخم بشع المنظر (راجع المجلد الأول ، حاشيه رقم ٤٤ ، ص ٣١٦) .

(٣٥٦) أى كلما اشتد القتال وازداد حماس تورنوس وأسرع فى تحركاته ازداد اهتزاز صورة الخيمايرا التى تعلو خوذته الحربية .

(٣٥٧) إيو Io ، هى آدمية عشقها رب الأرباب جوبيتر ، فحولتها زوجته جونو إلى بقرة ، وأمرت أرجوس Argus أن يراقب تحركاتها حتى لا تتيح الفرصة لزوجها لكى يقرب عشيقته .

(٣٥٨) إنه رمز عظيم نقشه تورنوس على درعه ، إذ أنه كان سايل إناخوس Inachus (راجع ص ٢٥) والد إيو .

(٣٥٩) أرجوس Argus ، ذو المائة عين ، الذى كان مكلفا بحراسة العذراء إيو .

(٣٦٠) إناخوس Inachus ، هو إله النهر إناخوس . تروى الأساطير أنه ابن أوكيانوس Oceanus (= المحيط) من تيثوس Tethys ، كما تروى الأساطير أيضا أنه كان أول ملك أسطورى لمنطقة أرجوس . أنجب إناخوس أكريسيوس Acrisius الذى أنجب بدوره داناى Danae التى أنجبت بدورها فينيليا Venilia التى أنجبت بدورها تورنوس من الملك داونواس Daunus .

(٣٦١) الأرجوسى ، نسبة إلى أرجوس Argos ، الموطن الأصلى لأجداد تورنوس .

(٣٦٢) الأورونكية ، نسبة إلى أورونكا Aurunca (راجع حاشية رقم ٣١٦ أعلاه) .

(٣٦٣) الروتوليون Rutuli ، قبائل تسكن على شاطئ لانيوم بين أوستيا Ostia وكيركيى Circeii

(٣٦٤) السيكانيون القدامى Sicani Veteres : يقول المؤرخ الاغريقى توكوديديس (الكتاب السادس ، الفصل الثانى) إن السيكانيين كانوا أفراد قبيلة هيبرنية نزحت من منطقة إيبرو Ebro فى أسبانيا . أقام السيكانيون فى إيطاليا ثم نزحوا بعد ذلك إلى صقلية .

(٣٦٥) القوت السكرانية Sacranae ، السكرانيون أفراد قبائل غير معروفة الأصل لنا ، ورد ذكرها فى الأساطير فقط .

(٣٦٦) اللابيكيون Labici ، هم سكان مدينة لابيكوم Labicum ، إحدى مدن الحلف اللاتينى . كما كانت إحدى الطرق الموصلة إلى روما تسمى طريق لابيكوم Via Labicana .

(٣٦٧) المرتفعات الكيركية Circaeum iugum ، نسبة إلى الساحرة كيركى Circe (راجع حاشية رقم ٧) وتقع شمال أنكسور Anxur وتعرف أيضا باسم تاراكينا Tarracina .

(٣٦٨) كان يوجد فى أنكسور معبد لجوبيتر، ومن هنا اكتسب جوبيتر لقب أنكسوروس Anxurus

(٣٦٩) فيرونيا Feronia ، كان أهل أنكسور يقدسون الربة جونو تحت لقب فيرونيا Feronia .

(٣٧٠) ساتورا Satura ، هى عين ماء جارية وسط منطقة خصبة غير معروف موقعها اليوم على وجه التحديد .

(٣٧١) أوفنس Ufens ، وهو نهر صغير فى البحر شمالى أنكسور (راجع أيضا حاشية رقم ٣٣٣ أعلاه)

(٣٧٢) كاميلا Camilla ، هى شخصية ربما تكون وهمية ابتكرها فرجيليوس وصاغها على غرار شخصية بنثسيليا Penthesilea (أنظر المجلد الأول ، حاشية رقم ٦٤ ، ص ١١٧) . يروى فرجيليوس قصة كاميلا على لسان الربة ديانا فى الكتاب الحادى عشر (سطور ٥٣٥-٥٩٦) ، كما يصف شجاعتها ويتحدث عن مصيرها فى نفس الكتاب (سطر ٦٤٨ وما بعده) .

(٣٧٣) كانت الربة منيرفا هى التى تشرف على عملية غزل الصوف التى تقوم بها النسوة داخل المنازل. والمقصود هنا هو القرناس المستخدم فى الغزل والسلال التى كانت تضع النسوة الصوف الخام فيها أثناء عملية الغزل. لذلك غالبا ما كان يطلق على عملية الغزل التى يقوم بها النسوة إسم « فن منيرفا » (راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٩٩) .

(٣٧٤) الهدف من وراء هذه الصورة هو الاشارة إلى مدى سرعة كاميلا وخفتها أثناء العدو ومطاردة العدو .

(٣٧٥) اللوكية Lycia ، نسبة إلى لوكيا Lycia الواقعة فى آسيا الصغرى.

(٣٧٦) هونوع من الحراب المصنوعة من الخشب والمثبت فى طرفها نصل من المعدن ، كان يستخدمها الرعاة .

الكتاب المعاصر

د. عبد المعطى شعراوى

رفع تورنوس(١) راية الحرب فوق قلعة لاورنتم (٢)، دوت أنغام الأبواق ذات الصوت الأجش (٣) ، همز خيوله الشرسة ، وضرب أسلحته بعضها بالبعض ، عندئذ اضطربت الأفئدة فى التو واللحظة ، وهب – فى وقت واحد – جميع سكان لاتيوم ، دون نظام ، نحو السلاح وسيطر الغضب على محاربيها ، واجتاحهم الجنون . بدأ القادة ميسابوس(٤) ، وأوفنس(٥) وميزنتيوس(٦) – محتقر الآلهة – فى جمع المحاربين من كل صوب ، وإخلاء الحقول الشاسعة من المزارعين . ثم أرسل أيضا فينوليوس إلى مدينة ديوميديس العظيم كى يطلب منه المعونة العسكرية ، ويخبره أن التيوكريين قد اختاروا لاتيوم مقرا لهم ، وأن آينياس قد جاء بأسطوله وأحضر معه آلهة البيناتيس المقهورين مدعيا بأن الأقدار قد جعلت منه ملكا، ولكى يخبره أيضا أن قبائل كثيرة قد انضمت إلى جانب البطل الداردانى وأن اسمه قد أصبح على لسان كل انسان فى كل مكان . فاذا ما حالفت الآلهة فورتونا آينياس ، فإن مايقصده من هذه المحاولات وما يهدف إليه من وراء هذه الحرب ليبدو واضحا لديوميديس نفسه أكثر مما يبدو للملك تورنوس أو الملك لاتينوس(٧) .

هكذا كانت الحال فى لاتيوم ، كان البطل اللاءوميدونى (٨) – وهو يشاهد كل هذه الأحداث – يسبح فى خضم مهول من القلق والوهم كان يقلب فكره بسرعة ، تارة فى اتجاه وأخرى فى اتجاه آخر . ، ويتشبث بمختلف الاتجاهات ، ثم يتيه فيها جميعا(٩) : كان مثله فى ذلك مثل بريق ماء مرتعش منعكس من الشمس أو من وجه القمر اللامع على ضفاف نحاسية ، يغطى جميع البقاع على اتساعها، يرتفع إلى أعلى ويصطدم بسطح سقف شاهق الارتفاع .

كان الوقت ليلا ، وكان نوم عميق قد سيطر على المخلوقات المتعبة المنتشرة فى جميع البقاع — سواء طيور أو حيوانات . حينئذ تمدد الأب آينياس على ضفة النهر ، تحت قبة السماء الباردة ، وقد انقبض صدره بسبب القتال المشئوم ، وسمح أخيرا للنعاس أن يسرى فى أطرافه . و إذا بإله المنطقة ، بعينه ، التيبر ، ذلك النهر العظيم ، الذى يبهج الأعين بمنظره ، يظهر أمام ناظريه ، ينهض فى هيئة شيخ من بين أوراق النباتات المألوفة فى تلك المنطقة ، يغطى جسده دثار أسبانى شفاف ذو غلالة رمادية ، وتخفى شعره سيقان غاب داكنة اللون(١٠) عندئذ تحدث إليه، وأذهب عنه الهموم بهذه الكلمات :

« ياسليل الآلهة، يامن استعدت مدينتنا الطروادية من قبضة الأعداء وحفظت قلعة برجاما الخالدة ، أيها المنتظر على أرض لاتيوم وفى الحقول اللاتينية ، هنا مستقرك الأكيد ، هنا تقيم آلهة مدينتك بكل تأكيد . لاتتراجع ، لاتخش تهديدات الحرب ، فقد ولى كل غضب الآلهة وكراهيتها دون رجعة (١١) . وحتى يتأكد لك ذلك الآن ، فإنك سوف ترى خنزيرة ضخمة، توقد تحت أشجار السنديان الواقعة على ضفة النهر ، متمددة فى عرين يضم ثلاثين مولودا، إنها خنزيرة بيضاء اللون ، تفترش التراب ، وصغارها البيضاء حول أثدائها (١٢). (هنا سوف يكون مكان مدينتك ، وسوف تجد راحة أكيدة بعدما لقيت من متاعب) (١٣). إن هذه الرؤيا تشير إلى أن أسكانيوس سوف يقيم — بعد ثلاثين سنة متوالية — مدينة ، إنها مدينة ألبا ، ذات الاسم الشهير (١٤) . إننى أنطق بنبوءات مؤكدة . والآن ، استمع إلى ، سوف أشرح لك فى إيجاز كيف تتغلب على المشكلة القائمة ، وتخرج منتصرا هناك شعب أركادى انحدر أفراده من بالاس، صاحبوا الملك إيفاندروس وانضموا تحت لوائه ، ثم اختاروا لهم موطنا على هذه الشواطئ ، وأقاموا مدينة لهم على التلال سميت بالانتيوم ، نسبة إلى جدهم الأكبر بالاس(١٥). إن هؤلاء القوم ، يشتبكون دائما فى حروب مع أفراد الجنس اللاتينى

هؤلاء القوم عليك أن تتخذ منهم حلفاء لمسكرك، وأن ترتبط معهم بمعاهدة. سوف أقودك بنفسى فى الاتجاه السليم، بواسطة ضفتى ومجراى حتى تستطيع أن تصعد فى وجه التيار، بمعاونة المجاديف، إلى أعالى النهر.

هيا، فلتنهض يا ابن الآلهة، ومع أول غروب للنجوم (١٦) قدم الدعوات فى خشوع لجونو، واقهر غضبها وتهديداتها بنذور لاجئ مستجير (١٧). وعندما تنجح مساعيك، قدم الأضاحى تكريما لى. إنه أنا، أنا من تشاهده يغسل الشواطئ بمائه الفياض، ويقسم الأراضى الخصبة شطرين، أنا التيبر ذو اللون الأزرق، أحب الأنهار للسماء. ها هنا مقري العظيم، إن منبعى يشمخ بين المدن الشاهقة».

هكذا تحدث إله النهر، ثم ألقى بنفسه فى اليم العميق، متجها إلى أعمق الأغوار، فى نفس الوقت كان الليل قد ولى وفارق النعاس عينى آينياس. (١٨) عندئذ نهض البطل، ورفع فى كفيه الغائرتين — وهو ينظر إلى ضوء شروق الشمس الأثيرية — مياها من النهر وبعث إلى السماء بهذه الكلمات:

«أيتها الحنيات، يا جنيات لاورنتوم (١٩)، يا من من سلالتكن تنحدر الأنهار (٢٠)، وأنت أيها الأب تيبر، بفيضك المقدس، فلتستقبل آينياس، ولتحفظنى من الأخطار. مهما يكن من أمر ذلك المقر — الذى ينظر إلينا بعينى الشفقة، وهو يرى متاعبنا — حيث تستمد مياهك، ومهما يكن من أمر تلك التربة حيث تستمد بهاءك، فإننى سوف أقدم لك الأضاحى على الدوام، سوف أقدم لك الهدايا على الدوام ياذا القرنين (٢١)، أيها النهر السيد على أنهار هيسبريا (٢٢). فلتكن بجانبى، لا أكثر ولا أقل، وليبرهن وجودك بجانبى على رغبتك فى مساعدتى».

هكذا قال، ثم اختار اثنين من بين سفن أسطوله، وزودهما بطاقمين من المجدفين، وجهز فى نفس الوقت رفاقه بالسلاح. لكن، ياللعجب!! — مشهد مروع يدهش الأنظار —، لقد شوهدت فجأة خنزيرة ناصعة

البياض لاتشوبها شائبة ، بمصاحبة صغارها ذوى اللون الأبيض — شوهدت عبر الغابات ترقد على الشاطئ الأخضر . إن هى إلا تلك التى ذبحها آينياس الورع ، وقدمها ضحية مقدسة ، إليك ، إليك (٢٣) ، يا جونو ، ياذات الجلال ، ووضعها مع صغارها على مذبحك المقدس فى تلك الليلة — بقدر مابدت طويلة — هدأ نهر التيبر من فورانه ، وأعاد السكون إلى أمواجه المتدفقة كى تستوى صفحة مياهه كما تستوى صفحة غدير هادئ وبحيرة ساكنة ، وحتى تخف وطأة صراع المجداف وهو يضرب صفحة الماء . لذلك ، فقد بدأوا رحلتهم وشقوا طريقهم فى سرعة وسط ضوضاء صاخبة .

انسابت السفينة المطلية بالقار فى الممرات المائية ، واستولت الدهشة على الأمواج وأصيبت الغابة بالذهول — إذ أنها لم تكن قد اعتادت على ذلك — عند رؤية دروع الرجال من بعيد والسفن المزركشة تطفو على سطح الماء . لقد قضى هؤلاء الرجال يوما وليلة يجدفون ، يتغلبون على المنحنيات الطويلة ، يعبرون تحت الأشجار المتباينة ، ويجوسون خلال النباتات الخضراء على صفحة المياه الهادئة . وبعد أن وصلت الشمس المحرقة إلى منتصف قبة السماء ، رأوا من بعيد أسوارا وقلعة وقمم منازل متفرقة تلك التى جعلتها السلطة الرومانية الآن تصل إلى عنان السماء ، حينئذ ، كان إيفاندروس يقيم مملكة فقيرة هناك . وبأقصى سرعة وجهوا مقدمات السفن نحو المدينة واقتربوا منها .

حدث مصادفة فى ذلك اليوم أن كان الملك الأركادى يقدم فروض التكريم الموسمية للابن العظيم ، الذى أنجبه أمفتريون (٢٤) ، ولبقية الآلهة فى الغابة المقدسة خارج المدينة . كان يشاركه فى ذلك ابنه بالاس وجميع القادة الشبان وشيوخ المدينة الفقراء (٢٥) ، إذ كانوا يحرقون البخور ، وكان الدخان يتصاعد من الدماء — التى كانت ماتزال دافئة — على مذابح الآلهة . وعندما شاهدوا السفن الشاهقة تنساب عبر الغابات الظليلة وترتكز على المجاديف الساكنة ، استولى عليهم الفزع من وقع ذلك المشهد المفاجئ ،

فنهضوا جميعهم ، وتوقفوا عن متابعة الاحتفال . لكن بالاس الباسل منعهم من ترك الاحتفال (٢٦) ، وانتزع حربة، ثم اندفع وحده نحو الأمام ومن فوق ربوة صاح من بعيد :

« أيها الرجال ، أى سبب جعلكم تضربون فى طرق غير معروفة لكم ؟ إلى أين أنتم ذاهبون ؟ إلى من تنتسبون ؟ ومن أى أرض أتيتم ؟ أسلاما أم سلاحا تحملون إلى أرضنا هذه ؟ » .

« عندئذ صاح الوالد آينياس من أعلى مؤخرة السفينة ، وهو يمد يده نحو الأمام بغصن زيتون رمز السلام :

« إنك ترى رجالا من سلالة طروادية وأسلحة معادية لأهل لاتيوم ، هؤلاء القوم الذين أرغمونا على الفرار بحرب غير نظيفة (٢٧). لقد جئنا نبحث عن إيفاندروس : فلتحمل إليه هذه الرسالة ، ولتخبره أن قادة مختارين من داردانيا قد حضروا يطلبون عقد حلف عسكرى » .

« عندئذ خيم الصمت على بالاس ، وقد أذهله ذكر ذلك الاسم العظيم (٢٨) ، ثم قال :

« تقدم ومهما تكن هويتك ، وتحدث مع والدى وجها لوجه ، ولتنزل ضيفا علينا فى دارنا » . ثم مد بالاس يده إليه مرحبا ، وأخذ يد ضيفه اليمنى فى يده وتعلق بها . ثم تقدموا جميعا متوغلين فى الغابة المقدسة تاركين النهر وراءهم .

عندئذ خاطب آينياس الملك بكلمات رقيقة قائلا :

« ياأفضل من انحدر من أصل إغريقى ، يامن شاءت الربة فورتونا أن أتوسل إليه وأن أقدم إليه أغصانا مرتبة فى شكل إكليل . إننى لا أشعر بالخوف على الاطلاق رغم أنك قائد من قادة الإغريق، وأركادى أيضا ، ورغم أنك تنتسب إلى ولدى أتريوس(٢٩). لكن مروءتى، والنبوءات الإلهية المقدسة، وأجدادنا الذين تربط بينهم صلة الدم، وشهرتك المنتشرة فى جميع ربوع الأرض ، كل ذلك قد ربط بينى وبينك ودفعنى راضيا

إلى هذا المصير فالقد أبحر إلى أرض التيوكريين داردانوس ، الجد الأكبر ومؤسس مدينة إليون ، من أنجبته - كما يروى الاغريق(٣٠) - إلكترا ابنة أطلس، فأطلس العظيم الذى يحمل الكرة الأرضية على كتفه ، هو الذى أنجب إلكترا . وجدكم هو ميركوريوس ، الذى حملت به مايا ناصعة البياض ، ووضعته فوق قمة جبل كوللينى القارصة البرودة (٣١) . لكن مايا - إن كان لنا أن نصدق ما نسمعه من روايات - أنجبها أطلس ، وهو نفس أطلس الذى يرفع نجوم السماء . وهكذا فإن كلا من الأسرتين

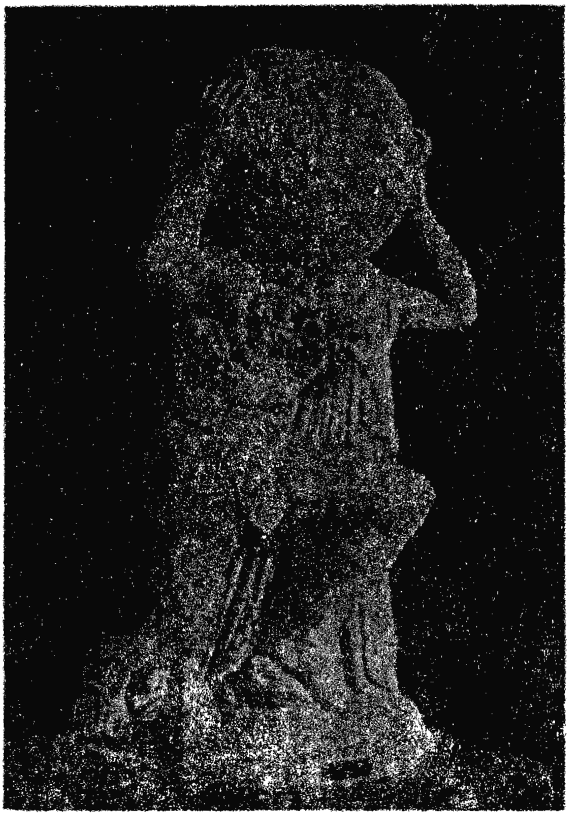

شكل (١٦)
اطلس وهو يحمل الكرة الأرضية فوق كتفيه

قد تفرع من أصل واحد . لقد اعتمدت على ذلك ، فلم أبعث إليك بسفارة ولا حاولت أن أدبج مقدمات ، لكننى خاطرت برأسي وأتيت بنفسى

إلى أعتابكم لاجئا مستجيرا . إن نفس القبيلة ، التى يطاردك أفرادها فى حرب لاهوادة فيها ، القبيلة الداونية (٣٢) ، تطاردنى أنا أيضا . فإن نجحوا فى إبعادنا فسوف يعتقدون أن لاشىء على الإطلاق سوف يمنعهم من وضع عنق هيسبيريا بأكملها تحت نيرهم نهائيا والسيطرة على البحر الذى يغسل شواطئها من أعلى والبحر الذى يغسل شواطئها من أسفل (٣٣) . فلنتبادل الثقه فيما بيننا (٣٤). فإن لدينا قلوبا شديدة البأس فى القتال ونفوسا أبية ورجالا مشهود لهم بالقدرة على القيام بجميع الأعمال » .

هكذا تحدث آينياس . وأثناء فترة الحديث بأكملها ظل الملك يمعن النظر فى وجه المتحدث وعينيه وكامل هيئته . عندئذ أجاب فى إيجاز قائلا :

« ياأشجع التيوكريين ، كم أنا مسرور إذ أستقبلك وأحييك ! كيف أستعيد الآن إلى ذاكرتى كلمات والدك أنخيسيس العظيم ونبراته وملامحه !!! إذ أننى أتذكر الآن كيف واصل برياموس بن لاؤميدون — بينما كان يقصد سلاميس لزيارة مملكة شقيقته هيسيونا — رحلته ليزور المناطق الباردة فى أركاديا (٣٥) . حينئذ كان الشباب المبكر يكسو وجنتى بربيعانه . لقد أعجبت بالقادة التيوكريين وأعجبت أيضا بابن لاؤميدون نفسه . لكن أنخيسيس كان يسموق مشيته على الجميع . تحرق قلبي بعاطفة الشباب كى أتحدث إلى البطل وأن أضع يمناى فى يمناه تقدمت نحوه ، وقدته فى شغف إلى مدينة فينيوس (٣٦) . وعند رحيله منحنى كنانة رائعة الصنع ، وسهاما لوكية (٣٧) ، وعباءة منسوجة بخيوط من الذهب ، وزوجا من الشكائم ما زال فى حوزة ولدى باللاس حتى الآن . لذلك ، فإن يمناى ، التى تطلبها الآن ، قد وضعتها فعلا فى يمناك (٣٨) . وحالما تعود شمس الغد لتغطى سطح الأرض ، فإننى سوف أجعلكم ترحلون سعداء وسط قوات مساعدة وسوف أمدكم بالمؤن . وحتى ذلك الوقت فما دمتم قد أتيتم أصدقاء إلى أرضنا — فلتشاركونا فى القيام بهذه الاحتفالات السنوية المقدسة ، التى لا نستطيع تأجيلها ، ومن الآن ، لا تعتبروا أنفسكم أغرابا وأنتم على موائد حلفائكم » .

بعد أن قال ذلك، أمر بأن تمد الموائد وأن يعاد وضع أوانى الشراب وأجلس الرجال بنفسه على المقاعد السندسية، ثم احتفى بآينياس ، الضيف ، العظيم ، بأن أجلسه على وسادة من جلد أسد غزير الشعر فوق مقعد من خشب الاسفندان . ثم أخذت مجموعة مختارة من الرجال مع كاهن المذبح يحضرون فى شغف شرائح من لحم الثيران المشوى ، ويحملون السلال بالهدايا المكونة من قمح مصنع (٣٩) ، ويقدمون النبيذ . وتغذى آينياس ورجاله الطرواديون على لحم ظهر ثور كامل وعلى أعضائه الداخلية المطهوة (٤٠) . وبعد أن ذهب الجوع عنهم وانعدمت الرغبة فى مواصلة الطعام ، قال الملك إيفاندروس :

« إن احتفالنا هذا ، ذلك الاحتفال المعتاد ، وهذا المحراب ، الذى ينتسب إلى قوى قدسية عظيمة ، لم تفرضها علينا خزعبلات تافهة جاهلة بالآلهة العتيقة ، لكننا ، أيها الضيف الطروادى بعد أن نجونا من أخطار ماحقة ، اعتدنا أن نقدم فروض الولاء ونقيم احتفالات واجبة . لتنظر أولا إلى تلك الصخرة المعلقة فوق الأحجار حيث تتناثر الكتل هنا وهناك ويستقر مأوى الجبل مهجورا ، وحيث انهارت الصخور انهيارا كاملا: هناك كان يوجد كهف عميق متناه فى العمق ، لانستطيع أشعة الشمس أن تدخله . كان يشغله كاكوس ، نصف آدمى، ذو وجه كريه (٤١) . كانت الأرض تنضج بالدماء الطازجة أبدا ، وكانت الوجوه البشرية الشاحبة المثبتة على الأعتاب المتغطرسة تتدلى وقد أصابها دمار محزن . كان ذلك المسخ ابنا لفولكانوس، لذا كان ينفث من فمه نيران والده فولكانوس الداكنة (٤٢) عندما كان يتحرك بهيكله الضخم . وذات مرة بينما كنا نقدم الصلوات ، منحنا الزمان العون بقدوم إله إلينا ، إذ حضر المنتقم العظيم ألكيديس (٤٣) ، مزهوا بالأسلاب التى غنمها بعد مصرع جريون الثلاثى البدن (٤٤) . كان المنتصر يقود الثيران الضخمة فى ذلك الطريق ، وكانت ثيرانه تشغل وادى النهر العظيم . أما كاكوس فقد أصاب الجنون عقله حتى أنه لم يترك نوعا من أنواع من الجريمة أو الخديعة

دون أن يقدم عليه أو يحاول ارتكابه : فلقد سرق أربعة ثيران رائعة الهيئة من حظائرها ، ومثل ذلك العدد من الأبقار الشابة رائعة الجمال . وحتى لا تظهر آثار الأقدام فى الاتجاه الصحيح ، فإنه جذبهم من ذيولهم إلى كهفه فتغيرت معالم الأثر ، ثم أخفى غنيمته داخل الصخرة المظلمة . لم يبق أى دليل يقود – إلى الكهف – من يحاول أن يبحث عنه فى ذلك الحين ، وبينما كان أمفتريونياديس (٤٥) – بعد أن أدرك الشبع قطعانه – يغادر الحظائر بالقطيع ويتأهب للرحيل ، خار الثيران أثناء رحيلهم وامتلأت كل أنحاء الدغل بخوارهم بينما كانوا يغادرون التلال وهم يحدثون ضوضاء صاخبة (٤٦) . واستجابت واحدة من الأبقار للنداء فجأرت من داخل الكهف المترامى الأطراف ، وخيبت أمل كاكوس رغم أنها كانت حبيسة. عندئذ اختلط حزن ألكيديس بالغضب والحنق الشديد . امتشق سلاحه وأخذ فى يده هراوته الثقيلة ، ذات العقد المتعددة ، المعدة من خشب شجرة صنوبر ، واتجه عدواً نحو قمة الجبل الشاهق. عندئذ ، ولأول مرة ، رأت أعيننا كاكوس وقد سيطر عليه الخوف وبدا عليه الارتباك . فلقد فرهاربا أسرع من يورروس (٤٧) ، واتجه من فوره نحو كهفه – لقد أضاف الخوف أجنحة لقدمية (٤٨) . وحالما حبس نفسه فى الداخل

شكل (١٧)
البطل هيراكليس والمسخ كاكوس

حطم السلاسل الحديدية وأنزل الصخرة التى كانت معلقة – بفضل حرفة والده (٤٩) – فى القضيب الحديدى وزاد من قوة تحمل أعمدة المدخل ، التى كانت ترفعه، بمتراس حديدى . آه ! لقد تقدم التيرونثى (٥٠) وقد سيطر على عقله غضب شديد، ألقى نظرة على المدخل بأكمله، وأدار وجهه، إلى هذه الناحية وإلى تلك وهو يصر على أسنانه . حام ثلاث مرات، وهو يشتعل غضبا ، حول جبل أفينتينوس بأكمله ، حاول ثلاث مرات اقتحام المداخل الصخرية دون جدوى ، وارتد على أعقابه ثلاث مرات فكان يجلس فى الوادى وقد أدركه التعب . كانت هناك قمة جبلية مدببة ، تنحدر جميع جوانبها الصخرية انحدارا شديدا ، ترتفع فوق سقف الكهف ، سامقة – إذا ما نظرت إليها – ، ملجأ ملائم لإقامة أوكار الطيور المخيفة . ولأن هذه القمة المعلقة بالحافة كانت تميل من الناحية اليسرى نحو النهر فقد وقف هيراكليس فى الناحية اليمنى وهو يستند كلية عليها ، ثم أخذ يهزها بعنف حتى حطمها وزعزع جذورها العميقة . بعد ذلك دفعها فجأة نحو الأمام ، فأطلق الأفق العريض هديرا من هول ذلك الدفع ، وتمزقت الضفتان ، كل بعيدة عن الأخرى ، وانحسرت مياه النهر بعد أن استولى عليه الفزع . عندئذ انفتح القصر الهائل ، عرين كاكوس ، فأصبح ظاهرا أمام الأعين، وأصبحت أعماقه المظلمة مكشوفة عن آخرها : تماما كما لو كانت الأرض قد انشقت وهوت إلى أسفل بفعل قوة قاهرة ثم فتحت العالم السفلى واحتوت المملكة الشاحبة المكروهة من الآلهة ، وشوهدت هوة سحيقة من أعلى فبدت الأشباح تتحرك مرتعشة تحت الضوء الذى استطاع أن ينفذ من خلالها (٥١) . وما أن استولت عليه الدهشة فجأة بسبب رؤية ذلك الضوء غير المتوقع حتى أخفى نفسه داخل الكهف الصخرى وأخذ يصرخ على غير العادة ، أمطره أكيديس من أعلى بالحراب واستخدم كل مالديه من أسلحة ، وهال عليه فروع الأشجار وأحجارا تضارع فى حجمها أحجار الطواحين. لكن كاكوس – لما لم يجد هناك وسيلة

للهروب من الخطر – نفث من حلقه سحبا كثيفة من الدخان – ياله من منظر عجيب وصفه ! – وغلف مأواه بطبقة كثيفة من الظلام الحالك، وجمع في أغوار الكهف الظلام المحمل بالدخان والمختلط باللهب. لم يطق أكيديس – وهو فى غضبه – على ذلك صبرا . ودون أن ينتظر مساعدة أحد وثب بمفرده فى النيران وثبة خاطفة حيث يتدفق دخان كثيف مثل الموج وتبعث السحابة الداكنة الحرارة فى الكهف الهائل . وهناك بينما كان كاكوس ينفث فى الظلام لهبا عقيما ، أمسك به ألكيديس كما لو كان يحتضنه ، وبينما هو ممسك به ضغط على عينيه فجحظتا وعلى عنقه فجفت فيه الدماء . وعلى الفور انفتح المسكن الكئيب بعد أن تحطمت مداخله ، وانكشفت للسماء الثيران المخطوفة وجريمة السلب المحرمة (٥٢)، وسحبت الجثة المشوهة من قدميها نحو الخارج . حينئذ كان يزداد شغفنا نحو مشاهدة العينين المخيفتين للمسخ نصف الآدمى ووجهه وصدره الممتلىء بالشعر الغزير ، والنيران الخامدة فى حلقه .

منذ ذلك الحين مازال يقام هذا الاحتفال ، ولقد حافظ الجيل الجديد – وهو يحس بالسعادة – على إقامته فى موعده (٥٣) . كان بوتيتيوس أول من تولى إقامته ، كما كانت أسرة بيناريوس أول أسرة تصبح أمينة لعبادة هيراكليس (٥٤) . فى هذه المنطقة أقام بوتيتيوس هذا المحراب الذى نسميه دائما « المحراب الأعظم » (٥٥)، والذى سوف يظل أبدا « أعظم » محراب . هيا، إذن ، أيها الرجال ، توجوا رؤوسكم بأوراق النباتات احتفالا بتلك المآثر العظيمة ، مدوا أيديكم بأوانى الشراب أدعوا إلهنا الذى هو إلهكم (٥٦) ، وصبوا النبيذ وأنتم راغبون فى ذلك » .

بعد أن قال ذلك ، رفت شجرة من أشجار الحور ، ذات اللونين(٥٧)، الموقوفة على عبادة هيراكليس – رفت بظلالها فوق شعر رأسه ، وتدلت فى هيئة حبل متعرج ملىء بالأغصان ، وفاض الكأس المقدس وهو فى يده اليمنى . وسرعان ماصب الجميع السائل المقدس على المائدة وهم مسرورون ، وتوجهوا نحو الآلهة بالدعوات . فى ذلك الوقت كان

فسير يقترب رويدا رويدا من أولومبوس المنحدرة إلى أسفل (٥٨) . عندئذ تحرك الكهنة ، وعلى رأسهم بوتيتيوس ، وهم يلتحفون بجلود الحيوانات ويحملون المشاعل . لقد بدأوا فى إقامة الاحتفال من جديد وحملوا موائد العشاء بالعطايا الشهية ، وكدسوا المحاريب المقدسة بالصحاف المحملة بالطعام . وبعد ذلك وقفت فرقة السالى (٥٩) حول المحراب الرئيسى المضاء بالمشاعل استعدادا للانشاد وقد أحاطوا أصداغهم بأغصان الحور. جوقة من الشبان وأخرى من العجائز (٦٠) ، يمجدون بأناشيدهم مفاخر هيراكليس ومآثره . وينشدون كيف ضغط بيده على حيتين اثنتين مخيفتين أرسلتها له زوجة والده فصرعهما فى الحال.(٦١) ، كيف دمر أيضا مدينتين مشهورتين أثناء الحروب : مدينة طروادة (٦٢) ومدينة

شكل (١٨)
بعض افراد فرقة السالى

شكل (١٩)
هيراكليس الطفل يصرع حيتين ضخمتين ارسلتهما له زوجة والده .

أوخاليا (٦٣) ، كيف أنجز تحت إمرة يوروسثيوس ألفا من الأعمال القاسية بناء على قرار من جونو، التى كانت تناصبه العداء(٦٤) .

« بيدك ، يامن لا تقهر ، صرعت أطفال السحاب ، ذوى البدن الثنائى صرعت هيلايوس وفولوس ، صرعت الوحوش الكريتية ، كما صرعت الأسد الضخم أسفل الصخرة النيمية (٦٥) . ارتعش المستنقع الاستوجى خوفا منك ، ارتعدت فرائص حارس أوركوس وهو يرقد فوق العظام « نصف المأكولة » فى كهفه الملطخ بالدماء (٦٦) . لم يرهبك وجه من الوجوه الأخرى ، حتى توفويس نفسه ، وهو يمتشق أسلحته فى ضراوة (٦٧) . لم يستول عليك الخوف

شكل (٢٠)
هيراكليس يصرع الأسد الضخم تحت الصخرة النيمية

شكل (٢١)
هيراكليس يصرع الكلب كير بيروس - حارس اوركوس

عندما التفت حولك حية ليرنا برؤوسها المتعددة (٦٨) . سلام عليك ، أيها السليل الحقيقى لجوبيتر ، أيها المجد المضاف إلى أمجاد السماء . فلتقف بجانبنا ، ولتبارك احتفالات تكريمك هذه » . بمثل هذه الأناشيد كانوا يكرمون الإله ، بعدئذ توجوا كل ذلك بالإشارة إلى كهف كاكوس وإلى كاكوس نفسه الذى يزفرلهيبا . كانت الغابة بأكملها تصدح بأناشيدهم وتردد التلال المحيطة بهم صداها .

بعد انتهاء تلك الاحتفالات المقدسة ، اتجه الجميع نحو المدينة . سار الملك العجوز الذى عفا عليه الدهر ، فكان يخطو خطوات وئيدة ، وهو يصطحب آينياس ، بينما كان ابنه (٦٩) يسير قريبا منهما . وكان الملك يخفف من عناء الطريق بأحاديث مختلفة . استولى الاعجاب على أينياس وهو يلقى بنظرات سريعة على كل شئ حوله . أسرت لبه جميع المناطق كان كلما مر بمنطقة بعد أخرى يسأل ويسمع فى سعادة عن ذكريات الأجيال السابقة. عندئذ قال الملك إيفاندروس، مؤسس القلعة الرومانية (٧٠) :

« تلك الغابات كان يسكنها أتباع فاونوس (٧١) ، وحوريات نشأن من تربتها ، وعشيرة نشأ رجالها من جذوع الأشجار وأخشاب السنديان الصلب ، لم يكن لديهم قوانين ولا حضارة ، لم يعرفوا كيف يضعون النير فوق عنق الثور ، ولا كيف ينشئون المخازن لتشوين مؤنهم ولا كيف يدخرون ما حصلوا عليه من طعام ، بل كانوا يقتاتون بأغصان الأشجار وبصيد صعب لا يكاد يقيم أودهم فى بادئ الأمر أتى ساتورنوس من أولومبوس الشاهقة (٧٢) ، هاربا من أسلحة جوبيتر ، منفيا بعد أن فقد ملكه (٧٣) . عندئذ جمع ساتورنوس شتات تلك العشيرة البدائية المتفرقة فوق الجبال العالية ، وشرع لها القوانين ، واختار لها اسم لاتيوم — إذ أنه كان قد اختبأ فوجد الأمان على تلك الشواطئ (٧٤) . إذ فترة حكم ذلك الملك هى التى يسمونها بعصر الذهب (٧٥) : فقد ظل يحكم شعبه فى هدوء وسلام حتى جاء بعد ذلك تدريجيا عصر أكثر سوءا وأقل ازدهارا سادت فيه الحروب والرغبة فى التملك . فى ذلك العصر أتت العشيرة الأوسونية وقبائل سيكانيا (٧٦) ، وتغير اسم الأرض الساتورنية أكثر من مرة (٧٧) . ثم جاء ملوك آخرون ، من بينهم تيبريس الفظ ، بهيكله المهول (٧٨) ، الذى من بعده ، سمينا نحن الإيطاليين نهر التيبريس باسمه ، وذلك بعد أن فقد ذلك النهر اسمه القديم الأصلى ألبولا . أما أنا ، فبعد أن طردت من وطنى ، وبلغت أقصى حدود البحر ، ألقت بى فى هذه المناطق فورتونا القادرة على كل

شئ والقدر الذى لافرار منه (٧٩) أ، وما دفع بى إلى ذلك سوى تهديدات مريعة من والدتى الحورية كارمنتيس(٨٠) ونصيحةمن الإله أبوللون ».

ما كاد ينتهى من قوله حتى أشار وهو يتقدم نحو الأمام ، إلى المحراب والبوابة الكارمنتالية (٨١) التى كان يسميها الرومان بذلك الاسم ، تكريما للحورية كارمنتيس ، العرافة المتنبئة بالغيب ، أول من تنبأ بعظمة آل آينياس المقبلة ومجد البالانتيوم ، ثم أشار إلى المنطقة الرحبة التى أقام فيها رومولوس الحازم « قدس الأقداس » (٨٢) ، وإلى كهف لوبركوس الكائن فى باطن الصخرة الرطبة ، والذى سمى – على الطريقة الباراسية – كهف بان اللوكايى (٨٣) . ولم يفته أن يشير إلى غابة أرجيليتوم المقدسة ، ويشهد المنطقة وهو يتحدث عن مصرع ضيفه أرجوس (٨٤) . ثم قاد آينياس إلى صخرة تاربيا (٨٥) ، وإلى معبد كابيتولينوس – الذهبى اليوم، والذى كان فيما مضى مروعا بأدغاله الكثيفة (٨٦) . وحتى ذلك الوقت كانت رهبة قدسية تنبعث من المنطقة لتثير الذعر فى نفوس أهل الريف ، وحتى فى ذلك الوقت أيضا كان الرجال يرتعدون خوفا أمام الغابة والصخرة .

« إن هذه الغابة » ، قال إيفاندروس ، « وهذا التل بقمته المورقة يسكنهما إله ، لكننا لانعرف على وجه التحديد من من الآلهة يسكنهما. يعتقد أهل أركاديا أنهم شاهدوا جوبيتر نفسه عندما كان مرارا يهز عباءته الداكنة بيده اليمنى فيثير السحب العاصفة (٨٧) . إنك ترى أيضا هاتين البلدتين بأسوارهما المتداعية ، وأطلال وآثار رجال سابقين . إن هذه القلعة بناها الإله يانوس ، وتلك بناها الإله ساتورنوس . الأولى كانت تسمى يانيكولوم ، والأخرى ساتورنيا » .

بينما كانوا يتبادلون مثل هذه الأحاديث فيما بينهم ، كانوا يقتربون من منزل إيفاندروس الفقير ، ويلمحون القطعان تخور هنا وهناك فى الساحة العامة الرومانية ومنطقة كاريناى الرائعة (٨٨) . وعندما وصلوا إلى المنزل ، قال إيفاندروس :

« إن هذا الباب انحنى أليكديس القاهر ليدخل منه ، وهذا المسكن

قد احتواه (٨٩) : فلتعمل جاهدا ، أيها الضيف ، على ازدراء الثراء ، ولتسلك سلوكا يشبه سلوك الإله ، ولاتكن قاسيا على فقرنا » .

هكذا قال الملك ، ثم اقتاد آينياس ذا الهيكل الضخم تحت السقف المنخفض لمسكنه الضيق ، وجعله يستند على وسادة من أوراق الأشجار وعلى جلد أنثى دب ليبية .

أقبل الليل واحتوى الأرض بجناحيه الداكنين . لكن فينوس — التي اهتزت مشاعرها بمخاوف الأم (٩٠) — ليس لغير سبب معقول — ، والتي تأثرت بتهديدات أهل لاورنتوم وبثورتهم المسلحة العنيفة — تحدثت إلى فولكانوس (٩١) ، وفي مخدع الزوجية الذهبي بادرته بهذه العبارات ، وهي تنفح كلماتها بنفحات من الغرام القدسي :

« حين كان الملوك الاغريق يدمرون أسوار برجاموم ، وكانت قلعتها — التي أراد لها القدر أن تميد — عرضة لنيران الأعداء لم أطلب منك معونة لهؤلاء البؤساء (٩٢) ولا أسلحة صنعتها بمهارتك وقدرتك . كما أنني لم أرغب يازوجي العزيز ، في أن أضيع وقتك ومجهوداتك هباء ، رغم أني مدينة بالكثير لآل برياموس (٩٣) ، ورغم أني ذرفت الدمع مرارا لما لقيه آينياس من عناء شديد . والآن لقد حط آينياس رحاله — تحقيقا لأوامر جوبيتر — على شواطئ الروتوليين . لذلك أتيت إليك ضارعة — إنني إلهة مبجلة وأم لغلام — أطلب منك سلاحا لنفسي . لقد استطاعت ابنة نيريوس ، كما استطاعت زوجة تيثونوس أيضا ، أن تؤثر عليك بدموعها (٩٤) . أنظركم من شعوب تتكاتف ، وكم من مدن تغلق بواباتها وتشحذ أسلحتها استعدادا للقائي ولتدمير رفاقي » .

هكذا تحدثت الربة إليه ، ثم استقبلته في حضنها الحنون وأحاطته بذراعيها الناصعتين ، بينما كان يبدو عليه التردد . وفجأة أصابة اللهيب المعتاد . ونفذ الدفء المعروف (٩٥) إلى نخاع عظامه ، وسرى في هيكله المفكك : تماما كما يحدث ذات مرة عندما ترفرف شظية نارية منطلقة من عاصفة رعدية وتمزق في سرعة خاطفة وسط سحاب ممطر مصحوبة

بضوء براق . لاحظت زوجته ذلك، وهى فخورة بدهائها واثقة فى فتنتها . عندئذ قال الزوج وقد أسره الغرام الخالد :

« لماذا تجهدين نفسك فى البحث عن مبررات ؟ أين ذهبت ثقتك فى ، أيتها الربة ؟ فلو أنك كنت تشعرين بمثل ذلك الأسى من قبل لكان من حقنا أن نمد الطرواديين بالسلاح فى أى وقت شئنا (٩٦) ، ولما منع والدنا القادر على كل شئ ولا الأقدار طروادة من أن تظل قائمة وبرياموس من أن يظل حيا لمدة عشر سنوات أخر . والآن، فإن كنت تستعدين للحرب ، وإن كانت هذه هى مشورتك فإننى قادر على أن أحقق أى عمل مهما كان صعبا — ما يمكن صناعته من الحديد أو الإلكتروم السائل (٩٧) — وكل ما تستطيع أن تفعله ألسنة اللهب وهواء الكير ، لكن عليك أن تكفى عن توسلاتك ، فأنت الآن كمن يشك فى مدى قوته » .

بعد أن انتهى من ذلك القول ، أخذ زوجته فى أحضانه المفعمة بالرغبة ، وارتمى فى حجرها مجهدا ينشد الراحة اللذيذة كى تسرى فى أطرافه .

بعد ما كاد الليل أن ينتصف ، وحالما أبعدت الراحة النوم (٩٨) ، وكما تشعل المرأة — التى مهمتها هى أن تحفظ الحياة بمغزلها وبفن مينيرفا الرقيق (٩٩) — من جديد بقايا النيران الناعسة ، بينما هى تصل الليل بعملها ، وتجعل رفيقاتها يعملن على ضوء اللهب فى غزل كميات كبيرة من الصوف الخام ، لكى تحافظ على كيان فراش الزوجية وحتى تستطيع أن ترعى صغارها .. فقد نهض إله النار ولم يكن أكثر تكاسلا منها — من فراشه الوثير متجها نحو مصنعه .

هناك جزيرة تبرز بالقرب من الشاطئ السيكانى (١٠٠) ، وتربط بينه وبين ليبارى الأيولية ، إنها جزيرة وعرة بصخورها البركانية ، من تحتها ترعد كهوف ومغارات أيتنا (١٠١) المتآكلة بفعل أفران

الكوكلوبيس ، وتسمع الدقات القوية على السنادين وهى تبعث بما يشبه الأنين ، وتزعق فى الكهوف قوائم الحديد الخالوبى (١٠٢) المطروق وتزغرد ألسنة النيران فى الأفران : ذلك هو مقر فولكانوس ، وتلك هى البقعة التى تسمى فولكانيا ، هناك هبط إله النار من السماء العالية .

شكل (٢٢)
فولكانيا : مصنع الحدادة التى كانت تابعة لفولكانوس

كان الكوكلوبيس — برونتيس وستيروبيس وبوراكون بأطرافه العارية (١٠٣) — يعملون فى الكهف الرحب فى تشكيل الحديد ، كانوا يشكلون بأيديهم صاعقة رعدية — مثل تلك التى غالبا ما يطلقها رب السماء بأكملها (١٠٤) نحو الأرض — ، كانوا قد انتهوا من تشكيل جزء منها ، ولم ينتهوا بعد من تشكيل الجزء الآخر ، لقد أضافوا إليها ثلاثة أعمدة من الأمطار المتجمدة ، وثلاث سحب محملة بالماء ، وثلاثة مقادير أخرى من النيران المتوهجة

شكل (٢٣)
عاصفة رعدية كان يصنعها فولكانوس فى مصنعه (عملة رومانية)

وثلاثة أخرى من ريح الشمال المجنحة . ثم إنهم كانوا عندئذ يمزجون فى عملهم ذاك الأضواء الخاطفة المرعبة بالصوت وبالفزع وبالنيران الغاضبة المنطلقة (١٠٥) . وفى مكان آخر من الكهف كان الكوكلوبيس منهمكين فى صناعة عربة لمارس ذات عجلات سريعة يثير بها الأشخاص والمدن (١٠٦) – كما كانوا يعملون بجهد شاق فى صقل الزى العسكرى للربة بالاس الخانقة (١٠٧) : العباءة المهيبة ، والحية ذات الحراشيف الذهبية ، والحيات المتشابكة ، ورأس التنين المنقوش فوق صدر الربة برقبته المبتورة وأعينه الزائغة . « كفوا عن كل شئ » صاح فولكانوس « ولتطرحوا

شكل (٢٤)
الربة أثينة وهى ترتدى العباءة

جانبا الأعمال التى بدأتموها ، أيها الكوكلوبيس الأيتنيون (١٠٨) ، وأصيخوا السمع إلى هذا : يجب صنع أسلحة لبطل مغوار . إننا الآن فى حاجة إلى عزم فتى ، إلى سواعد خفيفة الحركة ، إلى كل فن رفيع . فلتبدأوا دون ما تأخير » . لم يقل اكثر من ذلك. لكن سرعان ما استجاب الجميع لقوله ، ووزعوا العمل بينهم بالتساوى . سال النحاس والذهب الخام فى المجارى المعدة لذلك ، وانصهر الصلب الجارح فى الفرن المهول . لقد صنعوا درعا ضخما ، ليرد وحده (١٠٩) جميع أسلحة أهل لاتيوم . صنعوه من سبع طبقات مستديرة ، واحدة فوق أخرى . كان بعضهم يملأ الكير بالهواء ثم يقذف به إلى الخارج ، بينما كان البعض الآخر يغمس كتل النحاس المتوهجة فى حوض الماء فتحدث صفيرا . كان الكهف يئن من ثقل السنادين المثبتة فى أرضه ، بينما كانوا يرفعون أذرعتهم فى قوة جبارة وبتوافق زمنى رتيب ويقلبون كتلة المعدن وهى فى قبضة الملقطة الضاغطة :

بينما كان سيد لمنوس (١١٠) منهمكا فى عمله على الشواطئ الأيولية ، كان ضوء النهار الحنون وتغريد الطيور فى الصباح فوق الطنف يوقظ إيفاندروس فى مسكنه المتواضع نهض الملك العجوز فوضع قميصه بنفسه على جسده وربط أربطة الصندل التيرانى حول قدمية ، ثم ربط السيف التيجيانى فى جنبه وتحت كتفيه ، وطرح على ظهره جلد فهد وتركه يتدلى نحو اليسار (١١١) . وإذا بكلبين من كلاب الحراسة يخرجان أمامه وهو يغادر عتبة الدار المرتفعة ويصاحبان سيدهما فى خطواته .

قصد البطل إلى حيث يقيم ضيفه آينياس بمفرده وفى ذاكرته أحاديثهما وهديته الموعودة . لكن آينياس لم يكن أقل انشغالا من صاحبه فى ذلك الصباح أيضا . كان يصاحب إيفاندروس ولده بالاس ، أما آينياس فقد كان يصاحبه رفيقه أخاتيس وبعد أن تقدم كل منهما نحو الآخر تصافحا بالأيدى ، وجلسا وسط الدار ، وأخيرا تمتعا بحديث لم يسمعه أحد (١١٢) . فلقد بادره الملك قائلا :

« أيها القائد الأعظم للتيوكريين ، طالما أنك تعيش سالما ، فإنى لن أرضى بزوال الدولة أو المملكة الطروادية ، إن قوتنا غير كافية لمساندة مثل ذلك الاسم العظيم (١١٣) فى الحرب ، فمن هذه الناحية نحن محاصرون بالنهر التوسكانى (١١٤) ، ومن تلك يتحرش بنا الروتوليون وتصلصل أسلحتهم حول أسوارنا ، ولكننى أقترح عليك أن تتحالف مع قبائل قوية ودولة ذات معسكر موفور الموارد ، إنها فرصة غير متوقعة تحفظ عليك سلامتك ، لقد أتيت إلينا هنا بناء على رغبة القدر فعلى مسافة غير بعيدة من هنا ، وفوق صخرة عتيقة تأسست مدينة أجولا (١١٥) ، حيث كانت العشائر اللودية البارعة فى فنون الحرب تقيم على المرتفعات الإتروسكية منذ قديم الزمان (١١٦) . ازدهرت تلك المدينة لعدة سنوات حتى تولى حكمها الملك ميزنتيوس بنفوذه المتغطرس وأسلحته الرهيبة . لماذا أذكر المذابح المريعة التى أقامها ذلك الطاغية ؟ والأعمال الوحشية التى قام بها ؟ فياليت الآلهة تصب تلك الأعمال فوق أم رأسه ورؤوس سلالته ، بل وأكثر من ذلك ، فإنه كان يربط جثث الموتى بالأحياء ، ويضعهم جميعا فى مكان واحد ، يدا فى يد ، ووجها لوجه — نوع من أنواع التعذيب — ، وهكذا كان يميتهم موتا بطيئا بين أحضان الدماء المتجلطة والأشلاء العفنة الكئيبة . لكن أخيرا وبعد أن ضاقت رعيته بأعماله الجنونية ، حاصروه مسلحين وحاصروا مسكنه ، قضوا على مؤيديه ، وقذفوا سقف منزله بالنيران . لكنه تسلل خلسة أثناء تلك المذبحة ، وهرب إلى أراضى الروتوليين ، و دافع عن نفسه بأسلحة مضيفه تورنوس . وعلى ذلك فقد هبت إتروريا بأكملها وقد سيطر عليها الغضب ، إنهم يطالبون الآن بأن يقدم الملك فى أسرع وقت ضحية للإله مارس (١١٧) .

سوف أنصبك ، ياآينياس ، قائدا على تلك الآلاف من أهل إتروريا إذ أن سفنهم التى يزدحم بها الشاطئ كله تزأر ، وتطلب من حاملى رايات الحرب أن يتقدموا ، بينما يستوقفهم العراف العجوز ، وهو ينطق بهذه الكلمات :

« ياشباب مايونيا (١١٨) المختار ، يازهرة رجال الماضى الشجعان يا حصيلة قومهم ، يا من يدفعهم حنق عادل نحو أعدائهم ، ويشعل فيهم ميزنتيوس لهيب الغضب الذى يستحقه ، لن يسمح لإيطالى أن يتغلب على ذلك الشعب ، فعليكم إذن أن تختاروا قادة لكم غير ايطاليين » .

عندئذ عادت القوات الإتروسكية واستقرت فى ذلك السهل (١١٩) ، بعد أن أرهبتها تهديدات الآلهة . ولقد أرسل تارخون (١٢٠) نفسه إلى رسلا ، وأرسل تاج المملكة ومعه صولجان الملك ، ووضع بين يدى علم الدولة وذلك لكى أنضم إلى معسكرهم وأتولى أمر المملكة التيرانية. لكن الشيخوخة — البطيئة بفعل الرعشة ، والواهية بفعل الأعوام — تغبطنى مباشرة السلطة العسكرية ، وعزمى لم يعد يسعفنى للقيام باعمال تتصف بالشجاعة . لقد حاولت أن أستحث ولدى على القيام بذلك ، لولا نسبه المختلط من ناحية والدته السابينية الذى جعل منه إيطاليا غير صميم (١٢١) . أما أنت ، يا من حبت الاقدار عمرك ونسبك ، يا من تناديك القوى المقدسة ، فلتقدم على ذلك أيها القائد الذى بز التيوكريين والإيطاليين على السواء . ليس هذا فقط ، بل إنى سوف أشرك معك ولدى بالاس ، أملى وسلواى ، فلتجعله بفضل توجيهاتك قادرا على تحمل القتال والقيام بالأعمال العسكرية الشاقة ، وليواصل ملاحظة ماتقوم به من أعمال ، ولينظر إليك فى إعجاب منذ سنوات عمره الأولى . سوف أعطيه مائتين من الفرسان الأركاديين ، زهرة مختارة من شبابنا ، و سوف يعطيك بالاس مثل هذا العدد هدية باسمه » .

ماكاد ينتهى من حديثه حتى نكس آينياس بن أنخسيس وصديقه المخلص أخاتيس وجهيهما نحو الأرض ، وسكتا عن الكلام . وبقلبين حزينين أخذا يفكران فيما ينتظرهما من مشاق عديدة — لولا بعثت الكوثيرية (١٢٢) بأمارة من السماء الصافية إذ فجأة أتى من السماء شعاع لامع يهتز ويحدث ضوضاء ، وفى التو واللحظة بدا كل شئ يترنح وصوت النفير التورانى يزأر عبر السماء . إنهم ينظرون ! ينظرون إلى أعلى، فإذا

بقرقعة هائلة تزمجر ثلاث مرات (١٢٣) . إنهم يشاهدون فى منطقة صافية من السماء أسلحة ترسل شعاعا أحمر اللون وسط سحابة تمرق عبر الهواء الشفاف (١٢٤) ويصطلك بعضها ببعض فتبعث صوتا كصوت الرعد . وقف الآخرون مشدوهين وقد استولت الدهشة على أفئدتهم لكن البطل الطروادى فطن إلى الصوت وإلى وعود والدته الإلهة ـ عندئذ قال :

« لاتسل يا مضيفى؛ أرجوك لاتسل عن المصير الذى تبشر به هذه النذور ؛ إنه أنا من تقصده السماء (١٢٥) . فلقد أخبرتنى والدتى الإلهة أنها سوف تبعث بهذه الإشارة إذا ما اشتعل لهيب الحرب . وأنها سوف تحمل إلى عبر الهواء أسلحة صنعها فولكانوس لمساعدتى .. (١٢٦) ......

ها ! أى مذبحة تنتظركم أيها اللاورنتيون البؤساء !! وأى عقاب سوف أوقعه عليك ياتورنوس ! ! كم من دروع رجال وخوذ كثيرة وأجساد قوية سوف تحتويها أيها التيبر العظيم !! دعهم ينقضون العهد و ينادون للقتال !! (١٢٧) » .

بعد أن قال هذه الكلمات ، نهض من مقعده المرتفع. أشعل أولا بواسطة المشاعل النيران من جديد على مذابح هيراكليس المطفأة ، واقترب فى سعادة نحو الإله الحارس لار ـ الذى كان يعبده بالأمس وآلهة البيناتيس الصغيرة (١٢٨) وذبح إيفاندروس ـ مثله فى ذلك مثل الشباب الطروادى ـ مجموعة مختارة من النعاج اللائقة بالتضحية حسب العادة المتبعة (١٢٩) . بعد ذلك ذهب آينياس إلى السفن ، وتفقد حال رفاقه ثم اختار من بينهم من هم أكثر شجاعة ليرافقوه أثناء القتال ، أما المجموعة الباقية فقد ركبت الجزء الأدنى من النهر وتوجهت ببطء نحو أسفل فى المجرى الأدنى لتحمل إلى أسكانيوس أخبار والده وشئون مملكته . أعطيت خيول للتيوكريين الذين كانوا يقصدون الحقول التيرانية، بينما أعطى آينياس حصانا من نوع خاص يغطيه تماما جلد أسد أغبر اللون يتلألأ بمخالب ذهبية .

وفجأة انتشرت إشاعة تسرى فى المدينة الصغيرة مؤداها أن راكبى الخيل

إنما يذهبون فى سرعة فائقة إلى شواطئ الملك التورانى (١٣٠) . أخذت النسوة يرددن الصلوات فى فزع . وصار الخوف يلاحق الخطر عن قرب وبدت أمام الأعين صورة الإله مارس أكثر ضخامة عن ذى قبل. عندئذ أمسك الوالد إيفاندروس بيد ولده الذى يوشك على الرحيل واحتضنه ، وهو لايكف عن البكاء ، وطفق يقول :

«آه لو أن جوبيتر أعاد إلى الاعوام التى مضت من عمرى فأصبح كما كنت عندما أتيت فى صفوفهم الأولى بالقرب من أسوار برابنستى ، وأحرقت – وأنا فى نشوة الانتصار – أكواما من دروعهم (١٣١) ، وأرسلت بيدى هذا الملك إرولوس إلى الجحيم ، رغم أن والدته فيرونيا كانت قد منحته عند مولده – وياله من قول يبعث الفزع – ثلاثة أرواح وثلاث حلل عسكرية ليستخدمها . كان لابد أن يذوق الموت ثلاث مرات ، لكنى مع ذلك أزهقت بيدى هذه حينذاك كل أرواحه الثلاثة ، وجردته من جميع حلله العسكرية الثلاث (١٣٢) . لو أن اجوبيتر أعاد إلى الاعوام التى مضت من عمرى لما حرمت الآن من حضنك الغالى يابنى ولما جرؤ ميزنتيوس على أن يصب الإهانات فوق رأسى ، ويتسبب بأسلحته الضارية فى قتل ذلك العدد الهائل ، ولما حرم المدينة من عدد ضخم من مواطنيها ، أما أنتم ، يا آلهة الأعالى ، وأنت ياجوبيتر : ياسيد الآلهة الأعظم ، إنى أتوسل إليك ، فلتكن رحيما بالملك الأركادى ، ولتستمع إلى صلواتى الأبوية : لئن حفظت قدرتك الإلهية الأقدار ولدى بالاس سالما ، لئن عشت حتى أراه والتقى به ، فانى أسألك أن تمنحنى الحياة ، وإنى حينئذ على استعداد كى أتحمل المشقة مهما كان نوعها ، أما إن كنت تهددينى – يا فورتونا – بكارثة مروعة ، فلتنته حياتى القاسية الآن . نعم الآن . . بينما الآلام ليست محققة بعد والأمل فى المستقبل ليس مؤكدا ، وبينما أحتويك فى أحضانى ، ياولدى العزيز ، يابهجتى الوحيدة ، يا ابن عمرى . آه ، إنى أرجو ألا تجرح أذنى أنباء أكثر سوءا» . نطق الوالد بتلك الكلمات أثناء الوداع الأخير ، ثم حمله أتباعه إلى داخل المنزل مغشيا عليه . . . .

عند ئذ خرج الفرسان من البوابات المفتوحة ، وفى مقدمتهم آينياس وأخاتيس الوفى ، ثم باقى القادة الطرواديين ، ثم بالاس نفسه وسط الصفوف متلألئاً بعباءته وبزته العسكرية المنقوشة ، مثله مثل نجمة الصباح – بعد أن اغتسلت بماء المحيط – التى تفضلها فينوس على الكواكب النارية الأخرى ، عندما تظهر بطلعتها المقدسة فى السماء فتبدد الظلام . ووقفت الأمهات فوق الاسوار مذعورات يلاحقن بنظراتهن السحابة الترابية والجنود بأسلحتهم النحاسية اللامعة . إنهم يشقون طريقهم عبر الأدغال ، يمتشقون أسلحتهم ، ويسلكون أقرب طريق يوصلهم إلى هدفهم المنشود . ودوى الصياح ، وهم يشكلون صفا واحدا ، وتهز حوافر الخيل تربة السهل اللينة بصوت إيقاعها الرباعى السريع .

بالقرب من النهر البارد الذى يمر ببلدة كايرى (١٣٣) توجد أجمة ضخمة ، إنها أجمة مقدسة من الجميع طبقا لعقيدة أجدادهم ، تحتويها من كل جانب تلال واقيـة وتحيط الدغل بأشجـار الشربين الداكنة. هناك رواية تقول إن البلاسجيين (١٣٤) الأوائل – الذين كانوا يسيطرون على الإقليم اللاتينى منذ القدم (١٣٥) – خصصوا الأجمة ويوم الاحتفال الخاص بها لتكريم سيلفانوس ، إله الحقول الخضراء والمواشى (١٣٦) . وعلى مسافة غير بعيدة عن ذلك المكان كان تارخون – والتورانيون قد أقاموا معسكرا محصنا بفضل طبيعة موقعه ،حينئذ كان من الممكن رؤية كل جيشهم من أعلى قمة التل وهو يضرب الخيام وسط الحقول الشاسعة .

قصد الوالد آينياس وجنوده المختارون ذلك المكان لمؤازرة تارخون فأنعشوا أجسادهم المرهقة وخيولهم ، لكن فينوس – الربة ناصعة البياض – اقتربت منه ، وهى تحمل إليه الهدايا عبر السحب السماوية. و حالما شاهدت ولدها مختفيا عن أعين البشر فى الوادى الخالى بالقرب من النهر البارد بادرته بهذه الكلمات وهى تلقى بنفسها فجأة فى طريقه :

«هاك الهدايا الموعودة التى صنعتها مهارة زوجى حتى لاتتردد أو تتوانى – يابنى – فى أن تتحدى فى القتال اللاورنتيين المتعجرفين أوتورنوس الشرس» .

هكذا قالت الكوثيرية، وارتمت فى حضن ولدها ، ووضعت أمامه أسلحة لامعة تحت شجرة البلوط . لم يستطع آينياس – السعيد بهدايا والدته الرائعة – أن يشبع عينيه وهو يحملق فى الأسلحة قطعة بعد أخرى. استولت عليه الدهشة وهو يقلب بين كفيه وذراعيه مرة بعد أخرى خوذة تثير الفزع وتنفث اللهب بلؤابتها ذات الرياش ، وسيفا يحمل الدمار ، ودرعا صلبا من النحاس ، أرجوانى اللون ، مثله مثل سحابة زرقاء عندما تتوهج بأشعة الشمس فتعكس الضوء لمسافة بعيدة، ثم أيضا درقتين ملساوين، لوقاية الساقين، مصنوعتين من الإلكترو م والذهب المكرر (١٣٧)، وحربة . لقد أعجب بصناعة الدرع الذى لا يمكن التعبير عن مدى روعتها (١٣٨) :

على ذلك الدرع صور إله النار تاريخ إيطاليا وانتصارات الرومان وهو غير جاهل بتنبؤات المتنبئين ، بل عالم بما سيقع فى العصور التالية. صور عليه جميع الأجيال التى انحدرت فيها بعد من أسرة أسكانيوس والحروب التى وقعت واحدة بعد أخرى (١٣٩). صور أنثى الذئب وهى ترقد فور الوضع فى الكهف الأخضر الخاص بالإله مارس (١٤٠) والصبيين التوأمين يلهوان حول أثدائها ويتعلقان بها، ويلعقان دون خوف

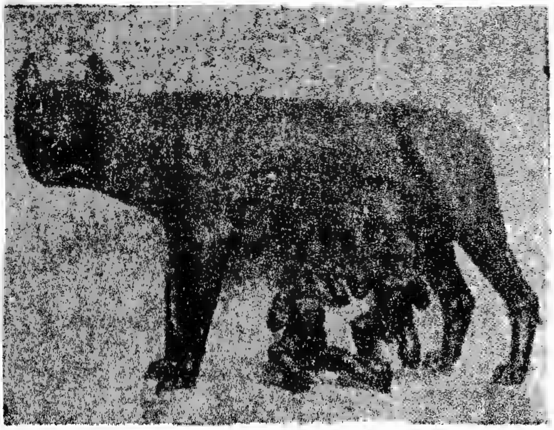

شكل (٢٥)
انثى الذئب وهي ترضع الطفلين ريموس وروموليوس

أوفزع جسد الذئبة الأم ، بينما تستدير الأم برقبتها الملساء المستديرة وتمسح بلسانها الواحد تلو الآخر فتشكل جسديهما .

وعلى مسافة غير بعيدة صور روما والاغتصاب الغادر أثناء الاجتماع فى المسرح (١٤١) بينما كان مهرجان الألعاب الكيركنسية منعقدا (١٤٢) ، ونشوب حرب جديدة فجأة بين أتباع رومولوس وتاتيوس العجوز ورجال كوريس العتاة (١٤٣) . بعد ذلك أنهى هؤلاء الملوك الصراع الذى كان قائما بينهم ، ثم وقفوا مسلحين أمام مذبح جوبيتر وهم يمسكون بأطباق القرابين ، وعقدوا معاهدة بينهم حول خنزيرة مذبوحة (١٤٤) .

شكل (٢٦)
اختطاف السابينيات
(عملة نقدية من عصر تيرتوريوس سابينوس)

على مسافة غير بعيدة من المنظر السابق صور فولكانوس عجلتين حربيتين ، يجر كلا منهما أربعة جياد ، تسير كل منهما فى سرعة فائقة وفى اتجاه مضاد ، وتمزقان ميتوس إربا — (١٤٥) آه أيها الألبانى ، ليتك كنت قد بقيت عند كلمتك — بينما يمزق توللوس أحشاء الرجل الأفاك عبر الغابة وتبتل بدمائه الأشجار الشائكة المتناثرة فى الغابة .

وفى مكان آخر صور بورسينا وقد أصدر أوامره بالترحيب بتاركوينيوس المنفى ، وضرب حصارا شديدا حول المدينة ، بينما هب آل آينياس للسلاح دفاعا عن حريتهم (١٤٦) . إنك قد تنظر إلى بورسينا نظرتك إلى شخص متمرد ، أو إلى شخص يحمل تهديدا للآخرين ، لأن كوكليس جرأ على تحطيم القنطرة ، وكلويليا سبحت عبر النهر بعد أن حطمت قيدها (١٤٧) .

وفى أعلى الدرع وقف مانليوس ، حارس قلعة تاربيا (١٤٨) ، أمام المعبد ، يحرس قمة الكابيتولينوس الشاهقة ، كما ظهر كوخ رومولوس يزهو بسقفه المصنوع حديثا من القش (١٤٩) . هنا صاحت الأوزة ذات اللون الفضى — وهى ترفرف فى الأروقة المطلية بالذهب — تعلن أن الغاليين على الأبواب (١٥٠) : كان الغاليون حينذاك بين الأدغال ، يسيطرون

على القلعة ، يحتمون بالظلام، هدية الليل الحالك (١٥١) ، رءوسهم

شكل (٣٧)
البطل المغامر كوكليس (ميدالية من عصر انطونيوس بيوس) .

ذات جدائل من الذهب ، وملابسهم ذهبية اللون يتلألأون بعباءات قصيرة مخططة ، أعناقهم الناصعة البياض محاطة بأربطة من الذهب ، تلمع فى يد كل منهم زوج من الحراب الألبية (١٥٢) ، وتحمى أجسادهم دروع طويلة .

وهناك أيضا نقش إله النار جماعة السالى الراقصين (١٥٣) ، واللوبركى العراة (١٥٤) . وهامات تعلوها تيجان من الصوف (١٥٥) ، ودروعاً مقدسة هابطة من السماء (١٥٦) ، ونساء فاضلات فى عربات وثيرة يقمن بتقديم القرابين فى جميع أنحاء المدينة (١٥٧) .

شكل (٣٨)
الدرع المقدس الهابط من السماء (راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ١٥٦)

وبعيدا عن ذلك المنظر صور أيضا المنازل التارتارية وبوابات ديس المرتفعة (١٥٨) ، وجزاء الإثم ، وأنت أيضا — يا كاتيلينا — يا من تتعلق فى صخرة مهددة دائما بالسقوط وترتعد لرؤية وجوه ربات الغضب (١٥٩) ، وفى معزل عن هؤلاء صور أشخاصا سعداء كما صور أيضا كاتو وهو يسن لهم القوانين (١٦٠) .

وفى منتصف الدرع (١٦١) تدور فى جميع الجهات صورة للبحر العاصف منقوشة بلون الذهب ، لكن المياه الزرقاء تزيد بموجة بيضاء اللون

بينما تدور فيها الدرافيل ذات اللون الفضى المتلألئ وتكتسح المياه فى شكل دائرة وتقسم سطح البحر الثائر بضربات ذيولها .

أما فى وسط الدرع (١٦٢) فيظهر للناظر مشهد أسطول من السفن ذات المقدمات البرونزية وحرب أكتيوم (١٦٣) ، وإنك قد تستطيع أن تتخيل كيف تصــول ليوكاتى بأكملهــا وتجول فى حرب منظمة ، وكيف تتلألأ الأمواج بلون الذهب (١٦٤) . هنا ترى القيصر أوغسطس يسانده أعضاء مجلس الشيوخ وأفراد الشعب، يرافقه آلهة البيناتيس والآلهة العظام وهو يقود الإيطاليين إلى ساحة القتال ، واقفا على سطح سفينة حربية شامخة . ينفث صــدغاه الممتلئان بالسعادة زوجا من ألسنة اللهب،ويبزغ نجم أجداده فوق رأسه(١٦٥) . وفى

شكل (٢٩)
عملة رومانية من عصر الامبراطور اوغسطس صدرت تخليدا لذكرى معركة

مكان آخر ترى أجريبا شامخا يقود الأسطول بمعاونة الرياح والآلهة المساندة له ، يتلألأ صدغاه المتوجان بإكليل من أكاليل البحرية — رمز الفخار فى ميدان القتال (١٦٦) . وهناك ترى أنطونيوس تسانده مساعدات أجنبية وقوا ت متباينة ، جلبها — بعد انتصاراته من شعوب أورورا (١٦٧) والشاطئ الأحمر (١٦٨) ، وحمل فى ركابه مصر والقوات الشرقية وأقاصى باكترا (١٦٩) ، وتتبعه — ياللعار — زوجة مصرية (١٧٠) . انطلق كل هؤلاء ، وأزبد البحر بأكمله إذ تمزق سطحه بضربات المجاديف المتجهة إلى الخلف وبالسفن ذات المقدمات المدببة الثلاثية . قصدوا اليم العميق ، ولعلك تظن أن مجموعة جزر

شكل (٣٠)
القائد الرومانى اجريبا وهو يضع فوق راسه تاجا على شكل مقدمات السفن الحربية

الكوكلاديس (١٧١) قد تمزقت إربا وطفت أشلاؤها فوق سطح البحر ، أو أن الجبال الشاهقة قد اشتبكت فى معارك مع بقية الجبال : فلقد بذل المقاتلون

شكل (٣١)
انطونيوس وزوجته كليوباترا على وجهى عملة من انتيوخوس

مجهودا ضخما وهم فوق السفن ذات الأبراج (١٧٢) . كانت الفتائل الكتانية المشتعلة تنطلق من أيديهم والقذائف المعدنية المارقة تخرج من أسلحتهم الآلية ، لقد تحول لون الحقول البحرية المحروقة بالسفن إلى اللون الأحمر القان بفعل المذابح المتجددة .

وفى أقصى الوسط تظهر الملكة وهى تستحث قواتها بشخشيخة مصرية (١٧٣) ، ولا تستدير إلى الخلف لرؤية الحيتين الكائنتين خلفها (١٧٤) . أشكال مروعة لآلهة مختلفة من بينهم الكلب أنوبيس (١٧٥) ، كل هؤلاء يحملون السلاح فى وجه نبتونوس وفينوس ومنرفا . ويثورمارس وسط
٧٠٠ القتال (١٧٦) ، وهو مدجج بالسلاح ، وتهبط ربات الشر من السماء ، وتغدو ربة الفزع وتروح مبتهجة بثوبها المهلهل وتتبعها بللونا بالسوط الملطخ بالدماء . ولما رأى أبوللون أكتيوس (١٧٧) من عليائه تلك الأحداث التقط قوسه : عندئذ ولى الأدبار خوفا منه جميع المصريين وكل العرب وجميع أهل سبأ (١٧٨) . وشوهدت الملكة وهى تنادى الرياح وتفرد الأشرعة بنفسها (١٧٩) ، وتترك العنان فى التو واللحظة لحبال
٧١٠ السفن السائبة. لقد صورها إله النار وسط المذبحة شاحبة الوجه خوفا من شبح الموت، تحملها الأمواج والرياح الشمالية الغربية ،وأمامها من على صور النيل بهيكله العظيم ينوح ويفرد ثنايا ثوبه ، ثم يدعو بثوبه الفضفاض المهزومين إلى حجره الأزرق وإلى روافده المليئة بأماكن اللجوء .

ركب قيصر إلى مدينة روما بعد انتصار ثلاثى، ونذر نذرا يبقى إلى الأبد لآلهة إيطاليا: ثلثمائة مذبح مقدس ضخم فى جميع أنحاء المدينة بأكملها (١٨٠) . كانت الطرقات تدوى بالفرحة والاحتفالات وعبارات الاستحسان ، كان فى كل معبد كورس من النسوة، كان فى كل معبد مذبح مقدس ، وأمام تلك المذابح المقدسة رقدت العجول المذبوحة فوق الثرى .

شكل (٣٢٥)
نهر النيل كما يظهر على احد وجهى عملة صدرت فى الاسكندرية فى العصر البطلمى

إنه يجلس بنفسه على الأعتاب الناصعة لفويبوس المضىء ، يستعرض هدايا الشعوب ، ويرتبها على المداخل الشامخة (١٨١) . وتدخل القبائل المهزومة فى صف طويل ، وبقدر ما تعددت لغات تلك القبائل فقد تعددت أشكال ملابسهم وعتادهم العسكرى :

هنا صور مولكيبر (١٨٢) القبائل النومادية (١٨٣) والأفريقيين غير المتمنطقين (١٨٤) ،وهنا صور أيضا الليلجيين والكاريين والجيلونيين حاملى السهام (١٨٥) .وإن نهر الفرات يجرى الآن وأمواجه أقل اندفاعا عن ذى قبل (١٨٦) . كما يسير فى الموكب أيضا شعب المورينى — أبعد الشعوب مسافة عن روما—(١٨٧) ونهر الرين ذو القرنين(١٨٨)وقبائل الداهاى غير المستأنسة (١٨٩) ، كما يرزح أيضا نهر أراكسيس وهو غير راض تحت عبء القنطرة المقامة فوقه (١٩٠) .

لقد أعجب آينياس بهذه المناظر المنقوشة على درع فولكانوس . هدية والدته وأحس بالسرور وهو يشاهد دون أن يدرى سجل الأحداث التاريخية بينما كان يحمل فوق كتفه مجد أحفاده وأقدارهم .

حواشي الكتاب الثامن

(١) تورنوس Turnus ، هو ملك الروتوليين Rutuli كان خطيب لافينيا Lavinia ابنة لاتينوس Latinus ، وذلك قبل قدوم آينياس إلى إيطاليا .

(٢) لاورنتوم Laurentum ، هي قلعة لاتيوم أثناء حكم الملك لاتينوس .

(٣) اعتاد أهل لاتيوم رفع راية حمراء فوق قلعة المدينة أو إطلاق صوت نفير أجش إذا ما أعلنوا الحرب . لكن فرجيليوس هنا يخبرنا أن أهل لاتيوم قد استخدموا الطريقتين معا وفي وقت واحد .ولعل ذلك نوع من أنواع المبالغة يتطلبه الموضوع الملحمي .

(٤) ميسابوس Messapus ، راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٢٨٣ .

(٥) أوفنس Ufens ، قائد الأكويين Aequi . راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٣٣٣) .

(٦) ميزنتيوس Mezentius ، هو قائد اللوكومونيس Lucumones (راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٢٥٠) . لقي ميزنتيوس مصرعه على يد آينياس في نهاية الكتاب العاشر من الملحمة .

(٧) من أجل إزالة الغموض الذي يكتنف هذه الفقرة يجدر بنا الإشارة إلى قصة ديوميديس التي كان يعرفها القارئ الروماني في عصر فرجيليوس تمام المعرفة عن طريق قراءاته لملاحم هوميروس . في الكتاب الخامس من الإلياذة يروي هوميروس كيف ظلت الإلهة آفروديتي (فينوس عند الرومان) تلاحق ديوميديس بغضبها وكراهيتها في كل مكان ، وأنها كانت سببا في نفيه إلى إيطاليا حيث كان يقيم عند وصول آينياس — ابن فينوس — إليها !! والسبب في غضب فينوس وكراهيتها لديوميديس هو أنه كان قد جرحها في إحدى المعارك ، كما أنه كان قد سرق تمثال البلاديوم (راجع هوميروس ، الالياذة ، الأنشودة الثانية ، سطر ١٦٦) وهو واحد من

تماثيل آلهة البيناتيس . من هنا كان – ولابد أن يكون – وصول آينياس ابن فينوس – وهو يحمل معه تماثيل آلهة البيناتيس مصدر شقاء وقلق لايعلم حقيقته سوى ديوميديس نفسه .

(٨) نسبة إلى لاوميدون Laomedon والد بريامبوس . لم يكن آينياس من سلالة لاوميدون ، لكن الصفة لاوميدون هنا تعنى « الطروادى » .

(٩) سبق أن ورد هذان البيتان (بيت ٢٠ ، ٢١) بنصيهما فى الكتاب الرابع من الملحمة (بيت ٢٨٥ ، ٢٨٦) حيث يصف فرجيليوس حيرة البطل آينياس (راجع المجلد الأول ، ص ٢١١) .

(١٠) تصور الرومان آلهة الماء الذكور فى صورة رجال مسنين ، يرتدون أردية قاتمة اللون .

(١١) ماعدا غضب الإلهة جونو التى مازالت تلاحق آينياس بغضبها وسخطها (راجع سطر ٦٠ أدناه) .

(١٢) يرى بعض النقاد حذف هذه الفقرة ، بحجة أن ما جاء فيها قد ورد من قبل عندما تنبأ هيلينوس بمستقبل آينياس (راجع المجلد الأول ، ص ١٧٩–١٨٠) .

(١٣) واضح أن هذا البيت (٤٦) غير متوافق فى معناه مع ماقبله وما بعده ، ولقد دفع ذلك جميع النقاد دون استثناء إلى حذفه أو وضعه بين قوسين . أضف إلى ذلك أن مدينة ألبا التى سيرد ذكرها فى البيت التالى كانت تقع على بعد إثنى عشر ميلاً من ضفة نهر التيبر . فإذا كان الأمر كذلك فكيف يشار إليها بلفظ « هنا » . لعل ذلك يرجع إلى عدم إتاحة الفرصة لفرجيليوس لمراجعة الملحمة .

(١٤) ألبا Alba ، صفة تعنى باللاتينية البيضاء . ترمز الخنزيرة هنا إلى مدينة لافينيوم Lavinium التى أسسها آينياس (راجع المجلد الأول ، ص ١١١ ؛ حاشية رقم ٢) . بينما يرمز الثلاثون خنزيراً البيض إلى الأعوام الثلاثين التى سوف تمر حتى يصبح أسكانيوس قادرا على إقامة مدينة أضخم من الأولى وهى مدينة ألبالونجا Alba longa (راجع المجلد الأول ، ص ١١٢ ، حاشية رقم ٤) .

(١٥) بالاس Pallas ، هو ابن لوكاءون Lycaon ، وجد إيفاندروس . قيل إنه أسس مدينة بالانتيوم Pallantium فى منطقة أركاديا الإغريقية – حيث أقيمت تماثيل لبالاس وإيفاندروس . قيل أيضا إن إيفاندروس رحل عن طروادة – قبل قيام الحرب الطروادية بستين عاما – بصحبة جماعة من الأركاديين ووصل إلى إيطاليا حيث أقام على ضفاف نهر التيبر فى المنطقة الواقعة أسفل تل بالاتينوس Palatinus حيث أسس مدينة أسماها بالانتيوم Pallantium .

(١٦) أى مع بزوغ الفجر ، إذ أن غروب النجوم يعنى انتهاء الليل .

(١٧) هذا ماقاله هيلينوس أيضا لآينياس من قبل عندما تنبأ له بمستقبله (راجع المجلد الأول ، ص ١٨١) .

(١٨) انتهى الليل وظهرت تباشير الصباح ، فارق النعاس عينى آينياس ، اختفى إله النهر . . كل ذلك حدث فى لحظة واحدة ، أو هكذا أراد فرجيليوس .

(١٩) يقصد مجموعة عرائس الماء اللائى يعشن فى منطقة لاورنتوم ، مثل ماريكا Marica التى سبق ذكرها فى الكتاب السابع من الملحمة ، سطر ٤٧ ، ويوتورنا Iuturna التى يرد ذكرها فى الكتاب الثانى عشر ، سطر ١٣٩ .

(٢٠) ارتبطت عرائس الماء بالينابيع ، ولما كان القدماء يعتقدون أن الأنهار تستمد مياهها من الينابيع فقد اعتقدوا بالتالى أن الأنهار انحدرت من سلالة عرائس الماء .

(٢١) تصور القدماء الأنهار فى صور شيوخ ذوى قرون ، وغير معروف حتى الآن سبب ذلك .

(٢٢) هيسبيريا هى إيطاليا ، والتيبر هو النهر الرئيسى فى إيطاليا .

(٢٣) هنا يؤكد فرجيليوس ضرورة تقديم الضحاياتكريما لجونو ، وذلك تنفيذاً لما سبق أن أشار به هيلينوس على آينياس (راجع المجلد الأول ، ص ١٨١) .

(٢٤) المعروف عن هيراكليس أنه ابن ألكيمينى Alkemene التى أنجبته من رب الأرباب جوبيتر . تروى الأسطورة أن جوبيتر أعجب بألكمينا التى كانت حينئذ زوجة لأمفتريون. لكن الزوجة المخلصة رفضت معاشرة ذلك العاشق ذى الصولجان، فما كان منه إلا أن ظهر لها فى صورة زوجها أمفتريون، فضاجعته ظنا منها أنه زوجها ، وأنجبت منه هيراكليس . ثم اكتشف الزوجان حقيقة العاشق المخادع ، ولكن بعد فوات الأوان . لذلك يذكر هيراكليس دائما على أنه ابن لرب الأرباب جوبيتر . لكن فرجيليوس ينسبه هنا — على غير العادة — إلى أمفتريون الزوج الشرعى لألكمينا .

(٢٥) يؤكد فرجيليوس هنا قلة ثراء المدينة التى كان يحكمها إيفاندروس ، إذ كان من المتبع أن يكون شيوخ المدينة المقربون للملك من بين طبقة الأثرياء . فان كان أفراد طبقة الأثرياء فى المدينة فقراء فى نظر فرجيليوس فما بالك بالفقراء .

(٢٦) كان التوقف عن مواصلة احتفال دينى لأسباب غير متوقعة — مهما كانت طبيعتها — نذير شؤم بالنسبة للرومان ، لذلك حاول بالاس أن يعيد الرجال إلى أماكنهم ويحثهم على مواصلة الاحتفال .

(٢٧) يشير آينياس إلى الحرب التي شنها أهل لاتيوم على آينياس ورفاقه رغم أنهم كانوا قد لجأوا إليهم في بادئ الأمر . وكان الرومان يقدسون حق الاستجارة ويعتبرون الاعتداء على اللاجئين أو المستجيرين أمرا منافيا لأوامر الآلهة وآداب السلوك القويم (راجع الكتاب السابع ، سطر ١٥٥) .

(٢٨) المقصود بالاسم العظيم هنا هو « داردانيا » . كان لذلك الاسم وقع عظيم في نفوس أهل لاتيوم . ولقد سبق أن أوضح لنا فرجيليوس أن اسم البطل « الداردانى » كان قد أصبح على لسان كل شخص من سكان لاتيوم . (راجع سطور ١٤ ، ١٥ أعلاه) .

(٢٩) ولدا أتريوس هما أجاممنون ومنيلاوس (راجع المجلد الأول ، ص ١٥٦ ، حاشية رقم ٢٠) . المقصود هنا أن كلا من آينياس وإيفاندروس ينحدران من جد واحد . وحتى يتضح ما لم يشأ فرجيليوس أن يوضحه في هذه الفقرة فإننا نقول أن كلا من إيفاندروس وولدى أتريوس ينحدران أصلا من رب الأرباب جوبيتر : إيفاندروس عن طريق ميركوريوس Mercurius (= هرميس Hermes عند الاغريق) ، وولدا أتريوس عن طريق بيلوبس Pelops بن تانتالوس Tantalus وديونى Dione . لكن ديونى أنجبت أيضا فينوس Venus التي أنجبت بدورها البطل آينياس . وهكذا كانت هناك قرابة بين الجميع رغم اختلاف مذاهبهم وجنسياتهم . (انظر أيضا الحاشية التالية) .

(٣٠) يروى الاغريق أن أطلس أنجب ابنتين : إلكترا Electra ومايا Maia . عاشر زيوس كلتيهما ، فأنجب من الأولى داردانوس الجد الأول للطرواديين ، ومن الثانية ميركوريوس الجد الأول لأسرة إيفاندروس .

(٣١) ميركوريوس هو إله رومانى أصبح فيما بعد يقابل هرميس الاغريقى الذى أنجبته مايا من رب الأرباب عند الاغريق — زيوس — على قمة كوللينى . لذلك فهو يلقب بالكوللينى Cyllenius (راجع المجلد الأول ، ص ٢٣١ ، حاشية رقم ٣٤) . وكوللينى Cyllene هو جبل يقع في شمال أركاديا Arcadia يبعد كثيرا عن سيكيون Sicyon ، ويسمى الآن جبل زيريا Zyria .

(٣٢) أفراد القبيلة الداونية Gens Daunia هم الروتوليون Rutuli . داونوس Daunus هو والد تورنوس (راجع الكتاب الثاني عشر ، سطر ٢٢ أدناه) ، جاء من

إللوريكوم Illyricum إلى أبوليا Apulia حيث أطلق على سكانها فيما بعد لقب القبيلة الدلونية .

(٣٣) البحر الذى يغسل شواطئها من أعلى هو البحر الأدرياتيكى mare Adriaticum والذى يغسل شواطئها من أسفل هو البحر التورهينى mare Tyrrhenum .

(٣٤) الترجمة الحرفية هى : فلتقبل ثقتى ولتمنحنى ثقتك accipe daque fidem .

(٣٥) هيسيونا Hesiona هى ابنة لاءوميدون Laomedon وشقيقة بريامؤس (راجع حاشية رقم ١٨ أعلاه) . كان قد استولى على هيسيونا وحش بحرى ، لكن هيراكليس أنقذها من براثنه ومنحها إلى تلامون Telamon ، الذى تزوجها وأنجب منها تيوكر Teucer . هذا هو السبب الذى من أجله قصد بريامؤس — بصاحبة أنخيسيس — سلاميس Salamis ، وهى جزيرة مواجهة للشاطئ الأتيكى .

(٣٦) فينيوس Pheneus ، هى بلدة فى أركاديا حيث قابل إيفاندروس — فى صباه — أنخيسيس لأول مرة .

(٣٧) نسبة إلى لوكيا ، الشهيرة بصناعة السهام الصلبة (راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٣٧٥) .

(٣٨) كان وضع اليد اليمنى لشخص فى اليد اليمنى للشخص الآخر يعنى التحالف أو التعاهد ، وهو مازال قائما حتى الآن عند أغلب الشعوب .

(٣٩) المقصود بالقمح المصنع هنا هو الخبز .

(٤٠) الأعضاء الداخلية هى الكبد والطحال والرئتان . . . الخ . كان العرافون بعد ذبح الضحية يقومون بفحص هذه الأجزاء ويولونها اهتماما خاصا ، لذلك كانت فى نظر الرومان مأكولا طاهرا يقدم لكبار الضيوف أثناء الاحتفالات الدينية .

(٤١) كاكوس Cacus ، هو مسخ أسطورى ، نصفه لآدمى والنصف الآخر لحيوان. كان ابنا لفولكانوس Vulcanus ، يسكن فى كهف فى جبل أفنتينوس Aventinus . ظل كاكوس يبعث الرعب فى نفوس أهل لاتيوم حتى صرعه هيراكليس .

(٤٢) كان فولكانوس إله الحديد والنار ، لذلك ينسب إليه فرجيليوس النيران التى يزفرها ابنه كاكوس . كما كان يعهد إليه أيضا بالاشراف على الصناعات المعدنية .

(٤٣) ألكيديس Alcides ، هو سليل ألكيوس Alceus ، أى هيراكليس .

(٤٤) صرع هيراكليس المسخ جيريون Geryon (أو جيريونيس Geryones) واستولى على ثيرانه وأحضرها معه من إريثيا إلى إيطاليا . كان ذلك هو العمل العاشر من أعمال هيراكليس الاثنى عشر (راجع المجلد الأول ، ص ٣١٧ ، حاشية رقم ٤٧) .

(٤٥) أمفتريونيادیس Amphitryoniades ، هو هيراكليس ، نسبة إلى والده (؟) أمفتريون (راجع حاشية رقم ٢٤ أعلاه) .

(٤٦) من الملاحظ أن فرجيليوس يكرر المعانى بشكل ملحوظ فى بعض أماكن من الملحمة وإن كان لا يصاحب ذلك تكرار للألفاظ (راجع مقدمة المجلد الأول ، ص ٤٩).

(٤٧) يورروس Eurus ، هى رياح جنوبية شرقية كانت معروفة بسرعتها الفائقة .

(٤٨) لم يكن كاكوس بطبيعته قادرا على أن يعدو بسرعة خاطفة ، لكن الخوف هو الذى منحه القدرة على ذلك حتى ليخيل إلى من يراه أثناء عدوه أن لقدميه جناحين ترتفعان به فى خفة من على سطح الأرض .

(٤٩) راجع حاشية رقم ٤٢ أعلاه .

(٥٠) التيرونثى Tirynthius ، هو هيراكليس ، نسبة إلى مسقط رأسه تيرونس Tiryns (أو تيرونثيس Tirynthis) وهى مدينة تقع فى منطقة أرجوليس Argolis .

(٥١) قد تبدو الصورة التى يصفها فرجيليوس هنا أكثر وضوحا إذا ماتخيلنا كما تخيل الشاعر — ماذا يحدث لو أن زلزالا عنيفا قد وقع فانشقت الأرض وحدثت هوة سحيقة : سوف ترى حينئذ — من خلال ضوء النهار الذى ينفذ من تلك الهوة — مايدور فى العالم السفلى (أى عالم الموتى) وكيف تتحرك هناك بطريقة غير طبيعية فتبدو للناظرين وكأنها ترتعش أثناء تحركها .

(٥٢) يستخدم فرجيليوس هنا لفظ abiuratae وهو مشتق من الفعل abiurare ومعناه يحلف يمينا بأنه لم يفعل كذا . إن كاكوس لم يحلف يمينا ، لكن إيفاندروس هنا يفترض أن كاكوس قد فعل وأنكر سرقته للثيران . يريد إيفاندروس بذلك أن يبالغ فى وصف بشاعة ماقام به كاكوس ويبرر ماحدث له على يد المنقذ هيراكليس .

(٥٣) عاصر إيفاندروس نشأة ذلك الاحتفال السنوى ، لكنه يعتبر نفسه من جيل سابق ، ويرى أن الجيل الحالى لم ير ما يمنع إقامة الاحتفال فى موعده المحدد له فى كل عام ، بل أحس بالسعادة وهو يفعل ذلك .

(٥٤) يروى المؤرخ الرومانى تيتوس ليفيوس (الكتاب الأول ، الفصل السابع) أنه — بعد أن تقابل هيراكليس وإيفاندروس — تم ذبح رأس من الماشية ، قدمت تكريما للإله ثم عهد إلى بوتيتيوس Potitius وآل بيناريوس Pinarii بالاشراف الدينى والروحى على إقامة الاحتفال بصفه دورية فيما بعد . لكن آل بيناريوس وصلوا إلى مكان الاحتفال الأول بعد انتهاء توزيع الأجزاء الداخلية للضحية (راجع حاشية رقم ٤٠ أعلاه) ، فتقرر إعفاؤهم من القيام بتلك المهمة إلى الابد . أما آل بوتيتيوس فقد ظلوا يقومون بمهمتهم عده أجيال متتالية إلى أن حدث ذات مرة أن لقنوا تعاليمهم لمجموعة من العبيد ، فكان مصير الأسرة بأكملها الهلاك وذلك فى عام ٤٤٢ منذ تأسيس المدينة أى عام ٣١٢ ق.م . (راجع مقدمة المجلد الأول ، حاشية رقم ١ ، ص ٢٠) .

(٥٥) كان هناك معبد لهيراكليس يسمى المحراب الأعظم Ara Maxima ، ويقع على جبل الأفينتينوس ويروى تيتوس ليفيوس أن الاحتفالات التى كانت تقام فى ذلك المعبد لم تكن رومانية بل إغريقية الأصل .

(٥٦) الترجمة الحرفية هى « الرب المشترك » ، أى أن هيراكليس قد أصبح رب آينياس ورفاقه أيضا ، ماداموا قد أصبحوا حلفاء لإيفاندروس .

(٥٧) اللون الأبيض الذى يغلب على الجزء الأسفل من شجرة الحور ، واللون الأخضر الذى يغلب على الجزء الأعلى منها .

(٥٨) فسبير Vesper ، هو نجم المساء . أولومبوس Olympus ، هو جبل يقع فى منطقة ثساليا ، اعتقد القدماء أنه مقر الآلهة . لكن فرجيليوس يستخدم الكلمة هنا بمعنى السماء . وبالتالى فاقتراب نجم المساء من حافة السماء المائلة إلى أسفل يعنى قدوم الليل .

(٥٩) فرقة السالى Salii ، هم فئة من المنشدين ، تكونت فى عهد الملك نوما Numa كان عددهم إثنا عشر فردا . كانت أناشيدهم قاصرة — كما يروى تيتوس ليفيوس — على تمجيد الإله مارس جراديفوس . أما ماكروبيوس فإنه يؤكد أن فرقة السالى كانت تقدم أناشيدها فى روما تكريما للإله هيراكليس الذى كان يعرفه البعض بالإله مارس .

(٦٠) تكونت فرقة السالى من مجموعتين : مجموعة الشبان وتتراوح أعمارهم

بين سبعة عشر عاما وستة وأربعين ، ومجموعة العجائز وأعمارهم تزيد عن ستة وأربعين عاما .

(٦١) زوجة والد هيراكليس هي جونو Juno . عندما علمت جونو بمولد التوأمين هيراكليس وإيفيكليس Iphicles بعثت إليها بحيتين هاجمتاهما أثناء نومهما . استولى الفزع على الرضيع إيفيكليس عند رؤيتهما فأخذ يصرخ صراخاً عاليا . أما شقيقه الرضيع هيراكليس فإنه – كما تروى الأساطير – نهض من فراشه وأمسك بهما وظل يضغط بيديه حول رأسيهما حتى خمدت أنفاسهما .

(٦٢) كان لاءوميدون Laomedon ملك طروادة قد وعد هيراكليس بإهدائه مجموعة من الخيول إن هو أنقذ هيسيونى Hesione . فلما أنجز هيراكليس مهمته ، لم يف لاءوميدون بوعده ، فما كان من هيراكليس إلا أن دمر طروادة وقتل لاءوميدون وسلم عرش طروادة بعد ذلك إلى برياموس .

(٦٣) كان يوروتوس Eurytus ملك أويخاليا Oechalia قد وعد بأن يزوج ابنته إيولى Iole لمن يتفوق عليه فى استخدام القوس . اشترك هيراكليس فى تلك المنافسة ، وتغلب على يوروتوس ، الذى رفض عندئذ أن يفى بوعده . فما كان من الإله الفائز إلا أن دمر مدينة أويخاليا ، وقتل يوروتوس واتخذ إيولى – بالقوة – زوجة له .

(٦٤) المقصود بالألف عمل هنا هى الأعمال الإثنى عشر التى قام بها الإله هيراكليس (راجع المجلد الأول ، ص٣٢٣ ، حاشية رقم ١١٧) .

(٦٥) كل تلك الكائنات الأسطورية وغيرها الكثير قيل إن هيراكليس قد صارعها وصرعها أثناء تأديته للأعمال الإثنى عشر الخارقة . أول تلك الأعمال هو مصرع أسد ضخم بالقرب من الصخرة النيمية Nemea rupes ، نسبة إلى مدينة نيميا Nemea الواقعة فى إقليم أرجوليس Argolis .

(٦٦) المستنقع الاستوجى Stygii Lacus وأوركوس Orcus : أماكن فى العالم السفلى . أما حارس أوركوس فهو الكلب كيربيروس Cerberus . والإشارة هنا إلى انتصار الإله هيراكليس على كيربيروس (راجع المجلد الأول ، ص٣١٥ ، حاشية رقم ٢٥) .

(٦٧) توفويس Typhoeus ، إن وصف توفويس بأنه « يمتشق أسلحته فى ضراوة » لايتفق مع أى من الروايات التى وصلتنا عنه ، لذلك يعتقد بعض العلماء أن

هيراكليس ربما اشتبك فى عراك مع ذلك المسخ بدون الإشارة إلى ذلك فى النصوص التى بين أيدينا .

(٦٨) كان مصرع حية ليرنا على يد هيراكليس هو العمل الثانى من الأعمال الإثنى عشر (راجع المجلد الأول ، ص ٣٢٣ ، حاشية رقم ١١٧) .

(٦٩) المقصود هنا هو بالاس Pallas ، ابن الملك العجوز إيفاندروس .

(٧٠) هى القلعة المسماة بقلعة البالانتيوم Pallanteum فوق تل بالاتينوس Pallatinus حيث أسس الملك رومولوس مدينته ، وحيث أقيم فيما بعد قصر الامبراطور أوغسطس .

(٧١) فاونوس Faunus ، هو إله إيطالى الأصل ، وإن كنا نعلم (راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ١٧) أنه حفيد ساتورنوس Saturnus . كان معبده مقاما فى جزيرة التيبر ، وكان الإيطاليون يحتفلون بتكريمه فى اليوم الخامس عشر من شهر فبراير من كل عام . ولقد تخيل الرومان فاونوس وأتباعه فى صورة مخلوقات نصفها الأسفل على شكل إنسان والأعلى على شكل تيس ذى قرنين .

(٧٢) أى من السماء الشاهقة (راجع حاشية رقم ٥٨ أعلاه) .

(٧٣) ساتورنوس هو كرونوس عند الاغريق : وجوبيتر هو زيوس عند الاغريق والإشارة هنا إلى المعركة التى دارت بين زيوس ووالده كرونوس والتى انتهت بهزيمة الوالد وإبعاده عن الحكم ، وبهذا أصبح كبير الآلهة وحاكم مملكة الأولومبوس.

(٧٤) يرى بعض العلماء أن فرجيليوس يربط بين الفعل Lateo (ومعناه يختبئ) والاسم لاتيوم Latium . لكن الصلة اللغوية بين الكلمتين غير واضحة تمام الوضوح .

(٧٥) منذ عهد الاغريق الأوائل قسم الكتاب العصور المتتالية إلى فترات . أول من فعل ذلك هو الشاعر الاغريقى هيسيودوس فى قصيدته « الأعمال والأيام » . إنه يقسم العصور إلى : عصر الذهب ، عصر الفضة ، عصر النحاس ، عصر الأبطال ، ثم عصر الحديد وهو العصر الذى عاش فيه هيسيودوس .

(٧٦) أفراد العشيرة الأوسونية manus Ausonia : كانوا يسكنون فى منطقة كمبانيا Campania الواقعة فى جنوب مدينة روما . كانوا يسمون أيضا الأورونكيون Aurunci . أما قبائل سيكانيا فكانوا يسكنون فى منطقة لاتيوم ، ثم نزحوا بعد ذلك إلى جزيرة صقلية ، وكانوا يسمون شيكيولى Siculi .

(٧٧) كانت المنطقة تسمى فى بادئ الأمر باسم ساتورنوس ، ثم تعددت بعد ذلك أسماؤها . يذكر فرجيليوس (الكتاب الأول من الأينيدة ، سطر ٥٣٠ وما بعده) ثلاثة من تلك الأسماء وهى : هسبيريا Hesperia ، أوينوتريا Oenotria ، وإيطاليا Italia (راجع المجلد الأول ، ص ١٠١) .

(٧٨) قيل إنه كان على رأس عصابة من اللصوص ، وإنه لقى مصرعه غرقا فى نهر ألبولا Albula ، الذى سمى فيما بعد الثبريس Thybris (أو التيبر) . وطبقا لما جاء عند تيتوس ليفيوس (١ ، ٣) وأوفيديوس (قصائد التقويم ، ٤ ، ٤٨) كان ثيبريس ابنا لشخص يدعى كابيتوس Capetus أو كاليبتوس Caleptus الذى كان ترتيبه الثامن بين ملوك مدينة ألبالونجا .

(٧٩) قرن الحظ (= فورتونا Fortuna) والقدر (= fatum) مصير إيفاندروس : فالحظ هو الذى جعله – طبقا لرواية قديمة – يهزم أثناء حرب أهلية أو – طبقا لرواية أخرى – يقتل والده دون قصد . ولذا كان عليه أن يغادر وطنه أركاديا . أما القدر فهو الذى جعله ينزل فى الأراضى الإيطالية .

(٨٠) الحورية كارمنتيس Carmentis هى – لدى الاغريق – نيقوستراتا Nicostrata ابنة لادون Ladon . كانت واحدة من حوريات كاميناى Camenae اللائى كن قادرات على التنبؤ بالغيب .

(٨١) البوابة الكارمنتالية Carmentalis Porta : نسبة إلى الحورية كارمنتيس .

(٨٢) قدس الأقداس Asylum ، هو مكان مقدس زاخر بالغموض والأسرار ، لم يكن يستطيع الوصول إليه سوى فئة محدودة من أشخاص لقنوا تعاليم دينية معينة ، ويقع على الحافة الشمالية الشرقية من الكابيتول .

(٨٣) كهف لوبركوس Lupercal ، وجد فى تل بالاتينوس Palatinus كان حرما موقوفاً لعبادة الإله بان ، إذ اعتقد الرومان أن أنثى ذئب قد اتخذته مكانا أميناً لترعى فيه رومولوس وريموس . لكنه كان يسمى بواسطة أهل باراسيا Parrhasia (وهى منطقة فى شمال أركاديا) بكهف بان الليوكايني Pan Lycaeus .

(٨٤) غابة أرجيليتوم Argiletum : تقع بين تل كابيتولينوس وتل أفنتينوس ، حيث دفن إيفاندروس ضيفه أرجوس Argus : الذى قتله أعوان إيفاندروس . فلقد لاحظ أعوان الملك أن أرجوس إنما كان يرغب فى القضاء على مضيفه والاستيلاء على الحكم ، فقتلوه : لكن إيفاندروس لم يعلم بالحادث إلا بعد وقوعه .

(٨٥) صخرة تاربيا Tarpeia : تقع على تل كابيتولينوس . سميت هكذا نسبة إلى فتاة رومانية تدعى تاربيا ساعدت السابين Sabini – أعداء الرومان – على احتلال القلعة الرومانية . ولقد ظلت تلك الصخرة رمزا للجريمة ، فكان الرومان يقذفون المجرمين من فوقها .

(٨٦) معبد كابيتولينوس Capitolia ، هو معبد جوبيتر الواقع فوق تل الكابيتولينوس . إن إيفاندروس هنا يتخطى حدود الزمن . فقد ازدهر ذلك المعبد وأصبح تحفة فنية رائعة عامرة بأعمال فنية من الذهب الخالص في عهد فرجيليوس ، بعد أن كان – في عهد إيفاندروس – معبدا متواضعا محاطا بالأدغال الكثيفة .

(٨٧) عرف جوبيتر بعباءته الداكنة ، التي كان يهزها بيده في وجه أعدائه أو فوق رءوسهم فيثير العواصف والزوابع التي تقضي عليهم في الحال .

(٨٨) كانت الساحة العامة الرومانية Forum Romanum تقع بين تل الكابيتولينوس والركن الشمالي من تل بالاتينوس . أما الاسم كاريناي Carinae فقد أطلق على شارع رئيسي أو منطقة رئيسية في مدينة روما ، في تلك المنطقة كانت توجد قصور معظم نبلاء روما مثل بومبي وشيشرون وغيرهم .

(٨٩) كان إيفاندروس ملكا فقيرا إذا ماقورن بملوك روما الذين جاءوا بعده ، وكان مسكنه متواضعا إذا ماقورن بقصورهم . لكن الملك كان فخورا بمسكنه ، إذ أن الإله هيراكليس نفسه (= ألكيديس) لم يأنف أن يدخله ، وسوف يدخله آينياس أيضا .

(٩٠) المقصود هنا هو أن نينوس كانت تقاسي العذاب الذي تقاسيه أم من أجل كارثة وقعت لولدها : إذ أن فينوس كانت والدة آينياس .

(٩١) فولكانوس Vulcanus : هو إله النار والمعادن والبراكين ، وزوج فينوس ربة الحسن والجمال .

(٩٢) المقصود بالبؤساء هنا هم أهل طروادة (= برجاموم) التي سقطت على أيدي الاغريق .

(٩٣) « لآل برياموس » وخاصة باريس ، الذي منح التفاحة الذهبية لفينوس (راجع المجلد الأول ، ص ١١١ ، حاشية رقم ٣) .

(٩٤) ابنة نيريوس filia Nerei ، هي الربة ثيتس Thetis ، والدة البطل الاغريقي أخيليوس ، التي طلبت من فولكانوس حماية ولدها . فمنحه الإله

درع أخيليوس المعروف الذى أسهب هوميروس فى وصفه فى الأنشودة الثالثة والعشرين من الإلياذة . أما زوجة تيثونوس Tithonia Coniunx : فهى الربة أورورا Aurora والدة البطل ممنون Memnon ، التى طلبت من فولكانوس أيضا حماية ولدها فأجاب طلبها .

(٩٥) منذ قديم الزمان والحب معروف بلهيبه القاسى و دفئه اللذيذ اللذين يستطيعان أن ينفذا خلسة إلى أعماق البشر .

(٩٦) يقصد أثناء حروبهم مع الاغريق وقبل سقوط مدينة طروادة .

(٩٧) الإلكتروم electrum نوع من أنواع المعادن المركبة . كان مزيجا من الذهب السائل والفضة السائلة بنسبة ٤ : ١ . ثم كان يتم بعد ذلك صب المزيج السائل فى قوالب كل حسب الشكل المطلوب .

(٩٨) هذه هى الترجمة الحرفية للنص . والمقصود هنا أن المرء يكون متعبا قبل أن يحس بحاجته إلى النوم ، فإذا ما أدركه النوم استراح جسده شيئا فشيئا ، فإذا ماشعر المرء بالراحة صحا من نومه . هكذا فإن الراحة — كما يقول فرجيليوس — تطرد أو تبعد النوم .

(٩٩) « فن مينيرفا الرقيق » : المقصود بهذه العبارة هنا هو آلة النسيج أو النول التى كانت تستخدمها بعض النسوة الاغريقيات فى منازلهن وهن يجلسن مع وصيفاتهن حول المدفأة أثناء الليل فيجنين بذلك ثروة لابأس بها . والعبارة التالية تشبيه شاعرى رقيق يسوقه فرجيليوس ليصور لنا كيف هب فولكانوس من نومه قبل شروق الشمس وبدأ فى تنفيذ مطلب زوجته فينوس على الفور .

(١٠٠) الشاطئ السيكانى : أى شاطئ جزيرة صقلية . ليپارى الإيولية هى إحدى جزر أيوليا وتقع نحو الشمال . أما الجزيرة التى تقع بينهما فهى تسمى جزيرة هييرا Hiera أو فولكانيا Volcania ، وهى تبعد بضع أميال غرب نتوء پالوروم Pelorum .

(١٠١) أيتنا Aetna هى إتنا الحالية المشهورة بوجود بركان فيها .

(١٠٢) الخالوبى : نسبة إلى أفراد عشيرة يعرفون بالخالوبيين Chalybes ، عرف عنهم أنهم أول من قام بصناعة طرق الحديد وتشكيله فى منطقة سكوثيا Scythia .

(١٠٣) برونتيس Brontes (= الرعد) ، ستيروپيس Steropes (= البرق) ، پوراكمون Pyracmon (الطارق على السندان) : كلها أسماء للعمالقة أتباع فولكانوس الذين يعملون فى مصنعه .

(١٠٤) رب السماء بأكملها Genitor toto caelo هو رب الأرباب جوبيتر .

(١٠٥) هكذا تخيل فرجيليوس كيف يقوم أتباع فولكانوس بإعداد الصواعق التي يستخدمها جوبيتر ضد أعدائه من البشر والعمالقة .

(١٠٦) الإشارة هنا إلى مارس إله الحرب ، الذى تخيله الرومان وهو يمتطى عربته الحربية التى تسابق الريح ويثير الشعوب والحكام فيخوضون المعارك ويستعذبون النزال .

(١٠٧) اعتقد الرومان أن الربة بالاس (= مينيرفا) ارتدت فى بعض الأحيان عباءة – تشبه عباءة جوبيتر – هى فى الواقع أقرب إلى الزى العسكرى .

(١٠٨) الكوكلوبيس الأيتنيون Cyclopes Aetnaei نسبة إلى أيتنا Aetna .

(١٠٩) صنع الاغريق والرومان أنواعا عديدة من الدروع ، وكان كل نوع يستخدم لحماية حامله من نوع معين من الأسلحة . لكن ذلك الدرع المستدير الذى صنعه أتباع فولكانوس كان ملائما لصد جميع أنواع الاسلحة على حد سواء .

(١١٠) سيد لمنوس Pater Lemnius هو فولكانوس . لمنوس Lemnos هى من أكبر الجزر الواقعة فى البحر الإيجى ، قيل إنها تلقفت فولكانوس أثناء هبوطه من السماء ، فأصبحت منذ ذلك الحين عزيزة عليه . ومن هنا نشأت هذه التسمية .

(١١١) يؤكد هنا فرجيليوس رقة حال الملك إيفاندروس : إنه يرتدى قميصه بنفسه ، ويلبس صندله بنفسه ، ويتقلد سيفه بنفسه أيضا ، دون مساعدة أحد من العبيد أو الخدم كما أن استخدام الصفة « تورانى Tyrrhena » التى يصف بها لباس قدم الملك ، وتيجيانى Tegeaeus ، التى يصف بها سيفه ليس إلا للدلالة على أن الملك انما لا يستخدم سوى أشياء عتيقة غير متطورة فى صنعها أو فى هيئتها .

(١١٢) حرفيا : بحديث مسموح به ، والمقصود هنا هو أن كلا من آينياس البطل وإيفاندروس الملك كان يريد أن يتحدث مع صاحبه حديثا خاصا لا يسمعه أحد ، لذلك نهض كل منهما – مع شروق الشمس ، وقصد كل منهما إلى حيث ينام الآخر ، فتقابلا فى منتصف الطريق ، أى فى وسط منزل إيفاندروس حيث لا يستطيع أحد أن يسترق السمع لحديثهما .

(١١٣) المقصود هنا هو البطل الداردانى آينياس .

(١١٤) النهر التوسكانى Tuscus amnis ، هو ذلك الجزء من مجرى نهر التيبر الذى يفصل بين منطقتى لاتيوم Latium وإتروريا Etruria .

(١١٥) مدينة أجولا Agylla أو كايرى Caere (وهى الآن تسمى كير فيترى Cer Vetere) ، كانت تقع فى جزيرة تعرف بنفس الاسم على مسافة غير بعيدة من الشاطىء ، وفى غرب مدينة فيى Veii الواقعة على بعد حوالى إثنى عشر ميلا من مدينة روما . تمتعت هذه المدينة بعلاقات طيبة مع الشعوب الرومانية فترة طويلة حتى أن سكانها أصبحوا يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية مكافأة لما أظهروا من شعور طيب نحو الرومان أثناء محاصرة الغال لمدينة روما فى عام ٣٦٥ منذ تأسيس المدينة (أى عام ٣٨٩ ق.م.) .

(١١٦) كان الاعتقاد السائد منذ فجر التاريخ أن الإتروسكيين يسكنون اوديا (راجع هيرودوت ، الكتاب الأول ، فصل ٩٤) . من هنا نلاحظ أن نهر التيبر كان يسمى فى بعض الأحيان النهر اللودى (راجع الكتاب الثانى من الأينيدة ، سطر ٧٨١ ، المجلد الأول ، ص ١٥٢) .

(١١٧) أى يطلبون محاربته ويؤكدون رغبتهم فى القضاء عليه أثناء الحرب ، عندئذ يكونون قد استطاعوا أن يقدموه ضحية لإله الحرب مارس .

(١١٨) مايونيا Maeonia هو اسم آخر لمنطقة لوديا Lydia التى كان يسكنها الروتوليون قبل نزوحهم إلى إتروريا (راجع حاشية رقم ١١٦ أعلاه).

(١١٩) يشير الملك إيفاندروس فى تلك اللحظة ناحية مدينة أجولا ، التى وصفها منذ فترة وجيزة (سطر ٤٧٨) بأنها تقع على مسافة غير بعيدة عن مملكته .

(١٢٠) تارخون Tarchon ، وهو قائد الجيش الإتروسكى فى ذلك الوقت والذى سلم القيادة لآينياس فيما بعد وأصبح مساعدا له (أنظر الكتاب الحادى عشر ، سطر ٧٢٩ وما بعده) .

(١٢١) أرادت الآلهة أن يكون قائد الاتروسكيين أجنبيا ، أى غير إيطالى . لكن بالرغم من أن بالاس ينحدر من والد غير إيطالى — وهو الملك إيفاندروس — إلا أن والدته سابينية Sabina — أى إيطالية (راجع حاشية رقم ١٤١ أدناه) . لذلك فإن بالاس نصف إيطالى أى من نسب مختلط أو مولد .

(١٢٢) الكوثيرية Cytherea ، هى الربة فينوس Venus (راجع المجلد الأول ، ص ١١٥ ، حاشية رقم ٤١) .

(١٢٣) كان حدوث الظاهرة أكثر من مرة يعنى عند القدماء جدية الظاهرة وشدة أهميتها .

(١٢٤) يتخيل فرجيليوس أن الأسلحة كانت تظهر وسط سحابة تشغل مساحة محدودة من السماء، أما بقية السماء فكانت صافية .

(١٢٥) أخذ إيفاندروس وبدت على ملامحه علامات الرعب ، فقد اعتقد أن ما حدث فى السماء إنما هو نذير شؤم بالنسبة لشخصه ولولده بالاس . ولاحظ آينياس ذلك فأراد أن يطمئنه فى الحال ويوضح له أنه – أى آينياس – هو المقصود .

(١٢٦) هذا البيت (٥٣٦) من الأبيات الناقصة فى الملحمة ، لكن القارىء قد لايحس ذلك النقص فى الترجمة .

(١٢٧) المقصود هنا هم اللاورنتيون ، سكان لاورنتم Laurentum عاصمة إقليم لاتيوم أثناء حكم الملك لاتينوس Latinus . ولقد سبق أن قطع لاتينوس على نفسه عهدا ألا يحارب آينياس (راجع الكتاب السابع ، سطر ٢٦٠ وما بعده).

(١٢٨) كان فى كل منزل مدفأة اعتقد القدماء أنها مقر للإله الحارس للمنزل بأكمله، والذى كان يعرفه الرومان باسم لار Lar . يبدو أن المقصود بـ « مذابح هيراكليس » هو المذابح الكائنة بالقرب من المدفأة داخل منزل إيفاندروس . فإن كان هذا صحيحا فإن هيراكليس كان فى ذلك الوقت هو الإله الحارس للمنزل – لار – . لكن قد يوجد تفسير آخر وهو أن النار الموجودة بالقرب من المذابح كان إيفاندروس قد نقلها من المذبح الكائن فى معبد الإله هيراكليس– Ara Maxima (راجع حاشية رقم ٥٥ أعلاه) – حيث كان الاحتفال فى الليلة السابقة . أما آلهة البيناتيس Penates فالمقصود بها هنا إما الآلهة الطروادية أو آلهة بالانتيوم .

(١٢٩) راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٣١ .

(١٣٠) هو الملك تارخون Tarchon (راجع حاشية رقم ١٢٠ أعلاه) الذى قيل إنه كان قد أقام معسكره على الشاطىء .

(١٣١) ربما كانت عملية حرق دروع الأعداء المهزومين تقليدا رومانيا بدأه الملك تاركوينيوس بريسكوس Tarquinius Priscus عندما انتصر على السابين Sabini وأحرق دروعهم وقدمها لفولكانوس تكريما له .

(١٣٢) إرولوس Erulus ، هو ملك برايندستى Praeneste ، لم يرد ذكره إلا فى هذه الفقرة فقط . وهبته والدته فيرونيا Feronia ثلاثة أرواح وزودته بثلاثة دروع ليستخدم كلا منهم للدفاع عن روح من أرواحه الثلاث. ورغم ذلك فقد تغلب عليه إيفاندروس وصرعه ثلاث مرات متتالية حتى قضى عليه تماما .

(١٣٣) النهر البارد هو النهر الذى يعرف الآن بنهر فاشينا Vaccina . يمر هذا النهر ببلدة كايرى الواقعة فى إقليم إترووريا Etruria ، والتى عرفها الاغريق باسم أجولا Agylla (راجع حاشية ١١٥ أعلاه).

(١٣٤) البلاسجيون Pelasgi هم أقدم الشعوب التى كانت تسكن بلاد اليونان وبعض أجزاء من آسيا الصغرى وربما أيضا إقليم إترروريا . ويرى بعض المعلقين المحدثين أن مدينة كايرى من المدن التى يظهر فيها بوضوح تأثير حضارة البلاسجيين .

(١٣٥) المقصود بالاقليم اللاتينى هنا هو المنطقةالممتدة من نهر التيبر إلى نهر ليريس والواقعة بين جبال الأبنين وشاطىء البحر .

(١٣٦) سيلفانوس Silvanus هو إله المراعى والمروج الخضراء والماشية ولقد لاحظ بعض المعلقين المحدثين أن اسم سيلفانوس يظهر بكثرة فى النقوش التى يرجع تاريخها إلى عصور الامبراطورية بينما يختفى تماما اسم الإله فاونوس Faunus (راجع حاشية رقم ٧١ أعلاه) . وقد يبعث ذلك على الاعتقاد أن سيلفانوس قد حل محل فاونوس فى تلك العصور .

(١٣٧) أى الذى تم صهره أكثر من مرة حتى يتخلص من كافة الشوائب — قبل تشكيله .

(١٣٨) فيما يلى وصف للدرع الذى صنعه إلهالنار والحديد فولكانوس لوقاية آينياس من أخطار القتال. ولعل السطور التالية تذكرنا — كما ذكرت الرجل الرومانى فى عصر فرجيليوس — بوصف درع أخيليوس كما ورد فى الأنشودة الثامنة عشرة من إلياذة هوميروس (سطور ٤٨٣ — ٦٠٨) ووصف درع هيراكليس كما جاء فى قصيدة هيسيودوس بعنوان درع هيراكليس (سطور ١٤٠ — ٣١٧) .

(١٣٩) لم يصور فولكانوس على درع آينياس الأحداث التى وقعت فقط ، بل أيضا الأحداث التى كانت سوف تقع فيما بعد ؛ إن فرجيليوس هنا يوحى لنا أن فولكانوس كان على صلة بالإله أبوللون صاحب نبوءة دلفى المعروفة والذى كان يعلم الغيب علم اليقين .

(١٤٠) هذا الكهف هو الذى سمى بعد ذلك بكهف لوبركوس (راجع سطر ٣٤٣ ؛ ص ١٠٥ أعلاه) .

(١٤١) يروى أن الرومان — بعد تأسيسهم لمدينة روما — لاحظوا قلة العنصر

النساء فى مدينتهم ، فقرروا دعوة جيرانهم السابين بزوجاتهم وبناتهم لمشاهدة الألعاب التى أقيمت فى المدرج بمناسبة الاحتفال بأعياد الإله كونسوس Consus . وأثناء متابعة السابين للاحتفال فاجأهم الرومان واختطفوا نساءهم بعد أن كانوا قد جردوهم من أسلحتهم . ولما حاول السابين استرداد نسائهم هاجمهم الرومان وطردوهم من روما . ومنذ ذلك الوقت اختلطت الدماء الرومانية بالسابينية .

(١٤٢) من المعروف أن اغتصاب الرومان للسابينيات حدث فى عهد الملك روملوس بعد أربعة أشهر مضت على تأسيسه لمدينة روما . لكن ذكر الألعاب الكيركنسية Ludi Circenses فى هذه المناسبة خطأ وقع فيه فرجيليوس ربما دون قصد ، إذ أن مهرجان الألعاب الكيركنسية أقيم لأول مرة فى عهد الملك تاركوينيوس بريسكوس Tarquinius Priscus .

(١٤٣) تاتيوس العجوز هو تيتوس تاتيوس Titus Tatuis ملك السابين الذى اقتسم السلطة العليا مع روملوس بعد قيام الاتحاد بين السابين والرومان . أما كوريس Cures فهى المدينة الرئيسية فى المنطقة التى كان يسكنها السابين فى العصور القديمة .

(١٤٤) يشير فرجيليوس إلى المعاهدة التى وقعها الرومان والسابين والتى بمقتضاها أصبح من حق الرومان الإقامة فى منطقة البالاتينوس والسابين فى منطقة الكابيتولينوس ، كما كان على الزعماء أن يلتقوا فى مجلس نيابى واحد . أما حمل أطباق القرابين فى الأيدى والوقوف حول خنزيرة مذبوحة فقد كانت جزءاً من التقاليد المتبعة عند توقيع معاهدة أو اتحاد أو تحالف عسكرى .

(١٤٥) ميتوس : فوفيتوس ميتوس Fufetus Mettus حاكم مدينة ألبا Alba (ومن هنا يناديه فرجيليوس باللقب ألبانى Albanus) أثناء حكم الملك توللوس هوستيليوس Tullus Hostilius . اتهم بالخيانة أثناء الحرب فحكم عليه بالإعدام : أن تربط جسده فى مؤخرتى عربتين حربيتين وتطلق كل منهما فى اتجاه مضاد (راجع الكتاب الأول ، الفصل الثامن والعشرين من تاريخ تيتوس ليفيوس) .

(١٤٦) بورسينا : لارس بورسينا Lars Porsena (ولا تكتب Porsenna إلا عند فرجيليوس فقط ، لكى يستقيم وزن الشعر) الذى حاول الدفاع عن الملك تاركوينيوس سوبربوس Tarquinius Superbus . احتل بورسينا تل يانيكولوم Ianiculum الواقع على الضفة اليمنى من نهر التيبر والذى كان تابعاً لإتروريا فى ذلك الوقت ، لكنه بعد ذلك تحرك بقواته وحاصر مدينة روما ، مما دعا أتباع روملوس

إلى حمل السلاح والدفاع عن وطنهم روما . والمقصود هنا بآل آينياس Aeneadae هم أتباع رومولوس الذين ورد ذكرهم في سطر ٦٣٧ أعلاه .

(١٤٧) أثناء الصراع بين بورسينا وسكان مدينة روما (راجع الحاشية السابقة) احتل هوراتيوس كوكليس Horatius Cocles بالاشتراك مع كل من سبيريوس لارتيوس Sp. Lartius وتوللبوس هرمينيوس T. Herminius . جزءاً من القنطرة المعروفة بقنطرة سوبليكيوس pons Sublicius حيث نجحوا في عرقلة الجيش الإتروسكي ومنعه من عبور نهر التيبر لفترة من الزمن . وأثناء تلك الفترة نجح الرومان في تدمير الجزء الذي يقع خلف كوكليس وزملائه ، وبذلك أصبح من المستحيل على الجيش الإتروسكي أن يعبر النهر لمهاجمة مدينة روما . أما كوكليس وزملاؤه فقد عادوا إلى روما سابحين في النهر بعد تحطيم ذلك الجزء من القنطرة . ولعل هذه الحادثة دفعت فرجيليوس إلى إضافة شخصية كلوليا Cleolia لكي تكتمل تلك اللوحة الوطنية الرائعة الزاخرة بالتضحية والفداء . وكلوليا هي فتاة رومانية نبيلة قيل إنها — بعد حادثة تحطيم القنطرة — وقعت مع فتيات أخريات في يد بورسينا كرهينة أو قف الحرب ، لكنها هربت من المعسكر الإتروسكي وسبحت عبر نهر التيبر حتى وصلت إلى مدينة روما (راجع الكتاب الثاني ، الفصل الثالث عشر من تاريخ تيتوس ليفيوس) .

(١٤٨) قلعة تاربيا : راجع حاشية ٨٥ أعلاه .

(١٤٩) أراد فرجيليوس أن يزيد من روعة اللوحة الفنية فجمع بين الكابيتولينوس الشاهقة Celsa Capitolea وكوخ رومولوس المنخفض Casa Romuli : بين الكابيتولينوس ذي الأروقة المطلية جدرانها وأعمدتها بالذهب الخالص والكوخ المسقوف بالقش والذي واصل الرومان فيها بعد المحافظة على رونقه وتجديده في جميع العصور . كما يضفي على اللوحة أيضا مزيداً من الروعة والجمال تصوير جماعة الأوز ذي اللون الفضي . لكن لا يفوتنا أن نشير هنا إلى أن فرجيليوس ومعاصره فيتروفيوس Vitruvius يذكران أن كوخ رومولوس كان يقع فوق تل الكابيتولينوس ، بينما يذكر كل من ديونوسيوس الهاليكارناسي Dionysius Halicarnassus وفابيوس بيكتور Fabius Pictor أنه كان يقع فوق تل البالاتينوس .

(١٥٠) يروي تيتوس ليفيوس في الفصل السابع والأربعين من الكتاب الخامس أن مانليوس — البارع في فنون الحرب — إستولى عليه النعاس أثناء حراسته لقلعة تاربيا الواقعة على الكابيتولينوس ضد هجوم القبائل الغالية فأيقظته صيحات الأوز — الطائر

المقرب لتربة جونو – الذى كان يمرح فى رحاب معبد جوبيتر كابيتولينوس ، وهكذا استطاع الرومان الدفاع عن القلعة فى عام ٣٨٧ق.م .

(١٥١) إذا كان الليل حالك الظلمة والظلام كثيف للغاية فإن السطور التالية التى يصف فيها فرجيليوس هيئة المحاربين الغالبين – قد تبدو غير متناسقة مع ما قبلها لكن هكذا أراد فرجيليوس سواء عن قصد أم عن غير قصد .

(١٥٢) الألبية Alpina : أى الغالية ، نسبة إلى القبائل التى كانت تسكن بلاد الغال .

(١٥٣) جماعة السالى Salii ، راجع حاشية رقم ٥٩ أعلاه .

(١٥٤) جماعة اللوبركى Luperci ، هم مجموعة من الراقصين كانوا يشتركون فى احتفالات اللوبركاليا Lupercalia التى كانت تقام فى روما فى اليوم الخامس عشر من شهر فبراير من كل عام تكريما للإله فاونوس الذى كان يعبده الرومان تحت اسم لوبركوس Lupercus والذى كان مقره كهف لوبركال الواقع فوق تل البالاتينوس .

(١٥٥) ربما المقصود هنا هم جماعة السالى أو الفلامينيس Flamines (وهم مجموعة مكونة من خمسة عشر فردا ، يعمل كل منهم كاهنا لإله معين مثل جوبيتر أو مارس . . . . الخ) ، إذ كان كل فرد من أفراد هاتين الجماعتين يضع فوق رأسه لباسا يعرف بالأبكس apex ، مصنوع من أخشاب شجرة زيتون ومثبتا بشرائط من الصوف .

(١٥٦) هى مجموعة من الدروع بيضاوية الشكل عددها إثنى عشر تعرف بالأنكيليا ancilia . قيل إن واحدا من هذه الدروع هبط من السماء أثناء حكم الملك نوما Numa للدلالة على أن حكم مدينة روما وسلطانها قد أصبح مستقراً . أما الأحد عشر درعا الآخرين فقد قيل إن نوما قد أوصى بصنعها ووضعها جنبا بجنب مع الدرع الذى هبط من السماء حتى يصبح من الصعب سرقة ذلك الدرع المقدس الذى يحفظ المدينة ويباركها . وكان جماعة السالى هم الذين يقومون بحراسة هذه الدروع المقدسة .

(١٥٧) بعد احتلال مدينة فيى Veii عام ٣٩٢ق.م. أراد كاميللوس Camillus أن يفى بعهده ويقيم معبدا للإله أبوللون ، لكن الحكومة كانت تعانى أزمة مالية من جراء الحرب الطويلة التى خاضتها . عندئذ تطوعت أمهات المحاربين وبقية النسوة

بمصوغاتهن وحليهن لإقامة المعبد . واعترافا بما قامت به النسوة من واجب وطنى أصدر مجلس الشيوخ قرارا يعطى نساء روما الحق فى أن يركبن عجلات حربية وثيرة ويطفن فى شوارع المدينة ليقدن الاحتفالات الرسمية (راجع تيتوس ليفيوس ، الكتاب الخامس ، الفصل الخامس والعشرين ؛ هوراتيوس ، الأغانى ، الكتاب الثانى ، القصيدة الأولى ، سطر ١٩٢) .

(١٥٨) ينتقل الشاعر الآن من عالم البشر إلى العالم الآخر ، فيشرح كيف صور إله النار تارتاروس وبوابات ديس ، وهى أماكن فى العالم الآخر . ثم يضيع جنبا لجنب شخصيتين متناقضتين : الأولى شريرة — كاتيلينا — والثانية خيرة — كاتو (انظر الحاشيتين التاليتين) .

(١٥٩) كاتيلينا هو لوكيوس سرجيوس كاتيلينا L. Sergius Catilina الذى تآمر ضد حكومة روما ، واكتشف الخطيب الرومانى المعروف شيشرون Ciceron ، مؤامرته . قتل كاتيلينا فى ميدان القتال عام ٦٢ ق . م . وقيل إنه لقى جزاء خيانته فى الجحيم بأن قيد فى صخرة غير ثابتة آيلة للسقوط . بحيث يحسبها الناظر أنها سوف تهبط من أعلى فتتحطم ويتحطم معها جسد كاتيلينا — بينما دأبت ربات الغضب Furiac على تعذيبه .

(١٦٠) كاتو هو ماركوس بوركيوس كاتو M. Porcius Cato الذى عرف بلقب أوتيكنسيس Uticensis ، لأنه انتحر فى بلدة أوتيكا Utica الواقعة فى شمال أفريقيا عام ٤٦ ق . م . بعد معركة ثابسوس Thapsus وقد بلغ من العمر ٤٩ عاما .

(١٦١) وجدت أعمال فنية صورتها كل منظر من المناظر المتعددة التى يتخيلها فرجيليوس منقوشة على درع آينياس .

(١٦٢) هنا يصل القارىء إلى مناظر لابد وأن فرجيليوس كان يهتم بها اهتماما بالغا ، إذ أنها تصور الانتصارات التى حققها الإمبراطور أوغسطس (راجع مقدمة المجلد الأول ، ص ١٩) .

(١٦٣) راجع المجلد الأول ، ص ١٨ .

(١٦٤) ليوكاتى Leucate ، نتوء بحرى يبرز فى البحر الأيونى فى جنوب جزيرة ليوكاس Leucas القريبة من أكتيوم .

(١٦٥) المقصود هنا هو تصوير مدى قوة أوغسطس وعزمه كمقاتل مغوار .

(١٦٦) أجريبا هو ماركوس فيبسانيوس أجريبا M. Vipsanius Agrippa ، الذى كان قائداً للأسطول الرومانى أثناء معركة أكتيوم . توفى عام ١٢ ق . م .

(١٦٧) المقصود بشعوب أورورا Aurora (=الفجر) هم البارثيون Parthi الذين هزمهم أحد قواد أنطونيوس ويدعى فنتيديوس Ventidius عام ٣٩ ، ٣٨ق.م. رغم أن أنطونيوس نفسه هزم على يد البارثيين عام ٣٦ق.م. ، لكنه نجح في هجومه على أرمينيا عام ٣٤ ق.م.

(١٦٨) المقصود بالشاطئ الأحمر Litus rubrum هو شاطئ البحر الإروثري mare Erythraeum أي المحيط الهندي وليس – كما يرى بعض المعلقين المحدثين – البحر الأحمر.

(١٦٩) ربما يكون المقصود بأقاصي باكترا هو جزء من منطقة أفغان في آسيا .

(١٧٠) الزوجة المصرية هي كليوباترا . كان الرومان يعتبرون زواج الرومان من امرأة بربرية عارا وشنارا . ولقد عبر عن ذلك الشاعر الروماني هوراتيوس في السطر الخامس من القصيدة الخامسة من الكتاب الثالث من مجموعة الأناشيد . كما أن الرومان كانوا يستهجنون فكرة الزوجة التي تلاحق زوجها أثناء قيامه بمهمة رسمية أو أثناء تأدية وظيفته خارج مدينة روما . ولقد عبر عن ذلك المؤرخ الروماني تاكيتوس في الفصل الثالث والثلاثين من الكتاب الثالث من الحوليات . أضف إلى ذلك أن الرومان في عهد أنطونيوس كانوا يشعرون أن كليوباترا إنما هي ملكة روما في المستقبل .

(١٧١) الكوكلاديس Cyclades هي مجموعة من الجزر تقع في البحر الإيجي قيل إن السفن التي اشتركت في القتال بالقرب من هذه الجزر كانت من النوع الضخم .

(١٧٢) هي سفن ضخمة ذات قلاع قوية شاهقة. كانت أغلب سفن أنطونيوس من ذلك النوع ، أما سفن أوغسطس فكانت أكثر عددا وأسرع حركة من سفن منافسه .

(١٧٣) المقصود بالملكة هنا هي كليوباترا . أما الشخشيخة sistrum فهي من الأدوات الخاصة بالربة المصرية إيزيس، كانت مصنوعة من المعدن وتستخدم أثناء الاحتفالات الخاصة بعبادة الربة .

(١٧٤) يشير فرجيليوس هنا إلى انتحار الملكة كليوباترا فيما بعد .

(١٧٥) أنوبيس Anubis ، الإله المصري القديم ، الذي صوره القدماء في صورة إنسان له رأس كلب .

(١٧٦) إن مهمة الإله مارس هي أن يشعل نار الحرب ، لكنه لا يشترك اشتراكا

فعليا فى القتال . لذلك يتخيل فرجيليوس مارس ثائرا صائحا يغدو ويروح « وسط » المقاتلين ، يعاونه فى أداء مهمته ربات الشر Dirae ، وربة النزاع Discordia ذات الشعر المهلهل الذى يرمز للوقيعة بين المتخاصمين وتفريق شمل المجتمعين ، وبللونا Bellona إلهة الحرب عند الرومان .

(١٧٧) كان يوجد معبد لأبوللون على قمة أكتيوم ، من هنا جاء لقب الإله أبوللون أكتيوس Apollo Actius . لهذا لم يجد فرجيليوس بأسا من أن يجعل أبوللون يتدخل أثناء ذلك الصراع . وبعد معركة أكتيوم أعاد أوغسطس بناء المعهد وقرر إقامة مهرجانات سنوية تكريما للإله أبوللون فى نيكوبوليس Nicopolis فى منطقة إبيروس Epirus عرفت بالمهرجانات الأكتية Actia .

(١٧٨) هؤلاء هم الشعوب الذين أرغمهم أنطونيوس على مساندته فى القتال (راجع سطر ٦٨٥ أعلاه) . فى هذه الفقرة جعل فرجيليوس شعوب الشرق جميعها تساعد أنطونيوس فى القتال . لكن هذه مبالغة قد يكون لها مبرر واحد فقط : هو الإشادة بمقدرة أوغسطس وبراعته الحربية التى جعلته ينتصر على كل تلك الشعوب مجتمعة .

(١٧٩) كانت الملكة كليوباترا أول الفارين من ميدان القتال ، وإنها لم تنتظر حتى يفرد الرجال أشرعة سفينتها بل فعلت ذلك بنفسها .

(١٨٠) هذا العدد مبالغ فيه دون شك ، فلم يكن عدد المعابد الكائنة فى مدينة روما يتعدى المائتى معبد . لكن فرجيليوس لا يحيد كثيرا عن الصواب ، فان تيتوس ليفيوس يقول فى الفصل العشرين من الكتاب الرابع إن الامبراطور أوغسطس قد بنى أو أعاد بناء جميع معابد روما .

(١٨١) المقصود هنا هو الامبراطور أوغسطس . اعتاد القائد الرومانى المنتصر أن يتخذ مكانه أمام أحد المعابد الرئيسية فى المدينة ويؤتى بقواد الأعداء المهزومين صفا صفا يمثلون بين يدى المنتصر ويقدمون له الهدايا فى خضوع وهكذا جلس أوغسطس عند مدخل معبد أبوللون (= فويبوس Phoebus) المصنوعة من الرخام الناصع البياض كعادة الرومان .

(١٨٢) مولكيبر Mulciber ، هو اسم آخر للإله فولكانوس صانع درع آينياس .

(١٨٣) الجنس النومادى genus Nomadum هم أفراد بعض القبائل الذين كانوا يحترفون الرعى فى شمال أفريقيا .

(١٨٤) غير المتمنطقين discineti : كناية عن الأفريقيين إذ أن بعض القبائل الأفريقية لم يكن يلبس المحارب منهم زنار أو حزام أثناء القتال . لكن هذه الصفة قد استعملت عند بعض كتاب اللاتين للإشارة إلى المحاربين المهزومين فى القتال .

(١٨٥) الليليجيون Lelegae والكاريون Carae هم من أقدم القبائل التى عاشت فى كاريا Caria بآسيا الصغرى . أما الجيلونيون Geloni فهم قبائل عاشت فى الأصل فى منطقة سكوثيا Scythia ، عرفوا باستخدام السهام فى ميادين القتال .

(١٨٦) هذه مبالغة شعرية فى تصوير الهزيمة : فحتى النهر قد انكسرت شوكته فأصبحت أمواجه هادئة غير مندفعة .

(١٨٧) شعب كان يسكن منطقة تعرف بالمنطقة البلجيكية الثانية Belgica Secunda وهى الآن مضيق كاليه Pas de Calais .

(١٨٨) ذوالقرنين Bicornis ، أى ذو المصبين وهما الرين Rhine والفال Waal . والمقصود هنا الشعوب التى كانت تسكن حول ذلك النهر .

(١٨٩) الداهاى Dahae هم قبائل من الرعاة كانوا يسكنون على الشاطىء الشرقى لبحر قزوين عبر منطقة هوركانيا Hyrcania . والمقصود هنا بالصفة « غير مستأنسة » هو أن تلك القبائل لم يكن بينها وبين القبائل الأخرى علاقات ود وإخاء .

(١٩٠) يذكر المعلق القديم سرفيوس Servius أن الاسكندر الأكبر أقام قنطرة نهر أراكسيس Araxes لكن الأمواج حطمتها . ثم أقام أوغسطس بعد ذلك فوق نفس النهر قنطرة قوية لم تستطع الأمواج تحطيمها .

الكتاب التاسع

د. محمد حمدي إبراهيم

بينما كانت تلك الأحداث تدور داخل المعسكر الآخر، أرسلت «جونو» ابنة ساتورنوس إريس من السماء إلى تورنوس الجسور. فى تلك الأثناء كان تورنوس جالسا بمحض الصدفة فى دغل سلفه بيلومنوس (١) بالوادى المقدس، وإليه وجهت ابنة ثاوماس (٢) الحديث بشفتيها القرمزيتين هكذا: «أى تورنوس، ها قد أثبت لك الزمان الذى لا يكف عن الدوران من تلقاء نفسه أن أحدا من الآلهة لم يجرؤ على أن يعد بشئ ضد رغبتك، فإن «آينياس» الذى ترك مدينته وأنصاره وأسطوله طفق يسعى إلى صولجان إيفاندروس البلاتينى وعرشه، ولم يكتف بهذا بل توغل فى مدن كوروثوس (٣) القاصية وسلح حشداً من أهل لوديا الذين جمعوا من بين المزارعين. فلماذا يتطرق إليك الشك؟ فالآن حان الوقت لحشد خيولك ولجمع عرباتك الحربية، هيا فاقض على كل تردد وتلكؤ! وانقض على معسكره بينما الفوضى ضاربة فيه».

قالت هذا ثم ارتفعت إلى عنان السماء بجناحيها المتوازيين، وكانت فى تحليقها تشق الأفق المترامى تحت السحب. وعلى الفور تعرف عليها الشاب (تورنوس) فرفع كلتا يديه نحو النجوم وتابع طيرانها (متمتما) بهذه الكلمات:

«أى إريس، يا بهجة السماء، من ذا الذى بعث بك إلى مندفعة من بين طيات السحب إلى الأرض؟ ومن أين (انبعث) فجأة هذا الضوء الباهر فى الأفق؟ لقد أبصرت فإذا بصفحة السماء تنشق من وسطها والكواكب

شكل (٣٤)
ايريس : ربة النزاع والخصام

السيارة فى قبتها (الزرقاء) . وإنى لمتبع كل تلك النذر أيا كنت يامن تدعونى إلى حمل السلاح » . قال هذا ثم توجه إلى النهر فتناول المياه الجارية من صفحته وأخذ يبتهل طويلا إلى الآلهة ويثقل الفضاء بدعواته العديدة .

وهاهو جيشه يسير الآن بأسره خلال السهل الفسيح ، يغص بالخيول ويزدان عن ثراء بالملابس الموشاة بالذهب. كان ميسابوس يهيمن على طليعة الجيش وأبناء تورهوس على مؤخرته بينما كان تورنوس يقود منطقة الوسط يدور فيها قابضا على أسلحته وهامته الفارعة ترتفع فوق الجميع : مثل نهر جانجيس (٤) العميق الساكن يستمد مياهه من سبعة روافد هادئة ، أو مثل نهر النيل بمياهه مانحة الخصب حينما انحسر فيضانه عن

السهول واقتصر الآن على مجزاه . وهنايتبين للتيوكريين أن سحابة مباغتة تثير زوبعة من الغبار الداكن وأن الظلام يخيم على السهول ، وكان كايكوس أول من صرخ محذراً من الاستحكامات المقابلة : « بنى وطنى ! أى سحابة هذه التى تلتف بغبارداكن ؟ امتشقوا أسلحتكم فوراً ، تناولوا الرماح ، اصعدوا فوق الأسوار ! هلموا ! فإن العدو قد صار قاب قوسين أو أدنى » . وخلف الأبواب كلها تحصن التيوكريون وهم يطلقون صيحات مدوية وقد غصت بهم الأسوار . ذلك أن آينياس كان قد أمرهم عند رحيله فى كامل عدته الحربية بالآتى : إذا ماتصادف ووقع أمر من الأمور أثناء غيبته فعليهم ألا يقدموا على تنظيم صفوف جيشهم وألا يركنوا للسهل بل عليهم أن يحموا معسكرهم وأسوارهم التى يضمن سلامتها حاجز كبير . وعلى ذلك ، فرغم أن الحياء والغضب كانا يغريانهم بخوض غمار الحرب ، إلا أنهم أوصدوا الأبواب تلبية لأوامره وقبعوا بأسلحتهم داخل الأبراج المجوفة فى انتظار العدو .

أما تورنوس فقد اندفع بسرعة فى مقدمة جيشه الكثيف مصحوباً بعشرين من فرسانه المختارين واقترب من المدينة على غير انتظار ممتطياً صهوة جواد ثراقى مرقط ببقع بيضاء ومرتدياً خوذة ذهبية ذات ريش قرمزى . وهتف قائلا : «أيها الفتيان هيا ! من سيأتى معى أولا لنزال العدو؟ » . ثم هز رمحه بعنف وقذفه فى الفضاء إشارة إلى بدء المعركة واندفع كالطود إلى ساحة الوغى . وبالصياح انطلق أنصاره وتبعوه بصيحات تقشعر لها الأبدان ، عجبوا لعزمة التيوكريين المتقاعسة لأنهم لم يلقوا بأنفسهم مثلهم فى ساحة القتال ولم يحمل صناديدهم السلاح للنزال بل قبعوا فى معسكرهم . وهنا وهنالك طفق (تورنوس) يتفحص الأسوار متجهماً على صهوة جواده بحثاً عن منفذ غير مطروق : ومثلما ينصب الذئب كميناً لحظيرة تغص بالخراف ويعوى تجاهها متحملا وطأة الريح والمطر فى منتصف الليل بينما الحملان تثغو آمنة مطمئنة تحت أمهاتها ، فى حين يزمجر (الذئب) غاضباً فى فظاظة ووحشية تجاه فرائسه الغائبة ومع طول الوقت يتأجج

غضبه رغبة فى التهام فريسته ويتحرق فكاه شوقا إلى سفك الدماء ـ هكذا تماما اشتعلت نيران الغضب فى قلب الروتولى (٥) وهو يجوس بناظريه عبر الأسوار والمعسكر ، تزداد وطأة الكرب على عظامه الصلبة وهو يفكر فى طريقة يجد بها منفذاً إليهم وفى قوة يزحزح بها التيوكريين المتحصنين بالحاجز ويلقى بهم إلى السهل الفسيح . وفجأة اندفع نحو أسطولهم الذى كان مختفى بجوار أحد جوانب المعسكر محاطاً من كل جانب بالمتاريس وبمياه النهر ، ثم يصيح فى طلب المشاعل من رفاقه الظافرين وبشغف أطبق بيده على شعلة متوهجة من خشب الصنوبر . عندئذ ألقوا بكل ثقلهم (فى المعركة) وزادهم حضور تورنوس حماساً فتزود كل شاب بشعلة فاحمة ، وإذ سلبوا المواقد من نيرانها أخذ نور قاتم ينبعث من المشاعل التى يتصاعد منها الدخان وأخذ فولكانوس يقذف بحممه التى يختلط فيها الرماد بالنار إلى عنان السماء .

خبرينى أيتها الموسيات(٦) ، أى إله أبعد عن التيوكريين مثل هذه الحرائق المخيفة ؟ ومن ذا الذى درأ عن أسطولهم مثل هذا الطوفان من اللهب ؟ فإن هذه الواقعة تنتمى إلى الماضى السحيق رغم أن شهرتها قد خلدت عبر الأزمان . فى الوقت الذى بدأ فيه آينياس فى إنشاء أسطوله فوق جبل إيدا بفروجيا وأخذ يعده للانطلاق فى عرض البحر ، روى أن بريكونتيا(٧) نفسها ، أم الأرباب ، قد خاطبت جوبيتر العظيم بهذه الكلمات : « أى بنى ، الآن وقد تم لك إخضاع جبل أولومبوس ، حقق لأمك العزيزة ما ترغب فى طلبه منك : فوق ذروة جبل شاهق كانت هناك غابة من أشجار الصنوبر تكون دغلا مقدسا ظل محببا إلى أعواما عديدة ، إذ كانت تظلله أشجار الشربين الداكنة وأغصان من شجر الاسفندان حيث تقدم إلى القرابين المقدسة . ولقد منحت هذه الأشجار وأنا قريرة الفؤاد إلى الشاب الداردانى حينما احتاج إلى أسطول ، غير أن خوفا مشوباً بالقلق يقض الآن مضجعى . فخلصنى من مخاوفى ودع والدتك عن طريق توسلاتها تحظى بهذا : ألا تتحطم هذه السفن فى أية رحلة وألا تقهرها الرياح العاصفة ، وأن تكون ذات فائدة وعون مادامت قد شيدت على ذرى جبالنا » .

ورد عليها ابنها الذى يسير كواكب الكون فى أفلاكها قائلا : « أماه ، لأية غاية تبتهلين إلى الأقدار ؟ أم ماذا تبغين بكلماتك هذه ؟ أفهل تحظى سفائن فانية بحق هو للخالدين أو يتعرض آينياس الذى يحفظه (الأرباب) لأخطار مجهولة ؟ أى رب أتيحت له مثل هذه القدرة العظيمة ؟ ومع ذلك فعندما يقضى الأمر وتحين الساعة وعندما تبلغ السفن غايتها وتصل إلى الموانى الأوسونية ، فأيا كانت السفينة التى ستقهر الأمواج مقلة القائد الداردانى إلى حقول لاورنتيا فسوف أنزع عن السفن صورتها الفانية وأصدر أمرى بأن تتحول إلى ربات للبحر الشاسع مثل بنات نيريوس — دوتو وجالاتيا — اللائى تشق كل منهن بصدرها صفحة البحر المزبد» : قال هذا ثم أومأ برأسه إشارة إلى أن ذلك قد صادقت عليه أنهار شقيقه الاستوجى (٨) التى تموج شواطئها بسيول من القار والدوامات الداكنة ، وبتلك الإيماءة جعل جوبيتر الأولومبوس بأسره يهتز فرقا .

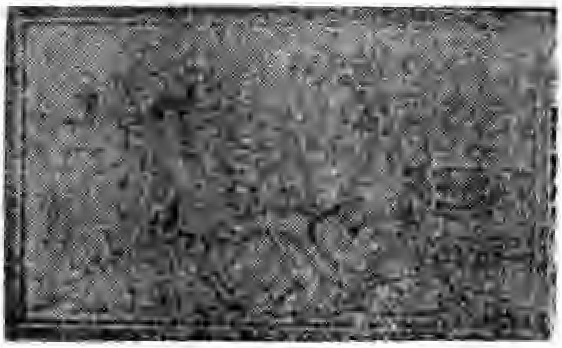

شكل (٣٥)
سفن آينياس الراسية على الشاطىء تتحول الى حوريات للبحر

وها قد حل اليوم الموعود وأكملت ربات القدر الفترة الزمنية المحتومة حينما نبه عدوان تورنوس الغاشم الربة الأم إلى أن تدرأ عن سفنها المقدسة خطر المشاعل. وهنا ولأول وهلة انبعث ضوء ساطع يخطف الأبصار وظهرت من جهة الشرق سحابة هائلة تندفع مسرعة عبر السماء وهى تحمل جوقة إيدية (٩) ، ثم دوى فى الفضاء صوت مزلزل مخيف تردد صداه بين

بجيوش كل من الطروادبين والروتوليين : « أيها التيوكريون ، لا تتعجلو فى الدفاع عن سفائنى ولا تمدوا أيديكم للسلاح : فلسوف يحق لتورنوس أن يشعل البحار ناراً قبل أن يتمكن من إحراق سفنى هذه المصنوعة من أشجار الصنوبر المقدسة . أما أنت ، أيتها السفن(١٠) ، فهلم إلى طليقة ! هلم أقبلى فى صورة الحوريات فبهذا تأمر الربة الأم » . وسرعان ما حطمت كل سفينة الأغلال التى تقيدها إلى الشاطىء واتجهت مثل الدلفين إلى عرض البحر ومقدمتها غائصة ، ثم اتخذت لأنفسها — ويالها من ظاهرة خارقة — هيئة رهط من العذارى بمقدار عددهن عندما كن قبلا سفنا ذات مقدمات برونزية مصفوفات على طول الشاطىء، وفى الحال امتطين صهوة البحر .

صعقت عقول الروتوليين وألم بميسابوس نفسه فزع عظيم حينما جمحت خيوله وتوقف النهر عن الجريان مردداً صوتاً مزعجاً ، وحينما أخذ نهر التيبر يسترد مياهه من البحر . لكن الثقة أبداً لم تفارق تورنوس الجسور ، فهو تارة

شكل (٣٥)
قوات الروتوليين تحاصر معسكر اينياس

يشد أزر رجاله وتارة يوبخهم بكلماته : « إن هذه النذر تشير بلا ريب إلى الطروادبين وإن جوبيتر نفسه قد حرمهم من تعضيده المعتاد دون انتظار لرماح ومشاعل الروتوليين . ذلك أن طريق البحر قد غدا الآن موصدا فى وجه التيوكريين ولم يعد لديهم أى أمل فى الفرار منه وبذا يكون أحد

الجوانب قد سلب منهم، أما جانب الأرض فقد صار فى قبضتنا وها قد خفت لنصرتنا آلاف عديدة مدججة بالسلاح من الشعوب الإيطالية. إن الجزاء المحتوم من جانب الآلهة لايرعبنى فى شىء مهما كانت المزاعم التى يسوقها الفروجيون مقدماً، حسب أفروديتى والأقدار ماناله بوصول الطرواديين إلى حقول أوسونيا الخصيبة، فنى مقابل هذا لى أقدارى التى تسيرنى أيضا : وهى أن أستأصل بسيفى شأفة ذلك الجنس المدنس بالإثم بعد أن سُلبت منى زوجتى. أفلا تأخذ الحمية سوى أبناء أتريوس (١١) ولا يسمح بحمل السلاح إلا لموكيناى؟ أولم يكتفوا باندمار الذى حاق بهم ذات مرة ؟ أولم يكفهم أن ارتكبوا قبلا هذا الجرم بحذافيره كى يحسوا بالمقت الشديد نحو جنس النساء كله ؟ أو يمكن أن تبعث فيهم الشجاعة ثقة كهذه فى سد يقوم بيننا وفى خنادق موقوتة — وما أوهاها من حاجز عن الردى ؟ — أو لم يروا إلى أسوار طروادة التى شيدتها يد نبتونوس وقد هوت طعمة للنيران ؟ !!! أما أنتم، أيتها النخبة المختارة، فمن منكم يتأهب لتمزيق سدهم بالزرد، ومن يغزو معى معسكرهم الذى يموج بالاضطراب؟ فكى أجابه التيوكريين لست بحاجة إلى عدة حربية من فولكانوس ولا إلى ألف سفينة (١٢) — وليتخذوا فى التو جميع الإتروسكيين حلفاء لهم — فليس لهم أن يفرقوا من الظلمات الحالكة أو يخشوا من سرقة تمثال البالاديوم! بخسة ونذالة بعد ذبح حراس برجه الشامخ، فلسنا بمختبئين فى جوف الحصان (الخشبى) حيث الظلمة بل قررنا أن نطوق أسوارهم بالنيران جهاراً نهاراً (١٣). وسيدركون أنه لم يكن شيئا يذكر ماحاق بهم على يد الداناثيين والغلمان من نسل بيلاسجوس الذين تصدى لهم هكتور وأعاقهم لسنوات عشر. والآن حيث أن الجزء الأكبر من اليوم قد انصرم فانمابقى يارجالى — طالما أن الأمور قد سارت على ما يرام — هو أن تريحوا مغتبطين أجسادكم وأن تنتظروا القتال وأنتم على أهبة الاستعداد».

فى تلك الأثناء عُهد إلى ميسابوس بمهمة بث الحراس اليقظين حول البوابات وبتطويق أسوارهم المحصنة بالمشاعل الملتهبة. واختير أربعة عشر

من الروتوليين كى يراقبوا الأسوار يسير خلف كل منهم مائة شاب يهتز الريش الأرجوانى فوق خوذاتهم ويبرقون بالذهب الموشى . أخذوا يجولون هنا وهنالك يتبادلون نوبات الحراسة أو يسترخون على العشب وينغمسون فى احتساء النبيذ حتى يفرغوا طاسهم البرونزى عن آخره ، فترى المشاعل تتلألأ متجاورة وترى الحراس يمضون الليل الذى لانوم فيه فى لهو ولعب.

كان الطرواديون من فوق سدهم يتطلعون إلى مايدور وهم يحرسون بأسلحتهم مراكز الحراسة المرتفعة ولم يغفلوا عن فحص البوابات يحدوهم فى ذلك ذعر بالغ ، وأخذوا يربطون مواقعهم الدفاعية بعدد من الجسور وهم يحملون حرابهم وأخذ كل من منسثيوس وسيريستوس العنيف فى حثهم ، إذ كان الأب آينياس قد أمر بأن يتوليا زعامة الشباب وأن يتصرفا فى الأمور إذا ما تطلبت ذلك ظروف معاكسة . وكان الجيش كله وقد ألف بينه الخطر المشترك يتبادل بالاقتراع نوبات الحراسة على الأسوار وكل منهم ينفذ ماألقى به على عاتقه من مهام الحراسة .

كان نيسوس بن هورتاكوس أشد ما يكون ضراوة فى عدته الحربية وهو يقوم بحراسة البوابة ، وكانت إيدا الماهرة فى الصيد قد بعثت به رفيقا لآينياس لسرعته فى قذف النشاب والسهام الخاطفة ، وإلى جانبه رفيقه يوروألوس الذى لم يكن هناك أحد آخر من بين رفاق آينياس يفوقه بهاء أو رشاقة فى ارتداء عدة الحرب الطروادية ، فهو فتى تتلألأ نضرة الشباب فى وجنتيه غير الحليقتين . كان ولعهما (بالحرب) واحداً وكانا يهرعان إلى القتال يحدوهما حماس متكافئ . لذلك كانا حينئذ يتخذان مكانين متجاورين أيضا فى حراسة البوابة . قال نيسوس : « أى يوروألوس ، هل الآلهة هى التى تشعل جذوة الحماس فى نفوسنا ؟ أم أن الإله الذى يسير كل إنسان هو رغبته العارمة ؟ إن عقلى يحدثنى منذ أمد بعيد إما بخوض المعركة أو بالإقدام على أمر جد عظيم ، ذلك أننى غير مقتنع بالتراخى والاستكانة . وها أنت ترى مدى الثقة التى تسيطر على الروتوليين فى تصريفهم للأمور ، فها هى أنوارهم تبرق هنا وهناك وقد اضطجعوا

للنوم وانغمسوا فى الشراب ، وإن ستاراً من الصمت ليخيم على مواقعهم. واعلم فضلا عن ذلك مايساورنى من شك وكذا الفكرة التى انبثقت الآن فى ذهنى : أن يستدعى آينياس وأن يلح الجميع شعبا وقادة فى أن يوفد إليه رسل كى ينبئوه بحقيقة الأمر ، فاذا ماتعهدوا لك (بتحقيق) مطلبى — ذلك أنه يكفى من المأثرة ذيوع صيتها — فأعتقد أن بوسعى العثور على طريق أسفل ذلك التل يفضى بى إلى أسوار وتحصينات بالانتيوم » .

بهت يوروألوس واستبدت به رغبة ملحة فى الثناء (على هذه الفكرة) غير أنه فى الوقت نفسه خاطب صديقه المتحمس بهذه الكلمات: « أفتحجم إذن ، يانيسوس ، عن أن تتخذنى رفيقا لك فى هذه الأمور الجسام ؟ ألبعث بك وحيداً إلى مثل هذه المخاطر ؟ مثل هذا لم يعلمه لى أبى أوفيلتيس المتمرس بالحروب! أنا الذى شببت عن الطوق وسط ذعر أرجوليس ونكبات طروادة ، وأبداً لم أقم بأمر كهذا فى رفقتك حينما تبعت آينياس عالى الهمة وأقداره إلى أبعد مدى ، وإن نفسى التى بين جنبى لتزدرى نور الحياة وتتوق إلى ذلك الشرف الذى تسعى أنت إليه والذى أعتقد أن الحياة تسترخص فى سبيله » . أما نيسوس فرد عليه قائلا : « كلا وأيم الحق : لم يكن الخوف ليساورنى بشأنك من هذه الناحية بل ليس لى الحق فى ذلك ، كلا ! وليردنى ظافرا إليك جوبيتر العظيم أو أى رب آخر يشهد بعين حانية ما نحن فيه . ولكن إذا ما ساقتنى الصدفة أو أى إله إلى الهلاك — ومثل هذا تراه كثيرا فى أوقات الخطر — فإن رغبتى هى أن تظل على قيد الحياة لأن سنك أكثر استحقاقاً منى للحياة . دعنى أترك شخصاً كى يوارينى الثرى إذا ما اختطفتنى يد المنون فى المعركة أو إذا ما افتديت بفدية ، أو كى يقوم — إذا ما أبى القدر ذلك — بالطقوس الجنائزية لجثمانى الغائب وكى يزين قبرى حسب العادة المرعية . فلا تجعل منى سبب حزن جم لوالدتك التعسة التى — من بين أمهات عديدات — ستجد الجرأة ، يابنى ، على أن تلحق بك بمفردها (إلى الموت) غير عابئة بأسوار أكستيس العظيم» (١٤) . لكن هذا قال : « عبثا تنسج خيوط أسباب واهية فإن

رأيى الآن كما كان قبلا ولم يتزحزح قيد أنملة : هيا بنا فى الحال » . وفى الوقت نفسه أيقظ الحراس الذين حلوا محلهم فى الاضطلاع بنوبة الحراسة ، وبعد أن ترك موقعه انطلق بنفسه فى رفقه نيسوس وسعيا نحو الملك .

كانت الكائنات الأخرى فى أرجاء الأرض تتخفف من متاعبها بالنوم وقد نسيت قلوبها الشقاء ، لكن زعماء التيوكريين ونخبة شبابهم ما زالوا يتداولون فى مجلسهم بشأن أمور الدولة الجسام : ماذا عساهم بفاعلين ! أومن يكون رسولهم إلى آينياس فى هذه الساعة ! وفى الوسط ما بين المعسكر والسهل وقفوا مرتكزين على حرابهم الطويلة ومهيمنين على تروسهم . وعندئذ توسل نيسوس ومعه يوروألوس أن يسمح لهما بذلك على جناح السرعة (زاعمين) أن المهمة جد خطيرة وأن فى

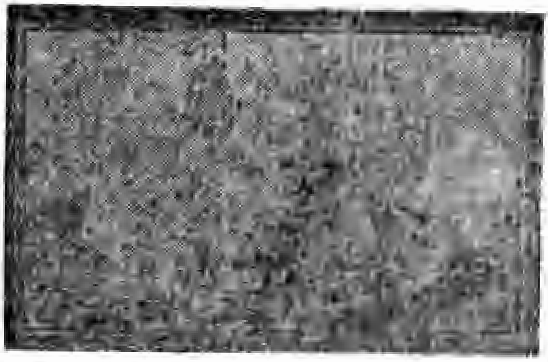

شكل (٣٧)

يوروالوس ونيسوس يتشاوران مع ايولوس بن آينياس اثناء حصار الروتوليين لمعسكر الطروادين .

إمكانهما تعويض التأخير . كان إيولوس أول من استقبلهما فى هرولتهما فأمر نيسوس بالحديث ، وتكلم ابن هورتاكوس (١٥) على النحو التالى: « أى رفاق آينياس ، استمعوا إلينا بعقول لايشوبها التحيز ولا تحكموا على هذه المقترحات التى نحملها بسنوات عمرنا : إن الروتوليين قد هجعوا للراحة بعد استرخائهم للنعاس وانغماسهم فى الشراب ، ولقد لاحظنا بأنفسنا موضعا صالحا لنصب كمين لهم ، يقع عند مفترق طريقين ويبدأ

من البوابة التى هى أقرب ماتكون إلى البحر ، وأن مشاعلهم قد ضارت إلى خفوت وأخذ الدخان القاتم يتصاعد منها نحو النجوم . فإذا ما أذنتم لنا بانتهاز هذه الفرصة فستبصرون ها هنا بعد وقت وجيز آينياس — الذى سنذهب للبحث عنه عند أسوار باللانتيوم — مصحوباً بالغنائم بعد انتهاء المذبحة الرهيبة ولن يخدعنا الطريق ونحن فيه سائرون ، إذ أننا شاهدنا معالم المدينة (عند خروجنا) المستمر للصيد فى الوديان الظليلة كما تعرفنا على مجرى النهر حتى نهايته » .

رد على هذا أليثيس ذو الرأى الناضج والذى أثقلت كاهله السنون قائلا : « أى آلهة وطنى ، يامن ظلت طروادة دوما تحت رعايتكم المقدسة ، ألا إنكم — رغم كل ماحدث — لاتنوون سحق التيوكريين تماما ، حيث أنكم قد بثثتم فى نفوس شبابنا مثل هذا الحماس المتقد ومثل هذا الجنان الثابت » . هكذا تحدث ثم تشبث بكتفى ويدى كل منهما وأجهش بدموع بللت محياه ووجنتيه وقال : « أيها البطلان ، أى جائزة يمكن اعتبارها جديرة بأن تغدق على كليكما لقاء مآثركما هذه ؟ إن أنفس مكافأة سوف تمنح لكما أولا من الآلهة ومن جميل سجاياكما ، أما الجوائز الأخرى فسيغدقها عليكما آينياس الورع بعد ذلك توا وكذلك أسكانيوس الذى لن ينسى أبدا — رغم أنه فى ميعة الصبا — مثل هذا الواجب الملقى على عاتقه » . وعقب أسكانيوس على ذلك قائلا : « أما أنا ، الذى تنحصر رغبتى الوحيدة فى عودة والدى سالما ، فبحق آلهة وطننا الجليلة ، يانيسوس ، وبحق ربة أسا راكوس الحارسة (١٦) ، وبحق أضرحة الربة فستا شهباء الشعر (١٧) ، وأيا كان قدرى ويقينى (فى سلامة أبى) فإننى أسلم نفسى إلى صدركما — أستحلفكما أن تجدا فى طلب والدى وألا تعودا إلا وهو معكما ، فعند عودته سيختفى كل كرب وحزن . ولقاء ذلك سوف أهبكما كأسين رائعتين من الفضة مزخرفتين بنقوش بارزة كان والدى قد حصل عليهما بعد دمار أرسيبا (١٨) ، وكذلك زوجين من المقاعد ثلاثية الأرجل (١٩) ، واثنين من التالنتات (٢٠) الذهبية الكبيرة ، وطاسا أثريا ثمينا كانت ديدو

الصيداوية قد وهبتني إياه . فإذا ما قيض لى حقا أن أظفر بالنصر وأن أستولى على إيطاليا وأظفر بالصولجان ، وإذا ما صار إلى أمر توزيع الغنائم —أفرأيت على أى جواد يكون تورنوس وفى أى عدة حربية يجول متألقا بالذهب ؟ فسوف أنتقى لك من الأنصبة ذلك الدرع ذاته مع الخوذة ذات الريش القرمزى : إنها الآن جائزتك فعلا يانيسوس . وفضلا عن ذلك فإن والدى سيهبكما إثنتى عشرة محظية تم انتخابهن بعناية فائقة من ذوات الفتنة ومعهن الأسرى الرجال بأسلحتهم علاوة على هذا السهل الذى يملكه الملك لاتينوس نفسه . أما أنت (٢١) ، أيها الشاب المبجل يامن يكاد عمرى يقترب من عمرك ، فإننى أضمك الآن إلى صدرى وأتخذ منك رفيقا فى كل الأمور وبدونك لن أنشد أية مأثرة من مآثرى ، وسواء كنت سأنعم بالسلم أم سأخوض غمار الحرب فإنك ستكون بخاصة موضع ثقتى قولا وعملا » . أما يوروألوس فقد رد عليه بالآتى : « ان تطلع شمس اليوم الذى سيبرهن على أننى لست أهلا لمثل هذه المخاطر البطولية مهما كان الحظ مواتيا أو القدر معاكسا . غير أننى أطلب منك جميلا واحدا فوق كل هذه الهبات : من سلالة برياموس العتيقة انحدرت والدتى ، ولم تكن أرض إليون ولا أسوار الملك أكيستيس لتمنع هذه التعسة من مرافقتى إلى هنا ، وانى أتركها الآن دون وداع ودون أن تدرى شيئا قط عن هذه المخاطرة : ألا فليكن الليل ويدك اليمنى شاهدين على هذا ، لأنه ليس بوسعى أن أحتمل عبرات والدتى ، وأستحلفك أن تقوم أنت بمواساة هذه البائسة ومد يد العون لها فى وحدتها . دعنى أحظى منك بهذا الأمل حتى أغدو إلى كل المهام وأنا أكثر ما أكون جرأة وإقداما » . بقلوب هزها الأسى أخذ الداردانيون يذرفون الدموع وقبل الجميع كان إيولوس الوسيم ، إذ أن هذه الصورة من البر بالوالدين قد مست شغاف قلبه فتحدث عندئذ على النحو التالى : « كن على ثقة من أنك ستنال كل ماهو جدير بأعمالك العظيمة ، لأن والدتك ستغدو من الآن أما لى ولن ينقصها (لتكون كذلك) سوى اسم كريوسا (٢٢) ، بل إن ثناء جما لينتظرها ، لأنها أنجبت ابنا مثلك . وأيا كانت المقادير

التى تصاحب هذه المهمة ، إننى أقسم برأسى هذا الذى تعود أبى قبلا أن يقسم به أن هذه الهبات التى وعدتك إياها ستصير بعينها الك ولوالدتك ولذريتك حال عودتك سالما وحالما تغدو الأمور على مايرام » .

هكذا تحدث وهو ينتحب ، وفى الوقت نفسه نزع عن كتفه حسامه المذهب الذى كان ليكاؤون الكنوسى (٢٣) قد صنعه بفن يدعو للاعجاب وأحكم وضعه بمهارة داخل غمده العاجى . أما منشيوس فقد منح نيسوس فراء وجلد ليث أشعث كما تبادل معه أبثيس الصادق الأمين خوذته . وبعد أن تسلحا على هذا النحو انطلقا من فورهما ترافقهما بالابتهالات فى مسيرتهما نحو الأبواب زمرة بأسرها من علية القوم شبابا وشيوخا ؛ كذلك زودهما إيولوس الوسيم – الذى كان يتحلى بعزم وهمة بطولية تفوق بكثير سنوات عمره – بتعليمات عديدة كان عليهما أن يبلغاها إلى والده . غير أن هذا كله ذهب أدراج الرياح وضاع سدى بين طيات السحاب (٢٤) .

وانطلقا يجتازان فى سيرهما الخنادق ويسعيان فى ظلمة الليل نحو المعسكر المعادى ، إلا أنه كان مقدراً عليهما قبل ذلك أن يتسببا فى هلاك الكثير . أخذا يتطلعان إلى الأجساد وقد تمددت هنا وهنالك على العشب بفعل الخمر والنوم ، وإلى العربات وقد انتصبت على طول الشاطئ والرجال ما بين عجلاتها وسيورها ، وإلى الأسلحة وقد ألقيت جنبا إلى جنب مع النبيذ . وكان ابن هورتاكوس أول من تحدث هكذا : « أى يوروألوس ، ينبغى أن تكون يمناك جسورة فإن الفرصة الآن جد سانحة ، هذا هو طريقنا وعليك أنت أن تتولى حراستى ، أن تتخذ الحيطة الكافية كى لا تتمكن يد من أن تمتد إلينا بسوء من الخلف ، أما أنا فسوف أحيل هذه البقعة إلى خراب وأقودك فيها خلال ممر رحيب » . قال هذا ثم حبس أنفاسه وانقض فى الوقت نفسه بحسامه على رامنيس المتغطرس الذى كان بالمصادفة متمدداً فوق كومة مرتفعة من القماش المنسوج يغط فى سبات عميق وينبعث الشخير من كل صدره (٢٥) ، وكان هذا نفسه أميراً وعرافا ذا حظوة بالغة لدى

الملك تورنوس ، غير أنه لم يتمكن بفراسته فى استطلاع الغيب من درء الموت الذى حاق به . وإلى جواره كان ثلاثة من أتباعه يتمددون حيثما اتفق بين رماحهم ومعهم حامل عدة ريموس الحربية وسائق عربته اللذين عثر عليهما تحت الجياد ذاتها ، فجندلهم جميعا بسيفه مطيحا بأعناقهم المائلة . وبعد أن انتزع من سيدهم نفسه الرأس ترك بدنه يخفق وينبجس منه الدم حتى ارتوى الثرى والفراش بدمه الحار القاتم . ولم يتخلف عن ذلك المصير لامورس ولاموس والفتى اليافع سيرانوس البهى فى طلعته والذى كان قد انغمس طيلة تلك الليلة فى لهو ولعب إلى أن تمدد آخر الأمر وبسط أطرافه للراحة خاضعا لسطوة الإله القادر ومغتبطا ، وكان بوسعه أن يجعل ذلك اللهو يتعادل فى طوله مع الليل دون انقطاع ويصل ليله بنهاره . ومثل الأسد الجائع – حينما يستبد به الجوع الضارى – يصول ويجول فى حظيرة غاصة بالأغنام ، ينهش القطيع الذى أخرسه الخوف والوهن ويمزقه إربا وهو يزأر بفمه الملوث بالدماء ، كذلك كانت مذبحة يوروألوس لا تقل بشاعة. إذ أنه وقد تأجج غضبا وتميز غيظا اندفع بشراسة وسط حشد غفير منهم دون أن يميز لهم اسما ، وانقض على فادوس وهربسوس وروبتوس وأباريس بينما كانوا فى غفلة من أمرهم ، ورغم أن روبتوس كان متيقظا ومبصرا لكل ما حوله إلا أن الذعر الذى استبد به جعله يحتمى خلف جرة ضخمة ، فما كان من (يوروألوس) إلا أن أغمد سيفه بأكمله فى صدره الذى كان مواجها له وفى متناول يده ، حينما كان هذا يهم بالنهوض ثم انتزعه مسببا له الموت الزؤام . وسرعان ما انثالت من فمه حمرة الحياة القانية فلفظ معها وهو يحتضر النبيذ مختلطا بالدم . أما الأول (يوروألوس) فقد واصل انقضاضه وهو يتأجج حماسا لنجاح خطته ، واتخذ سبيله صوب رفاق ميسابوس حيث أبصر النار وهى تخبو وتصير إلى زوال والجياد الموثقة بإحكام وهى ترعى الكلأ . عندئذ اتجه إليه نيسوس – حينما أدرك أنهما مدفوعان إلى المجزرة برغبة عارمة – وخاطبه بإيجاز هكذا : « فلنتوقف ! لأن ضوء النهار الذى هو خصم لنا يقترب . حسبنا أن أنعمنا رغبتنا فى الانتقام وأن طريقا وسط صفوف عدونا قد أقيم ». تركا خلفهما كثيرا من متاع

الرجال (المقتولين) وأسلحتهم التى زُخرفت بمهارة من الفضة الصلدة وكذلك آنية وطنافس بديعة . غير أن يوروألوس سلب حلى الخيل المزركشة التى تخص رامنيس مع لجمها المرصعة بالذهب ، وهى هدايا كان كايديكوس البالغ الثراء قد أرسلها منذ أمد بعيد إلى ريمولوس التيبورتى (٢٦) عندما عقد معه أثناء غيبته عهداً بحسن الضيافة ، وعندما حانت منية الأخير أورثها حفيده وبعد موته (غنمها) الروتوليون سادة الحرب والقتال . استولى (يوروألوس) على هذه الغنائم وأحكم وضعها فوق كتفيه المتينتين لكن عبثاً وبلا طائل (٢٧) ، وبعد ذلك ارتدى خوذة ميسابوس المحكمة والمحلاة بالريش . وهنا غادرا المعسكر وسعيا حثيثا نحو الأمان .

فى تلك الأثناء كان ثلاثمائة فارس مسلحين جميعا بالتروس تحت إمرة فولكنس (٢٨) وقد بُعث بهم قبلا من المدينة اللاتينية ، يتقدمون حاملين رداً إلى الملك تورنوس — فى الوقت الذى كانت فيه بقية الفرقة تتمهل فى سيرها وهى مجهزة بالعتاد . وكانوا فى تلك اللحظة يقتربون من المعسكر حتى أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من أسواره وحينئذ لمحوا (البطلين) من بعد وهما ينحدران فى سيرهما عبر الممر الأيسر ، وفى بصيص من ظلمة الليل كشفت الخوذة يوروألوس الذى لم يأخذ حيطته ، إذ برقت بريقاً خاطفاً حينما واجهت أشعة (القمر). ورغم أن الرؤية لم تكن واضحة تماما إلا أن فولكنس صاح عالياً من وسط قواته : « قفا مكانكما أيها الرجلان : لأى سبب وُجدتما فى هذا الطريق ؟ أو من أنتما يامن ارتديتما عدة الحرب ؟ أو إلى أين تعتزمان الرحيل ؟ » . لكنهما لم يردا عليه بشىء بل لاذا بالفرار نحو الغابات متخذين من الليل ستارا ، وهنا وهنالك اتخذ الفرسان أماكن لهم بالقرب من الممرات المعروفة وطوقوا جميع المنافذ بالحراس . كان هناك دغل فسيح من العوسج وأشجار السنديان البرية القائمة حيث كانت الأشواك الكثيفة تمتد فى كل مكان حتى أصبح من العسير أن يوجد منفذ بينهما يؤدى للخارج خلال الممرات الخفية ، وكانت ظلمة الأغصان الحالكة والغنائم الثقيلة سبباً فى إعاقة يوروألوس ، كذلك

جعله الذعر يخطئ الوجهة الصحيحة لطريقه . أما نيسوس فقد حث الخطى (مسرعا) وبذلك تجنب توا ودون أن يدرى أعداءه ، وكذلك البقعة التى عرفت فيما بعد بالألبانية على اسم ألبا والتى كان الملك لاتينوس فى ذلك الوقت قد أقام فيها حظائره الفسيحة . غير أنه حينما توقف وتطلع عبثاً إلى الخلف بحثا عن صديقه الغائب صاح قائلا : « أواه أيها التعس يوريالوس ! ترى فى أى منطقة تركتك ؟ أوفى أى طريق سأتبعك عندما أعود أدراجى راجعا عبر ذلك الطريق المحير بأسره فى ذلك الدغل المخادع ؟ » . وفى الحال كر راجعا من حيث أتى وهو يقتفى بدقة آثار خطواته السابقة ويجوب الطريق عبر أجمات العوسج الساكنة ، حتى تناهى إلى سمعه صهيل الخيول كما سمع ضجيج إشارات المتعقبين . ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى اخترقت أذنيه صرخة عالية ونظر فاذا بيوريالوس — الذى كان يقاوم بعنف دون ماجدوى — وقد أطبقت عليه توا العصبة بأسرها بصياح مفاجىء وصخب بعد أن وقع فريسة لغدر المكان وظلمة الليل . ماذا عساه بفاعل ؟ وبأى قوة أو بأى سلاح يجرؤ على أن يخلص الشاب من براثنهم ؟ أيلقى بنفسه وسط السيوف عاقداً العزم على ملاقاة الردى ويهرع إلى الموت المجيد مثخنا بالجراح ؟ هز رمحه بسرعة متزايدة وقد تقلص ساعده ، وبعد أن تطلع ملياً إلى ربة القمر وهى تطل من عل أخذ يبتهل بهذه الكلمات : « أيتها الربة ، هلا تعطفت بحضورك وكللت مهمتى بالنجاح ، أى ابنة لاتونا (٢٩) يابهجة الكواكب وحارسة الأحراش ، إن كان أبى هورتاكوس قد قدم حقاً القرابين على مذابحك من أجلى ، وإن كنت أنا نفسى قد زدتها فعلا من غنائم صيدى أو علقت بعضها فى قبة معبدك أو ثبتها فى سقفه المقدس ، فأذنى لى بأن أشتت شمل هذا الحشد وقودى مزاريقى عبر الهواء » .

قال هذا ثم قذف بسلاحه بعد أن بذل جهداً مضنياً بكل جسمه ، فشقت الحربة فى طيرانها أستار الليل الداكنة واستقرت فى ظهر سولمو الذى كان فى مواجهته وهنالك تهشمت وتفلقت بشظاها الخشبى إلى أحشائه .

أخذ يتلوى وبرودة الموت تسرى إليه وهو يلفظ من صدره تيار الحياة الدافىء بينما كانت أحشاؤه تهتز فى شهقات طويلة . وهنا وهنالك دارت أبصارهم ؛ وهاهو نفسه وقد غدا أكثر حماساً يلوح بحربة أخرى بالقرب من أعلى أذنه بينما كانوا منهمكين فى صخبهم وضجيجهم ، ومضت الحربة فى طريقها وهى تئز فنفذت من خلال صدغى تاجوس دافئة إلى مخه ثاقبة (الجمجمة) . اشتعل فولكنس الشرس غضباً غير أنه لم يميز مطلقاً من قذف الحربة ، أو على من يمكنه أن يصب جام غضبه فقال : « أنت يامن يجرى الدم حاراً فى عروقك الآن ، سوف أجعلك تلقى على أية حال جزاء (موت) كليهما » . قال هذا ثم انقض فى الوقت نفسه على يوروألوس مجرداً حسامه من غمده . وحينئذ فقط صرخ نيسوس بجنون وقد استبد به الذعر ولم يعد قادراً على التستر بالظلام أكثر من ذلك أو على الاستمرار فى احتمال مثل هذا الحزن المضنى : « ها أنذا ! ها أنذا ! أنا الذى فعلتها ها هنا ! حولوا الحسام إلى (صدرى) يامعشر الروتوليين ، فعلىّ يقع الوزر كله . ليست عند مثله الجرأة ولا القوة على الإتيان بشىء من هذا ، ولتكن هذه السماء وتلك النجوم المدركة شاهداً على ذلك ، إنما (وزره) فحسب أنه أحب صديقه التعس بإفراط » .

بمثل هذه الكلمات تحدث ، غير أن الحسام المندفع بعنف مرق خلال خاصرتى يوروألوس ومزق صدره الناصع البياض ، فخر صريعاً والدم القانى يسيل فوق أطرافه بديعة التكوين وفوق كتفيه انحنت رقبته المتهدلة : تماماً مثلما تصير زهرة قرمزية اللون إلى ذبول وتهلك عندما يجتثها المحراث ، أو مثلما تميل زهرة الخشخاش برأسها فوق عنقها الذى أضناه التعب حينما يحدث أن يثقلها وابل من المطر . غير أن نيسوس اندفع وسطهم ساعياً إلى فولكنس وحده دون الجميع ، وعلى فولكنس فقط ركز كل هجومه . وكان الأعداء من كل جانب قد أحاطوا الأخير بإحكام وأخذوا يزودون عنه من هذا الجانب ومن ذلك ، غير أن (نيسوس) لم يكن أقل منهم حماساً فى انقضاضه إذ أخذ يدير حسامه فى سرعة البرق حتى أغمده فى وجه الروتولى

الذى كان يجأر بالصراخ قبالته ، وقضى (نيسوس) نحبه لكن بعد أن أزهق روح عدوه . وبعد أن أثخنته الجراح ألقى بنفسه فوق صديقه الذى فارق الحياة وهنالك آخر الأمر وجد سكينته فى موت تقرّ به عينه .

ما أسعدكما ! فلو أن أشعارى هذه قدر لها أن تحظى بالخلود ، فهيهات أن تفلح الأيام فى محو ذكراكما من صفحة الزمن ، طالما أحفاد آينياس يقطنون صخرة الكابيتول الراسخة والعاهل الرومانى (٣٠) يبسط سلطانه على أرجاء مملكته . أما الروتوليون المنتصرون — سادة السلب والنهب — فقد حملوا فولكنس الذى فارق الحياة وهم ينتحبون إلى المعسكر . وهناك فى المعسكر لم تكن فجيعتهم بأقل حدة إذ وجدوا رامنيس وقد كسته صفرة الموت ، والزعماء وقد ذبح منهم الكثير فى مجزرة جماعية وكان من بينهم سيرانوس ونوما . اجتمع حشد غفير حول أجساد القتلى ذاتها وحول الصناديد الذين يلفظون أنفاسهم الأخيرة وحول المكان الذى لم تذهب عنه بعد حرارة الدماء وحول القنوات الصغيرة التى امتلأت بدماء فائرة مزبدة . وتعرفوا فيما بينهم على الغنائم التى كان من بينها خوذة ميسابوس اللامعة وحلى الخيل التى استردت بعد كثير عناء .

الآن وقد غادرت أوْرورا (٣١) مبكرة سرير تيثونوس(٣٢) الزعفرانى أخذت ترقش الأرض بضيائها من جديد ، الآن وقد أشرقت الشمس فكشفت بأشعتها الكائنات ، حث تورنوس الرجال على حمل السلاح وتمنطق هو نفسه بعدته الحربية ، وأخذ كل (قائد) ينظم صفوفه فى دروعها النحاسية استعداداً للمعركة ويؤجج نار غضبهم بالأقاويل المختلفة ، حتى أنهم ثبتوا فى مقدمة الرماح المنتصبة — وياله من مشهد مثير للشجن — رأسىْ يورواْلوس ونيسوس ذاتيهما وساروا خلفهما وهم يطلقون الصرخات المدوية . أما رفاق آينياس الأشداء فقد وقفوا على الجانب الأيسر من الأسوار فى مواجهة هذا الحشد — لأن الجهة اليمنى كانت محاطة بالنهر — وهم يحفرون خنادقهم الرحبة ويعتلون أبراجهم الشامخة وقد لفهم الحزن العميق وتحركت أفئدتهم عند (رؤيتهم) لرأسىْ البطلين

– بملامحهما المألوفة تماماً لرفاقهم التعساء – مثبتتين (على الرماح) والدم الأسود المتجلط يقطر منهما .

فى تلك الأثناء اندفعت فاما(٣٣) الرسول ذات الأجنحة وهى تحلق طائرة عبر المدينة المذعورة ،وانحدرت متسللة إلى أذنى والدة يوروألوس التى دهمها حينئذ (شعور) مفاجىء بالتعاسة كما لو كانت حرارة الحياة قد هجرت عظامها ، فاذا بالمغزل يسقط من يديها ويضيع جهد أيامها سدى . هبت التعسة وهى تولول صارخة(٣٤) كدأب النساء ، ومزقت خصلات شعرها وهى تهرول فى طريقها نحو الأسوار والصفوف الأمامية فى جنون،غير ملقية بالا إلى المحاربين وذاهلة عن خطر المزاريق ثم بشكواها ملأت صفحة السماء : « أهذا أنت الذى أرى ؟ أنت يامن كنت العزاء الأخير لشيخوختى ، هل طاوعك قلبك أيها القاسى أن تتركنى وحيدة ؟ أو لم تدع أمام والدتك التعسة سبيلا كى تودعك الوداع الأخير حينما أرسلت لمثل هذه المخاطر ؟ واحسرتاه ! ها أنت ترقد فى أرض غريبة طعمة للكلاب اللاتينية وفريسة لجوارح الطير ، دون أن أتمكن ، أنا أملك ، من أن أقوم نحوك بطقوس الجناز أو أغمض عينيك أو أغسل جراحك، وأن أغطيك بالرداء الذى تعجلت الأيام والليالى (كى ينتهى) سريعاً من أجلك وبالنسيج الذى كنت أواسى به هموماً أثقلتها السنون . إلى أين أتبعك؟ وأى أرض تضم الآن أطرافك وأعضاءك الممزقة وجسدك المشوه ؟ أهذا ، يا فلذة كبدى ، كل ما بقى لى منك ؟ أهذا الذى طوفت خلفه الأرض وجبت البحار؟ اطعنونى أيها الروتوليون ، لو كانت لديكم ذرة من رحمة : اقذفونى بكل رماحكم ومزاريقكم ومزقونى قبل الجميع بسيوفكم ، أو اشفق على ، يا أبا الآلهة العظيم ، وأطح برأسى هذا البغيض بقذيفة منك إلى غياهب تارتاروس ما دمت عاجزة عن انتزاع حياتى القاسية بطريقة أخرى » . بهذا النحيب اهتزت مشاعر (الطرواديين) وانبعثت من صدر كل منهم تنهيدة حزينة وغدت قواهم التى كانت قد أعدت للمعركة محطمة مشلولة . وبتوجيه من إليونيوس وإيولوس الذى

كانت عبراته تنهمر بشدة، أمسك بها كل من إيدايوس وأكتور وحملاها برفق على سواعدهما إلى مسكنها .

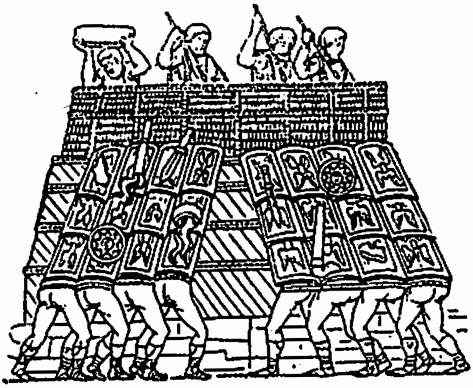

شكل (٣٨)
طريقة الـ testudo التى كان يتبعها الرومان فى الدفاع عن أنفسهم أثناء تقدم الصفوف (راجع حاشية رقم ٣٦) .

عندئذ دقت طبول الحرب من بعيد برنينها النحاسى وهى تصدر دويا مفزعاً وتبع ذلك صياح عظيم رددت صداه السماء . تقدم الفولسكيون (٣٥) معاً بسرعة وهم يتخذون موقف الدفاع بتروسهم (٣٦) وكانوا قد أعدوا العدة كى يملأوا الخنادق ويقتلعوا المتراس الكبير من أساسه . وطفق فريق منهم يبحث عن منفذ للولوج محاولين تسلق الحوائط عن طريق المرقاة حيثما تكون القوات المدافعة قليلة ، وحيثما تبدو حلقة المحاربين متفرقة ومتناثرة . ومن الجانب المضاد كان التيوكريون الذين تعودوا على الحرب طويلة المدى وعرفوا كيف يحصنون أسوارهم — يرمون فوقهم بسيل من القذائف من كل نوع ويدفعونهم إلى أسفل بالحراب الطويلة المتينة ، كما أخذوا يدحرجون فوقهم الصخور ذات الثقل المدمر (ليروا) إن كان بوسعهم تحطيم صفوفهم المتراصة الكثيفة . ورغم أن (الروتوليين) — تحت حماية ستار محكم من تروسهم — كانوا قد وطدوا العزم على مجابهة كل أنواع الدمار ، إلا أن العجز الآن قد سيطر عليهم : ذلك أنه حيث كان يقوم حشد غفير منهم بالهجوم ، كان التيوكريون يدحرجون كتلة

هائلة (من الحجارة) ويقذفونها فنشتت شمل الروتولين تماماً وتبدد من قدرة أسلحتهم على الدفاع . وحينئذ لم يعد صناديد الروتولين يحرصون على خوض المعركة فى الخفاء أكثر من ذلك ، بل حاولوا تنحية (خصومهم) عن الحاجز الكبير بوابل من قذائفهم ونشابهم . وفى جهة أخرى كان ميزنتيوس الذى تفزع العين لمرآه يطوح بأفرع من شجر الصنوبر التوسكانى ، (٣٧) ويضرم النار فى المشاعل التى يتصاعد منها الدخان ، أما ميسابوس مروّض الخيول وحفيد نبتونوس فقد أحدث فجوة فى الحاجز وأمر بإقامة مرقاة على الأسوار .

أيتها الموسيات ، وأنت يا كاليوبى (٣٨) على وجه الخصوص ، أتوسل إليكن أن تساعدننى فى إنشادى : فأى خراب وأى مذابح عندئذ تسبب فيها هنالك تورنوس بحد سيفه ! وأى صنديد لم يرسله مجندلا إلى أوركوس ! فتعالين نقتفى معاً المعالم الهائلة لتلك الحرب ، حيث أنكن تذكرن ذلك وتملكن المقدرة على روايته .

كان الحصن ذا هيئة شامخة وجسور شاهقة وموقع فريد ، وكان الإيطاليون جميعاً يحاولون بكل ما أوتوا من بأس وبأقصى ما لديهم من وسائل الاستيلاء عليه وتدميره تدميراً . ومن جهة أخرى كان الطرواديون يذودون عنه بالصخور ومن خلال الكوات المجوفة يطوحون بسيل من قذائفهم . وحينئذ يقذف تورنوس وهو فى المقدمة بشعلة متوهجة ويضرم النار فى جانبى (الحصن) حتى تنتشر ألسنتها وتمتد بفعل الريح ، فتلتهم الجوانب وتنشب فى الأبواب حتى تأتى عليها . وفى الداخل كان الهرج والمرج سائدين والفوضى ضاربة (فى صفوف الطرواديين) الذين طفقوا دون جدوى يبحثون عن ملاذ من هذا البلاء . وبينما كانوا يتدافعون ويتزاحمون ويتقهقرون إلى ذلك الجزء الذى لم يمتد إليه الدمار تداعى (الحصن) فجأة بتأثير الثقل المتزايد ودوى صدى الانهيار كالرعد فى أرجاء السماء . ارتطموا بالأرض وهم بين الموت والحياة وفوقهم كتلة هائلة (من الحطام) ، مطعونين بمزاريقهم وصدورهم مثقوبة

بالحراب المسننة ، ولم ينج بصعوبة سوى هيلينور وحده ومعه لوكوس ، وكان أكبرهما سناً هيلينور – الذى كانت الأمة لوكيمنيا قد حملت به خفية من ملك مايونيا ثم بعثت به إلى طروادة فى أسلحة محرمة – خفيفاً بسيفه المجرد ومجرداً من الحلال بترسه الباهت ، وما أن وجد نفسه بين الآلاف من رجال تورنوس وقوات اللاتين تصطف على كل جانب من حوله ، حتى غدا كالفريسة التى أحدقت بها حلقة كثيفة من الصيادين ، تهتاج من قناتهم بيد أنها تلقى بنفسها طائعة مختارة إلى الردى وتنطلق وثباً إلى شباك الصيد . هكذا تماماً كان الشاب الذى أيقن من هلاكه فانقض على أعدائه واندفع وسطهم حيثما أبصر أن حرابهم أشد ما تكون كثافة . أما لوكوس فكان أفضل من حيث سرعة قدميه فلاذ بالهرب خلال صفوف العدو وأسلحته حتى بلغ الأسوار ، وحاول أن يتسلق بيديه إلى أجزائها العليا وأن يصل إلى حيث سواعد رفاقه (الممتدة نحوه) . غير أن تورنوس الظافر ما لبث أن لحق به بسرعة مماثلة ومعه حربته ثم وبخه بهذه الكلمات : « أفهل راودك الأمل ، أيها المخبول ، فى أن تتمكن من الإفلات من أيدينا؟ » . وفى نفس الوقت أطبق عليه وهو يتأرجح معلقاً وجذبه ومعه جزء كبير من الحائط (المنهار) . ومثلما يحدث حينما يرفع النسر(٣٩) وهو يحلق فى الأعالى بين مخالبه المعقوفة أرنباً برياً أو بجعة ذات جسم ناصع البياض ، أو حينما يخطف الذئب – المقدس لدى مارس – من الحظائر حملا تبحث عنه أمه وهى تثغو ثغاء لا ينقطع : كذلك كان الصراخ يرتفع من كل مكان حينما انقضوا عليهم وهم يسدون الخنادق بأكوام من التراب ويقذفون شرفات الحصن بالمشاعل المتوهجة .

فبصخرة وكسرة ضخمة من الجبل جندل إليونيوس لوكيتيوس حينما كان الأخير يتسلل نحو البوابة حاملا شعلته ، كذلك صرع ايجير إماثيون ، وأسيلاس كورونايوس : وكان أول (الظافرين) حاذقا فى رمى الرمح وثانيهما ماهراً فى قذف السهم الخادع بعيد المدى . كذلك قضى كاينيوس على أورتوجيوس ، وتورنوس على كاينيوس الذى لم ينعم بانتصاره ،

كما أجهز تورنوس على إيتوس وكلونيوس ، وديوكسيبوس وبرومولوس وساجاريس وإيداس الذى كان يقف مدافعا عن الأبراج الشاهقة .
أما كابوس فقد أزهق روح بريفيرنوس : وكانت حربة ثيبلاس قبل ذلك قد جرحت أولها (كابوس) جرحا خفيفا ، فما كان من ثانيهما (بريفيرنوس) إلا أن قذف بترسه مهتاجا وأغمد يده فى جرح (خصمه) غير أن سهما مجنحا مالبث أن أصابه وسمر يده إلى جانبه الأيسر غائصا فيه إلى عمق كبير ، وبفعل هذا الجرح المهلك لفظ أنفاسه الأخيرة .
وكان ابن أركنس (٤٠) ، واقفا فى عدته الحربية المتميزة مرتديا عباءة مطرزة ومشرقا بالأرجوان الأيبيرى ذى الطراز الممتاز ، إذ كان والده أركنس قد بعث به (مع الطرواديين) بعد أن قام بتنشئته فى دغل مارس المقدس على ضفاف نهر سومائيوس(٤١) ، حيث يوجد مذبح باليكوس (٤٢) المسالم فى هدوء والغنى بالأضاحى . وهنا بعد أن ألقى ميزنتيوس جانباً عزاريقه شد الرباط الجلدى وطوح حول رأسه ثلاثاً بالمقلاع الذى كان يئز أزيزاً ، وعندما أصبح فى مواجهة (ابن أركنس) قذفه فشق صدغيه من منتصفهما بالرصاص المنصهر وخر صريعاً وهو يتمدد على رقعة كبيرة من الأرض الرملية .

لقد روى أن أسكانيوس عندئذ وللمرة الأولى فى هذه الحرب قد صوب سهماً طائراً — حيث أنه كان متمرساً من قبل على إفزاع الفرائس الهاربة — وأنه قد صرع بيده نومانوس القوى ، الذى كان لقبه ريمولوس وكان قد عقد قرانه حديثاً على شقيقة تورنوس الصغرى . وإذ اتخذ هذا مكانه فى مقدمة الجيش بدأ يصيح عالياً بكلمات منها الرصين ومنها ما هو فاحش قوله ، منتفخ الأوداج لرباط المصاهرة الجديد مع الأسرة الملكية ، وبعد أن خطا مختيلاء رفع عقيرته بالصياح قائلا : « يامعشر الفروجيين ، يا من ذقتم ذل الاستعباد مرتين (٤٣) ، أفلا يخجلكم أن تقبعوا من جديد خلف الخندق فريسة للحصار وأن تحجبوا أنفسكم خلف الأسوار خوفاً من يد المنون ؟ عجباً ! أهؤلاء هم الذين يبغون من وراء الحرب أن يصبحوا

لنا أصهاراً ؟ أى إله دفع بكم إلى إيطاليا وأى جنون قذف بكم نحونا ؟ لن تجدوا هنا ولدىْ أتريوس (٤٤) ولن تجدوا يوليكسيس (٤٥) البارع فى صياغة الكلمات بل جنساً خشناً منذ المنشأ : فنحن بادىء ذى بدء نحمل أطفالنا فور ولادتهم إلى الأنهار حيث نكسبهم صلابة فى مياهها القارسة البرودة ، وعلى القنص تجد صبيتنا منكبين تضجر منهم الغابات والأحراش ، وقت فراغهم مكرس لترويض الخيول وإطلاق السهام من القوس . أما شبابنا فذو جلد على الصعاب متمرس على الزهد والتقشف : فهو إما يمهد الأرض بمعوله (فى السلم) أو يهز جنبات الحصون فى الحرب . وإن عُمرنا لينقضى جله مع السيف ، بحرابنا مقلوبة ننخس ظهور دوابنا وليس بوسع الشيخوخة الحثيثة فى خطوها أن تضعف من قوة فكرنا أو تقلل من حيويتنا

شكل (٣٩)
نموذج للملابس التى كان يرتديها الطرواديون

ونشاطنا . فنحن نضغط بالخوذة على شعرنا الأشهب ويروق لنا دوماً أن نسوق الغنائم الجديدة معاً وأن نحيا على السلب والنهب . أما أنتم فلباسكم مطرز بالزعفران وموشى بالأرجوان ، فما أكثر خواء قلوبكم ! يا من تجدون بهجتكم فى الرقص ويامن تصنعون لأرديتكم أكماماً ولقلنسواتكم شرائط زاهية . أيتها الفروجيات ، فحقاً لستن بالفروجيين : اتخذن طريقكن عبر قمم جبل دينديموس (٤٦) حيث الناى يعزف اللحن الرخو (٤٧) الذى اعتدتن سماعه ، وحيث تدعوكن الدفوف والمزامير البيريكونثية

شكل (٤٠)
كاهن الربة كوبيل وحوله الآلات الموسيقية التى كانت تصاحب العروض التى يقوم بها المتعبدون

المصنوعة من خشب البقس والتى تخص الأم الإيدية (كوبيلى). دعن السلاح للرجال واتركن السيف لمن هو أهل له ».

لم يتحمل أسكانيوس أن يتبجح (نومانوس) بمثل هذه الألفاظ وأن يتشدق بمثل هذه الكلمات المهينة ، فوقف قبالته وشد السهم بقوة على الوتر المصنوع من عصب الخيل موجهاً ساعديه حتى يصيرا متقابلين ، ثم توقف قبلها كى يتوسل متضرعاً إلى جوبيتر (ممنياً إياه) بالنذور : « أى جوبيتر القادر على كل شىء ، عضدنى فيما أنا بصدده من أعاظم الأمور . ولسوف أحمل بنفسى إليك فى معابدك قرابين ذات هيبة وجلال ، وأمام مذابحك سأقدم ثوراً ناصع البياض جبهته مغطاة برقائق من ذهب ويبلغ جرمه حتى رأسه ما يعادل حجم أمه ، فهو الآن يتناطح بقرنيه ويبعثر الرمال بقدميه » . استجاب مولاه (لصلاته) ومن جزء هادىء من السماء أرسل الرعد قاصفا على يساره ، وفى الوقت نفسه اهتز القوس حاملا معه الردى وانطلق السهم الذى كان قد شد إلى الخلف طائراً وهو يصدر

أزيزاً مخيفاً حتى استقر فى رأس ريمولوس وثقب وجنتيه الغائرتين بسنه المعدنى : « امض قدماً واسخر من شجاعة قوامها الألفاظ المتغطرسة ، بهذا يرد الفروجيون الذين ذاقوا ذل الاستعباد مرتين على الروتوليين » . هكذا فحسب تحدث أسكانيوس ، أما التيوكريون فقد استقبلوا ذلك بصياح عظيم وضجوا من السرور وارتفع حماسهم إلى عنان السماء .

وفى تلك الأثناء كان الإله أبوللون ذو الشعر المسترسل فى مقره الأثيرى يطل مصادفة من عل على جيش الأوسونيين(٤٨) ومدينتهم وهو جالس فوق سحابة، ومن ثم خاطب إيولوس المنتصر بهذه الكلمات : « أىْ بنى ، واصل قهرهم باقدامك ورجولتك المبكرة فهكذا يكون الطريق إلى النجوم يا سليل الآلهة ويا من سينحدر من صلبك الأرباب(٤٩). ولأن جميع الحروب سيقدر لها أن تضع أوزارها حقاً وعدلا على يد أحفاد أساراكوس، لم يكن لطروادة أن تستبقيك». وبمجرد أن فاه بهذه الكلمات ألقى بنفسه من أعالى الأثير مخترقاً طبقات الرياح ساعياً نحو أسكانيوس، وعندئذ غير ملامح وجهه إلى صورة بوتيس المسن— وكان هذا منذ أمد بعيد حامل أسلحة أنخيسيس الداردانى وحارس بوابته الأمين ، ثم عهد إليه الأب (آينياس) بأن يكون رفيقاً لأسكانيوس. كان أبوللون يسير وهو يشبه الرجل المسن فى كل شىء: فى الصوت وفى البشرة ، فى خصل شعره البيضاء وفى أسلحته ذات الصليل المرعب(٥٠) ، وخاطب إيولوس المتحمس بهذه الكلمات : « أى ولد آينياس، كفاك فخراً أنه بينما لم تمس منك شعرة واحدة سقط نومانوس صريعاً بسهامك. وإن أبوللون العظيم قد أسبغ عليك مأثرته هذه الأولى فى حين لم تثر حفيظته براعتك (فى استخدام) السلاح المناظر لسلاحه . لذلك، يابنى ،أمسك نفسك عن الحرب فيما هو باق منها » . هكذا بدأ أبوللون الحديث ، وفى معرض حديثه خلع عن نفسه صورة البشر ثم اختفى بعيداً عن الأبصار داخل نسمة رقيقة من الهواء . تعرف زعماء الداردانيين على الإله وعلى سهامه المقدسة ، كما تبينوا عند اختفائه جعبة سهامه ذات الصليل . وعلى ذلك وتبعاً لتعليمات فويبوس

وألوهيته فقد قاموا بكبح جماح أسكانيوس المتعطش للقتال ، وبعدها ارتدوا إلى ساحة النزال وألقوا بأنفسهم وسط الأخطار الداهمة، وارتفع صياحهم على طول أسوار الحصن وعبر مواقعه الدفاعية .يشدون الأقواس السريعة ويطوحون بالمقلاع. غطت القذائف سطح الأرض كله وبعد ذلك دوى فى النزاع صوت الدروع والخوذات المجوفة واشتد أوار المعركة العنيفة : مثل المطر الغزير القادم من الغرب منهمراً من الجداء المشبعة (٥١) بالأمطار يلهب الأرض بسياطه ، أو مثل إعصار محمل بكثير من البرد يتساقط فوق مجرى المياه حينما يقذف جوبيتر المخيف من الجنوب بعاصفة ممطرة ويحطم السحب المجوفة فى صفحة السماء ..

كان بانداروس وبيتياس المنحدران من نسل ألكانور الإيدى (٥٢) واللذان قامت على تربيتهما حورية الأحراش إيايرا (٥٣) فى دغل جوبيتر المقدس — وهما شابان يحاكيان أشجار الشربين فى وطنهما أو يماثلان الجبال طولا — قد فتحا إتكالا على بسالتهما مزاليج البوابة التى كان أمر حراستها قد وكل إليهما بأمر من القائد (الأعلى) ، ومن الأسوار تحديا العدو للنزال طوعاً واختياراً . وكان كلاهما قد انتصب بالداخل عن اليمين وعن الشمال أمام الأبراج ، مسلحين بالزرد ، وريش الخوذة يهتز فوق هامتيهما السامقتين : مثلهما فى ذلك مثل شجرتى بلوط باسقتين فى الفضاء حول أنهار مياهها جارية سواء على ضفاف نهر بادوس (٥٤) أو بالقرب من نهر أثيسيس (٥٥) الممتع ، ترتفعان معاً وكل منهما بجوار الأخرى ، تناطحان السماء بقممهما غير المهذبة وذؤابتها الفارهة تهتز وتتمايل :. وما أن شاهد الروتوليون منفذاً يفتح على مصراعيه حتى اقتحموه ، وفى الحال كان كويركينس وأكويكولوس الوسيم فى عدته الحربية وتماروس المتهور فى مشاعره وهايمون الشغوف بالنزال (٥٦) مع جميع رجالهم قد ولوا الأدبار مدحورين أولقوا حتفهم عند مدخل البوابة ذاتها . وحينئذ ازدادت نيران الغضب والرغبة فى القتال تأججاً فى صدور الطرواديين الذين احتشدوا الآن جماعات فى نفس المكان ، وواتتهم الجرأة على خوض غمار المعركة وعلى شن الهجوم لفترة أطول .

٦٩٠ حمل رسول إلى القائد تورنوس – الذى كان بموقع آخر يبعث الفوضى
فى صفوف خصومه [وقد استبد به الجنون – أنباء مؤداها أن العدو قد ثارت
ثائرته وقام بمذبحة جديدة وأنه فتح بوابة الحصن على مصراعيها . فنفض يده
من القتال وقد استبد به حنق مروع فاندفع نحو البوابة الداردانية والأخوين
المتغطرسين . ولأن أنتيفاتيس – الابن غير الشرعى لساربيدون النبيل من
أم طيبية (٥٧) – كان أول من برز له فقد قذفه بحربته التى طرحته صريعاً
لأول وهلة : إذ طارت الحربة الإيطالية (٥٨) عبر النسمات الرقيقة فشقت
٧٠٠ معدته واستقرت تحت صدره .. ومن فتحة الجرح كان تيار من الدم القاتم
ينبثق مصحوباً بالفقاقيع بينما غدا النصل النافذ فى رئته دافئاً . وبعد ذلك
جندل (تورنوس) بيده كلا من ميروبس وإروماس وأفيدنوس ثم
بيتياس الذى كان الشرر يتطاير من عينيه والهياج يملأ صدره : لم يصرعه
بالرمح – لأنه لم يكن ليسلم الروح بضربة رمح – بل بقذيفة متوهجة كالشعلة
طوحها وهى تتزأزيزاً عظيماً فأصابته مثل الصاعقة بحيث لم يكن ترسه
المغطى بجلد ثورين أو صدريته الموثوق بها والمدرعة بزوج من السراويل
وبالذهب بقادرين على الصمود لها ، فتهاوت أطرافه الهائلة وسقط على
الأرض . صدرت من الأرض أنة رهيبة وسقط الترس الضخم فوقه وهو
٧١٠ يصدر صوتاً مروعاً : مثلما تسقط أحيانا على الشاطىء اليوبى لمدينة باياى
كتلة (٥٩) صخرية كانت من قبل قد شيدت من ركائز ضخمة وضعت
على حافة البحر ، تجلب معها الدمار حينما تهوى هكذا رأساً على عقب
وترتطم بالمياه حتى تغوص إلى الأعماق بعد أن تضطرب لها صفحة البحر
وترتفع بسببها كثبان الرمال الداكنة بعد سكون ، وتهتز لضجتها بعدئذ
الجبال الشاهقة فى جزيرة بروخوتا (٦٠) وسرير إينارمى (٦١) الصلد الذى
سقط فوق تيفويوس بأمر جوبيتر .

هنا ألقى مارس ذو الصولة بأسلحته مزيداً من البأس والجسارة على
اللاتين وبث فى شغاف قلوبهم رغبة عارمة (فى القتال) كما سلط على
٧٢٠ التيوكريين الرعب الشنيع والفرار (المزرى) : قدم (اللاتين) من كل

مكان حيث أن فرصة القتال قد لاحت لهم ورب الحرب قد ملك عليهم لبهم . وما أن تبين باندا روس أن شقيقه قد تمدد جثة هامدة وأدرك إلى أى موضع ساقها القدر وإلى أى عاقبة وخيمة انتهى أمرها ، فتح البوابة بكل قوته على مصراعيها واقتحمها بمنكبيه العريضين تاركاً كثيراً من رفاقه فى المعمعة الرهيبة وقد حيل بينهم وبين الحصن ، غير أنه أخذ فى كنفه آخرين وسمح لهم بالانقضاض ، فياله من مسلوب العقل ! فليس هناك من لم يشهد الملك الروتولى وسط جنوده وهو يكر عليهم أو وهو يحاصرهم بحماس فى نطاق المدينة مثل النمر المفترس وسط القطعان المسالمة الضعيفة . فى التو برقت عيناه ببريق مخيف وجلجلت أسلحته بدوى مفزع واهتز الريش الأرجوانى على الخوذة المثبتة فوق رأسه كما أخذ ترسه المعدنى يرسل بريقاً ساطعاً ، وفجأة تبين رفاق آينياس وجهه البغيض وأطرافه الهائلة فشملتهم الفوضى وعمهم الاضطراب . وحينئذ برز له باندا روس الهائل مكلوماً بالحزن والغضب لمصرع أخيه وخاطبه قائلا : « ليس هذا قصر أماتا الذى وعدت به كدوطة ، وليست هذه مدينة أرديا التى أبقت تورنوس حبيس أسوار وطنه ، بل معسكر معاد ماتراه ولن تجد المقدرة على الخروج منه حيا » . غير أن تورنوس مالبث أن ضحك منه ملء شدقيه بجنان ثابت وقال : « فلتبدأ إن كانت فى قلبك أدنى شجاعة ، اشتبك معى فى العراك يداً ليد وسترى أنك ستقص على برياموس أنك وجدت هنا أيضاً أخيليوس آخر » .

هكذا تحدث ، أما الآخر فبعد أن بذل أقصى قوته قذفه برمح غير مشذب به كثير من النتوء وذى لحاء خشن ، غير أن الرمح لم يجرح سوى نسمات الهواء لأن الربة جونو ابنة ساتورنوس قدمت وحولت اتجاهه بحيث استقر منغرسا فى البوابة . « لكنك لن تجد مهرباً من هذا المزراق الذى تقبض عليه يمناى بقوة ، فليس القابض على النشاب (بضعيف) ولا مسبب الجرح (بخائر القوى) » . هكذا تحدث (تورنوس) ثم رفع حسامه البتار إلى أعلى وأهوى بنصله على جبهته فى المسافة التى تتوسط صدغيه

فشقها ثاقبا وجنتيه اللتين لم ينبت فيها الشعر بعد بجرح جسيم . أعقب ذلك دوى ثم هتزت الأرض اهتزازاً عنيفاً من ثقله الهائل عندما. تمدد على الأرض بأطرافه المتيبسة وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة بينما الدم المنبثق من مخه يتناثر على أسلحته . وهنا وهنالك كانت رأسه تتأرجح وأجزاؤها معلقة بالتساوى فوق كتفيه .

لاذ الطروادبون بالفرار إلى أماكن متفرقة وقد أصابهم ذعر جسيم ، ولو أن (عدوهم) المنتصر كان قد تفتق ذهنه عن فكرة تحطيم المزاليج بيده وجعل رفاقه يلجون الأبواب لكان ذلك هو اليوم الأخير للحرب وللجنس (الطروادى) ، لكن الجنون والرغبة المحمومة فى الذبح دفعاه بشغف إلى (تعقب) أعدائه الذين انقلبوا على أعقابهم . وبادىء ذى بدء أطبق على فاليريس وجوجيس الذى كان فخذه قد جرح من الخلف ، وبعد أن جردهما من حرابهما قذف بها على ظهور رفاقهما الفارين ، ذلك أن جونو قد زودته بكل من القوة والحماس . ثم أتبعهما بزميلهما هالوس (مدحوراً) وكذلك فيجيوس بعد أن ثقب له ترسه ، وبعدها ألحق بهم ألكاندير وهاليوس ثم نوإمون وبريتانيس الذين كانوا في غفلة من أمرهم على الأسوار يدعون إلى الحرب . ومن المتراس بذل جهداً كبيراً كى ينقض بسيفه وببراعة على لونكيوس الذى تصدى لنزاله وهو يصيح منادياً رفاقه ، وبضربة واحدة مركزة وقاطعة أطاح برأسه مع الخوذة إلى مسافة بعيدة . وبعدئذ أجهز على أموكوس قاهر الوحوش الضارية والذى لم يكن هناك شخص آخر أمهر منه فى غمس أسنة الرماح باقتدار وفى تزويد السيوف بالسم الناقع . ثم أتبعه بكلوتيوس بن أيولوس و كريثيوس الأثير لدى الموسيات ، كريثيوس رفيق الموسيات الذى كان يجد بهجته دوماً فى الانشاد وفى أوتار القيثارة وفى العزف عليها بأنغام متنوعة ، والذى كان يتغنى على الدوام بالخيول وبالسلاح وبمعارك الأبطال .

وأخيراً عندما نمى إلى علم الزعماء الطروادين — منسثيوس وسيريستوس الحنيف — نبأ المجزرة التى ألمت بقواتهم ، سعى كل منهما نحو

رفيقه وتبينا أن رفاقها يتخبطون على غير هدى وأن العدو قد غدا داخل أسوار المدينة ، قال منسثيوس : « إلى أين ؟ إلى أين تلوذون بالفرار؟ ألكم أسوار أخرى غير هذه ؟ أتملكون الآن تحصينات خلاف هذه ؟ أي بني وطني ، أفهل يسبب رجل واحد محاط بمتاريسكم من كل جانب مثل هذه المذابح الدامية بوقاحة وغطرسة ؟ أفيرسل كل هذا العدد من زهرة شبابكم إلى أوركوس ؟ أيها المتقاعسون ، أفلا تحسون بالأسى أو تشعرون بالخجل نحو وطنكم التعس ونحو آلهتكم القديمة أو نحو آينياس العظيم ؟ » . بهذه الكلمات اتقدت جذوة حماسهم فتماسكوا وتراصوا صفاً واحداً كثيفاً . وبدأ تورنوس شيئاً فشيئاً ينسحب من المعركة ويسعى نحو النهر ونحو ذلك الجزء (من الحصن) الذى يحوطه الماء ، وبعنف أكثر أخذ التيوكريون فى صياح عظيم يحملون عليه ويحيطون به إحاطة السوار بالمعصم . ومثلما يلاحق حشد (من الصيادين) أسداً ضارياً برماحهم المهلكة بينما (الليث) المفزوع ينكص على عقبيه مزمجراً ومكشراً عن أنيابه ، لاشجاعته ولا غضبه يسمحان له بأن يولى الأدبار وليس بوسعه — رغم أنه فعلا يرغب فى ذلك — أن يتقدم للأمام وسط القذائف والرجال : كذلك تماماً كان تورنوس يتقهقر إلى الخلف بخطوات متثاقلة وهو فريسة للتردد بينما كان صدره يغلى بالحنق والغضب . ورغم ذلك فقد اجتاح حينئذ صفوف العدو مرتين ، وتعقبهم عبر الأسوار زمراً مشتتاً شملهم مرتين .

لكن حشداً غفيراً منهم أسرع من الحصن وتكالبوا جميعاً عليه وحده، ولم تجرؤ جونو ابنة ساتورنوس على أن تعضده بقواها ضدهم ، ذلك أن جوبيتر قد بعث من السماء بإريس الطائرة وهى تحمل أوامر ليست بالهينة (٦٢) إلى شقيقته (جونو) ، مالم ينسحب تورنوس من تحصينات التيوكريين الشامخة. وتبعا لذلك لم يكن بوسع الشاب (تورنوس) أن يتصدى لمثل هذا الأمر الجسيم لا بترسه ولا بساعده : وهكذا غمرته القذائف المصوبة إليه من كل مكان وأخذت الخوذة حول صدغيه الغائرين تجلجل بصليل متصل ،

و دروعه البرونزية الصلدة تتصدع بفعل كتل الصخور (المنهالة عليه).
٨١٠ تناثر ريش الخوذة من فوق هامته ولم تعد سرة الدرع بقادرة على تحمل الضربات، وضاعف الطرواديون ومعهم منشيوس المهلك كالصاعقة انقضاضهم عليه بالمزاريق. وعندئذ تصبب العرق مدراراً فوق جسده كله كما تدفق منه سائل قاتم اللون ولم تعد لديه القدرة على التنفس، وكالمريض اللاهث أخذت أطرافه المكدودة تهتز وترتعش. ولم يجد مناصا آخر الأمر سوى أن يقذف بنفسه وبكل عدته الحربية فى وثبة خاطفة إلى النهر. وعند هبوطه تلقاه النهر فى صدره الذهبي اللون وحمله فوق أمواجه الهادئة وبعد أن غسل جروحه الدامية رده إلى رفاقه مبتهجاً قرير العين.

حواشى الكتاب التاسع

(١) بيلومنوس Pilumnus ، أحد آلهة الرومان القدامى فى مجال الزراعة وإليه يعزى فضل اختراع المزراق Pilum ، ولم يذكر على أنه سلف تورنوس إلا عند فرجيليوس .

(٢) ثاوماس Thaumas ، ابن ربة الأرض Terra من رب البحر نبتونوس Neptunus ، تزوج ثاوماس من إلكترا إحدى بنات أوكيانوس وأنجب منها إريس والهاربيات (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٢٧ ، ص ١٩٥) .

(٣) كوروثوس Corythus ، هو المؤسس الأسطورى لمدينة كورتونا .

(٤) جانجيس Ganges ، أحد أنهار الهند .

(٥) الروتولى Rutulus ، هو تورنوس (راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ١٦٧) .

(٦) راجع حاشية رقم ٣٦ أدناه .

(٧) بربكونثيا Berecynthia ، لقب كان يطلق على الربة الأم كوبيلى ، نسبة إلى جبل بيريكونثوس Berecynthus فى إقليم فروجيا .

(٨) الاستوجى Stygius ، نسبة إلى نهر ستوكس Styx أحد أنهار العالم السفلى وأشهرها (راجع الكتاب السادس ، حاشية رقم ٢٩) . والمقصود بكلمة الاستوجى هنا الإله بلوتون رب العالم السفلى وشقيق كبير الآلهة جوبيتر .

(٩) الجوقة الإيدية Idaei Chori ، هى الجوقة المقدسة التى شاركت فى الاحتفال بميلاد جوبيتر فى جزيرة كريت وكانت تتكون من الكوروبانتيس Corybantes والكوريتيس Curetes والجوقة الإيدية الداكتيلية Idaei Dactyli .

(١٠) المقصود هنا السفن التى وعدت الربة الأم بتحويلها إلى حوريات للبحر فى لحظة تعرضها للخطر .

(١١) إشارة إلى خطف هيلينا وما تبع ذلك من أحداث الحرب الطروادية .

(١٢) حينما نشبت الحرب بين الاغريق وطروادة أعد الاغريق نحواً من ألف سفينة

للمعركة وتزود بطلهم أخيليوس بعدة حربية من صنع فولكانوس (= هيفايستوس عند الاغريق) رب النار والحدادة .

(١٣) تتضمن هذه الفقرة سخرية من الاغريق الذى عمدوا إلى الحيلة حينما عجزوا عن قهر طروادة (راجع المجلد الأول ، ص ١٢٩ وما بعدها) ونلاحظ أن التعبير العربى الذى سقناه « جهاراً نهاراً » يطابق تماما التعبير اللاتينى Luce palam .

(١٤) أكستيس Acestes ، ملك صقلى كان ابنا لرب النهر كريميسوس من زوجة طروادية اسمها سيجيستا ، وكان أكستيس قد رحب بآينياس ورفاقه عند قدومهم إلى صقلية حيث أقاموا ألعابهم وهناك شيد آينياس مدينة سميت أيضا باسم الملك الصقلى. (راجع المجلد الأول ، الكتاب الخامس ، ص ٢٣٨ وما بعدها) .

(١٥) هورتاكوس Hyrtacus . طروادى نشأ على سفوح جبل إيدا بإقليم فروجيا وكان والداً لكل من نيسوس وهيبوكون.

(١٦) أساراكوس Assaracus ، (راجع المجلد الأول ، الكتاب الأول ، حاشية رقم ٤٦ ، ص ١١٥) .

(١٧) يستخدم الشاعر هنا طرازاً من البلاغة كان محببا لدى القدماء وعرف بإسم « الإبدال » hypallage ، فهو يضفى صفة القدم على الربة بدلا من الأضرحة .

(١٨) أرسيبا Arsiba ، مدينة شيدها أهل موتيلينى (جزيرة بجوار آسيا الصغرى) فى سهل طروادة قبل قيام الحرب الطروادية ثم دمرها الطرواديون عن آخرها .

(١٩) Tripus (جذعها tripod-) كلمة تشير إلى مقعد ثلاثى الأرجل اكتسب شهرة فى العالم القديم لأنه كان يستخدم فى العرافة حيث تجلس عليه كاهنة أبوللون فى دلفى فوق فوهة بركان خامد تتصاعد منها الأبخرة والغازات . ولشهرته أصبح يصنع كقطع من الحلى أو للزينة من المعادن الثمينة .

(٢٠) تالنت talantum ، عملة قديمة عند الاغريق مقدارها ٦٠٠٠ دراخمة . كان يستخدم أيضا فى الموازين كمثقال.

(٢١) يوجه الحديث هنا إلى يوروألوس .

(٢٢) كريوسا Creusa ، زوجة آينياس ووالدة أسكانيوس وقد لقيت حتفها إبان الحرب الطروادية (راجع المجلد الأول ، الكتاب الثانى ، ص ١٥٠ وما بعدها) .

(٢٣) الكنوسى Gnosius ، نسبة إلى كنوسوس أشهر مدن جزيرة كريت إبان ازدهار حضارتها القديمة وكانت تشتهر بصنع الأسلحة .

(٢٤) المقصود هنا أن كل ما أعد ترنيات قد ضاع هباء لأن كلا من نيسوس ويوروألوس سوف يلقى حتفه فى هذه المهمة .

(٢٥) toto proflabat pectore somnum : معناها الحرفى « ينفث النوم من كل صدره » ، ولكننا آثرنا التصرف هنا وفى مواضع أخرى حينما تفشل الترجمة الحرفية العربية فى نقل المعنى الوثيق والواضح إلى القارئ .

(٢٦) كان ريمولوس ملكا على مدينة تيبور Tibur أقدم مدن لاتيوم لكن الروتوليين غلبوه على أمره وسلبوه أسلحته التى غنمها منهم بعد ذلك يوروألوس فى المذبحة الرهيبة التى قام بها مع صديقه نيسوس والتى نحن الآن بصددها .

(٢٧) لأنه صار بعد قليل إلى الهلاك على يد فولكنس .

(٢٨) فولكنس Volcens (وأحيانا : Volscens) ، أحد زعماء لا تيوم الذى جاء لنصرة تورنوس فى حربه ضد آينياس .

(٢٩) ابنة لاتونا Latonia ، هى الربة ديانا أو لونا ربة الصيد وربة القمر التى كانت تنحدر من نسل لاتو أو لاتونا مثلها مثل أخيها الإله أبولاون المكنى فويبوس ، رب الشمس والضياء .

(٣٠) العاهل الرومانى pater Romanus ، ربما كان المقصود بذلك رومولوس الجد الأكبر للرومان ومؤسس روما .

(٣١) أورورا Aurora ، ربة الفجر (= Eos عند الاغريق) ، ابنة التيتان باللاس . تزوجت أورورا من تيثونوس وأنجبت له ممنون الذى لقى حتفه على يد أخيليوس . ومن هنا اعتقد القدماء أن أورورا تبكى فلذة كبدها كل صباح بدموع فى هيئة قطرات الندى .

(٣٢) تيثونوس Tithonus ، ابن ملك طروادة لاوميدون وشقيق برياموس تحول إلى هيئة زيز الحصاد Cicada ليصير خالداً بناء على رغبة أورورا زوجته ، التى طلبت من كبير الآلهة أن يمنحه الخلود ونسيت أن تتمنى له الشباب الدائم فاضمحل حتى صار صوتا أو زيز حصاد .

(٣٣) فاما Fama ، هى الربة التى تمثل سريان الإشاعة عند الرومان وتجد لها وصفا طريفا فى الكتاب الرابع من الأينيدة (المجلد الأول ، ص ٢٠٨) .

(٣٤) ululatus تقابل فى اللغة العربية كلمة (ولولة) لفظا ومعنى ،

وكلتاهما تقليد لصوت العويل . والطريف أن الكلمة اللاتينية مشتقة فيما يبدو من ulula (البومة) وربما كانت تعنى أصلا نعيب البومة. ويلاحظ القارئ فى هذه الفقرة الوصف الصادق والأمين لمشاعر أم مكلومة الفؤاد وكذلك تطابق اعتقاد القدماء مع معتقداتنا حتى الآن عن الموت والدفن والحزن على من يقضى نحبه دون دفن أو جناز .

(٣٥) الفولسكيون Volsci ، رفاق فولكنس الذى قضى نحبه كما رأينا على يد نيسوس ، وهم من لاتيوم وقدموا للحرب مع تورنوس .

(٣٦) كان الجيش الرومانى قديما يستخدم طريقة فى الوقاية عند الهجوم تسمى testudo ، وبمقتضى هذه الطريقة كان الجنود يتقدمون متشابكين وحاملين تروسهم بحيث تغطى مافوق رءوسهم وذلك حتى يتجنبوا الاصابة المباشرة .

(٣٧) كان التوسكانيون Tusci الذين يسكنون منطقة إترووريا بايطاليا يعرفون أيضا باسم الإتروسكيين Etrusci .

(٣٨) كاليوبى Calliope ، ربة شعر الملاحم ، وهى إحدى ربات الفنون التسع أو الموسيات Musae ، وكن على التوالى « كليو » Clio ربة التاريخ ، « يوتيربى » Euterpe ربة الناى والمزمار ، « ملبومينى Melpomene » ربة التراجيديا ، « ثاليا » Thalia ربة الكوميديا ، « كاليوبى » ربة شعر الملاحم ، « تيربسيخورى » Terpsichore ربة الرقص ، « إراتو » Erato ربة الشعر الغنائى والقيثارة ، « بوليهيمنيا » Polyhymnia ربة الأغانى المقدسة ، « أورانيا » Urania ربة الفلك . وكن جميعا بنات التيتانة منيموسينى Mnemosyne وعبدن على جبل الهيلكون .

(٣٩) كان النسر aquila طائراً مقدساً لدى جوبيتر ، ولذلك فالشاعر يشير إليه هنا بالتسمية Iovis armiger « حامل درع جوبيتر » كناية عنه بدلا من ذكره .

(٤٠) أركنس Arcens ، صقلى سمح لابنه باصطحاب آينياس إلى إيطاليا حيث لاقى حتفه على يد « ميزنتيوس » .

(٤١) سومايثوس Symaethus ، نهر فى جزيرة صقلية يصب فى البحر مابين منطقتى كاتانا Catana ولينونتينى ، حيث ولد باليكوس وعبد أيضا .

(٤٢) باليكوس Palicus ، ابن جوبيتر من الحورية أيتنا Aetna (أو من الموسية ثاليا) ، وكان له أخ توأم بنفس الاسم عبد معه . لذلك اتفق معظم الناشرين على قراءة Palicis (أى الجمع) بدلا من Palici (المفرد) الموجودة بالنص .

(٤٣) ذاق الطرواديون الهزيمة مرتين الأولى على يد البطل الشهير « هيراكليس » ،

والثانية على يد الأغريق فى حرب طروادة المشهورة (راجع المجلد الأول، حاشية رقم ١٠٤ ، ص ١٦٣) .

(٤٤) ولدا أتريوس هما أجا ممنون ومنيلاؤوس (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٢٠ ، ص ١٥٦) .

(٤٥) يوليكسيس Ulixes ، اللقب اللاتينى البطل الاغريقى أودوسيوس (راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ١٠ ، ص ١٥٥) .

(٤٦) ديندوموس Dindymus ، جبل فى جالاتيا بآسيا الصغرى حيث عبدت الربة كوبيلى أم الآلهة ، مثل جبلى إيدا وبريكونثوس Berecynthus ، ومن هنا سميت الربة كوبيلى باسم ديندومينى Dindymene والبيريكونثية Berecynthia وكذلك الأم الإيدية Idaea Mater .

(٤٧) biforem تعنى حرفيا « ذو المدخلين » وبالنسبة للناى كانت تعنى « ذو الثقبين » والمراد بذلك « ذو النغمتين » دلالة على التطريب وبالتالى دلالة على الميوعة .

(٤٨) المراد « بمدينة الأوسونيين » هنا المعسكر الذى أنشأه الطرواديون فى إيطاليا ليكون مقراً لطروادة الجديدة .

(٤٩) « سليل الآلهة » ، لأنه منحدر من نسل الربة فينوس عن طريق والده آينياس ومن نسل جوبيتر عن طريق جده الأكبر داردانوس . وسينحدر من صلبه الأرباب لأنه سيكون الجد الأكبر ليوليوس قيصر الذى رفع إلى مصاف الآلهة الخالدين بعد موته .

(٥٠) saeva sonoribus arma : تعنى حرفيا « الأسلحة المرعبة ذات الصليل » ، ولكن لولع شاعرنا بالإبدال (راجع حاشية رقم ١٧ أعلاه) نعتقد أنه يريد فى الحقيقة أن ينسب الرعب إلى الصليل ولكنه بدلا من ذلك نسبه للأسلحة ذاتها .

(٥١) Haedi (الجداء) ، مجموعة من النجوم تظهر فى شهر أكتوبر ومكانها فى برج العناز Auriga ، وكانت تتسبب دوما فى سقوط الأمطار .

(٥٢) كان بانداروس وبيتياس وأبوهما ألكانور يعيشون على سفح جبل إيدا فى فروجيا .

(٥٣) إيايرا Iaera ، حورية يعتبرها الرومان من حوريات الجبال (oreades) أو الأحراش (Sylvestres) . ولقد ورد ذكرها فى الإلياذة على أنها إحدى حوريات البحر

(٥٤) بادوس Padus أحد أنهار شمال إيطاليا ، ويعرف الآن باسم نهر البو Po .

(٥٥) أثيسيس Athesis نهر فى غاليا كيسالبينا ينبع من جبال الألب ويصب فى البحر الأدرياتى ، ويعرف الآن باسم أديجى Adige .

(٥٦) الشغوف بالنزال Mavortius ، معناها الحرفى « المحب لمارس » إله الحرب . وكل هذه الأسماء لقادة جيش الإيطاليين الذى كان تحت إمرة تورنوس .

(٥٧) كانت توجد فى العالم القديم ثلاث مدن باسم طيبة: الأولى فى صعيد مصر والثانية فى بلاد اليونان بإقليم بويوتيا والثالثة فى آسيا الصغرى بإقليم فروجيا ، والمقصود هنا مدينة طيبة الفروجية .

(٥٨) الحربة الإيطالية Cornus ، تعنى أصلا شجرة حب الثوم أو خشبها . وهنا تعنى الحربة المصنوعة من خشب هذه الشجرة .

(٥٩) باياى Baiae ، مدينة تقع على الساحل فى إقليم كمبانيا الإيطالى غرب نابلى على البحر التيرانى ، اشتهرت بحماماتها ومياهها الدافئة وبأنها مكان للاصطياف ، يقال إن الذى أسسها هو بايوس Baius رفيق أودوسيوس . ونلاحظ أن فرجيليوس يطلق على شاطئها اسم « اليوبى » لأنها تقع بالقرب من مدينة كوماى الإيطالية التى أسسها إغريق وفدوا من خالكيس عاصمة جزيرة يوبيا المواجهة لاقليم أتيكا باليونان .

(٦٠) بروخوتا Prochyta (تسمى الآن Procida) ، احدى جزر البحر التيرانى بالقرب من الشاطىء الكمبانى .

(٦١) إيناريمى Inarime (تسمى الآن Ischia) جزيرة بجوار بروخوتا كان بها جبل قيل إن جوبيتر حبس تحته المارد تيفويوس بعد أن أرداه بصاعقته .

(٦٢) كان قدامى الشعراء الإغريق والرومان مولعين بطراز من الصور البلاغية يعرف باسم meiôsis = litotês ، وبمقتضاه كان الشاعر يعبر عن المعنى بصورة منفية أو بالتخفيف منه : فهنا كان يريد قول : « صارمة » dura ، ولكنه بدلا منها قال : « ليست بالهينة » haud mollia .

الكتاب العاشر

د. محمد حمدي إبراهيم

فى تلك الأثناء فتحت بوابة السماء المنيعة على مصراعيها(١) ودعا أبو الأرباب ومليك البشر إلى اجتماع فى مقره المرصع بالنجوم ، حيث كان يشاهد من عل الأرض بأسرها ومعسكر الداردانيين والشعوب اللاتينية. وعندما اتخذ الآلهة أماكنهم فى مقرهم ذى البوابتين (٢) بدأهم بالحديث قائلا : « أى أهل السماء الموقرين ، فيم نكوصكم عن قراركم ولم تناحركم فيما بينكم بقلوب ملؤها البغضاء ؟ لقد كانت مشيئتى ألا أدع إيطاليا تخوض غمار الحرب ضد التيوكريين . فلم إذن هذا النزاع حول ما حرمته(٣) ؟ أية مخاوف تلك التى دفعت فريقاً منكم إلى خوض غمار الحرب ضد الفريق الآخر؟ إن المعركة آتية فى الساعة المعلومة فلا تستعجلون، حينما يقدر لقرطاجة ذات البأس الشديد أن تعبر جبال الألب وتصب وابلا من الدمار على القلاع الرومانية ، حينئذ سوف يؤذن لكم بالقتال والبغضاء تدفعكم ، حينئذ سوف يؤذن لكم بالنزال (٤) . أما الآن فعليكم أن تذعنوا وأن تتقبلوا بابتهاج ذلك الاتفاق الذى صادقت عليه » .

بذلك الحديث الموجز تحدث جوبيتر ، غير أن فينوس الذهبية (٥) ردت على كلماته هذه بإسهاب قائلة : « أبتاه ، أيتها القوة الأزلية المهيمنة على الكائنات والبشر ، لمن سواك يمكن لنا أن نضرع الآن ؟ أفلا ترى الروتوليين وكيف يتمادون فى قحتهم وإلى تورنوس وكيف يندفع وسط الصفوف محمولا على جواده متميزاً عن أقرانه منتفخ الأوداج عما حققه من انتصار ؟ إن التحصينات المحكمة لم تعد الآن قادرة على درء الخطر عن

التيوكريين الذين يخوضون الآن معركتهم حتى داخل البوابات وحتى فوق الأبراج ذاتها المقامة فوق الأسوار ، وإن خنادقهم لتزخر بالدماء وآينياس بعيد عن الساحة لا يدرى شيئا . أفهل قضيت عليهم بأن يظلوا تحت ربقة الحصار إلى أبد الآبدين؟(٦) فها هو العدو مرة أخرى وبجيش مختلف يهدد أسوار طروادة الوليدة ، وها هو ابن تيديوس (٧) ينهض مرة أخرى من مدينة أربي الأيتولية (٨) ضد التيوكريين . حتى أنى بت أعتقد حقاً أن جراحاً أخرى تتربص بى (٩) وأن على ، أنا المنحدرة من صلبك ، أن أنتظر حتى تصيبنى أسلحة الفانين — إذ لو كان الطرواديون قد سعوا إلى إيطاليا دون إذن منك أو دون رغبتك المقدسة — فدعهم يكفرون عن جرمهم ولا تمدن إليهم يد العون ، أما إذا كانوا قد اتبعوا النبوءات العديدة التى ساقتها إليهم رسل من السماء وأرواح من الأرض (١٠) ، فمن ذا الذى يقدر الآن على إبدال أوامرك أو يستطيع أن يخط فى لوح القدر غير ما تشاء ؟ وفيم استعادتى لذكرى سفائنهم والنار مضرمة فيها على الشاطىء الصقلى (١١) ، وملك الرياح وعواصفه الهوجاء التى انبعثت من أيوليا (١٢) ، وإريس المبعوثة عبر السحاب ؟ فها هى (جونو) تثير عليهم الآن حتى آلهة العالم السفلى — ذلك الجزء من الكون الذى ظل دون أن يتكالب عليه أحد (١٣) — وإن أليكتو (١٤) التى تحررت فجأة من سطوة الآلهة تندفع الآن مخبولة وسط المدن الإيطالية . لم يعد لدى الآن أى مطمح فى المملكة (الموعودة) فتلك كانت آمالى عندما كان الحظ مواتيا ، فلينتصر إذن من شئت له النصر . ولكن إذا لم تكن هناك بقعة على الأرض ترغب زوجك القاسية فى منحها للتيوكريين فإنى أستحلفك ، يا أبتاه ، بالأطلال المحترقة لطروادة مقوضة الأركان أن تأذن لأسكانيوس بأن ينجو سالماً من خطر السلاح ، أن تأذن لحفيدى بأن يظل حياً . أما آينياس فدعه على أية حال كى تتقاذفه أمواج مجهولة ودعه يسلك الطريق الذى يقضى به عليه القدر ، فقط هبنى المقدرة على حماية هذا (الصبى) وإنقاذه من الحرب الضروس . إن فى حوزتى أماثوس وبافوس الشاهقة وكذا كوثيرا ومعبد إيداليا (١٥) : فدع (أسكانيوس) يقضى هنا — دون مجد — أيامه فى الحياة بعد أن تضع

الحرب أوزارها ، واقض بأن تبسط قرطاجة سلطانها القوى على أوسونيا دون أن يلحق ضرر ما بالمدن الصورية . فيم إذن كان تفادى (آينياس) لمهالك الحرب وهروبه من لظى النيران التى أضرمها أهل أرجوس وتحمله لأخطار عديدة فى البحر والأرض الشاسعة ، عندما كان التيوكريون يبحثون عن لاتيوم وعن قلعة تقوم بها طروادة من جديد(١٦) ؟ ألم يكن من الأفضل لهم أن يستقروا فوق ثرى وطنهم القديم وأرضه التى كانت فيما مضى طروادة ؟ أتوسل إليك أن ترد إلى هؤلاء التعساء أنهارهم كسانثوس وسيموإيس ، واسمح ، يا أبتاه ، للتيوكريين أن يقاسوا من جديد كوارث الحرب الطروادية » (١٧) . حينئذ شعرت جونو الموقرة بغضب شديد فردت عليها قائلة : « لم تدفعيني دفعاً إلى التخلى عن صمتى وإلى أن أنكأ بالكلمات جراحاً كانت قد اندملت؟ أفهل أجبر أحد من البشر أو من الآلهة آينياس على خوض غمار هذه الحروب أو على التصدى كعدو للملك لاتينوس ؟ لقد قصد إيطاليا مؤيداً بسلطان من ربات القدر ، فلنسلم بذلك ؛ لقد كانت تسوقه إليها نبوءات تهذى بها كساندرا(١٨) . أفهل نحن الذين حرضناه على ترك معسكره أو تعريض حياته للمهالك ، أم جعلناه يترك لابنه الصبي قيادة الحرب وحماية الأسوار ؟ أنحن الذين دفعناه إلى السعى فى طلب الحماية من أهل تورهينا (١٩) ، وإثارة القلاقل بين شعوب كانت تنعم بالسلام ؟ فأى إله أو أية قوة قاهرة دفعته إلى مثل هذا الخداع ؟ أين مكان جونو هنا أو إريس المبعوثة عبر السحاب ؟ حقا إنه لما يدفعك إلى الحنق أن يطوق الإيطاليون بالمشاعل وليدتك طروادة (٢٠) وأن يستقر تورنوس فى أرض آبائه وأجداده ، تورنوس الذى كان جده بيلومنوس(٢١) وأمه الربة فينيليا (٢٢) . ما قولك إذن فى هجوم الطرواديين على أهل لاتيوم بالمشاعل القاتمة وفى استيلائهم بالقهر على أراضى الغير وفى سلبهم لغنائمها؟وماقولك فى غوايتهم للأصهار وفى خطفهم الخطيبات من أحضان خطابهن(٢٣) ، وفى ضراعتهم وتوسلهم من أجل السلام وهم يشهرون الأسلحة فى مقدمة سفائنهم؟ أيكون من حقك أن تستردى آينياس من براثن الاغريق وأن تنشرى مكان جسده فى الأفق ضباباً وسحباً جوفاء وأن تحولى سفائنه

العديدة إلى عرائس بحر، فى حين يحرم على أنا أن أمد يدى بالعون للروتوليين كى يجابهوه ؟ (٢٤). (تقولين إن) آينياس بعيد عن الساحة لا يدرى شيئاً، دعيه إذن بعيداً وفى غفلة من أمره. (وتقولين إن) فى حوزتك بافوس وإيداليوم (٢٥) وكذا كوثيرا الشاهقة، فلماذا تنشدين مدينة تعج بالحروب وتسعين إلى قلوب فظة صارمة ؟ أفهل أنا الذى حاولت أن أقلب مملكتك الواهنة فى فروجيا رأساً على عقب؟ أفهل كنت أنا أم هو (٢٦) (أى باريس) الذى أتى بالطروادين التعساء فريسة للاغريق ؟ من ذا الذى كان سبباً فى أن تشهر أوربا السلاح فى وجه آسيا وأن تنقض بينهما مواثيق السلم وعهوده من جراء الاختطاف (الدنىء) ؟ أفهل بتدبير منى اقتحم الفاسق الداردانى (باريس) اسبرطة وانتهك حرمتها ؟ أم أنا الذى زودته بالسلاح وأضرمت بالشهوة حربه (مع الاغريق) ؟ كان الأجدر بك أن تشعرى بالخوف مما اقترفت حينئذ يداك، أما الآن فقد فات الأوان كى تجأرى بشكوى لا حق لك فيها، الآن عبثاً تجاهرين بلوم لا جدوى منه».

بهذه الكلمات ختمت جونو دفاعها، أما أرباب السماء فقد تعالت فيما بينهم الهمهمة: بعضهم ينحاز لجانب والبعض للجانب الآخر — مثل الرياح فى مبدأ أمرها حينما تهمهم وهى حبيسة بين أشجار الغابة ثم تأخذ فى الدوران بدمدمة خافتة معلنة للبحارة أن العاصفة على وشك الهبوب.

وحينئذ استهل الحديث الأب القادر على كل شىء وصاحب اليد العليا على كل الموجودات، وفى أثناء حديثه كان الصمت العميق يخيم على مقر الأرباب الشامخ وكانت الأرض من أعماقها ترتجف والفضاء الشاسع يطبق عليه السكون، وعندئذ سكنت الرياح (٢٧) وصار سطح البحر منبسطاً لا موج فيه: «أنصتا إذن إلى وانقشا فى ذاكرتيكما كلماتى هذه جيداً، ما دامت الأقدار قد قضت بألا يتحالف الأوسونيون مع التيوكريين وبألا تكون هناك نهاية للخلافات القائمة بينكما: فأيا كان الحظ الذى ينتظر كلاكما اليوم وأيا كان الأمل الذى يضعه كل منكما نصب عينيه فلن تجدا عندى تمييزاً أو محاباة نحو أى من الطرفين: طروادياً كان أم روتوليا،

سواء كان حصار الإيطاليين الآن لمعسكرهم بتدبير من ربات القدر أم كان بسبب خطأ طروادة الفادح وعجزها عن تفسير النبوءات المشئومة (٢٨) . ومع ذلك فأنا لا أبرىء ساحة الروتوليين : ذلك أن أعمال الانسان هى التى تجلب عليه الشقاء أو تكفل له حسن الجزاء ، ولا بد للملك جوبيتر من معاملة الجميع بنفس الميزان ولابد للأقدار من المضى فى طريقها المرسوم » . (قال هذا) ثم أومأ برأسه (مقسماً) على ذلك بأنهار شقيقه الاستوجى (٢٩) وبشواطئه التى تموج بالقار وتفور بالدوامات الداكنة ، وبتلك الإيماءة اهتز الأولومبوس بأسره فرقاً (٣٠) . وهنا انتهى الجدل وسكنت الهمهمة فنهض جوبيتر من عرشه الذهبى حيث كان أرباب السماء يحفونه من كل جانب ومن ثم رافقوه إلى قصره :

شكل (٤١)
محاربون ايطاليون بملابسهم العسكرية

فى تلك الأثناء كان الروتوليون يواصلون هجومهم حول جميع البوابات ، يذبحون الرجال ويحاصرون الأسوار بالمشاعل . أما حشود الطرواديين من أتباع آينياس المحاصرين داخل التحصينات فقد طوقوا من كل جانب ولم يعد لديهم أى أمل فى الفرار . عبثاً يقفون فوق الأبراج

الشامخة في يأس وقنوط ويلتفون حول الأسوار في حلقات مخلخلة : وكان في طليعة هؤلاء كل من آسيوس بن إمبراسوس ، ثيموتيس بن هيكيتاءون والأخوان أساراكوس(٣١) وثيمبريس المعمر بصحبة كاستور، وكان برفقة هؤلاء كل من الشقيقين ساربيدون(٣٢) وكلاروس وكذلك ثايمون من لوكيا(ذات الجبال)الشاهقة.وأخذأكمون من لورنيسوس(٣٣) الذي لم يكن أقل (قوة) من والده كليتيوس أو من أخيه منسثيوس — يناضل بكل جسمه حتى حمل صخرة هائلة لاريب أنها كانت فيما مضى جزءاً لا بأس به من جبل(٣٤) . كانوا يبذلون كل الجهد (في تحصين معسكرهم) : فريق بالرماح وفريق بالأحجار وآخرون يقذفون بالحمم الملتهبة ويثبتون السهام في الأقواس. وفي وسط هؤلاء جميعا كان يقف الفتى الدارداني (أسكانيوس) حفيد فينوس ومعقد أملها : ها هو ذا وهامته النبيلة دون غطاء تبرق منها الأنوار — مثل جوهرة وضعت وسط (عقد من) الذهب الأصفر كي تكون زينة للعنق أو للرأس ، أو مثلما يشع النور من العاج الذي رصعت به بحذق حلية من خشب البقس أو من خشب الأبنوس الأوريكي (٣٥) ، وطوق من الذهب الرقيق يلتف حول خصلات الشعر التي تداعب جيده ناصع البياض مثل اللبن. وأنت أيضا ،يا إسماروس(٣٦) ، قد شاهدتك الأمم الباسلة وأنت تنشد الجراح (غير هياب) وتزود بالسم الناقع قذائفك ، يا من انحدرت من أسرة مايونية عريقة حيث الرجال يحرثون الحقول الخصبة التي يرويها نهر باكتولوس بمياهه الذهبية (٣٧) . وخف إلى معونتهم أيضاً منسثيوس الذي ارتفع إلى أسمى المراتب بفضل عمله المجيد حينما استطاع فيما مضى أن يدحر تورنوس ويرده بعيداً عن الأبراج المقامة فوق الأسوار، وكذلك (ساعدهم) كابيس الذي سميت على اسمه المدينة الكمبانية (٣٨) .

وفي الوقت الذي كان فيه أولئك يخوضون غمار الحرب الطاحنة ، كان آينياس عند منتصف الليل يشق عباب اليم (عائداً) . إذ أنه بعد أن ترك إيفاندروس دخل المعسكر الإتروسكي وسعى إلى الملك ثم أخبره بلقبه ونسبه

وبما أتى من أجله وبما يحمل من أنباء، وأنبأه كذلك بالقوات التى أفلح ميزنتيوس فى استمالتها إلى صفه وبفظاظة تورنوس وشراسته، كما ذكره بأن حظوظ بنى البشر لاتدوم على حال، وتوسل وألح فى توسلاته . وبدون أى إبطاء استدعى تارخون (٣٩) قواته وعقد معه حلفاً (٤٠) . وحينئذ بدأت الأمة اللودية (٤١) التى تحررت بأمر الآلهة من سطوة القدر ، تقلع بأسطولها تحت قيادة قائد أجنبى ، وها هى سفينة آينياس تسير فى المقدمة وقد رسم تحت مقدمتها زوج من الأسود الروجية وفوقها صورة إيدا المحبوبة لدى اللاجئين التيوكريين (٤٢) . وها هو آينياس العظيم يجلس مسترجعاً فى ذاكرته أحداث الحرب المختلفة ، وعن يساره يقف باللاس (٤٣) يسأله تارة عن النجوم وعن تحركاتها (٤٤) فى ظلام الليل البهيم ويستفسر منه تارة أخرى عن المشاق التى كابدها فى البر والبحر .

والآن أيتها الموسيات ، افتحن أبواب جبل هيلكون وابدأن الانشاد : (اقصصن على نبأ) القوات التى كانت ترافق آينياس فى ذلك الوقت عند إبحاره من شواطىء توسكانيا، ونبأ من جهز سفنه بالسلاح وشق معه عباب الماء .

كان فى مقدمة هؤلاء ماسيكوس الذى يشق صفحة اليم فى سفينته ذات المقدمة البرونزية والمسماة بالنمر (٤٥) ، وتحت إمرته حشد قوامه ألف شاب تركوا أسوار مدنهم : كلوسيوم وكوساى (٤٦) ، سلاحهم القوس والنشاب وعلى أكتافهم جعبة خفيفة للسهام تسبب الهلاك والردى . وفى معيته كان آباس العنيف وجيشه كله بأسلحته اللامعة وسفينته التى يتألق أبوللون مذهباً على مقدمتها (٤٧) : إذ إن مدينته الأم بوبولونيا (٤٨) قد زودته بستمائة شاب مدربين على استخدام السلاح ، أما إلفا (٤٩) — وهى جزيرة غنية بمناجم للحديد لاتنضب — فقد أمدته بثلاثمائة شاب . وكان ثالثهم أسيلاس ، مفسر نبوءات البشر والآلهة الذى تذعن له أطراف أحشاء الأضاحى وكذا نجوم السماء ، والذى يفقه لغة الطير ومغزى شواظ النار التى تصدر عن الصواعق المنذرة (٥٠) : وكان هذا يندفع وسط ألف

من رجاله الذين احتشدوا فى صفوف وهم مدججون بالحراب المفزعة، ذلك أن بيساى المدينة الإتروسكية الموقع والتى يرجع أصلها إلى ألفيوس (٥١) كانت قد وضعتهم تحت إمرته. ثم يأتى من بعد هؤلاء أستور فائق البهاء، أستور الواثق فى جواده وفى أسلحته المختلفة الألوان: إذ كان أهل مدينة كايرى (٥٢) القاطنون فى سهول نهر مينيو (٥٣) وأهل بورجى (٥٤) العتيقة وكذا أهل جرافيسكاى (٥٥) ذات الطقس المريع — كلهم على قلب رجل واحد — قد دفعوا إليه بثلاثمائة محارب.

وهل كنت بقادر على أن أغفل ذكرك، أى كينوروس (٥٦)، يا أشجع قواد الليجوريين فى الحرب؟ أو أنت ياكوبافو (٥٧)، يا من كنت مصحوبا بحفنة قايلة من الرجال، ويا من كنت تتوج هامتك بخوذة مزينة بريش البجع رمزاً للهيئة التى مسخ عليها والدك واستهجاناً لفعلتك، أيها الحب! ذلك أنهم يقصون علينا أن كوكنوس (٥٨) — فى غمرة حزنه على صديقه المحبوب فايثون — ظل يترنم بالأهازيج وسط أغصان أشجار الحور المورقة، الطيف الذى صارت عليه أخواته (الفتيات) (٥٩)، ويخفف بالغناء لوعة الحب الحزين حتى تسربل بشيخوخة شهباء من الريش الناعم (٦٠) تاركاً الأرض ومن عليها ومحلقاً بشدوه فى أجواز الفضاء. وها هو نجله (كوبافوس) فى أسطوله وبصحبة رهط من أقرانه يدفعون بالمجاديف قدماً سفينتهم الضخمة كنتاوروس (٦١)، وعلى مقدمتها صور هذا المخلوق وكأنه يقف شامخاً على صفحة الماء يهدد أمواج البحر بصخرة جسيمة ويمخر عباب اليم بسفينته الطويلة.

وهناك أيضاً كان أوكنوس (٦٢) الذى يقود فصيلة من شواطىء وطنه، أوكنوس الذى كان ابناً للحورية الملهمة مانتو من رب النهر التوسكانى (٦٣)، والذى منحك، أى مانتوا، لقب أمه وشيد لك أسوارك، مانتوا الغنية بأسلافها رغم أنهم ليسوا جميعاً من دم واحد (٦٤)، والتى تقطنها أجناس ثلاثة ينتمى لكل جنس منها أربع عشائر ارتضتها جميعاً عاصمة لها رغم أن جل سكانها من دم توسكانى. من هذه البقعة أيضاً سلح

ميزنتيوس (٦٥) خمسمائة رجل انقلبوا عليه، فقادهم رب النهر مينكيوس (٦٦) المنحدر من نسل بيناكوس فى سفينة حربية من الصنوبر إلى عرض البحر بعد أن أخفاهم بالبوص الأزرق. وكان أوليستيس (٦٧) يتقدم كذلك فى سفينته الضخمة التى ترتفع فوق الماء وهى تضرب الموج بمائة مجداف تبعث الاضطراب فى صفحة اليم وتنشر الزبد على سطحه. وكان تريتون (٦٨) الهائل يحمل هذه السفينة وهو ينفخ فى نفيره المصنوع من الأصداف فيبعث الفزع فى البحر اللازوردى، وكان صدره المغطى بشعر كثيف حتى وسطه يظهره أثناء سباحته على هيئة البشر أما نصفه الأسفل فكان على شكل وحش بحرى، وكانت الأمواج المزبدة تزأر تحت صدره المخيف. لقد خف لنصرة طروادة كثير من أنبل الزعماء كانوا يبحرون فى ثلاثين سفينة تشق البحر الأجاج بمقدماتها البرونزية.

وها قد انصرم النهار وتقهقرت فلول الضياء من صفحة السماء؛ وأخذت فوبى (٦٩) المتألقة تطرق أبواب السماء فى عربتها التى تتجول بها أثناء الليل. أما آينياس نفسه – الذى لم يسلم القلق أطرافه للراحة (٧٠) – فكان جالساً فى سفينته يوجه ذراع الدفة ويباشر حركة الشراع. وهنا وياللعجب! قابلته فى منتصف الطريق جوقة ممن كن قبلا رفاقه، الحوريات اللائى كانت كوبيلى الرءوم قد أمرت بأن يحظين بالسيطرة على البحر وبأن يتحولن من سفن إلى عرائس بحر (٧١)، كانت كل واحدة منهن تسبح بإزاء الأخرى وتشق بصدرها صفحة الموج بمقدار عددهن عندما كن قبلا سفناً ذات مقدمات برونزية مصفوفات على طول الشاطىء (٧٢). وإذ لمحن مليكهن من بعد أخذن يرقصن حوله نشوة وطرباً. وكانت كومودوكيا أكثرهن لباقة وفصاحة فى الحديث تتبع السفينة وهى تمسك مؤخرتها بيدها اليمنى، وكانت تعلو عن سطح الماء بظهرها بينما تجدف بيدها اليسرى تحت الأمواج الساكنة. وحينئذ ودون أن يتعرف عليها

خاطبته هكذا : « أى آينياس ، سليل الآلهة، أما زلت مستيقظاً؟ عليك أن تظل ساهراً وأن تطلق العنان لأشرعتك . فها نحن من كنا فيا مضى أشجار صنوبر على قمة جبل إيدا المقدسة، ها نحن من كنا لك أسطولا وغدونا الآن عرائس بحر. إذ أن الروتولى (٧٣) الغادر قد حمل علينا بالسيف والنار وأكرهنا على الفرار ، فقطعنا على كره منا ما أوثقتنا به من حبال وسعينا فى البحر الشاسع ننشد لقاءك. لقد أشفقت علينا الربة الأم ومنحتنا هيئتنا هذه الجديدة وقضت بأن نصبح ربات وبأن نمضى حياتنا كلها تحت الأمواج . أما عن الصبى أسكانيوس فهو محاصر الآن خلف الأسوار والخنادق ، محاصر بين الرماح واللاتين الذين أكسبهم مارس مظهراً مفزعاً . فلقد وصلت الآن الخيول الأركادية بمحاربيها البواسل من الإتروسكيين إلى مكانها المعلوم (٧٤) ،وإن قرار تورنوس الأكيد هو أن يقطع الطريق بينهم وبين هذه القوات حتى لا تصل إلى معسكرهم. هيا إذن وانهض وعند مقدم أورورا مر حلفاءك فى التو بحمل السلاح ، وتحصن أنت بدرعك الذى لا يقهر والذى منحه، لك الرب المسيطر على النار نفسه (٧٥) ورصع لك بالذهب حوافه . واسوف تشهد شمس الغد – إذا لم تعتبر قولى هذا بهتاناً – قدراً عظيماً من مصارع الروتوليين » . قالت هذا ثم دفعت قبل رحيلها السفينة الشامخة بيدها اليمنى دفعة خبير بالأمر ، فانطلقت السفينة فوق الأمواج لا تلوى على شىء ، أسرع من الرمح بل أسرع من السهم الذى ينافس الريح فى الطيران، وخلفها انطلقت السفن الأخرى سالكة نفس الطريق . أخرست الدهشة الطروادى بن أنخسيس الذى كان نفسه يجهل هذا الأمر، غير أنه مالبث أن شد من أزر رفاقه تيمناً بهذا الفأل الطيب. وبعد أن تأمل قبة السماء العالية لبرهة أخذ يبتهل بهذه الكلمات : « أيتها الربة الإيدية، أى أم الآلهة الرءوم، يامن يبتهج قلبك لمرأى جبل ديندوموس (٧٦) والمدن ذات الأبراج وزوج الأسود المقيد إلى عنان عربتك (٧٧) ، كونى الآن لى قائداً ومرشداً فى القتال وحققى ، أيتها الربة ، هذه البشرى الطيبة بحذافيرها وكونى للفروجيين عوناً ونصيراً » .

كانت هذه كلماته فحسب : وفى تلك الأثناء كان النهار الدائر فى فلكه دوما قدسطع بضوئه الباهر مطارداً فلول الظلام . وفى مبدأ الأمر أصدر تعليماته للرجال باتباع إشارة (بدء القتال) وبأن يجعلوا سلاحهم نصب أعينهم وبأن يتخذوا أهبتهم للمعركة . وهاقد غدا التيوكريون وكذا معسكره على مرمى البصر منه وهو واقف فى سفينته الشامخة ، وعندئذ رفع درعه المتوهج بيسراه فارتفعت صيحات الدار دانين من مواقعهم على الأسوار إلى عنان السماء ، فها هو أمل آخر يأجج نار الغضب فى صدورهم. ومن سواعدهم انطلق سيل من القذائف : مثلما تعطى مجموعة من طيور الغرنوق الراقية (٧٨) شارة البدء ثم تسبح طائرة فى الفضاء فى جلبة وضوضاء ، أو تفر مسرعة من ريح الشرق تنبعث منها الصيحات والصرخات (٧٩) . غير أن هذه الأمور بدت مذهلة بالنسبة للملك الروتولى والقواد الأوسونيين ، إلى أن نظروا خلفهم فإذا بالسفن راسية ومؤخراتها نحو الشاطىء (٨٠) ، وإذا البحر بأسره يموج بأسطول (عدوهم) ، وإذا بخصلة الخوذة على رأس (آينياس) تتوهج ومن الريش الذى على قمتها يتطاير الشرر ، وإذا بسرة درعه الذهبية تقذف حمماً من النار (٨١) : تماما مثلما يحدث فى ليلة صافية حينما تومض المذنبات الحمراء القانية بلون قاتم ، أو حينما يلمع نجم الشعرى (٨٢) المتوهج ، ذلك النجم الذى يسبب الجدب ويحمل معه الأمراض إلى البشر الفانين ويملأ صفحة السماء بضوئه المشئوم الذى يسبب الحزن والهموم (٨٣) ..

غير أن الثقة لم تفارق أبداً تورنوس الجسور ولا فتر عزمه عن سبقهم فى احتلال الشاطىء ثم سحقهم من البر لدى وصولهم ، فأخذ تارة يشد من أزر رجاله وتارة يوبخهم بكلماته (٨٤) : « لقد صار فى متناول أيديكم ما كنتم إليه تتوقون : أن تسحقوا (عدوكم) بأيديكم ، وإن مارس نفسه ، أيها البواسل ، قد صار فى قبضتكم (٨٥) . وحسب كل فرد منكم أن يتذكر الآن زوجه ومنزله ، حسبه أن يستعيد ذكرى المآثر التى كانت لأسلافه مجداً وفخراً . دعونا نسعى إليهم بأنفسنا فى البحر اللجى بينما

الفوضى ضاربة فى صفوفهم وبينما خطاهم الأولى تتعثر عند هبوطهم من السفن . فإن الحظ يساعد الجسور » (٨٦) . قال هذا وأخذت الأفكار تدور داخل رأسه عمن يمكن أن يتولى القيادة معه ضد العدو أو عمن يعهد إليه بحصار أسوار المدينة .

فى تلك الأثناء كان آينياس ينزل قواته من السفن الشامخة بواسطة جسور أقامها . عمد الكثير منهم إلى مراقبة الجزر وانحسار المياه وبقفزة واحدة ألقوا بأنفسهم إلى الأماكن قليلة الغور ، أما الباقون فأخذوا يجدفون نحو الشاطئ . أخذ تارخون (٨٧) يجوب الشاطئ ببصره بحثا عن مكان لا تجيش فيه الأمواج ، ولا توجد فيه أمواج صاخبة ترتطم بالساحل . لكن البحر اندفع فياضاً مع حركة المد لا يعوقه شيء ، فأدار (تارخون) فجأة مقدمة سفينته وناشد رفاقه قائلا : « والآن ، أيتها النخبة من الرفاق ، انكبوا على مجاديفكم المتينة بحيث تنساب سفنكم على سطح الماء بسرعة . شقوا بمقدمة سفائنكم هذه الأرض التى هى عدو لنا ودعوا السفن ذاتها تصنع لنفسها مجرى فيها . ولن أحجم من جانبى عن تحطيم سفينتى فى مثل هذا المرفأ لو احتلت هذه الأرض يوما ما » . وما أن تفوه تارخون بهذه الكلمات حتى هب رجاله إلى المجاديف وحملوا بسفنهم المزبدة على الأراضى اللاتينية حتى استقرت مقدماتها على اليابسة وحتى جثمت جميعها على الشاطئ سالمة . لكن هذه لم تك حال سفينتك ، ياتارخون ، ذلك أنه عند اصطدامها بالموج تعلقت بجرف وعر وظلت تقاوم بكل من مقدمتها ومؤخرتها وتلاطم الموج لمدة طويلة ، حتى تحطمت إربا وقذفت برجالها وسط الأمواج تعوقهم قطع متناثرة من المجاديف والمقاعد الطافية تسحبهم إلى الخلف الموجة التى كانت وقتئذ آخذة فى الانحسار .

حينئذ لم يعد هناك ما يعوق تورنوس أو يدفعه للتمهل ، فما لبث أن انقض بشراسة على التيوكريين واصطف بكل جيشه فى مواجهتهم على الشاطىء . أعطيت إشارة القتال فهجم آينياس أولا على حشود المزارعين (٨٨) مبشرا بالمعركة وكاسرا شوكة اللاتين ، إذ أجهز على ثيرون الذى

كان أضخم رجالهم حجما والذى سعى بمحض رغبته للقاء آينياس : فقد اخترق بسيفه درعه البرونزى ثم قميصه الموشى بالذهب وجعل نصله يرتوى (بالدماء المنبثقة) من جنبه المطعون.ثم بعد ذلك صرع ليخاس الذى انتزع من أحشاء أمه المحتضرة ثم نذر لك مقدسا ، يافويبوس(٨٩) ، حيث أن القدر قد أجاز له أن ينجو فى طفولته من الهلاك بالسيف. ولم يلبث طويلا حتى جندل كلا من كيسيوس الجسور وجوياس العملاق مسلماً إياهما للمنون لأنهما كانا يهويان بالهراوة على جموع الرجال . لم تجد أياً منهما نفعاً أسلحة هيراكليس(٩٠) ولا كون ميلامبوس ، ذو اليد القوية (٩١) ، والداً لهما ، ميلامبوس الذى كان رفيقاً لألكيديس(٩٢) فى الوقت الذى كانت الأرض فيه تشهد أعماله العسيرة . ثم انظر ! ها هو (آينياس) يقذف بحربته فتستقر فى فم فاروس الذى كان وقتئذ يتشدق بألفاظ لا جدوى منها فأخذ بعدها يجأر بالصراخ. وأنت أيضاً، يا كودون — حينما كنت أيها التعس تتبع كلوتيوس الذى سباك بفتنته حديثاً(٩٣) ، كلوتيوس الذى نبتت بوجنتيه لأول مرة شعيرات مثل الزغب الأصفر — أنت أيضاً كان مآلك أن تلقى مصرعك بيد داردانية وأن تتمدد جثة هامدة تثير الشفقة دون أى اكتراث بعاطفة الحب التى كنت تكنها دوماً نحو الغلمان(٩٤) ، لو لم يحتشد رهط من الإخوة أحفاد فوركوس ويحملوا على (آينياس)، كانوا سبعة وبمزاريق سبعة قذفوه :ارتد بعضها خائباً حينما اصطدم بخوذته ودرعه ، وبعضها الآخر درأته فينوس الرءوم بعد أن كاد يلامس جسمه. وعندئذ خاطب آينياس أخاتيس الأمين قائلا : « هيا ! امددنى بالرماح فلن يطيش اليوم رمح تلقى به يمينى ضد الروتوليين، ولن يذهب سدى رمح من تلك الرماح التى استقرت فى أجساد الاغريق فى السهول الطروادية(٩٥) » . (قال هذا) ثم أمسك بحربة هائلة وقذفها : طارت هذه حتى اخترقت الطبقات البرونزية فى درع مايون ونفذت إلى صدره بعد أن هشمت صدريته المدرعة، وقبل أن يتهاوى خف إلى نجدته أخوه ألكانور وسنده بيده اليمنى.غير أن الحربة المقذوفة (ذاتها) كانت ماتزال تطير مندفعة فى طريقها وهى ملطخة بالدماء، فنفذت فى الحال فى ذراعه

الأيمن تاركة ساعده بلا حياة معلقاً فى كتفه ببضعة أعصاب (٩٦). عندئذ انتزع نوميتور مزراقاً من جسد أخيه وهاجم به آينياس، لكن الأقدار لم تكن لتسمح له بإصابة (البطل) فخدش بدلا منه فخذ أخاتيس العظيم. وهنا انقض كلاوسوس، القادم من مدينة كوريس (٩٧) والواثق من شبابه الغض، على دريوبس (٩٨) وجندله من بعد بحربة صارمة أصابته بعنف أسفل ذقنه فنفذت من حلقه وهو يتحدث، فسلبت منه الروح وأماتت على شفتيه الكلمات إلى أن انكفأ بوجهه على الأرض والدماء المتجلطة تنبثق من فمه. ثم صرع أيضاً (٩٩) — وإن اختلفت فى هذه المرة يد المنون — ثلاثة من أهل ثراقيا ينحدرون من سلالة بورياس (١٠٠) العريقة وثلاثة من الذين أرسلهم والدهم إيداس ووطنهم إسمارا (١٠١). وما ابث هالايسوس أن اندفع إلى ساحة الوغى ومعه رهط من أهل أورونكا (١٠٢)، كذلك هرع إلى هناك ميسابوس (١٠٣) سليل نبتونوس بخيوله ذائعة الصيت. وأخذ كل فريق يبذل جهده حتى يصد هجوم الفريق الآخر، ودار القتال سجالا حتى على تخوم أوسونيا ذاتها. ومثلما يحدث فى الفضاء الشاسع حينما تتصارع الرياح المتشاحنة فيما بينها بغضب وعنف على حد سواء، لا يذعن أحدها للآخر ولا تخضع للغمام أو للبحار وتستمر بينها المعركة سجالا لفترة طويلة، حيث تظل كل قوة من القوى المتصارعة صامدة أمام الأخرى — كذلك تماماً كان القتال يدور بين القوات الطروادية والقوات اللاتينية قدماً تلاصق قدماً ورجلا ينازل رجلا (١٠٤).

وفى بقعة أخرى حيث كان السيل قد بعثر بعيداً الصخور المتدحرجة والأشجار المجتثة من شواطئها، لمح باللاس الأركاديين الذين كانوا غير متعودين على القتال راجلين، وهم يولون الدبر وفى أعقابهم اللاتين — إذ أن طبيعة المكان الوعرة قد دفعتهم فى نهاية الأمر إلى التخلى عن جيادهم — وعندئذ أخذ فى إذكاء جذوة حماسهم تارة بالتوسل وتارة بصارم الكلمات، وهو الملجأ الوحيد الذى بقى أمامه فى تلك المحنة القاسية: «إلى أين تفرون

يا رفاق؟ إنى أستحلفكم ببطولات أحرزتموها، باسم قائدكم إيفانلروس (١٠٥)، بحروب فيها انتصرتم، وبأملى الذى أعقده عليكم وأتطلع الآن أن أباهى به أمجاد آبائى، ألا ترتدوا على أعقابكم. لقد بات محتماً عليكم أن تشقوا بالسيف طريقاً وسط عدوكم، فى المكان الذى تحمل علينا منه تلك الجمهرة الغفيرة من رجال الأعداء، فإن هذا هو الهدف الذى يدعوكم إليه وطنكم المجيد أنتم وقائدكم باللاس. ليست القوى الإلهية هى التى تدفع بنا إلى هذا، بل يستفزنا إليه – نحن الفانين – عدونا الفانى، وإن لنا مثل ما له من وفرة فى الأنفس والعتاد. أنظروا! ها هو البحر بعائقه المائى الشاسع يحيط بنا، وها هى الأرض الآن تنتظر أن نلوذ بها منه، فهل نحن ساعون إلى البحر أم سنولى وجهنا شطر طروادة (الجديدة)؟». قال هذا ثم اندفع يشق طريقه وسط حشود الأعداء المتراصة. وكان أول من تصدى له لاجوس الذى اندفع مسوقاً بأقداره التعسة: فبينما كان الأخير يحاول انتزاع صخرة بالغة الثقل طعنه هذا برمحه الدوار فى منتصف ظهره حيث عموده الفقرى يقوم كفاصل بين الضلوع، ثم انتزع بعدها وبعنف الرمح الذى كان ملتصقاً بعظامه. وحين حاول هسبو مباغتته من أعلى (١٠٦) – وكان حقاً يأمل فى هذا – باءت محاولته بالفشل: إذ أنه غفل عن حماية نفسه بعد أن استولى عليه الجنون بسبب ميتة صديقه المفجعة، فانقض عليه باللاس قبل أن يتمكن هذا من مباغتته وأغمد حسامه فى رئته اللاهثة. ثم هاجم بعد ذلك كلا من ستينيوس وأنخيمولوس المنحدر من أسرة رويتوس (١٠٧) العتيقة والذى اجترأ على انتهاك حرمة زوج أبيه مدنساً سرير عرسها. وأنتما أيضاً، أيها التوأمان لاريديس وثومبر، سقطتما فى أراضى الروتوليين، أيها الصنوان من ذرية داوكوس، يا من كان يستعصى على والديكما التفريق بينكما وكان هذا الخلط المحير مصدر بهجة لهما. لكن باللاس قد ميز الآن بينكما بعلامات قاسية، ذلك أن سيف إيفانلروس (١٠٨) قد اجتث منك الرأس، يا ثومبر، وإن يدك المبتورة، أى لاريديس، لتتلمس الطريق إليك أنت صاحبها وإن أصابعك التى فرت منها الحياة لترتعش وتحاول التشبث بالسيف من جديد (١٠٩)،

كان الحنق الممزوج بالخجل بمثابة سلاح جديد ضد العدو فى يد الأركاديين الذين اشتعلوا حماسا لكلمات بطلهم المشجعة والذين شاهدوا بأنفسهم انتصاراته الباهرة . وما لبث باللاس أن طعن رويتوس أثناء فرار هذا بعيداً فى عجلته الحربية ، وكانت هذه البرهة كافية كى تمد قليلا فى أجل إيلوس: ذلك أن (باللاس) كان قد وجه حربته المتينة من بعيد صوب إيلوس فى الوقت الذى تحرك فيه رويتوس – عند فراره منك أيها المغوار تيوثراس ومن أخيك توريس (١١٠) – ليصبح فى منتصف المسافة بينهما، فسقط متدحرجا من عجلته الحربية وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة والمهماز فى كعبيه يثقب حقول الروتوليين . ومثلما يحدث فى الصيف حينما تهب الرياح حسب ما يشتهى الراعى الذى يضرم نيرانه ويبثها فى بقع متفرقة من الغابة ، وفى لمح البصر تنتشر فصائل فولكانوس (١١١) المخيفة دفعة واحدة فوق السهول الممتدة بعد أن تلتهم ألسنتها مابين هذه البقع من أشجار ، فيجلس هذا (١١٢) منتشياً بانتصاره وهو يرقب ألسنة اللهب الظافرة – كذلك تماما ، أى باللاس ، انضوت بسالة رفاقك كلها تحت لواء واحد وعضدتك . ولكن هالايسوس (١١٣) ، شديد البأس فى الحرب تصدى للقوات المعادية متحصناً خلف درعه وأسلحته واستطاع بمفرده أن يدحر لادون وفيريس وديمودوكوس (١١٤) ، وأن يبتر بسيفه اللامع اليد التى مدها سترومونيوس نحو عنقه وأن يهشم بقطعة من الصخر وجه ثوآس ويبعثر عظامه المختلطة ببقايا مخه التى تنزف منها الدماء . وكان والد هالايسوس قد أخفى ابنه من قبل فى الغابة عندما تنبأ بمصيره ، ولكن ما أن أسلم الرجل المسن عينيه المكللتين بالبياض للموت حتى وضعت ربات القدر يدها عليه وأسلمته إلى رماح إيفاندروس (١١٥). وقبل أن يسعى باللاس نحو خصمه أخذ يبتهل هكذا : « أيها الأب ثوبريس (١١٦) ، لئن تجعل التوفيق حليف رمحى هذا المصنوع من الصلب والذى أصوبه بإحكام ، ولئن تمنحه طريقا عبر صدر هالايسوس ذى البأس الشديد ، فسوف تحظى شجرة البلوط (الباسقة على ضفتك) بأسلاب هذا البطل وعدته الحربية » . واستجاب الرب لدعائه : ففى الوقت الذى

كان فيه هالايسوس يحمى إماون (بترسه) انكشف صدره التعس وغدا دون وقاية أمام الرمح الأركادى. غير أن لاوسوس(١١٧)، وهو جانب لايستهان به فى الحرب، لم يسمح بأن يتسرب الفزع إلى صفوف قواته بفعل المجزرة العنيفة التى سببها البطل (باللاس) : فأجهز بادئ ذى بدء على آباس عندما تصدى له الأخير ، وكان هذا عقبة كئودا فى المعركة (١١٨) ، ثم جندل بعد ذلك كثيرا من صناديد أركاديا وكثيرا من أهل توسكانيا ومنكم ، أيها التوكريون ، يامن نجوتم من الموت على يد الاغريق . التقت فى النزال صفوف المحاربين بقوادهم وقواتهم المتكافئة : القوات التى فى المؤخرة تسد الطريق على من أمامها ولا أحد فى هذا الخضم المتلاطم يمكنه أن يحرك سلاحاً أو ساعداً . باللاس فى جانب يقاوم ويحث الرجال وعلى الجانب الآخر لاوسوس يحذو حذوه : لم يكن هناك فارق كبير بينهما فى العمر وإن كانا يختلفان فى الهيئة . لكن القدر أبى أن يعودا بسلام إلى وطنيهما: فقد شاء الجالس على عرش السماء العظيمة ألا يلاقى أحدهما الآخر فى النزال ، بل أن يلقى كل منهما حتفه بعد حين على يد عدو أكثر قوة وتفوقاً (١١٩) .

فى تلك الأثناء تلقى تورنوس، الذى كان يخترق الصفوف من منتصفها فى عجلته الحربية السريعة ، تحذيراً من أخته الربوم (١٢٠) بأن يخف إلى مساعدة لاوسوس . وما أن لمح تورنوس رفاقه حتى صاح قائلا: «لقد حان الوقت كى تتوقفوا عن القتال ، فأنا وحدى الكفيل بالتصدى لباللاس وبيدى وحدى ما سينتهى إليه باللاس من مصير ، وياليت والده نفسه كان حاضراً ليشهد هذا بعينيه». هكذا تحدث وبناء على أمره انسحب رفاقه من ساحة القتال. أما الفتى (باللاس) فقد تعجب لانسحاب الروتوليين فى ذلك الوقت ولأوامر تورنوس المتغطرسة ، ولذا حملق دهشاً فى تورنوس وأخذ يجوس بناظريه خلال جسمه الهائل ويعاين من على البعد بنظرة شرسة بنيانه كله، ورداً على كلمات العاهل (تورنوس) أجاب بالألفاظ التالية : «الآن إما أن يذيع صيتى حينما أجردك من أثمن الغنائم(١٢١)، -

وإما أن ألقى ميتة مجيدة : وأيا كان قدرى فإن أبى سيقر به عيناً ، دعك إذن من هذه التهديدات » . قال هذا ثم تقدم إلى وسط السهل فتجمد الدم بارداً حول قلوب الأركاديين (١٢٢) . وثب تورنوس من عجلته الحربية وانتصب على قدميه استعداداً لنزال خصمه يداً بيد — ومثل الليث حينما يبصر من مكمنه العالى ثوراً واقفاً على البعد فى وسط السهل استعداداً للنزال فيطير إليه كالريح (١٢٣) — كذلك كانت صورة تورنوس وهو يندفع للقتال . وعندما اعتقد بالاس أن خصمه قد صار فى متناول حربته المنطلقة هجم عليه أولا بقوته غير المتكافئة ليرى ما إذا كان الحظ سيكون حليفاً لجسارته ، وإلى السماء الشاسعة توجه بهذا الحديث : « أى ألكيديس (١٢٤) ، أستحلفك بكرم الضيافة الذى كان شيمة لوالدى وبالموائد التى كنت تجلس إليها ضيفاً عليه أن تلك عوناً لى فيما أنا مقدم عليه من أمر جد خطير. ألا ليت تورنوس يبصرنى بعينيه المحتضرتين عندما تدركه حشرجة الموت وأنا أجرده من أسلحته الملطخة بالدماء ، ألا ليته يقاسى الأمرين عند انتصارى عليه وظفرى به » . أصغى ألكيديس لضراعة الفتى وبين شغاف قلبه حبس أنة حزينة وذرف دمعاً هتوناً ذهب أدراج الرياح (١٢٥) . وحينئذ خاطب الأب (جوبيتر) (ابنه) هيراكليس بهذه الكلمات الشفوقة : « إن لكل إنسان ساعة معلومة ولكل امرىء قدر محدود من الحياة لاعوض فيه ولا رادة ، لكن الانسان ؛ زاته — وهذا مجال الشجاعة — يحقق لنفسه الصيت الذائع. فتحت أسوار طروادة الشامخة سقط الكثير من أبناء الآلهة صرعى (١٢٦) ؛ حتى ساربيدون المنحدر من صلبي هوى معهم صريعاً (١٢٧) . كذلك تورنوس تدخر له الأقدار منيته وسيصل حتما إلى نهاية الأجل المحدد له » . قال هذا ثم حول بصره بعيداً عن أراضى الروتوليين (١٢٨).

أما بالاس فقد طوح حربته بقوة عظيمة وبعدها استل سيفه اللامع من غمده المجوف . طارت الحربة حتى استقرت فى الموضع الذى يرتفع فيه الدرع ليغطى أعلى الكتف ، وشقت طريقها خلال الطبقة المدرعة

حتى خدشت أخيراً موضعاً من جسم تورنوس الهائل . ورد تورنوس على هذا بأن قذف باللاس برمح نصله من الصلب الحاد كان قد أحكم تصويبه طويلا وهو يخاطبه هكذا : « أنظر ما إذا كان رمحنا أكثر نفاذاً من حربتك » . هكذا قال ، أما نصل الرمح الهائل فقد نفذ بضربة شديدة ذات اهتزاز إلى منتصف درع باللاس مخترقا طبقات كثيرة من الزرد وطبقات كثيرة من البرونز رغم أن جلد الثور كان يغطيها ويحيط بها مرات عديدة ، واخترق كذلك صدريته المدرعة لينفذ إلى صدره . وعبثا حاول باللاس أن ينتزع الرمح الساخن من صدره المطعون ، فلقد لفظ أنفاسه الأخيرة مع الدم المنبثق من صدره . انكفأ على جرحه وفوقه سقطت عدته الحربية محدثة صوتاً مدوياً ، واصطك فمه الدامي بعد أن أسلم الروح بالأرض المعادية. عندئذ اقترب تورنوس وانتصب مطلا عليه وهويقول : « أيها الأركاديون ، تذكروا جيداً كلماتي هذه وانقلوها (بحذافيرها) إلى إيفاندروس : « ها أنذا أرد إليه باللاس على الهيئة التي يستحقها . إني أرده إليه طواعية واختياراً مهما يكن من الشرف الذي سيناله في قبره أو من العزاء الذي ستحظى به روحه عند دفنه . ذلك أن احتفاءه بآينياس وتحالفه معه (قد كلفه وسوف يكلفه ثمناً فادحاً » . هكذا تحدث ثم وطأ بقدمه اليسرى الجسد المسجى منتزعاً منه زناره الثقيل الوزن والذي نقش عليه بالذهب الوفير كلونوس بن يوروتوس (١٢٩) قصة الجريمة المنكرة — حيث ذبح ، ويا للفظاعة ، حشد من الفتيان في ليلة عرسهم وفي بحر من الدم سبحت أسرتهم — (١٣٠) . والآن وقد حصل تورنوس على هذا الزنار فقد انتشى جذلا وتهلل حبورا . يالقصور العقل البشري عن إدراك كنه أحداث المستقبل وحكمة القدر ! ويالعجزه عن التزام التوسط والاعتدال ! ويا لخيلائه عند الظفر والنجاح ! سوف تأتي لحظة يود فيها تورنوس لو أنه افتدى باللاس بثمن فادح دون أن يمسه بأدنى سوء ، ويتمنى فيها لو أنه كره يومه هذا وما غنمه فيه من أسلاب (١٣١) . أما رفاق باللاس العديدون فقد حملوه ممدداً على ترسه وعادوا به وهم يذرفون دمعاً غزيراً ويطلقون أنيناً موجعاً . إيه أيها الموشك أن تؤوب إلى والدك ، يامن كنت له بهجة وحبوراً وغدوت

الآن غماً وكرباً ! إن اليوم الذى أتاح لك أن تقاتل لأول مرة هو ذاته الذى سلب منك الحياة ، لكن بعد أن خلفت وراءك أكواما هائلة من جثث الروتولين . لم تكن فاما هى التى طيرت إلى سمع آينياس خبر تلك الفاجعة المروعة، بل شاهد عيان موثوق به هو الذى أنبأه بأن رفاقه على قيد أنملة من الهلاك وأن الوقت قد حان لنجدة التيوكريين الذين لاذوا بالفرار . فأخذ يحصد بسيفه كل من كان بالقرب منه حتى شق بنصل حسامه وهو يتأجج غضباً طريقاً رحباً بين صفوف الأعداء (١٣٢) قاصداً إياك ، ياتورنوس ، يامن انتفخت أوداجك زهواً بمذبحتك الجديدة . كانت تتراءى لعينيه صور بالاس وإيفاندروس وكل ما يرتبط بهما : المآدب والولائم التى حضرها وقتئذ كضيف وكذا العهود والمواثيق المبرمة بينهما وبينه (١٣٣) . لذلك اختطف أحياء أربعة فتيان من نسل سولمو ومثلهم من أنجال أوفنس كى يقدمهم قرباناً إلى طيف (باللاس) وكى يضمخ بدمائهم كأسرى ألسنة اللهب فى كومته الجنائزية (١٣٤) . ثم قذف بعد ذلك من على البعد بحربته المعادية تجاه ماجوس ، غير أن هذا انحنى وتفاداها بمهارة فطارت الحربة ذات الأزيز من فوقه . وعندئذ انكب على ركبتى (آينياس) يعانقهما وهو يخاطبه متوسلا بهذه الكلمات: «استحلفك بروح أبيك وبالآمال التى تعلقها على نجلك الشاب إيولوس أن تبقى على حياتى من أجل ابنى ووالدى . إن لى قصراً منيفاً أخفى تحت أرضه تالنتات (١٣٥) من الفضة المنقوشة وسبائك من ذهب منقوش وغير منقوش كلها ملكى. إن انتصار التيوكريين لايتوقف على شخصى ، كما أن حياة فرد واحد لن تؤثر كثيراً فى موازين الأمور» . هكذا تحدث ، أما آينياس فقد رد عليه بهذه الكلمات : «استبق لابنك هذه التالنتات الكثيرة من ذهب ومن فضة والتى تتشدق بذكرها . فمنذ اللحظة التى قتل فيها باللاس كان تورنوس هو البادىء بإلغاء مثل هذه المساومات فى الحرب : هذا هو ما تحس به روح والدى أنخسيس وهذا هو رأى إيولوس» . قال هذا ثم أمسك خوذة

(غريمه) بيسراه وبعد أنثنى رقبته – وهو ما زال يلحف فى الضراعة – أغمد فيها سيفه حتى المقبض . وعلى مقربة منه كان يوجد هايمونيدنيس ، كاهن فويبوس وكاهن ربة الطرق الثلاثة (١٣٦) ، الذى كان يربط حول صدغيه عصابة بشريط مقدس ويتلألأ فى إزاره اللامع وعدته الحربية الناصعة البياض ، وما أن التقى به آينياس حتى أطاح به فى السهل إلى أن هوى على الأرض فانتصب واقفاً فوقه وذبحه مسدلا على (عينيه) ظلال الموت الكثيفة(١٣٧) . حمل سيرستوس (١٣٨) أسلحة (الصريع) المختارة على كتفيه تذكاراً لنصرك ، أيها الملك جراديفوس (١٣٩) . أما كايكولوس (١٤٠) المنحدر من نسل فولكانوس ، وأومبرو (١٤١) القادم من الجبال المارسية فقد جددا القتال مرة أخرى مما أثار حنق حفيد داردانوس (١٤٢) عليهما : إذ بتر بسيفه يد أنكسور اليسرى ومزق بنصله محيط ترسه بأكمله – وكان هذا قد تشدق بألفاظ طنانة وظن أن قوته ستعضد قوله وأن شجاعته قد تحلق به فى أجواز الفضاء حينما منى نفسه بعمر مديد وشيخوخة شهباء . ومن بعـــده تصدى (لبطلنا) الملتهب حماساً ، تاركويتوس المتفاخر فى أسلحته البراقة والذى أنجبته الحورية دريوپى من فاونوس رب الغابات . رماه (بطلنا) بحربته فأبطلت مفعول صدريته المدرعة وثقل درعه الهائل (١٤٣) ، ثم اجتث منه الرأس بينما كان هذا يلحف عبثاً فى الضراعة محاولا التوسل بسيل من الكلمات ، وبعد أن دحرج جسده الساخن على الأرض انتصب فوقه وهو ينطق بهذه الكلمات من قلبه الحانق : « والآن ! فلترقد ها هنا ميتاً ، ياذا الهول ، دون أن يقدر لأمك الرحيمة أن تواريك الثرى أو أن تسجى أطرافك فى قبور آبائك(١٤٤) ، ولتترك نهباً لجوارح الطير أو يحملك الموج بعد أن تغوص إلى القاع حيث تلعق جراحك الأسماك الجائعة » . وعلى الفور تعقب كلا من أنتايوس واوكاس ، وهما من طليعة صفوف تورنوس ، وكذلك طارد نوما الصنديد ، وكامبرس (١٤٥) ذا الخصلات الذهبية المنحدر من نسل فولكنس الشهم ، الذى كان أغنى أهل أوسونيا عقاراً والذى تولى حكم مدينة أموكلاى الصامتة(١٤٦) . ومثل آيجايون(١٤٧)

الذى قيل إن له مائة ذراع ومائة يد وإنه ينفث النار من خمسين فماً وصدراً ، حينما يزأر فى مواجهة صواعق جوبيتر ويشهر سيوفا بمقدار الدروع التى تتصدى له — كذلك تماماً كان آينياس المظفر ينفث نيران غضبه فى ميدان القتال بأجمعه حتى أضحى نصل سيفه دافئاً(١٤٨) . ثم انظر ! ها هو يسعى حتى إلى خيول نيفايوس الأربعة الموثقة معاً بعنان واحد وصدورها مواجهة له ، ولكن ما أن لمحته الخيل قادماً نحوها من بعيد وهو يزمجر بضراوة حتى ارتدت على أعقابها من الخوف واندفعت إلى الوراء ملقية بقائدها ومطوحة بعربته على الشاطىء . وفى تلك الأثناء ألقى لوكاجوس بنفسه وسط المعمعة (واقفاً) مع أخيه ليجير فى عجلته الحربية ذات الجوادين الأبيضين ، وفى الوقت الذى كان الأخ يوجه فيه الخيل باللجام كان لوكاجوس العنيف يلوح بسيفه المجرد من غمده . لم يتحمل آينياس رؤيتهما وهما ينشران مثل هذا الفزع بعد أن سيطر عليهما الجنون فانقض عليهما وانتصب بحربته شامخاً أمامهما وعندئذ خاطبه ليجير قائلا : «إنك لا تلمح هنا خيول ديوميديس ولا عجلة أخيليوس الحربية ولا سهول فروجيا (١٤٩) ؛ الآن على هذه الأرض سيكون ختام الحرب مع نهاية حياتك » . تطايرت مثل هذه الكلمات (المتبجحة) من فم ليجير المخبول ، غير أن البطل الطروادى لم يكن ليرد على هذا بالكلمات بل قذف بالرمح تجاه خصمه . وما أن مال لوكاجوس للأمام ليتفادى الضربة حتى حث خيوله على الاسراع بمزراقه ثم تهيأ للقتال بأن مد قدمه اليسرى للأمام . لكن الرمح مر خلال الأطراف السفلى لدرعه اللامع ونفذ إلى حقوه من الجهة اليسرى ، فانقلب من العجلة الحربية وهو فى النزع الأخير وأخذ يتدحرج فوق الحقول . وهنا خاطبه آينياس الورع بهذه الكلمات القارصة : «أى لوكاجوس ، لم تكن عربتك هى التى غدرت بك ، ولم يكن بطء خيولك عند هربها (١٥٠) ، لم تنحرف بها عن الأعداء أطياف مضللة بل أنت نفسك الذى تخليت عن جواديك حينما قفزت من عربتك » . هكذا تحدث ثم أمسك بالجوادين ، وكان أخوه التعس قد قفز من نفس العربة وأخذ يمد كفيه العاجزتين تضرعاً وهو يقول :

« أستحلفك بحياتك ، أيها البطل الطروادى ، وبوالديك اللذين أنجباك هكذا (شهيراً) أن تبقى على حياتى هذه وأن تشفق على من يلحف فى التوسل والرجاء » . ورداً على ضراعته وإلحافه فى التوسل قال آينياس : « لم تك منذ برهة تردد مثل هذه الألفاظ ، لمّت فلا ينبغى لأخ أن يفارق أخاه (١٥١) » . وبنصل سيفه مزق صدره حيث تكمن روحه . كان القائد الداردانى (١٥٢) يشيع مثل هذا الخراب الجسيم فى ساحة الحرب وهو يتأجج غضباً مثل سيل جارف أو إعصار مدمر وأخيرا اندفع الفتى أسكانيوس ومعه بقية الشباب بعد أن حوصروا طويلا دون جدوى ، وغادروا المعسكر إلى (ساحة القتال) .

فى تلك الأثناء خاطب جوبيتّر جونو ، دون أن تسأله ، قائلا : «أختاه ، يامن أنت فى الوقت نفسه زوجى العزيزة ، إن فينوس كما ترددين — ولن يقودك رأيك إلى الضلال — هى التى تعضد قوات الطرواديين ، وإن رجال هؤلاء ليست لهم سواعد فتية فى الحرب ولا أرواح متوثبة تتحمل الأخطار » . ردت عليه جونو وقد أذعنت له تماماً : «أى زوجى فائق البهاء ، لم تكدر صفوى وأنا مضطربة أرتجف فرقاً لأوامرك الصارمة ؟ إن يك لى — كما كان لى قبلا وكما هو خليق بى أن أكون — سلطان على عواطفك فلن ترفض أيها القدير طلبى هذا : أن يصبح فى مقدورى أن أخلص تورنوس من حومة الوغى وأحفظه سالماً لوالده داونوس ، أو أن تدعه الآن يهلك ويكفر بدمائه الزكية(١٥٣) عن جرمه فى حق التيوكريين . لكنه رغم كل شىء قد أخذ اسمه من جنسنا (نحن الآلهة) وكان بيلومنوس جداً لجده (١٥٤) ، وكثيراً ما كدس بيده السخية القرابين الكثيرة فى ساحات معابدك » . وأجابها مليك الأولومبوس السابح فى الأثير باختصار هكذا : « إن كنت تسألينى فقط أن أرجىء لفترة الموت المتربص بهذا الشباب وفسحة من الوقت قبل أن يحم القضاء فيه ، وإن كنت تودين أن أسوى الأمر على هذا النحو ، فخذى تورنوس بعيداً ، اهربى به وانتزعيه من براثن الأقدار المحدقة به . فهذا أقصى

ما أسمح لك بالحصول عليه ، أما إذا كان هناك أى مطمع آخر يختفى وراء توسلاتك هذه وكنت تظنين أن مجرى الحرب بأسرها يمكن أن يتحول أو يتبدل ، فإنما على باطل الآمال تعيشين ».فردت عليه جونو وعبراتها تنهمر : « ماذا او أنك منحتنى بقلبك ما أبيته على بكلماتك وأبقيت على تورنوس حياته هذه التى قسمت له ؟ إن نهاية مفجعة تنتظر الآن هذا البرىء إن لم أجاوز الحقيقة وأتبع الشطط . غير أننى أتمنى أن تكون المخاوف التى تضللنى بغير أساس وأن تراجع ، يامن لك المقدرة ، قراراتك على نحو أفضل وأعدل » . وما أن نطقت بهذه الكلمات حتى اندفعت لفورها من السماء الشاهقة ملتفة فى الضباب ومثيرة للعواصف فى أرجاء الفضاء واتجهت إلى حيث جيش إليون والمعسكر اللاورينتى (١٥٥) . وعندئذ تشكلت الربة داخل سحابة مجوفة على هيئة طيف رقيق لا عنف فيه واتخذت لنفسها — وياله من أمر خارق مدهش عند رؤيته — صورة آينياس وتزودت بمزاريق داردانية ، كما أحكمت تقليد ترسه وريش الخوذة الذى يغطى هامته المقدسة ، ومنحت (لهذا الطيف) ألفاظاً زائفة وزودته بصوت لامعنى له (١٥٦) وابتكرت له طريقة للحركة عند السير ، تماماً مثل الأشباح التى يقال إنها تحلق وترف بعد الموت وانتهاء الحياة أو مثل الأحلام التى تسخر من الحواس المستسلمة للسبات العميق . أما هذا الطيف فقد أخذ يقفز حبوراً فى طليعة الجيش ويستفز البطل (تورنوس) بمزاريته ويتحداه بكلماته ، ولذا حمل عليه تورنوس وقذفه من بعد بحربة ذات أزيز فنكص الطيف على عقبيه وحث الخطى راجعاً . وعندئذ اعتقد تورنوس أن آينياس قد ارتد فعلا على أعقابه ولاذ بالفرار ، فاضطرمت مشاعره وامتلأ زهواً وغروراً وصاح : «إلى أين المفر ، يا آينياس ؟ لا تهجر زواجا أزمعت عقده ، فإن الأرض التى طفقت تنشدها عبر البحار سوف تمنح لك بيمناى هذه » . بهذه الكلمات رفع عقيرته ثم تبع الطيف وهو يهز نصل سيفه المجرد من غمده دون أن يعلم أن الرياح تحمل معها أفراحه إلى حيث لا رجعة . وبالمصادفة كانت هناك سفينة راسية موثقة إلى نتوء صخرى مرتفع وقد مد منها سلم وأعد لها معبر ، بعد أن أقلت الملك أوسينيوس

من شواطىء كلوسيوم (١٥٧) . وهنالك قفز إليها طيف آينياس الهارب ذعراً وكمن فى مخبأ بها ، ولم يتوان تورنوس عن اللحاق به متخطياً كل العوائق(١٥٨) وقافزاً عبر المعبر الشاهق ، وما كاد يصل إلى مقدمة السفينة حتى قطعت ابنة ساتورنوس(١٥٩) حبال السفينة ودفعتها على عجل عبر الأمواج الدوارة بعد أن فصلتها عن مرساها . أما آينياس فطفق يبحث عبثاً فى ساحة القتال عن غريمه الغائب وأرسل إلى الموت بأجساد كثيرة لمن نازلوه من الأبطال : وهنا لم يعد الطيف الرقيق بحاجة بعد ذلك إلى البحث عن مخبأ بل حلق فى أجواز الفضاء وامتزج بسحابة داكنة فى الوقت الذى كان الإعصار فيه قد دفع تورنوس (فى سفينته) إلى عرض البحر. ومن ثم رنا هذا ببصره إلى الخلف متحيراً إزاء ما يدور من أحداث، كنوداً رغم نجاته من الهلاك، ورفع كلتا يديه إلى السماء قائلا : « أيها الأب القدير، أفهل اعتبرتنى خليقاً بمثل هذه الجريمة الشنعاء وشئت لى أن أكفر عنها بمثل هذا العقاب الجسيم؟ إلى أين يساقنى؟ ومن أى مكان قدمت ؟ أى فرار مزر يسوقنى وإلى أية غاية أنتهى ؟ أفهل سيقدر لى أن أشاهد مرة أخرى أسوار لاورينتوم أو معسكرها ؟ وما مآل ذلك الحشد من الرجال الذين تبعونى وأسلحتى ؟ ماذا بعد أن تركتهم جميعاً – وياله من جرم بشع – فريسة للموت الرهيب ؟ وكيف إذ أراهم الآن وهم يهيمون على وجوههم وأسمع أنينهم وهم يسقطون صرعى ! ماذا أفعل ؟ وأى أرض عميقة الغور يمكن أن تفغر الآن فاها لتبتلعنى (١٦٠) ؟ وبالأحرى أشفقى على ، أيتها الرياح، وادفعى سفينتى تجاه الصخور وتجاه الأحجار الناتئة – أتوسل إليك بمحض رغبتى أنا تورنوس – واقذفى بها فى الأغوار الرملية المهلكة ، حيث لا يلحق بى الروتوليون ولا السمعة المدركة لحقيقة أمرى ». وبينما كان يتفوه بمثل هذه الألفاظ كانت مشاعره تتأرجح تارة هنا وتارة هنالك : ترى هل يلقى بنفسه بجنون على نصل سيفه تخلصا من ذلك العار الفظيع ويغمد السيف القاسى داخل ضلوعه ، أم يقذف بنفسه وسط الأمواج ويقصد الشاطىء المتعرج سابحاً إلى حيث يجابه من جديد أسلحة التيوكريين . ثلاثاً حاول الفتى (تورنوس) أن يجرب كلا من السبيلين ،

وثلاثاً(١٦١) كانت الربة جونو بالغة العظمة تحبط محاولته وتكبح جماحه مشفقة عليه من شغاف قلبها . وبسرعة انزلقت سفينته وشقت البحر مصحوبة بالمد وبالرياح المواتية حتى أقلته إلى مدينة والده داونوس العتيقة (١٦٢) .

شكل (٤٢)
ميركويوس ، رسول الآلهة

فى تلك الأثناء وبتوجيه من جوبيتر حل ميزنتيوس المهتاج محل
٦٩٠ (تورنوس) فى القتال وحمل على التيوكريين الظافرين . وحينئذ انقضت

عليه وحده الفصائل التورهينية (١٦٣) بأسرها ، وعليه وحده صبت جام حقدها وكذا رماحها العديدة . غير أن هذا كان مثل الصخرة الناتئة في عرض البحر الشاسع : تواجه غضب الرياح وتتعرض للبحر اللجى ، تتحمل العنف حتى أقصاه وتهديدات السماء والبحر غير أنها نفسها تظل راسخة لاتهتز . فلقد طرح على الثرى هيبروس بن دوايكاؤون ومعه لاتاجوس وبالموس الهارب ، وإذ لطم لاتاجوس على فكه ووجهه الذى كان قبالته بصخرة كانت شطراً من الجبل كبيراً (١٦٤) ، جعل بالموس يتلوى ببطء بعد أن بتر فخذه ومنح عدته الحربية (اولده) لاوسوس كى يرتديها على كتفيه وكذا خوذته ذات القنزعة كى يثبتها على هامته. كذلك جندل كلا من إيفانثيس الفروجي وميماس-رفيق باريس وصنوه فى العمر – ميماس الذى جاءت به إلى نور الحياة أمه ثيانو لأبيه أموكوس فى نفس الليلة التى أنجبت فيها الملكة ابنة كيسيوس (١٦٥) باريس وهى مفعمة بمشعلها – (١٦٦) وها هو باريس يرقد ميتاً فى مدينة آبائه بينما يضم الشاطىء اللاورينتى (رفات) ميماس مجهولا وغريباً. ومثلما يقع خنزير برى مطارد من ذرى الجبال فريسة لكلاب الصيد، بعد أن ظل جبل فيسولوس (١٦٧) المحمل بأشجار الصنوبر أو بحيرة لاورينتوم له ملاذا سنين عدداً ، حيث كان يرعى الكلأ فى دغل من أشجار البوص، وبعد أن تنتهى به المطاردة نحو الشراك المنصوبة : فيتوقف برهة ثم يزأر بوحشية وينفش شعر كتفيه غضباً وإذ ذاك لا يجرؤ أحد (من الصيادين) على إظهار حماسه أو يتجاسر على أن يدنو منه ، بل يقف (الجميع) على مبعدة منه وهم يحملون عليه بالمزاريق وبصيحات لاخطر منها، لكن هذا يستدبر دون رهبة أو جزع فى كل اتجاه وهو يصر على أنيابه وينفض عن ظهره المزاريق – كذلك تماما كان ميزنتيوس فى مواجهة أولئك الغاضبين عليه حق الغضب ، إذ لم يجرؤ أى منهم على أن يلتحم معه وسيف هذا مشهور (فى يده) بل اكتفوا بمناوشته من بعيد بالقذائف والصراخ المرتفع . فمن أراضى كوروثوس العتيقة (١٦٨) جاء أكرون الإغريقى الأصل بعد أن هاجر (مع آينياس) تاركاً زواجه دون إتمام ، وآنذاك شاهده (ميزنتيوس) من بعد وهو يشق طريقه وسط

الصفوف متألقاً بالريش والأرجوان الذى أهدته له زوجه المرتقبة — ومثل الأسد الجائع الذى كثيراً مايجوس خلال المراعى الشاسعة، ذلك أن الجوع الضارى يستفزه ، حينما يبصر مصادفة عنزاً شاردة أو أيلا متشعب القرون فيبتهج ويفتح فكيه الهائلين جاعلا شعره ينتصب ثم يربض (فوق فريسته) ملتصقاً بأحشائها حيث يلغ بفكيه النهمين فى دمها الداكن — كذلك اندفع ميزنتيوس متعطشاً تجاه أعدائه المحتشدين .

خر أكرون التعس صريعاً (على يديه) وظل عقباه يرتطمان بالثرى الأعفر ودماؤه تلطخ رمحه المهشم حتى لفظ أنفاسه الأخيرة . ولم يشأ (ميزنتيوس) ذاته أن يصرع أوروديس وهو يلوذ بالفرار أو أن يقذف بحربته ذات النصل فيصيبه بجرح غير منظور ، بل اندفع للهجوم عليه وجهاً لوجه ونازله رجلا لرجل حتى لاتكون الغلبة للخداع بل لقوة السلاح ، وبعد أن طرحه أرضاً وطأه بقدمه ثم قال وهو مرتكز على حربته : « أيها البواسل ، ها هو أوروديس الشامخ يرقد صريعاً رغم كونه جزءاً لا يستهان به فى الحرب ».وهنا تبعه رفاقه فى الصياح مرددين أنشودة النصر البهيجة . غير أن (أورروديس) تمتم وهو يحتضر قائلا: « كائناً من تكون ، فلن يطول الأمر باغتباطك على نصر أحرزته على دون أن يثأر لى ، وإن مصيراً مشابهاً لمصيرى ينتظرك بالمثل ولسوف تتمدد تواً صريعاً على نفس هذه الأرض » (١٦٩) . وعلى هذه الكلمات رد ميزنتيوس وهو يبتسم ابتسامة ممزوجة بالحنق قائلا : « مت الآن . ودع أمرى لأبى الآلهة ومليك البشر كى يرى فيه ما يرى » . قال هذا ثم نزع حربته من جسد (غريمه) فانسدلت على بصره أستار من سكون مروع وسبات كأنه الفولاذ وخيم على عينيه ظلام سرمدى .

جندل كايديكوس ألكاثوس ، وصرع ساكراتور هوداسبيس ، أما رابو فأجهز على بارثينيوس وعلى أورسيس فائق القوة فى بنيانه ، وأما ميسابوس فقد أطاح بكل من كرونيوس وإريخايتيس بن اوكاؤون (١٧٠) : صرع أولهما بعد أن أسقطه من فوق جواده الشارد على الأرض وثانيهما

راجلا بعد أن ترجل هذا على قدميه ، وتقدم إلى الساحة أيضاً آجيس من اوكيا ؛ غير أن فاليروس ، الذى لم تكن تنقصه بسالة أسلافه، أطاح به . هوى ثرونيوس صريعاً بيد ساليوس ، أما ساليوس نفسه فقد أطاح به نيالكيس بأن نصب له كميناً (١٧١) :

الآن ساوى مارس القاسى بين الطرفين فى الحزن والفجيعة : إذ غدا المنتصرون والمهزومون فى قتلاهم وصرعاهم على حد سواء ،ولم يعد هناك أمام هؤلاء أو أولئك مفر (يعلمونه) علم اليقين . وفى مقر جوبيتر أبدى الآلهة تأثرهم للغضب العقيم الذى استولى على كل من الطرفين ولهذه المشاق الجسيمة التى قدرت على الفانين . وكانت فينوس تجلس فى جانب وعلى الجانب الآخر تجلس جونو ابنة ساتورنوس وهما ترقبان (الأحداث) ، بينما كانت تيسيفونى (١٧٢) الشاحبة فى المنتصف تشعل آلافا من ألسنة الغضب المسعور . وها هو ميزنتيوس يتقدم الآن إلى الساحة منتفخ الأوداج وهو يهز رمحه الضخم . ومثل أوريون (١٧٣) الهائل حينما يسير على قدميه شاقاً طريقه خلال المياه الشاسعة وسط (١٧٤) نيريوس وكتفاه تعلوان عن سطح الموج ، أو حينما يجتث شجرة دردار معمرة من ذرى الجبال كى يتوكأ (١٧٥) بها على الأرض ويخفى هامته بين السحاب — كذلك كان ميزنتيوس وهو يخطو فى عدته الحربية الضخمة . وما أن لمحه آينياس قبالته على الناحية الأخرى وسط جيشه الجرار حتى استعد لنزاله ، أما هذا فقد ظل قابعاً فى انتظار خصمه ذى الهمة العالية غير هياب ولا وجل منتصباً بقامته الهائلة . وبعد أن قدر ببصره المدى الذى يمكن لحربته أن تصل إليه قال : « ألا فلتكن يدى اليمنى — التى هى ربى (١٧٦)— وليكن رمحى هذا الذى أصوبه للانطلاق عوناً لى ! وإنى لأقطع على نفسى عهداً أنك ، يالاوسوس ، ستكون تذكاراً لنصرى بعد ارتدائك للأسلاب المنتزعة من جسد القرصان آينياس » . قال هذا ثم قذف من على البعد بحربته ذات الأزيز ، غير أنها حلقت بعيداً بعد اصطدامها بالترس واخترقت جسد أنتوريس المجيد مابين خاصرته وحقوه ، أنتوريس الذى

كان رفيقاً لهراكليس والذى بعث من أرجوس كى يلحق بإيفاندروس فاستقر بالمدينة الإيطالية . وها قد تمدد التعس صريعاً بجرح (قصد به) شخص آخر ، وبعد أن رنا إلى السماء تذكر وهو فى النزع الأخير وطنه الحبيب أرجوس . عندئذ طوح آينياس الورع برمحه، فشق طريقه خلال قرص الدرع المجوف ذى الطبقات البرونزية الثلاث ، وخلال الطبقات الكتانية وخلال الطبقة المنسوجة من جلد ثلاثة ثيران حتى استقر أسفل حقو (ميزنتيوس) لكن دون أن تصل قوته إلى منتهاها : وفى الحال جرد آينياس حسامه من غمده الملاصق لفخذه مغتبطاً لمرأى الدم التورهينى (١٧٧) واندفع والحماس يملؤه ليهاجم(خصمه) المرتبك . وما أن شاهد لاوسوس ذلك حتى ندت عنه أنة عميقة إشفاقاً على والده الحبيب وانهمرت الدموع مدراراً على وجنتيه . وهنا ، أيها الشاب الجدير بالخلود ، ثق أننى لن أمر فى صمت على فجيعة مصرعك القاسى أو على جلائل أعمالك ، إن كان هناك عصر فى الأزمان الغابرة يعتقد حقاً فى مثل هذا الموقف النبيل (١٧٨) . أما الأب فقد قفل راجعاً يتثاقل فى خطاه مترنحاً خائر القوى وهو يجر مع ترسه الرمح المعادى، على حين اندفع الشاب للأمام وألقى بنفسه وسط القوات المتحاربة وانتصب تحت نصل الحسام ذاته الذى كان آينياس يرفعه وقتئذ بيمينه كى يوجه به ضربته فأوقف هجوم خصمه ابرهة . وتلاه أنصاره بصياح عظيم (١٧٩) حتى تمكن الأب من الانسحاب فى حماية ترس ابنه،وأخذوا يرمون خصمهم بوابل من القذائف ويطاردونه من البعد بالمزاريق ، لكن آينياس كان يكر عليهم مبقياً نفسه تحت حماية ترسه .ومثلما يحدث أحياناً حينما تمطر السحب وابلا من البرد والصقيع فيسرع هرباً من الحقول كل حارث الأرض وكذا كل زارع ،وحينما يهطل المطر مدراراً على الأرض فيختبىء عابر السبيل فى ملاذ آمن سواء على ضفاف نهر أوفى غار على صخرة شماء ، حتى تعود الشمس لتشرق من جديد على الأرض ويتمكن هؤلاء من متابعة عملهم اليومى — كذلك كان آينياس والقذائف تنهال عليه من كل صوب وحدب ، يصمد لعاصفة الحرب حتى يصمت كل صوت

للرعد . ثم أخذ يعنف لاوسوس ويهدده قائلا : « فيم سعيك إلى حتفك بظلفك وتجاسرك على فعال تفوق قوتك؟ إن تقديسك للواجب يعميك عن حمايةنفسك» . غير أن الشاب وقد فقد عقله لم يكف عن التجاسر (على البطل) ، أما القائد الدارداني فقــد وصل غضبه العنيف الآن إلى أقصاه ، وكانت ربات القدر (١٨٠) قد أتممن نسج آخر خيط فى حياة لاوسوس : إذ أغمد آينياس سيفه المتين حتى مقبضه فى جسم الشاب من منتصفه ، فنفذ نصله خلال ترس (الشاب) الذى كان يهدد ويتوعد وخلال درعه الرقيق وخلال صدريته التى كانت والدته قد طرزتها بخيوط رقيقة من الذهب . ملأ الدم صدره ورحلت روحه حزينة عبر الأثير إلى عالم الأطياف مفارقة جسده.ولكن ما أن شاهد بن أنخيسيس وجه (الشاب) المحتضر ونظراته وشحوب الموت المنتشر بجلال على ملامحه ، حتى ندت عنه أنة عميقة إشفاقاً عليه وبسط إليه يده اليمنى ، ذلك أن تلك الصورة من البر بالأب قد مست شغاف قلبه فقال : « أيها الشاب المستحق الأسى والأسف، أى جزاء وأى شرف يناسب خصالك السامية يمكن أن يسبغه الآن عليك آينياس الورع ؟ فلتحتفظ بأسلحتك التى كنت تقر بها عيناً ، وإنى لمسلمك إلى أرواح ورماد أسلافك إن كان هذا مناط أملك ومعقد رجائك . غير أنك، أيها التعس ، سوف تعزى نفسك على هذه الميتة المؤسفة بأنك (على الأقل) قد سقطت صريعاً بيد آينياس العظيم » . ولم يعنف رفاقه المتسكعين فحسب بل وحمل بنفسه الشاب من الأرض بعد أن لطخ الدم خصلات شعره الممشوطة بعناية ونظام (١٨١) .

فى تلك الأثناء كان الأب عند مجرى نهر التيبر يغسل جروحه بالماء (١٨٢) ويمنح جسده قسطاً من الراحة مرتكزاً على جذع شجرة.وعلى البعد كانت خوذته البرونزية معلقة على أحد الغصون بينما استقرت أسلحته الثقيلة على العشب . والتف حوله رهط من خيرة الشباب وقوفاً ، أما هو نفسه فكان خائر القوى يلهث وهو يغسل رقبته بينما تنسدل لحيته

الطويلة المشطة على صدره : كان يسأل عن لاوسوس مراراً وتكراراً ويرسل مرة بعد أخرى بنفر كى يستدعونه (من ساحة النزال) ويحملون إليه أوامر والده المحزون . لكن أتباعه ما لبثوا أن عادوا أدراجهم وهم يحملون لاوسوس على ترسه ويذرفون الدمع السخين ،(يحملونه) بعد أن أسلم الروح (جسدا) هائلا صرع بجرح جسيم . ومن بعد أدرك عقل (ميزنتيوس) أن أنينهم ينذر بالفاجعة، فأخذ يهيل على خصلات شعره الأشهب تراباً كثيراً (١٨٣) ومد كلتا يديه نحو السماء ثم يتشبث بجسد (ابنه) وهو يقول : « أى بنى ، أفهل تملكتنى مثل هذه الرغبة القوية فى الحياة حتى أدع ذلك الذى أنجبته من صلبى كى يحل محلى تحت رحمة يد عدوى ؟ أفهل بهذه الجروح التى أصابتك نجوت أنا والدك لأحيا،وتلك ؟ واحسرتاه! ها أنذا الآن، وبالتعاستى ،أحس بوطأة المنفى فى نهاية المطاف، الآن ما أعمقه من جرح أصابنى فى الصميم(١٨٤) ! فأنا ،ياولدى، الشخص ذاته الذى تسبب بجرمه فى طمس اسمك وشهرتك حينما طردت بسبب الكراهية من عرشى وصولجان آبائى . أنا المدين اوطنى منذ القدم (لا أنت) وكان لزاماً على أن أضحى بروحى الآثمة بعد أن ألقى جميع صنوف الموت تكفيراً عن كراهية شعبى لى! ومع ذلك فأنا مازلت حياً ولم أتوار عن البشر أو عن نور الحياة . ولكنى حتما سأتوارى » . وما أن نطق بهذه الكلمات حتى انتصب على فخذه المتعب، ورغم أن قوته كانت مضمحلة بسبب جرحه العميق إلا أن ذلك لم يفت فى عضده ، فأمر بإحضار جواده . وكان هذا (الجواد) موضع فخره وسلواه وبفضله خرج مظفراً من جميع معاركه. وابتدر (ميزنتيوس)الحيوان الحزين (١٨٥) بهذه الكلمات: « أى رايبوس، لقد عشنا سوياً ردحاً من الزمن،لو كان لدى الفانين شيء يمكن أن يدوم طويلا،اليوم إما ستحمل معى منتصراً رأس آينياس وتروى تلك الغنائم من دمائه فأثأر لأحزانى على لاوسوس، أو ستسقط معى إذا فشلت جهودنا وذهبت ريحنا . ذلك أننى أعتقد يا فائق البسالة : أنك لن ترضى أبداً أن تذعن لأوامر السادة التيوكريين » . قال هذا ثم امتطى ظهر الجواد ووضع ساقيه فى مكانهما المعهود وأمسك فى كل يد رمحاً مسنناً ، بينما كانت

هامته ... ق بخوذة نحاسية مزينة بقنزعة من شعر الخيل . وعلى هذه الهيئة اتخذ د بقة وسط الساحة بسرعة فائقة، وفى سويداء قلبه كان يتأجج شعور طاغ من الحزن الممتزج بالجنون(١٨٦). وهنا نادى على آينياس ثلاث مرات بصوت عال ، وابتهج آينياس حينما لمحه فأخذ يبتهل بهذه الكلما ، : « آه ليت أبا الآلهة العظيم وليت أبوللون المجيد يحفزانك إلى بد الالتحام». كانت هذه فحسب كلماته ومن ثم تقدم لنزاله حاملا رمحه عادى . ولكن الآخر ابتدره قائلا : « يا أكثر الناس وحشية ، أو (لمن أنك) ستبعث فى نفسى الذعر بعد أن انتزعت منى فلذة كبدى؟ لقد ... ن هذا هو الطريق الوحيد الذى كان بوسعك أن تسحقنى منه . أما الآن فأنا لا أهاب الموت ولا أحفل بأى إله من آلهتك (١٨٧) . كفى (تهديداً) فإنى صائر إلى الموت، غير أنى قبلا (أزمع أن) أقدم لك هذه الهدايا » . قال هذا ثم قذف تجاه عدوه رمحاً تلاه بآخر ثم ثبت فى يده ثالث وراح يطوف حول (خصمه) فى دائرة واسعة ، لكن سرة الترس الذهبية صمدت للقذائف . ثلاثاً طاف فى دوائر من ناحية اليسار حول (آينياس) الواقف قاذفاً إياه بالمزاريق التى فى يده، وثلاثاً (١٨٨) كان البطل الطروادى يتلقى المزاريق فوق ترسه البرونزى الذى أضحى بمثابة غابة شاسعة (١٨٩) . وحينما سئم (آينياس) من استدراج خصمه له طوال هذا الوقت ومن قذفه له بكل هذه المزاريق، وبلغ منه الضيق مداه لالتحامه فى معركة غير متكافئة (١٩٠) أخذت أفكار عديدة تدور فى عقله ، وأخيراً وثب إلى الأمام وقذف برمحه بين الصدغين المجوفين لجواد خصمه المحارب . ارتفع الفرس وانتصب عالياً ثم رفس الهواء بعقبيه وتهاوى فوق راكبه بعد أن طرحه أرضاً وعرقله، ثم برأس ممتدة للأمام وبكتف مفصولة عن جسده تكأكأ (فوق صاحبه) . وبالصياح شق كل من الطرواديين واللاتين صفحة السماء (١٩١). أما آينياس فخف مسرعاً إلى (خصمه) وجرد حسامه من غمده ثم ابتدره بهذه الكلمات: « والآن أين ميزنتيوس الصارم ؟أين تلك الغطرسة وشراسة الطبع (التى أثرت عنه)؟ » . وما أن رفع التورهينى (١٩٢) بصره إلى السماء وملأ رئتيه بالهواء

واستعاد حواسه حتى رد عليه قائلا : « أيها العدو اللدود ، لم تعيرنى وبالموت تهددنى ؟ ليس بجرم أن تسفك دمى ، ولم أتقدم إلى ساحة القتال على (غير هذا الأساس) (١٩٣) ، لا ولم يرتبط ولدى لاوسوس معك بعهد كهذا من أجلى . إننى لا ألتمس سوى مطلب واحد : هو أن تمن على — لو كان للعدو المهزوم أى فضل أومنة — وتأذن بأن يوارى جسدى الثرى . إنى أعرف أن كراهية رعيتى العنيفة تحدق بى من كل جانب فدافع عنى ، أتوسل إليك، ضد غضبها هذه المجنونة وامنحنى قبراً يضمنى مع ولدى» . قال هذا وحسبما توقع تلقى فى حلقه نصل السيف فلفظ الحياة مع الدماء التى سالت مدراراً على عدته الحربية .

حواشي الكتاب العاشر

(١) إشارة إلى بدء يوم جديد حيث تفتح بوابه الأولمبوس لتشرق منها الشمس كل صباح.

(٢) كان القدماء يعتقدون أن السماء عبارة عن معبد ضخم يقطنه الآلهة ومنه يشاهدون الأرض وسكانها ، وأن لهذا المعبد بوابة فى الشرق تشرق منها الشمس وأخرى فى الغرب تغرب فيها .

(٣) كان الصراع محتدماً بين فينوس التى ترعى ابنها آينياس وتحاول حمايته وبين جونو التى تطارده وتحقد عليه وعلى جنسه وتحاول إثارة أهل إيطاليا عليه.

(٤) المعنى الحرفى « السلب والنهب » : لكن المعلق سيرفيوس Servius يخبرنا أن المقصود بذلك هو القتال على الطريقة القديمة حيث المحارب يتحدى للنزال محارباً آخر وهكذا .

(٥) استعار فرجيليوس هذا الوصف بالنسبة للربة فينوس من إلياذة هوميروس، الأنشودة الثالثة ، سطر ٦٤ .

(٦) ظل الطروادبون ، منذ حصار الإغريق الذى دام عشر سنوات والذى انتهى بتدمير مدينتهم ، تحت رحمة موجات متتالية من حصار أعدائهم ولم يهدأ لهم بال أو يقر لهم قرار منذ ذلك الحين .

(٧) ابن تيديوس Tydides ، هو ديوميديس البطل الإغريقى الذى اشتهر فى الإلياذة ببسالته . ويقصد الشاعر بطروادة الوليدة أمة الرومان التى تناضل فى سبيل البقاء والوجود والتى انحدرت من سلالة الطرواديين أصلا .

(٨) أربى Arpi ، — وتسمى أيضا أرجوريبا Argyrippa — مدينة شيدها ديوميدس فى إقليم أبوليا بإيطاليا ، وقد لجأ إليه اللاتين كى يساعدهم فى حربهم ضد آينياس حينما وفد الأخير على إيطاليا بعد انتهاء حرب طروادة .

(٩) إشارة إلى الجرح الذى أصاب فينوس فى الحرب الطروادية على يد ديوميديس حينما حاولت إنقاذ ابنها آينياس من براثنه .

(١٠) وردت فى الأينيدة علامات عديدة تحث الطرواديين على الذهاب إلى إيطاليا سواء عن طريق إريس ومبركوريوس رسل الآلهة ، أو عن طريق أرواح الموتى مثل شبح كريوسا زوجة آينياس وأنخسيس والده (راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٤١) .

(١١) على شاطىء جزيرة صقلية وعلى مقربة من جبل يسمى Eryx (سمى به الشاعر الشاطىء نفسه) حاولت النساء الطرواديات بتحريض من إريس إحراق الأسطول الطروادى رغبة منهن فى الاستقرار وهرباً من حياة السفر والترحال . لكن المحاولة لم تسفر سوى عن احتراق أربع سفن فقط . أنظر الكتاب الخامس ، سطور ٦٠٤ — ٦٩٩ (المجلد الأول ، ص ٢٥٧ — ٢٥٨) .

(١٢) راجع الكتاب الأول ، سطور ٥٠—١٤١ (المجلد الأول ، ص ص ٨٤—٨٦) .

(١٣) اعتقد القدماء أن الأقدار قد قسمت الكون بين الآلهة أبناء ساتورنوس : فآل إلى جوبيتر حكم السماء وإلى نبتونوس حكم البحر وإلى بلوتون حكم العالم السفلى الذى كان جزءاً لا يغرى الآلهة بالتكالب على حيازته مثل السماء أو البحر .

(١٤) أليكتو ، Allecto إحدى ربات الغضب الثلاث (اللائى يعرفن بالفوريات Furiae) أما الأختان الباقيتان فهما ميجايرا Megaera وتيسيفونى Tisiphone . أنظر الزراعيات ، الكتاب الأول ، سطر ٢٧٨ ؛ راجع أيضا الكتاب السابع ، سطر ٣٢٣ ومابعده .

(١٥) هذه هى الأماكن التى كانت تعبد فيها الزبة فينوس وكلها عدا كوثيرا — توجد فى جزيرة قبرص .

(١٦) الإشارة هنا إلى Pergama وهو الاسم الذى كان يطلق على قلعة طروادة القديمة .

(١٧) أى أن يردهم إلى وطنهم حتى ولو قاسوا من جديد أهوال الحرب التى شنها الإغريق على بلادهم .

(١٨) راجع الكتاب الثانى ، سطور ٢٤٦ — ٢٤٧ والكتاب الثالث ، س ١٨٣ (المجلد الأول ص ١٣٠ ، ص ١٧٢) .

(١٩) أهل تورهينا Tyrrhena ، هم الإتروسكيون Etrusci أو التوسكيون

Tusci. إن فرجيليوس يستخدم هنا كلمة Tyrrhenus الإغريقية الأصل بدلا من التسمية اللاتينية Etruscus أو Tuscus .

(٢٠) تتهكم الربة جونو فى هذه السطور على ما قالته فينوس بأن تردد نفس عباراتها أثناء الحديث

(٢١) إله رومانى قديم مختص بالزراعة انحدر تورنوس من صلبه حسب رواية فرجيليوس . راجع الكتاب التاسع ، سطر ٤ ، حاشية رقم ١ :

(٢٢) فينيليا Venilia ، إحدى الحوريات وشقيقة أماتا Amata زوجة لاتينوس ، تزوجها داونوس Daunus ملك الروتوليين وأنجب منها تورنوس . والشاعر يريد أن يؤكد على لسان جونو أن تورنوس مثله [مثل آينياس منافسه ينحدر من أصل إلهى .

(٢٣) إشارة إلى قبول آينياس لخطبة لافينيا ابنة لاتينوس رغم أنها كانت مخطوبة لتورنوس .

(٢٤) فى هذه الفقرة عدة مبالغات ريتوريقية قصد بها الشاعر التأثير وتبدو عدم توخى الدقة : منها أنه نسب لفينوس انقاذ آينياس بإخفائه فى سحابة من الضباب والحقيقة أن أبوللون هو الذى فعل هذا ، ومنها أن فينوس هى التى حولت أسطول الطراوديين إلى عرائس بحر مع أن كوبيلى أم الأرباب هى التى قامت بهذا بالاتفاق مع جوبيتر (راجع الكتاب التاسع ، سطور ٨٠–١٢٢)

(٢٥) سبق ذكر هذه المدينة القبرصية فى سطر ٥٢ من هذا الكتاب ولكن بصورتها المؤنثة إيداليا ، وربما كان الشاعر بهذا الاختلاف فى الصور يرمى إلى تذكير قارئه بأن تسمية المدينة مختلفة تبعاً لاختلاف مصادره القديمة التى يرجع إليها فى هذا الصدد.

(٢٦) تسبب باريس بن برياموس فى نشوب الحرب الطروادية بخطفه هيلينا ونلاحظ هنا أن الربة جونو تتحدث –كما فى س ٦٩ من نفس الكتاب – عن نفسها بصيغة الجمع ، ولكننا آثرنا من أجل الإيضاح أن نجعل الحديث فى صيغة المفرد .

(٢٧) يطلق الشاعر هذا التسمية Zephyri « ريح الغرب » (راجع الرعويات ، الكتاب الخامس ، سطر ٥) كناية عن الرياح بكافة أنواعها.

(٢٨) إشارة إلى الرأى الذى ساقته فينوس والرأى الذى ذهبت إليه جونو فى تفسير سوء المصير الذى حاق بطروادة .

(٢٩) أى بلوتون رب العالم السفلى : الذى كان شقيقاً لكبير الآلهة جوبيتر

(راجع عن القسم به الأوديسا ، الكتاب الخامس ، سطر ١٨٥ ، والزراعيات ، الكتاب الأول ، سطر ٢٤٣) .

(٣٠) كرر الشاعر فى هذه السطور (١١٣–١١٥) سطوراً سبق أن أوردها بالنص فى الكتاب التاسع من الملحمة (١٠٤ – ١٠٦) . قارن الزراعيات ، الكتاب الأول ، سطر ٢٤٣ .

(٣١) كان أساراكوس Assaracus الجد الأكبر لآينياس ، أما هذان الشقيقان فيحملان فقط اسم أساراكوس الذى كان اسما شائعا بين الطرواديين .

(٣٢) عن ساربيدون راجع المجلد الأول ، حاشية رقم ٢٤ ، ص١١٣ .

(٣٣) أورنيسوس Lyrnessus ، مدينة كانت تقع فى إقليم طروادة على ساحل آسيا الصغرى .

(٣٤) قارن الكتاب التاسع ، سطر ٥٦٩ ، عن نفس التشبيه .

(٣٥) نسبة إلى أوريكوم Oricum وهى مدينة فى إقليم إيبيروس غرب بلاد اليونان . والملاحظ أن الشاعر قد وفق فى هذا التشبيه إلى حد كبير لأن الأبنوس الفاحم السواد سيظهر لمعان العاج – إذا ما رصع به – كأوضح مايكون .

(٣٦) إسماروس Ismarus ، أحد رفاق آينياس ، وهو أصلا من مايونيا التى سميت فيما بعد لوديا .

(٣٧) باكتولوس Pactolus ، أحد أنهار إقليم لوديا فى آسيا الصغرى ، كان القدماء يعتقدون أن رماله مخلوطة بالتبر .

(٣٨) أى مدينة Capua التى كانت عاصمة لإقليم كمبانيا بوسط إيطاليا .

(٣٩) تارخون Tarchon ، أمير من لوديا نزح عنها إلى حيث استقر بعد ذلك فى اقليم إتروريا بإيطاليا ، وهناك ذهب إليه آينياس ليطلب منه العون .

(٤٠) حرفياً : ضرب حلفاً Foedus ferit . ويخبرنا المؤرخ ليفيوس (ك١ ، ف٢٤) أن عقد الحلف أو المعاهدة كان يرمز له حسب العادات الريفية القديمة بالخنزير ، بحيث أن من ينقض المعاهدة كان يتعرض لعقاب جوبيتر تماماً كما لو كان خنزيراً يذبح .

(٤١) أى أهل توسكانيا المستوطنين فى كايرى Caere باعتبار أنهم نزحوا أصلا من لوديا .

(٤٢) رسمت على سفينة آينياس الأسود لأن الأسد كان حيواناً مقدساً لدى كوبيلى الربة الراعية للجنس الطروادى ، أما جبل إيدا فكان أيضا مركزاً لعبادة هذه الربة . ولكن الشاعر يجعل هنا من إيدا ربة حامية لفلول الطرواديين من أتباع آينياس .

(٤٣) بالاس Pallas ، هو ابن إيفاندروس ، كان شاباً على قدر كبير من البهاء والشجاعة فى نفس الوقت.

(٤٤) أى يبين له خط السير عن طريق تحركات النجوم .

(٤٥) كانت كل سفينة تسمى وفقاً للصورة المرسومة على مقدمتها ، ومن هنا سمى الشاعر سفينة هذا الزعيم الإتروسكى باسم النمر .

(٤٦) كلوسيوم Clusium وكوساى Cosae مدينتان فى إتروريا بإيطاليا الثانية منها تقع على شاطىء البحر .

(٤٧) كما سبق أن أشرنا إلى أن السفينة كانت تسمى حسب الصورة المرسومة على مقدمتها ، فإن سفينة القائد آباس قد سميت باسم أبوللون الإله الذى يرعاها ويحميها ..

(٤٨) مدينة على ساحل البحر فى إتروريا .

(٤٩) إلفا Ilva (وتسمى الآن إلبا) ، جزيرة فى البحر التيرانى بين شبه الجزيرة الإيطالية وجزيرة كورسيكا . اشتهرت قديماً لأنها كانت غنية بمناجم الحديد .

(٥٠) كانت وسائل العرافة والتنجيم تستقى من مصادر متعددة لخصها لنا الشاعر فى هذه السطور ، وكانت هذه المصادر كمايلى :

(أ) من فحص أحشاء الأضاحى (أنظر الكتاب الرابع ، سطر ٦٣ — ٦٤) .

(ب) من حركة النجوم فى السماء ومن مدارات الكواكب فى أفلاكها .

(جـ) من حركة الطيور فى السماء ؛ ومن هنا اشتق اسم العراف نفسه : augur = gero (= يحمل) + avis (طائر) .

(د) من الظواهر الطبيعية كالبرق والرعد على اعتبار أنها فأل سيىء أو طيب .

(٥١) بيساى Pisae (الآن بيزا) ، مدينة إترورية كان مؤسسها أصلا من مدينة بيسا التى تقع فى إقليم إليس فى البيلوبونيس ببلاد اليونان ، حيث يجرى نهر ألفيوس ومن هنا أرجع الشاعر أصلها إلى ذلك النهر .

(٥٢) كايرى Caere ، مدينة إترورية كان ميزنتيوس ملكاً عليها عند وصول آينياس إلى إيطاليا .

(٥٣) مينيو Minio (الآن مينيونى Mignone) ، نهر فى إتروريا يصب فى البحر التيرانى .

(٥٤) بورجى Pyrgi ، إحدى المدن الساحلية فى إتروريا .

(٥٥) جرافيسكاى Graviscae ، إحدى مدن إتروريا الساحلية ، وكانت تكثر بها المستنقعات ومن ثم كانت مصدراً للأمراض .

(٥٦) كينورس Cinyrus ، أحدقادة الليجوريين ، الذين استقروا فى شمال إيطاليا حيث توجد الآن بيدمونت .

(٥٧) كوبافو Cupavo ، كان ابنا للملك كوكنوس الذى حكم قبائل الليجوريين . عن صلته بالبجعة ، أنظر الحاشية ٥٨ أدناه .

(٥٨) كوكنوس Cycnus ، هو ابن سثينيلوس ملك ليجوريا القديم وكان كوكنوس صديقاً حميماً لفايثون Phaethon بن فويبوس إله الشمس من كلومينى الفانية . ويروى الشعراء بخاصة أوفيديوس فى التغيرات Metamorphoses أن فايثون طلب من والده أن يقود مركبة الشمس بدلا منه لمدة يوم واحد فقط كى يثبت لرفاقه من البشر أنه ابن الإله ، ولكنه لم يقدر نظراً لحداثة سنه على قيادة المركبة قيادة صحيحة فتسبب ذلك فى إحراق أجزاء كبيرة من الكرةالأرضية . وهنا أسرع جوبيتر فقذفه بصاعقته فسقط فايثون صريعاً فى نهر ألبو بإيطاليا ، ولذا حزن عليه كوكنوس صديقه الحميم حزناً بالغاً كاد يقضى عليه لولا أن أشفقت عليه الآلهة ومسخته على صورة بجعة . ويشير فرجيليوس فى هذه الأبيات إلى أن ارتداء كوبافو للخوذة المزينة بريش البجع كان إحياء الذكرى والده كوكنوس ، ويقصد باستهجان فعلة الحب أن عاطفة الحب المتطرفة قد أفضت بكوكنوس إلى حزن شديد أورده موارد التهلكة .

(٥٩) بعد مصرع فايثون تحولت أخواته الفتيات من فرط حزنهن عليه إلى أشجار حور . راجع أوفيديوس ، التغيرات ، ٢ ، ٣٣٣ .

(٦٠) كناية عن تحوله لصورة البجعة وإشارة إلى أنه بدلا من شعر الشيخوخة الأشهب ارتدى ريش البجعة الأبيض .

(٦١) سميت السفينة كذلك لأن صورة الكنتاوروس – وهو مخلوق نصفه الأعلى إنسان والأسفل حصان – كانت مرسومة على مقدمتها .

(٦٢) ابن تيبر رب النهر من مانتو الحورية ، شيد مدينة أطلق عليها اسم مانتوا تخليداً لذكرى والدته مانتو . ولقد ساعد أوكنوس البطل آينياس فى حربه ضد تورنوس .

(٦٣) النهر التوسكانى هو نهر التيبر الذى يقع مجراه فى إترووريا (التى تسمى أيضاً توسكانيا).

(٦٤) كانت مدينة مانتوا إتروسكية وظلت كذلك طوال عهدها . كذلك تزعمت حلفاً مكوناً من اثنى عشرة مدينة تنتمى جميعها إلى أجناس ثلاثة هم الإغريق والإتروسكيون والأومبريون . أما سكان مانتوا ذاتها فكانوا فى الغالب من أصل إتروسكى .

(٦٥) ميزنتيوس Mezentius ، كان حاكماً على إتروريا ولكنه طرد منها لطغيانه وغطرسته ، وانضم إلى معسكر تورنوس بعد أن انقلب عليه أنصاره .

(٦٦) مينكيوس Mincius ، نهر ينبع من بحيرة بيناكوس القريبة من فيرونا ويمر بمانتوا حتى يصب فى نهر البو . ومن هنا ذكر الشاعر أن النهر مينكيوس منحدر من صلب بيناكوس على أساس أنه ينبع من البحيرة التى تحمل اسم بيناكوس .

(٦٧) أحد زعماء الإتروريين وحليف آينياس .

(٦٨) تريتون Triton ، أحد آلهة البحر عند الإغريق وابن بوسيدون من الحورية أمفيتريتى ، كان نصفه الأعلى على هيئة آدمية ونصفه الأسفل على شكل سمكة . وكثير أما كان يصور على أنه مزمار نبتونوس إله البحر الرومانى ، أو يصور وهو ينفخ فى نفير مصنوع من أصداف البحر . وأخيراً أصبح مرادفاً لصدفة البحر التى تستخدم كمزمار .

(٦٩) فوبى Phoebe ، هى ربة القمر (لونا) وشقيقة إله الشمس (فويبوس) . وهنا يصورها الشاعر وهى تمتطى مركبة الشمس لتعبر بها الفضاء مثل أخيها .

(٧٠) عن هذا التعبير أنظر الكتاب الرابع ، سطر ٥ (المجلد الأول ، ص ٢٠٢) .

(٧١) عن هذه الأحداث الخارقة أنظر الكتاب التاسع ، سطور ١٠١ – ١٠٢ . ونلاحظ أن الربة كوبيلى قد سميت هنا باسمها الآخر كوبيبى Cybebe .

(٧٢) كرر الشاعر هنا (سطر ٢٢٣ من هذا الكتاب) ما سبق أن أورده بالنص

فى كتابه التاسع سطر ١٢١. ولهذا يعتبر معظم النقاد أن سطر ١٢١ من الكتاب التاسع مدسوس عليه وينبغى حذفه لأنه غير ملائم تماماً للسياق .

(٧٣) أى تورنوس الذى نقض العهد وغدر .

(٧٤) يستنتج من هذا أن المشاة من جيش حلفاء آينياس قد اتجهوا إلى ساحة القتال بحراً بالسفن بينما سبقهم الفرسان إلى هناك براً .

(٧٥) أى الرب فولكانوس . عن الأسلحة التى صنعها هذا الإله لآينياس بتوجيه من الربة فينوس . أنظر الكتاب الثامن ، سطر ٦٢٠ وما بعده .

(٧٦) عن هذا الجبل المقدس لدى الربة كوبيلى . أنظر الكتاب التاسع ، سطر ٦١٨ ، حاشية رقم ٤٦ .

(٧٧) كانت الربة كوبيلى تمثل دوماً فى الأعمال الفنية وهى ترتدى تاجاً على شكل أبراج المدن وتستقل عربة قد شد إلى عنانها زوج من الأسود .

(٧٨) ينسب الشاعر طيور الغرنوق إلى ثراقيا حيث أنه يصفها على أنها تنتمى لنهر ستريمون Strymon الثراقى.

(٧٩) استعار الشاعر هذا التشبيه من إلياذة هوميروس ، أنشودة ٣ ، سطر ٢ وما بعده ، حيث يصف شاعر الخلود الغرانق بنفس الوصف. عن ريح الشرق راجع الزراعيات ، الكتاب الأول ، سطر ٤٤٤ .

(٨٠) وذلك حتى يسهل إنزال الجنود منها حيث أن مؤخرة السفينة أقل ارتفاعاً من مقدمتها.

(٨١) كناية عن انعكاس أشعة الشمس على كل من خوذة آينياس ودرعه الذهبى .

(٨٢) Sirius ، نجم الشعرى اليمانية أو الكلب الأكبر Maior Canis ، أكثر النجوم لمعاناً فى السماء . أنظر كذلك الزراعيات ، الكتاب الثانى ، سطر ٣٥٢ .

(٨٣) كان هناك اعتقاد شائع لدى القدماء بأن المذنبات تجلب الشر عند ظهورها فى السماء . إن دقة الملاحظة التى يتمتع بها الشاعر تبدو جلية فى هذا التشبيه ، إذ يمكن لكل من يمعن النظر إلى السماء فى الليالى الصافية أن يشعر بروعة منظر النجوم التى ألهمت شاعرنا هذه الصورة الرائعة من البيان .

(٨٤) نلاحظ فى هذا الجزء مايلى :

(أ) أن سطر ٢٨٧ الذى يبدأ « فأخذ تارة يشد . . . » قد ورد بنصه فى الكتاب التاسع ، سطر ١٢٧ .

(ب) أن سطر ٢٧٦ الذى يبدأ « غير أن الثقة . . . » يشبه إلى حد كبير سطر ١٢٦ من من الكتاب التاسع أيضاً . ويرجع التشابه هنا وفى مواقع أخرى عديدة إلى أن الشاعر لم تتح له الفرصة لتنقيح ملحمته ومراجعتها مراجعة كاملة . أنظر مقدمة المجلد الأول ، ص ٤٩ .

(٨٥) أى أن فى مقدورهم أن يجروا العدو إلى الحرب حسبما يشتهون .

(٨٦) باللاتينية « audentis Fortuna iuvat » وهو تعبير يختلف عن القول المأثور الذى ورد عند الكاتب المسرحى تيرنتيوس فى كوميديا « فورميو » (الفصل الأول ، المشهد الرابع ، سطر ٢٦) اختلافاً طفيفاً : « fortes Fortuna adiuvat : الحظ يحالف الأقوياء » .

(٨٧) تارخون Tarchon ، زعيم الإتروسكيين ، أنظر حاشية رقم ٣٩ أعلاه .

(٨٨) أنصار تورنوس . راجع الكتاب التاسع ، سطر ١١ .

(٨٩) كان الأطفال الذين يخرجون من بطون أمهاتهم على هذه الصورة ينذرون إلى الإله « فويبوس الشافى » على أساس أنهم نجوا من الموت بفضل مساعدته .

(٩٠) المقصود بهذه الأسلحة هراوة هيراكليس المشهورة التى كانت مصنوعة من جذع شجرة صلبة .

(٩١) ميلامبوس Melampus ، أحد مشاهير العرافين وحفيد أيولوس رب الرياح ، قام من أجل أخيه بياس بإحضار ماشية إفيكلوس وبذلك استطاع بياس أن يتزوج من بيرو ابنة نيليوس .

(٩٢) ألكيديس Alcides ، هو هيراكليس ، راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٤٣ .

(٩٣) الترجمة الحرفية لهذه الجملة هى : « مصدر مرورك الحديد » ولكنها لا تؤدى المعنى المقصود مثل العبارة التى سقناها .

(٩٤) يشير الشاعر هنا إلى نوع من الحب يسمى « عشق الغلمان » كان معروفا فى بعض فترات العصور القديمة وذكر عند أكثر من كاتب .

(٩٥) المقصود بها الرماح التى طعن بها الإغريق أثناء حرب طروادة وانتزعت

بعد أن فصوا نحبهم من أجسادهم ، وظلت مع الطروادين حتى هذا الوقت كتذكار لصبرهم.

(٩٦) تعتبر هذه الفقرة وصفاً مبالغاً فيه لأحد الأعمال البطولية التى قام بها آينياس فى الحرب ضد أعدائه .

(٩٧) كلاوسوس زعيم السابين . أما كوريس فإحدى المدن السابينية ، وكانت عاصمة فى وقت ما للشعب السابينى الذى كان يقطن بجوار اللاتين فى شبه الجزيرة الإيطالية.

(٩٨) دريوبس Dryops : أحد رفقاء آينياس فى القتال .

(٩٩) الإشارة هنا إلى كلاوسوس الذى صرع من قبل دريوبس بحربته الصارمة .

(١٠٠) كانت ثراقيا حليفة لطروادة فى حربها وكانت أيضاً موطناً لريح الشمال الذى عرف فى الأساطير باسم بورياس بن سترمون رب النهر .

(١٠١) إيداس أحد حلفاء آينياس من الثراقيين ، أما إسمارا فمدينة ثراقية سميت على اسم جبل إسماروس الذى يقع شمال اليونان .

(١٠٢) أورونكا Aurunca : إحدى مدن إقليم كمبانيا فى إيطاليا .

(١٠٣) هالا يسوس ، من أتباع تورنوس وكذلك ميسابوس الذى يقاتل ضد آينياس

(١٠٤) عن تشبية مماثل قارن إلياذة هوميروس ، أنشودة ١٦ ، سطر ٢١٥ .

(١٠٥) إيفاندروس Evanderus (أو إيواندر Euander) ، حليف آينياس ، وكان أصلا من باللانتيوم فى أركاديا ثم هاجر منها قبل حرب طروادة إلى إيطاليا وهناك أسس مدينة سماها على اسم مدينته الأركادية .

(١٠٦) أى أن هسبو ، أحد اللاتين ، حاول أن يباغت باللاس حينما كان الأخير منحنيا فوق لاجوس كى ينتزع من ظهره الرمح .

(١٠٧) سثينيوس Sthenius ، من أتباع تورنوس، أما أنخيمولوس فكان ابناً لروبتوس ، ملك قديم للشعب الماروبى Marrubii فى إيطاليا ، ولكنه كان ابناً عاقاً لأبيه إذ اعتدى على زوج أبيه ثم هرب إلى داونوس والد تورنوس طالباً منه الملاذ . وحينما نشبت الحرب بين تورنوس والطرواديين حارب فى صفوف الأول وفاء للدين واعترافاً بالجميل .

(١٠٨) أى السيف الذى كان يحمله باللاس بن إيفاندروس .

(١٠٩) قارن عن تعبير مشابه إلياذة هوميروس ، أنشودة ٢٠ ، سطر ٤٩ ومابعده.

(١١٠) تيوثراس وتوريس مقاتلان من قوات الطرواديين .

(١١١) عن فولكانوس Vulcanus راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٩١ .

(١١٢) ربما يشير الشاعر هنا إلى أن الراعي يشعل النيران فى أشجار الغابة كى يجد بعدها مرعى لأغنامه وحيواناته. لاحظ التشبيه الموفق هنا بين ألسنة اللهب سريعة الانتشار وبين الحماس الذى سرى بين صفوف الأركاديين .

(١١٣) هالايسوس ، من الروتوليين . أنظر سطر ٣٥٢ أعلاه .

(١١٤) هؤلاء الثلاثة وكذلك ستروميوس وثوآس ، اللذان يرد ذكرهما فى السطرين التاليين ، من الأركاديين أتباع باللاس .

(١١٥) أنظر حاشية رقم ١٠٨ أعلاه .

(١١٦) ثوبريس Thybris ، نهر التيبر الذى شيدت على ضفافه فيما بعد مدينة روما . وكان النهر يعتبر ربا عند القدماء .

(١١٧) لاوسوس Lausus ، بن ميزنتيوس الحاكم الإتروسكى المستبد الذى انضم بعد نفيه على يد شعبه إلى صفوف تورنوس .

(١١٨) هذه الجملة ترجمة للتعبير اللاتينى «pungae nodumque moramque» ، الذى يعنى حرفيا : « عقدة المعركة ومعضلتها » . والعقدة هنا تعنى العقبة أو المشكلة ، بمعنى أن العقبة لايمكن التغلب عليها بسهولة وكذلك العقدة يستعصى حلها إلا بعد عناء طويل .

(١١٩) إشارة إلى أن باللاس سيلقى حتفه على يد تورنوس وأن لاوسوس ستزهق روحه على يد آينياس .

(١٢٠) الإشارة هنا إلى أخت تورنوس المسماة يوتورنا Iuturna وهى إحدى الحوريات.

(١٢١) المعنى الحرفى للتعبير اللاتينى spolia opima هو غنائم الحرب التى تؤول إلى قائد جيش بعد أن يهزم قائد الجيش المعادى له . ولكنها هنا تعنى غنائم القائد فحسب . لاحظ الورع الذى يبدو فى كلمات باللاس مقابل الغطرسة التى أظهرها تورنوس فى تهديداته .

(١٢٢) تعبير لاتينى مرادف للتعبير العربى « اقشعر بدنهم خوفا عليه» .

(١٢٣) استعار فرجيليوس هذا التشبيه من إلياذة هوميروس ، أنشودة ١٦ ، سطر ٨٢٣ وما بعده .

(١٢٤) ألكيديس Alcides = هيراكليس ، راجع حاشية رقم ٩٦ أعلاه. كان البطل هيراكليس قد حل ضيفا على ايفاندروس أثناء تجواله و صارا صديقين منذ ذلك الحين (راجع الكتاب السابع ،سطر ٣٦٤ ، حاشية رقم٨٩).

(١٢٥) لأن الإله زيوس حكم على باللاس بالموت على يد تورنوس المتغطرس .

(١٢٦) فى حرب طروادة مات كثير من أبناء الآلهة مثل أخيليوس بن ثيتس ، وممنون بن أورورا ، وأسكالافوس بن مارس ..... الخ.

(١٢٧) يروى هوميروس فى الأنشودة السادسة عشرة من الإلياذة مصرع ساربيدون ، سطر ٤٧٧ وما يليه .

(١٢٨) حتى لايرى المذبحة التى ستودى بحياة الفتى باللاس .

(١٢٩) كاونوس فنان تشكيلى قديم اشتهر بدقة الصياغة و جمالها .

(١٣٠) إشارة إلى الجريمة التى ارتكبتها بنات داناؤوس الخمسون بتحريض من أبيهن حيث قتلن أزواجهن ، أبناء عمهن أيجبتوس ، فى ليلة العرس عدا واحدة منهن هى هوبرمنسترا التى عصت أمر والدها ولم تقتل زوجها لونكيوس.

(١٣١) يخرج الشاعر هنا عن السرد القصصى متأثرا بالفاجعة التى حلت بأحد أبطال ملحمته ليتحدث عن فلسفة عميقة تعكس وجهة نظره فى الحياة وفى الانسان عموما . أنظر كذلك سطور ٥٠٧ ـ ٥٠٩ أدناه حيث يودع الشاعر بحزن الفقيد باللاس .

(١٣٢) التشبيه هنا مستعار من الريف والحقول حيث الحصاد بمنجله يخلف وراءه ممرا خاليا فى الحقل الذى يقوم بحصد محصوله .

(١٣٣) حرفيا : « يمناها المعطاة : dextrae datae » .

(١٣٤) مثلما فعل بطل الإلياذة أخيليوس بالأسرى الإثنى عشر الذين ذبحهم قربانا لروح صديقه باتروكلوس . قارن الإلياذة : أنشودة ٢١ ، سطور ٢٧ — ٢٨ .

(١٣٥) « التالنت : talantum » عملة يونانية مقدارها ٦٠٠٠ دراخمة، وكانت قيمتها أحيانا تقدر على حسب وزنها .

(١٣٦) أى الربة ديانا التى سميت بهذا الاسم trivia لأنها كانت ربة

مفارق الطرق ولأن معابدها كانت تقام على طريق ذى شعاب ثلاث . أنظر الكتاب الرابع ، سطر ٥١١ ، حيث ذكرها الشاعر على أنها الربة العذراء ذات الصور الثلاث : «tria virginis ora Dianae» .

(١٣٧) آثرت هذه الترجمة لأنها تقترب من المعنى المقصود ومن الصورة التى ترد عند كتاب الملاحم بخاصة هوميروس ، ذلك أن الترجمة الحرفية لهذه العبارة وهى : «وغطاه بظله الهائل ingentique umbra tegit قد تفهم على أن المقصود هنا هو ظل جسم آينياس وهو قائم فوق ضحيته .

(١٣٨) أحد رفقاء آينياس الذين لازموه على الدوام وأخلصوا له تحت كل الظروف .

(١٣٩) جراديفوس Gradivus ، اسم من أسماء مارس إله الحرب . والمعنى هنا أن مارس وفق آينياس إلى هذا الانتصار .

(١٤٠) كايكولوس Caeculus ، مؤسس مدينة برايِنستى وأحد المحاربين فى صف تورنوس .

(١٤١) أومبرو Umbro ، زعيم المارسيين ، وهم أحد الشعوب اللاتينية المناصرة لتورنوس فى حربه ضد آينياس .

(١٤٢) أى آينياس الذى أنجبه أنخسيس الطروادى المنحدر من نسل داردانوس مؤسس طروادة والجد الأول للطرواديين .

(١٤٣) أى نفذت الحربة إلى جسمه رغم تحصنه خلف كل تلك الدروع .

(١٤٤) حرفياً : «وأن تثقل أطرافك بقبر أبيك» :
«patrioque onerabit membra sepulchro» .

(١٤٥) كاميرس Camers ، أمير أوسونى من حلفاء تورنوس .

(١٤٦) أموكلاى Amyclae ، مستعمرة فى إيطاليا ، سميت باسم المدينة الأم التى كانت تقع فى إقليم لاكيدايمون بشبه جزيرة المورة . وسميت بالمدينة الصامتة لأنها تعرضت مرات عديدة لإنذار زائف بالهجوم عليها ، وبناء على هذا الإنذار الزائف حرم على أهلها أن يعلنوا عن هجوم الأعداء حتى لا ينزعج الناس دون جدوى . لكن الأعداء بعد ذلك التحريم هجموا عليها فعلا واحتلوها دون أن يعلن أحد من سكانها عن هذا الهجوم المعادى . ويرى البعض أنها سميت بالمدينة

الصامتة لأن سكانها هجروها بعد أن أغار عليها حشد من الثعابين المتوحشة ، فصارت منذ ذلك الوقت مدينة مهجورة يخيم على أطلالها صمت كصمت القبور .

(١٤٧) آيجايون Aegaeon ، عملاق أسطورى يسمى أيضاً Briareus ، وكان ابناً لربة الأرض من كويلوس . ذكر هوميروس أنه حارب فى صف زيوس ضد العمالقة ، ولكن فرجيليوس يصوره هنا على أنه يقاتل فى صف العمالقة ضد جوبيتر (= زيوس عند الإغريق) .

(١٤٨) لكثرة ما ولغ فى دماء الأعداء الساخنة .

(١٤٩) إشارة إلى إنقاذ آينياس فى حرب طروادة من براثن ديوميديس وأخيليوس (= أكيلليس) عند الرومان ، لكنه لن يجد فى هذه المرة من ينقذه من براثن لوكاجوس ، أو هكذا يرجو الأخير على الأقل .

(١٥٠) إشارة إلى هرب خيول نيفايوس وتركها اصاحبها خوفاً من بطش آينياس . أنظر سطور ٥٧٢–٥٧٤ أعلاه .

(١٥١) ورد هذا القول المأثور من قبل فى «الجمهورية» لأفلاطون (٣٦٢د) ، ولكن كما يلى : «على الأخ أن يعضد أخاه» .

(١٥٢) أى آينياس .

(١٥٣) دماؤه الزكية : لأنها ستراق من أجل وطنه وأرض أجداده .

(١٥٤) حرفياً : أبوه الرابع » quartus pater « . عن بيلومنوس أنظر حاشية رقم ٢١ أعلاه .

(١٥٥) إليون ، طروادة القديمة ومنها سميت الإلياذة ، وهى مستخدمة هنا لوصف الجيش الطروادى . أما المعسكر اللاورنتى فهو معسكر اللاتين من أتباع تورنوس ، والذى سمى على اسم مدينة لاورينتوم التى أسسها الملك لاتينوس .

(١٥٦) بمعنى أن الطيف لا عقل له وإنما يتكلم بلسان الربة ويتحرك بأمرها .

(١٥٧) كلوسيوم Clusium : مدينة فى إتروريا كان أوسينيوس Osinius (أو ماسيكوس Massicus) ملكاً عليها .

(١٥٨) المقصود بالعوائق هنا السلم والمعبر حيث ارتفاع السفينة كان كبيراً .

(١٥٩) أى جونو زوجة جوبيتر .

(١٦٠) عن تعبير مماثل أنظر الكتاب الرابع ، سطر ٢٤ .

(١٦١) عن صور أخرى لهذا التعبير قارن الكتاب الرابع ، سطور ٦٩٠–٦٩١ ؛ والكتاب العاشر ، سطور ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(١٦٢) وهى مدينة أرديا Ardea التى تقع فى إقليم لاتيوم .

(١٦٣) التورهينية Tyrrhenae ، أى التوسكانية، أى الإتروسكية ،وكلها مسميات لإترزريا الإيطالية حيث يقطن الشعب الإتروسكى الذى تحالف مع آينياس. أنظر حاشية رقم ٦٩ أعلاه .

(١٦٤) عن هذا التشبيه قارن حاشية رقم ٣٨ أعلاه . هيبروس ولاتاجوس وبالموس كلهم من أنصار آينياس .

(١٦٥) أى هيكابى ، زوجة برياموس ملك طروادة وأم هكتور وباريس .

(١٦٦) مفعمة بمشعلها face praegnans ؛ ذلك أن هيكابى رأت فى أحلامها أثناء حملها لباريس أنها تحمل فى أحشائها شعلة متوهجة . أنظر الكتاب السابع ، حاشية رقم ١٢٨ .

(١٦٧) فيسولوس Vesulus ، جبل ضخم ينتمى إلى سلسلة جبال الألب الشهيرة ويفصل بين إقليم ليجوريا وبلاد الغال حيث ينبع نهر البو .

(١٦٨) كوروثوس Corythus ، وردت هذه التسمية قبلا فى الكتاب التاسع ، سطر ١٠ ، على أنها تعنى كوروثوس المؤسس الأسطورى لمدينة كورتونا. ولكن كوروثوس هنا تشير إلى مدينة عتيقة فى توسكانيا كانت تقع حول بحيرة تراسيمنوس .

(١٦٩) إشارة إلى مصرع ميزنتيوس الذى سيكون على يد آينياس ، قارن سطر ٨٩٠ أدناه وما بعده. وكان القدماء يعتقدون أن المشرف على الموت يعلم أحداث الغيب وأن الآلهة تستجيب لدعائه : قارن الكتاب الرابع سطر ٦١١ وما بعده .

(١٧٠) كايديكوس ، ساكراتور ، رابو ، وميسابوس من اللاتين أنصار تورنوس ، أما الآخرون فهم من رفاق آينياس وحلفائه .

(١٧١) فاليروس وساليوس من اللاتين ،أما أجيس اللوكى ، وثرونيوس ونيالكيس فمن الطرواديين .

(١٧٢) تيسيفونى Tisiphone ، إحدى ربات الغضب الثلاث (Furiae = Eumenides) : أنظر حاشية رقم ١٤ أعلاه ؛ أنظر أيضاً الزراعيات ، الكتاب الثالث ، سطر ٥٣٩ .

(١٧٣) أوريون Orion ، كان صياداً عظيماً ثم حولته الآلهة إلى كوكبة من النجوم تحمل اسمه ، وكان ظهور هذه الكوكبة يسبب العواصف والأمطار .

(١٧٤) نيريوس Nereus ، أحد آلهة البحر القدامى عند الإغريق . وهو يذكر هنا كناية عن البحر أو المحيط .

(١٧٥) نلاحظ أن أوريون قد صور فى هذه الفقرة على هيئتين : الأولى وهو يسير بقدميه الهائلتين فى المحيط والثانية وهو يجتث شجرة دردار من الجبل كي يستخدمها كهراوة أو عصا يتوكأ عليها أثناء سيره. عن أوريون المسبب للأمطار أنظر الكتاب الأول ، سطر ٥٣٥ ؛ والكتاب الرابع ، سطر ٥٢ .

(١٧٦) اشتهر عن ميزنتيوس ميله إلى الإلحاد واحتقار الآلهة ولذا فهو هنا لا يثق سوى برمحه الذى يعتبره إلهاً . ولهذا سماه الشاعر « محتقر الآلهة : contemptor divom » . عن هذا اللقب أنظر الكتاب السابع ، سطر ٦٤٨ .

(١٧٧) Tyrrheni sanguine ، الدم التورهينى أو التوسكانى هو دم ميزنتيوس زعيم الإتروسكيين . أنظر حاشية رقم ١٦٣ أعلاه .

(١٧٨) يتحفظ الشاعر دائماً حينما يكون الحديث عن عصور ماضية (مثل هذا المثال) ، أو عصور ستأتى فى المستقبل . أنظر الكتاب التاسع ، سطر ٤٤٦ وما بعده .

(١٧٩) ورد هذا التعبير قبلا فى الكتاب التاسع ، سطر ٥٤ ولكن بصورة محورة .

(١٨٠) ربات القدر Parcae ، كن ثلاثاً فى العدد : لاخيسيس Lachesis موزعة الأعمار ، كلوثو Clôthô التى تنسج وتقدر طول خيط العمر ، ثم أتروبوس Atropos التى تقطعه عند الوفاة .

(١٨١) قدم لنا الشاعر فى هذه الفقرة صورة من المشاعر الإنسانية الخالدة : فإن العداء القائم بين أينياس ولاوسوس لم يمنع الأول من الإشفاق على الثانى بعد قتله ، لأنه شاهد فيه صورة ابنه أسكانيوس ولأن بره بأبيه ودفاعه عنه قد هز وجدان الإنسان فى أعماق البطل .

(١٨٢) حرفياً : « يجفف جروحه بالماء » : evolnera siccabat lymphis ، اعتقاداً من القدماء أن غسل الجروح بالماء يوقف نزيف الدم .

(١٨٣) دلالة على الحزن : تماماً كما كانت النسوة تفعلن فى القرى المصرية إلى عهد قريب عند وفاة عزيز لديهن . ومثلما حمل بالامس على ترسه ، كذلك حمل لاوسوس على ترسه حينما لاقى نفس المصير .

(١٨٤) ربما يقصد بهذا الجرح الذى أدى إلى موت ولده العزيز ، وربما يقصد أن وطأة المنى التى لم يحس بها سوى الآن بعد فقده لولده هى التى جرحته فى الصميم .

(١٨٥) حزين بسبب حزن صاحبه . وهنا تتجلى عظمة الشاعر لأنه يصور العاطفة التى تجمع بين الإنسان والحيوان ؛ ولأنه لا يصور فقط الجانب الشرير من شخصية ميزنتيوس بل يصور كذلك مشاعره الأخرى الرقيقة تجاه جواده ، إيماناً منه بأن الإنسان يملك إلى جانب العنف الرقة وإلى جانب الشر الخير .

(١٨٦) يوجد هنا سطر (٨٧٢) تضيفه بعض المخطوطات، ويحذفه بعضها الآخر وهو : «et furiis agitatus amor et conscia virtus»

ولقد آثرنا حذفه هنا لأنه لا يناسب السياق أو المعنى خصوصاً أنه قد كرر فى الكتاب الثانى عشر ، سطر ٦٦٨ ، وهو مناسب لمكانه هناك .

(١٨٧) من جديد يظهر هنا ميزنتيوس استخفافه بالآلهة واحتقاره لها . أنظر حاشية رقم ١٨٠ أعلاه .

(١٨٨) عن هذا التعبير الذى أولع به فرجيليوس، أنظر حاشية رقم ١٦١ أعلاه.

(١٨٩) من كثرة الرماح التى انهالت عليه ورشقت به أصبح الدرع كالغابة. وهذه مبالغة ريتوريقية كانت محببة لدى الشعراء .

(١٩٠) لأن آينياس كان راجلا وخصمه ميزنتيوس ممتطياً صهوة جواده .

(١٩١) حرفياً «أضرموا النار فى السماء : «incendunt caelum» ، وهى مبالغة ريتوريقية كالتى سبقت الإشارة إليها فى حاشية رقم ١٨٩ أعلاه .

(١٩٢) أى ميزنتيوس ، أنظر حاشية رقم ١٩ وحاشية رقم ١٦٣ أعلاه .

(١٩٣) أى أن ميزنتيوس لم يقاتل آينياس وهو على ثقة من أن الأخير سيعفو عنه عندما يهزم ؛ بل يعرف تماما أنه سيفتك به لو ناله .

الكتاب الحادي عشر

د. أحمد فؤاد السمان

فى تلك الأثناء (١) ، نهضت أورورا (٢) ، تاركة مرقدها فى أعماق أوكيانوس (٣) ، ورغم أن الواجب كان يفرض على آينياس أن يسرع بدفن رفاقه ، وأن مراسم الدفن قد استحوذت على تفكيره ، إلا أنه بدأ، مع ظهور نجم الصباح ، يفى بنذوره (٤) للآلهة ، احتفالا بالنصر . فوق ربوة ، غرس آينياس شجرة بلوط ضخمة ، مقضبة أغصانها من كل جانب، وكساها بالأسلحة المتلألئة التى اغتنمها من الزعيم ميزنتيوس ، تذكار النصر(٥) لك ، ياإله الحرب العظيم(٦) ، ثم ثبت فوقها رياش خوذة ميزنتيوس التى تقطر دما ، ورماحه المكسورة وصدريته التى ضربت وطعنت ستة أزواج(٧) من الطعنات ، وأوثق درعه النحاسى إلى يده اليسرى وعلق فى عنقه سيفه المطعم بالعاج

عندئذ بدأ آينياس يحدث رفاقه المنتصرين— إذ أن جميع الزعماء كانوا قد تجمعوا عن بكرة أبيهم والتفوا من حوله—مشجعا إياهم على النحو التالى :

« أيها الرجال ، لقد أنجزنا أعمالا مجيدة ،فلنبعد كل خوف فيما بقى لنا من أعمال ،وهذه الغنائم أول ثمار نجنيها من ملك متعجرف ، وهذا هو ميزنتيوس ، كما صنعته يداى . أما الآن فطريقنا إلى ملك لاتيوم (٨) ، والأسوار اللاتينية . فلتعدوا أسلحتكم، يدفعكم التصميم، ولتستعدوا للقتال ، يحدوكم الأمل ، حتى إذا ماشاءت لنا الآلهة أن تحمل أعلامنا وتقود شبابنا خارج المعسكر لا يعطلنا التراخى ،ولا تعوقنا أوهام الخوف وفى تلك الأثناء علينا أن نوارى أجساد رفاقنا — التى لم تدفن بعد — التراب

إذ لم يبق لهم سوى ذلك التكريم الوحيد فى أعماق أخيرون »(٩) .

قال آينياس : « لتذهبوا ، وتكرموا — بطقوس الوداع — تلك الأرواح النبيلة التى حصلت من أجلنا ، بدمائها ، على هذا الوطن ، وليشيّع أولا إلى مدينة إيفاندروس الحزينة — بالاس ، الذى لم تنقصه الشجاعة ، حين طواه يوم مشئوم وأغرقه فى موت مرير » .

هكذا تحدث آينياس ، باكيا ، وهو يخطو نحو عتبة الباب ، حيث يرقد جثمان بالاس ، فاقد الحياة ، يرقبه أكويتيس المسن الذى كان فيما مضى حامل أسلحة إيفاندروس البارهاسى (١٠) ، ولكنه لم يذهب ، هذه المرة ، وهو فى حال سعيدة ، كحاله حينما عين وصيا على القاصر العزيز (١١) ، ومن حوله وقف جمع الأتباع بأسره ، وحشد من الطروادين والطروادیات شعورهن مشعثة فى حزن ، حسب التقاليد المتبعة . وما أن دخل آينياس ، فى الواقع عبر البوابة العالية ، حتى أخذن يضربن صدورهن ، بينما علت صيحة هائلة نحو السماء ، ودوى القصر بنواحهن الحزين . أما هو ، فعندما رأى رأس بالاس المتصلب ، ووجهه الأبيض الناصع والجرح الغائر فى صدره الرقيق من جراء رمح أوسونى ، بدأ حديثه ، والدموع تنهمر من عينيه قائلا : « هل سخطت علىّ إلهة الحظ (١٢) ، ساعة مرحها حتى لاترى مملكتى ، أنت أيها الصبى البائس ، وحتى لاتعتلى موكب النصر إلى مملكة أبيك ؟ ليس هذا ماوعدت به أباك ، إيفاندروس فيما يختص بك ، عند رحيلى ، فقد بعث بى لأشيد امبراطورية عظيمة ، وعندما هممت بالرحيل ، عانقنى فى قلق (١٣) ، وحذرنى من أننا سنواجه عدوا عنيفاً ، وسنخوض المعارك مع جنس شرس ولما كان فى الواقع قد ملك على ايفاندروس كل مشاعره أمل أجوف ، فربما يقوم الآن بتقديم النذور ، وتكديس المذابح بالقرابين بينما نقوم نحن ، فى أسى ، بطقوس غير مجدية لابنه الذى فاضت روحه ، والذى لم يعد يدين بشىء لأى من آلهة السماء . أيها التعس إيفاندروس ، سترى جنازة ابنك بالاس المريرة ، أهذه هى عودتنا مظفرين ؟ أهذا هو موكب نصرنا المنتظر ؟ أهذا

هوعهدى الأكيد ؟ (١٤) ولكنك ياإيفاندروس لن تراه صريع جراح مخزية (١٥) ، كما أنك لن ترض لابنك أبها الوالد، موتا مشينا (١٦) فابنك براء من هذا (١٧) ، ويلى ! كم فقدت أوسونيا من حماية وكم فقدت يا إيولوس من خسارة ! » .

عند ما انتهى آينياس من رثائه ، أمر بحمل جثمان بالاس الذى يرثى ه ، وأرسل ألف رجل اختارهم من صفوف جيشه، ليقوموا بطقوس الوداع ويشاركوا إيفاندروس دموعه ، مواساة ضئيلة منهم له فى حزنه المفرط وإن كانت واجبا عليهم نحو أب مفجوع ، ثم أخذ آخرون يعدون دون إبطاء ، نعشاً رقيقاً ، بعد أن صنعوا هيكله من أغصان الصفصاف ، وجدلوه بسيقان الطحلب وألياف البلوط ، وبعد إقامة المخدع غطوه بستار من أوراق الأشجار. وهنا رفعوا الشاب بالاس إلى أعلى ووضعوه على فراشه الريفى، المصنوع من العشب ، وبالاس يتدلى منه ، مثلما تتدلى الزهرة من اصبع عذراء ، أو من ساق بنفسج لينة ، أو من سنبلة حلحل ذابلة لم تفقد بريقها أوجمالها بعد ولكن لم تعد التربة ، بمثابة أمها ، تمدها بالحياة وتغذيها ، ثم أحضر آينياس ثوبين مطعمين بالذهب والأرجوان ، كانت ديدو الصيداوية (١٨) قد صنعتهما بيديها ، يوما ما ، وطرزت نسيجها بخيوط من الذهب ، وسعدت لإعدادها له بنفسها . وفى أسى ، غطى آينياس جسد الشاب بثوب منها ، كتكريم أخير له ، وبالثوب الف خصلات شعره ، التى ستتوهج عند احتراقها كما كدس غنائم معركة لاورنتوم ، وأمر بإحضار الأسلاب فى صف طويل ، وأضاف إليها الجياد والأسلحة التى كان بالاس قد اغتنمها من العدو . وشد وثاق الضحايا ، وأيديهم خلف ظهورهم ، لكى يرسلهم إلى أطياف العالم السفلى ولكى يشعل النيران بدمائهم المراقة ، كما أمر زعماءهم ، أن يحملوا بأنفسهم جذوع أشجار ، مدججة بأسلحة لأعداء ، ومثبتة عليها أسماؤهم . وأحضر أكويتيس المسكين ، الذى أنهكته الشيخوخة ، وهو يضرب على صدره ، بقبضات يديه تارة ، ويشوه وجهه بأظافره تارة أخرى ، ثم ألقى بكل جسمه منبطحا أمامه

على الأرض . وكانوا يقودون عربات ملطخة بدم الروتواين ، يسير خلفها جواد الحرب ،آيثون(١٩) ،ولجامه ملقى جانبا ،وقد بللت وجهه قطرات غزيرة من الدموع . كان بعضهم يحمل الرمح والخوذة، لأن الأشياء الأخرى كانت فى حوزة تورنوس المنتصر ، ثم تبعهم فى حداد ، جمهور من التيوكريين ، وجميع التورهينيين ، والأركاديون وقد نكسوا أسلحتهم(٢٠) . وبعد أن تقدم كل الحشد من رفاقه إلى الأمام مسافة طويلة ، توقف آينياس ، وبتنهيدة عميقة أضاف هذه الكلمات : «إن مصير الحرب البشع بعينه يدعونا ، فى هذا المقام ، لمزيد من الدموع وداعاً منى إلى الأبد، أيها العظيم بالاس ، وداعا إلى الأبد » . ولم ينطق بأكثر من ذلك ، واستدار نحو الأسوار العالية وسار متجها إلى المعسكر ؛

عندئذ وصل رسل من المدينة اللاتينية ، تظللهم أغصان الزيتون ، وطلبوا العفو من آينياس : بأن يعيد إليهم الجثث التى كان قد ألقى بها فى الوادى ، بعد أن بعثرها السلاح ،وأن يسمح لهم أن يواروها تحت ربوة من التراب، إذ لم تعد هناك حرب مع هؤلاء الذين هزموا وحرموا نسيم الحياة ، وأن يعفو عن مضيفيه ، الذين كانوا ، يوما ما ، يسمون أصهاره (٢١) ؛ وقد أنعم آينياس الخير بالعفو عن الرسل الذين توسلوا إليه ، دون أن يزدريهم إطلاقاً ، وفوق ذلك حدثهم بهذه الكلمات :

«أيها اللاتين ، أى حظ عاثر ذلك الذى أوقعكم فى مثل هذه الحرب الضارية ، حتى تفروا منا ، ونحن أصدقاؤكم ؟ هل تطلبون منى السلم للموتى ، ولهؤلاء الذين قدر لهم أن يقتلوا فى الحرب ؟ لقد كان بودى فى الواقع أن أمنحه للأحياء أيضا . فلماذا حضرت ، مالم يكن القدر قد منحنى مستقرا وموطنا هنا ، إنى لا أشن حربا على شعبكم : إن ملككم رفض ضيافتنا ، وآثر أن يحتمى فى أسلحة تورنوس ، وقد كان أكثر عدلا أن يواجه تورنوس هذا الموت بنفسه . وإذا كان ينبغى أن ينهى الحرب بيده وأن يطرد التيوكريين لوجب عليه أن ينازلنى بهذه الأسلحة

ولعاش منا من وهبه الحياة الإله أويده اليمنى . اذهبوا الآن وأشعلوا النار تحت جثث مواطنيكم التعساء » :

شكل (٤٣)
الاله ابوللون ، عازف القيثارة

وبعد أن تحدث آينياس ، وقفوا فى صمت ينظرون إلى بعضهم بعضاً ، وقد تجمدت وجوههم .

عندئذ ، رد عليه درانكيس (٢٢) المسن ، الذى كان دائما خصما لتورنوس الشاب بسبب بغضه وافترائه ، وبدأ حديثه قائلا :

«أيها البطل الطروادى ، العظيم بشهرتك والأعظم بأسلحتك ، كيف يمكننى أن أوفيك حقك من ثناء ، يصل إلى عنان السماء ؟ هل أبدى إعجابى أولا بعدالتك ، أم ببطولاتك الحربية ؟ إننا ، فى الواقع سنحمل، شاكرين ، كلماتك هذه إلى مدينتنا ، وسنجمعك بملكنا ، لاتينوس، إذا ما هيأ لنا الحظ وسيلة لذلك . وليطلب تورنوس التحالف لنفسه . كم سيسرنا بالتأكيد، أن نشيد الأسوار الضخمة، التى شاءتها لك أقدارك وأن نحضر من أجلها أحجار طروادة على أكتافنا » .

بعد أن قال هذه الكلمات ، ردد الجميع موافقتهم ، فى صوت واحد ، وأبرموا معاهدة لمدة اثنى عشر يوما. وأثناء السلم ،اختلط التيوكريون واللاتين فى الغابات ، وتجولوا فى مرتفعاتها ، آمنين . وتدوى شجرة الدردار الشاهقة ، تحت ضربات البلطة ذات الحدين ، يقطعون بها أشجار الصنوبر الشامخة حتى النجوم، ويشقون بإسفيناتهم أشجار البلوط ، وأشجار الأرز العطرة ،دون انقطاع ،لايتوانون فى نقل الأشجار بعربات تئن تحت ثقلها.

فى ذلك الوقت ، تطايرت شائعة تنذر بذلك الحزن الكبير الذى ملأ أسماع إيفاندروس وقصره ومدينته ، تلك الشائعة ، التى انتشرت أخيرا ، بأن بالاس كان منتصرا فى لاتيوم . وبدأ الأركاديون يندفعون نحو بوابات المدينة ، يحملون المشاعل الجنائزية ، وفقا لتقاليدهم القديمة ، وقد أضاء الطريق بخط (٢٣) ضوئى طويل من المشاعل ، يفصل بين الحقول إلى مسافة بعيدة . وفى مواجهتهم ، تحرك حشد من الفروجيين وانضم إلى موكب المنتحبين ، حيث رأتهم الأمهات يقتربون من بيوتهن فأشعلن المدينة الحزينة بنواحهن . لكن لم تستطع أية قوة أن تكبح جماح إيفاندروس الذى اندفع وسطهم.وما إن وضع تابوت بالاس على الأرض حتى ارتمى فوقه، وتشبث به، وهو يبكى وينتحب، وأخيرا،وبصعوبة بسبب حسرته ، وجد طريقا مفتوحا لكلماته:

« ليست هذه الوعود ، التى أعطيتها لوالدك ياﺑﺎلاس بأن تكون أكثر حذرا وأنت تعهد بنفسك إلى مارس القاسى (٢٤) . وكنت لا أجهل كم

أثر علىّ مجد الشباب ، الذى حققته بقوة السلاح ، ونشوتك بالفخر فى المعركة الأولى. واحسرتاه على ثمار شبابك التعسة، وخبراتك الأولى القاسية، فى حرب متاخمة للوطن ، ياحسرة على نذورى وصلواتى التى لم يصغ إليها أى من الآلهة . إنك سعيدة فى مماتك يازوجتى المباركة لأنك لم تبق لهذا الحزن . أما أنا ، فعلى العكس من ذلك ، ففى حياتى انتصرت على أقدارى وبقيت حيا بعدك ، رغم أنى والدك (٢٥). ليتنى لحقت بجيوش الطرواديين المتحالفة ، وأمطرنى الروتوليون بمزاريقهم ليتنى قدمت حياتى بنفسى ، وحملنى هذا الموكب الجنائزى العائد إلى الوطن ، ولم يحمل بالاس، ماكنت ألومكم الآن ، أيها التيوكريون، أو ألوم تحالفنا أو ألوم الأيادى التى صافحناها فى صداقة : وكان الواجب أن يكون هذا مصير شيخوختى . لكن إذا كان الموت المبكر فى انتظار ابنى ، فيسرنى أنه، قبل أن يسقط ، قد صرع الآلاف من الفولسكيين، وهو يقود التيوكريين إلى لاتيوم . لا ، يا بالاس ، إنى لا أعتقد أنك تستحق ميتة أخرى أكثر من ميتة آينياس الورع ، والفروجيين الأقوياء، والقواد التورهينيين، والجيش التورهينى كله. إنهم يحضرون تذكارات(٢٦) عظيمة لأولئك الذين أسلمتهم يمناك للموت، وأنت أيضا ، ياتورنوس، قد تكون واقفا الآن كجذع شجرة ضخمة، مدججة بالسلاح ، وكنت فى مثل عمره، ونفس صلابة شبابه. ولكن لماذا أؤخر ، أنا التعس ، التوكريين عن الحرب ، اذهبوا ! وتذكروا أن تحملوا إلى مليككم هذه الرسالة : « إننى أبقى على حياتى الكريهة ، بعد قتل بالاس ، والسبب فى ذلك يمناك التى ترى أنها تدين تورنوس نحو الابن وأبيه(٢٧) . تلك هى فرصتك الوحيدة المتاحة لمواهبك وحظك . إنى لا أبغى متعاً فى حياتى فهذا محرم على — ولكننى أحملها لأننى فى العالم السفلى » .

فى تلك الأثناء، كان الفجر قد نشر ضوءه الرقيق على البشر الأشقياء، يحملهم من جديد على العمل والكد؛ فأشعل آينياس تارة ، وتارخون تارة أخرى ، كومات النار على الشاطىء المتعرج . وهنا ، تبعا لتقاليد

آبائهم حمل كل منهم جثث ذويه؛ وكلما اشتعلت النيران القاتمة، من أسفل الكومات، أحالت السماء العالية إلى ظلام بسحابة من الدخان. وجروا حول كومات النار المتوهجة ثلاث مرات، متمنطقين بأسلحتهم البراقة، ثم التفوا ثلاث مرات حول النار الجنائزية الحزينة، فوق جيادهم وانطلق صوت نحيبهم. وانهمرت دموعهم على الأرض والأسلحة، وعلا صياح الرجال ودوى الأبواق إلى السماء. هنا قذف بعضهم إلى النار بالغنائم التي سلبوها من القتلى اللاتين، من خوذات وسيوف مزركشة، ولجامات وعجلات لامعة، وأتى الآخرون بالقرابين المألوفة لديهم، كدروع وأسلحة مشئومة. وحول الجثث ذبح كثير من الثيران لإله الموتى، كما ذبحوا خنازير مشعرة، وقطعان أتوا بها إلى اللهب من جميع الحقول. ثم راقبوا رفاقهم المحترقين، وأبقوا على النيران المتفحمة ولم يستطيعوا الرحيل حتى أحاط الليل الندى بالسماء؛ وقد امتلأت بالنجوم المتلألئة.

لم يكن اللاتين الأشقياء بأقل منهم، ففى مكان مقابل، أقاموا هم أيضا كومات لا حصر لها، فقد دفنوا بعضاً من جثث قتلاهم العديدة فى الأرض، ورفعوا البعض الآخر، وحملوه إلى الحقول المجاورة وأعادوه إلى المدينة (٢٨). أما الباقون، وهم عدد ضخم من القتلى المجهولين، فقد أحرقوهم بغير حساب أو تكريم، وعندئذ تنافست الحقول الشاسعة فى التوهج بنيرانها المتقاربة فى كل مكان. وبعد أن أزاح اليوم الثالث ظلمته الرقيقة من السماء؛ أخذوا يقلبون أعماق الرماد والعظام المختلطة به فى كومة النار، ويزودونها بتراب الأرض الساخن. عندئذ، كان مصدر العويل، فى الواقع، والجزء الأكبر من النواح المتواصل، داخل المنازل، فى مدينة لاتينوس الثرى، فهنا الأمهات وزوجات أبنائهم البائسات، وهناك القلوب المحبة لأخواتهن المنتحبات، والصبية الذين حرموا من آبائهم، يلعنون الحرب الضارية وزواج تورنوس (٢٩)، وينادون بأن يحسم الأمر بنفسه، بالسلاح والسيف، نفس الرجل (٣٠)، الذى يطلب لنفسه مملكة إيطاليا وتكريمه قبل غيره. وقد صعد درانكيس الثائر من ذلك الموقف، وقرر أن يستدعى تورنوس وحده، ويطلب

للقتال بمفرده . وفى نفس الوقت ، كانت هناك آراء عديدة، مخالفة لرأيه ، قيلت بأساليب مختلفة لصالح تورنوس، يحميه اسم الملكة (٣١) العظيم ، وتعضده شهرته العريضة ، بنصبه التذكارية القيمة .

شكل (٤٤)
محارب ايطالى بملابسه العسكرية وحصانه

وسط هذه المشاعر وفى خضم الثورة العارمة ، ترى السفراء فوق ذلك ، يحملون الإجابات مكتئبين من مدينة ديوميديس العظيمة : بأن الجميع مهددون ، فلم ينجز شىء من مجهوداتهم الكبيرة تلك ، ولم تثمر الهدايا أو الذهب أو صلواتهم الكثيرة، بل يجب على اللاتين أن يبحثوا عن أسلحة أخرى أو يطلبوا السلم من الملك الطروادى . ووقع الملك لاتينوس نفسه تحت وطأة حزن بالغ . إن غضب الآلهة والقبور الحديثة الماثلة أمام عينيه لتنذر بأن القدر يعضد آينياس بقوة إلهية أكيدة(٣٢) . ولهذا دعا مجلسه العظيم . وزعماء مواطنيه بأمر منه ، وجمعهم داخل أعتابه العالية ثم اندفعوا من الطرق المزدحمة إلى القصر الملكى وجلس فى وسطهم لاتينوس أكبرهم سنا ، وأوسعهم سلطة ، وقد فارقت السعادة وجهه . وهنا أمر الرسل العائدين من المدينة الأيتولية(٣٣) ، أن يخبروه بما يحملون من أنباء ، وطلب منهم إجابات وافية كل بدوره .

عندئذ أطبق الصمت على ألسنتهم ، لكن فينولوس (٣٤) أطاع أمره وبدأ يتحدث قائلا :

« أيها المواطنون ، بعد أن أتممنا رحلتنا ، وتغلبنا على جميع المخاطر ، رأينا ديوميديس ومعسكره الأرجى ، وصافحنا يده ، التى أسقطت طروادة . فعندما غزا حقول يابوكس (٣٥) ، على جبل جارجانوس (٣٦) بدأ يشيد مدينته أرجوريبا (٣٧) ، التى لقبت باسم جنس أبيه ، وبعد أن دخلنا ، وأعطيت لنا حرية الكلام فى حضرته ، (٣٨) قدمنا الهدايا ، وأعلنا أسماءنا واسم وطننا الذى أعلنوا عليه الحرب ، والسبب الذى قادنا إلى أربى . وعندما استمع إلى هذه الكلمات ، أجاب بهدوء محياه ، قائلا :

« أيتها الشعوب السعيدة ، يا مملكة ساتورنوس ، أيها الأوسونيون القدماء ؛ أى خطر عكر عليكم صفوكم ودعاكم ، إلى إثارة حروب لا تعرفون مصيرها ؟ نحن الذين استبحنا لأنفسنا حقول طروادة ، بحد السيف — إنى أترك تلك المآسى التى قاسيناها بالقتال تحت حوائطها العالية والرجال الذين قضى عليهم نهر سيمويس (٣٩) هنالك — وتعرضنا لمآس لا توصف فى جميع أنحاء العالم ، وذقنا كل ألوان العذاب بسبب خطايانا ، نحن قوم يجب حتى على برياموس أن يشفق عليهم : ويعرف ذلك نجم منيرفا (٤٠) المهلك ، وصخور يوبويا وجبل كافيريوس (٤١) الفاقم . وبسبب تلك المعارك ، سبق مينلاوس بن أتريوس ، أثناء عودته ، نحو شاطئ مختلف إلى أعمدة بروتيوس (٤٢) ورأى أودوسيوس الكوكلوبس على جبل أيتنا . هل أتكلم عن مملكة نيوبتوليموس (٤٣) ، وقصر إيدومينيوس (٤٤) الذى لحق به الخراب ؟ وعن اللوكريين الذين يسكنون على ساحل ليبيا : إن ملك موكيناى (٤٥) نفسه ، زعيم الآخيين الأقوياء ، بمجرد أن دخل قصره ، لقى حتفه على يد زوجته الشريرة ، فبعد أن أخضع آسيا ، تربص له عشيقها . كم أرى الآلهة تحسدنى على عودتى إلى مذابح وطنى ، وزوجتى (٤٦) التى أتوق إليها ومدينة كالودون الجميلة ، والآن تلاحقنى أيضاً أشباح منظرها بشع ،

ورفاقى المفقودون يحلقون فى الجو بأجنحتهم ، ويرتادون الأنهار كالطيور (٤٧)– ويلى من عقوبات شعبى الأليمة – ويملأون الصخور بصرخاتهم الدامعة . مثل هذا المصير كنت أنتظره لنفسى أيضا منذ تلك اللحظة عندما استهدفت فى جنون آلهة سماوية بسيفى ، ودنست يد فينوس بجرح (٤٨). لا ، حقيقة ، لا تدفعونى لمثل هذه المعارك . فلم أشتبك فى أية حرب مع التيوكريين بعد سقوط برجاما ، ولا أتذكر أو أسعد بمآسيها القديمة. احملوا إلى آينياس الهدايا التى أحضرتموها إلى من حدود وطنكم . لقد واجهنا أسلحته الفتاكة ، وحاربناه يداً بيد : صدقونى ، أنا الذى خضت التجربة ، فكم بدا آينياس شامخاً فوق درعه ، وبأية زوبعة يقذف حربته . ولو أن أرض إيدا (٤٩) أنجبت رجلين آخرين مثله لوصل الداردانى بعيداً على الجانب الآخر ، إلى مدن إيناخوس ، وحزنت بلاد اليونان على مصيرها التعس . إن أى تأخير لنا أمام أسوار طروادة الصامدة كان بسبب هكتور وآينياس ، فتأجل انتصار الإغريق حتى ثبتت أقدامه فى العام العاشر . كلاهما يعرف بشجاعته وكلاهما يتميز بأسلحته ، ولكن آينياس كان يفوقه فى التقوى . لتتشابك أيديكم فى معاهدة ، إن أمكن ، ولكن احذروا أن تحتك أسلحتكم بأسلحته » : لقد سمعت ، أيها الملك النبيل ، ماهى إجابات الملك ديوميديس . وسمعت فى نفس الوقت ماهى مشورته فى هذه الحرب الطاحنة » :

بمجرد أن قال السفراء هذه الكلمات ، سرت همهمة مشوشة على شفاه الأوسونيين المضطربة : مثلما يحدث ، عندما تعوق الصخور الأنهار المتدفقة ، ترتفع زمجرة من جراء التيار المحتبس وتزمجر الشواطىء القريبة ، بفعل الأمواج المتلاطمة . وما أن هدأت النفوس ، وسكتت الألسنة القلقة ، حتى تكلم الملك من فوق عرشه المرتفع ، وقد بدأ حديثه بالآلهة قائلا :

« أيها اللاتين ، لقد سبق لنا ، فى الواقع ، أن اتخذنا قرارنا من أجل المصلحة العليا ، وقد كان من الأفضل – وكانت هذه رغبتى – ألا أدعو المجلس ، فى مثل هذا الوقت ، رغم أن العدو رابض بالقرب

من أسوارنا. أيها المواطنون ، إننا نشتبك فى حرب ضارية مع سلالة الآلهة ، ومع رجال لايقهرون ، ولا تنهكهم أية معارك ، وعندما يهزمون ، لايمكن أن يتخلوا عن سلاحهم. وإذا كان لديكم ثمة أمل فى التحالف مع قوات الأيتوليين ، دعكم من هذا ، فكل منكم أمل لنفسه ، ولكن هذا جد هراء ، كما ترون ، فكل ما تبقى من ممتلكاتكم ملقى بعد تدميره تماما ، وكل شئ أمام أعينكم وبين أيديكم . إنى لاألوم أحداً منكم : فقد أبدينا ما بوسعنا من شجاعة متناهية ، وناضلنا بكل كيان مملكتنا . وهكذا دعونى أوضح لكم الآن ما يتراءى لفكرى المشتت ، انتبهوا إلى وسأقدم لكم تصوراتى فى كلمات قليلة : إن لى أرضا قديمة جدا من نهر توسكوس (٥٠) ، تمتد بعيدا ، نحو الغرب ، إلى ما وراء حدود السيكانيين (٥١) ، يزرعها الأورونكيون والروتوليون ، ويمهدون تلالها الصلبة بالممرات ، ويعدون أكثر أجزائها وعورة للرعى . لتكن كل هذه المنطقة المحاطة بسياج من أشجار الصنوبر بارتفاع الجبل ثمنا لصداقة التيوكريين ، ولنقدم لهم شروط معاهدة عادلة ، ولنتخذهم شركاء لنا فى مملكتنا ، وليستوطنوا معنا ، وليشيدوا مدينتهم ، إذا كانت رغبتهم فى ذلك ملحة . أما إذا كان فى نيتهم أن يختاروا أراضى أخرى ، وموطنا آخر ، وأمكن لهم مغادرة أرضنا ، لنبن لهم عشرين سفينة من خشب البلوط الإيطالى ، أو إذا كانت لديهم القدرة على إنجاز سفن أكثر ، فالأخشاب كلها عند النهر وعليهم أن يبادروا من جانبهم بتحديد عدد السفن ونوعها ، وعلينا أن نقدم لهم المعادن والأيدى العاملة ، وأحواض السفن ، بالإضافة إلى ذلك ، يطيب لى أن يذهب مائة متحدث لاتينى من صفوة أمتنا — لكى يحملوا كلمتنا ويصدقوا على الميثاق — ويقدموا بأيديهم أغصان السلام ، ويحملوا هدايا ، من زنة تالنت (٥٢) من الذهب والعاج ، بالإضافة إلى مقعدى وردائى ، رمز مملكتى . تدبروا مشورتى من أجل الصالح العام ، وهبوا لدعم قوانا المستنزفة ».

عندئذ ، نهض درانكيس متأهبا كعادته ، درانكيس الذى عادة

ما كانت تثيره شهرة تورنوس بوخزات مؤلمة وحقد خفى ، والذى كان واسع الثراء سليط اللسان ، لكن يده كانت غير متحمسة للقتال ، وكان لايستطيع تقديم النصائح الصائبة ، ولكنه كان قادرا على الفتنة — وقد هيأت له عراقة أمه أصلا طيبا ، أما نسبه لأبيه ، فلم يكن معروفا — وأثقلهم بهذه الكلمات واستشاطهم بالغضب :

« أيها الملك النبيل إنك تطرح للمشورة ، موضوعا معروفا لكل منا ، ولا يحتاج إلى رأينا : فالجميع يعترفون بأنهم يدركون ماعليه عليهم الصالح العام ، ولكنهم يحجمون عن الكلام . ليسمح تورنوس بحرية الكلام وليتخل عن الغطرسة ، وسأبوح من ناحيتى بقيادته المهلكة وأساليبه الخاطئة — رغم أنه يهددنى بالسلاح والموت — لقد رأينا عدداً كبيراً من القادة اللامعين يسقطون ، والمدينة كلها تغرق فى حزنها ، بينما هو لقدرته على الهرب (٥٣) ، يهاجم معسكر الطرواديين ، ويملأ الجو رعباً بسلاحه — شئ آخر بخلاف تلك الأشياء المذكورة العديدة جداً ، التى تأمرنا بإرسالها ، وتعد أبناء داردانوس بها — شئ آخر يجب أن تضيفه ، ياأنبل الملوك على الاطلاق : لاتدع سيطرة من أحد (٥٤) تسيطر عليك ، وتمنعك ، كأب من أن تعطى ابنتك لصهر نبيل بزواج يليق بك وتربط هذا السلام بميثاق خالد ، لأنه ، إذا كان مثل هذا الرعب الكبير من جانب تورنوس يسيطر على عقولنا وأفئدتنا ، دعنا نتوسل إليه شخصياً ونلتمس منه العفو فيستجيب ، ويتخلى ، من أجل الملك والوطن ، عن حقه المكتسب (٥٥) . لماذا ، ياتورنوس ، كثيرا ماتدفع المواطنين التعساء إلى مخاطر مهلكة ، يامصدر هذه المآسى وسببها اللاتيوم : لا سلامة فى الحرب ، إنا جميعا نلتمس منك السلم ، ياتورنوس ، وفى نفس الوقت نلتمس منك ميثاق السلم الوحيد الذى لا ينتهك (٥٦) . أما أنا ، الذى تدعى أنى عدوك — وأنى لاأتوانى عن شئ ضدك — فكنت كما ترى أول من جاءك متضرعا لتشفق على مواطنيك ، ولتتخل عن كبريائك ، ولتتراجع بهزيمتك فقد شُرِّدْنَا ، وكفانا ما رأينا من دمار ، وما

تركنا من أراض شاسعة . أما إذا كانت الشهرة تستهويك أو إذا كنت تجد فى نفسك مثل هذه القوة العظيمة ، أو إذا كان فى قلبك مثل هذه الرابطة الملكية ، تشجع وتقدم بصدرك فى ثقة لمواجهة عدوك . أيجب أن نلقى ، حقا ، فى الوديان، أرواحا رخيصة، وغوغاء لايدفنون أو يبكون لكى يتم زواج ملكى لتورنوس ؟ وإذا كانت لديك ثمة قوة، أو إذا ماورثت عن آبائك شيئا من فن الحرب، واجه ذلك الرجل الذى يتحداك » .

بمثل هذه الكلمات، اشتط غضب تورنوس ، وزمجر وصاح ، وانفجر بهذه الكلمات من أعماق صدره :

« إنه لفياض حقا سيل حديثك دائما ، يادرانكيس ، حينما تكون المعارك فى حاجة إلى الأيادى ، وإنك أول من يحضر ، عندما تعقد الاجتماعات . لكن واجبنا هو ألا نملأ المجلس بالكلمات ، تلك الكلمات الطنانة التى تتطاير منك ، وأنت فى أمان ، بينما سد الحوائط يصد العدو ، ولم تمتلئ الخنادق بعد بالدماء. استمر يادرانكيس فى الطنطنة بفصاحتك كعادتك واتهمنى بالجبن فى الوقت الذى قدمت فيه يمناك مثل هذه الأكوام العديدة من قتلى التيوكريين ، ودججت الحقول فى كل مكان بنصبهم التذكارية ! أى شجاعة حية ممكنة تستطيع تجربتها : وواجبنا البحث عن أعدائنا ، وهم فى الواقع ليسوا على بعد كبير منا ، ويحيطون بأسوارنا من كل جانب : هل ستقدم لمقابلتهم؟ لماذا تتباطأ؟ أم أن شجاعتك ستكون دائما فى لسانك العاصف ، وفى قدميك الهاربتين هاتين؟ هل أنا مهزوم ؟ هل يستطيع أحد ، يا أكبر كاذب ، أن يتهمنى بحق أننى مهزوم ، عندما يرى نهر التيبر يرتفع ويفيض بدم الطرواديين ، ويرى كل أسرة ايفاندروس مع ذريته قد صرعوا ، ويرى الأركاديين قد جردوا من أسلحتهم ؟ وهكذا لم ينل منى بيتياس وبانداروس العملاق، وألف من الرجال الذين انتصرت عليهم يوما ما ، وأرسلتهم إلى جحيم تارتاروس ، رغم أنى كنت محاصرا داخل أسوار هم ،

ومحاطا باستحكامات العدو : «لاسلامة فى الحرب» .تغنى أيها الأبله ، بمثل هذه النذر من أجل زعيم الداردانيين آينياس، ومن أجل أقدارك : استمر ولا تتوقف عن إرباك كل شئ بانزعاجك المفرط ، وتمجيد قوة الشعب الطروادى ، الذى هزم مرتين (٥٧) من ناحية ، وتحقير أسلحة لاتينوس من ناحية أخرى ، إن أمراء المرميدونيين يرتعدون الآن من أسلحة الفروجيين ، ويتراجع الآن ابن تيديوس (٥٨) ، وأخيليوس اللاريسى (٥٩) ونهر أوفيدوس (٦٠) أمام أمواج البحر الأدرياتيكى ، وخاصة عندما يبدو مرتعدا من منازلتى ، شرير ماكر ويفترى على بوصمة الجبن – إياك أن تنزعج – ولن تفقد مثل هذه الحياة بيمناك هذه : دعها تعيش معك وتبقى على صدرك هذا .والآن، ياسيدى ، أعود إليك وإلى مشورتك السديدة فإذا لم تكن تعلق أى أمل فى أسلحتنا أكثر من ذلك . وإذا كنا قد خذلنا هكذا ، وهوينا إلى الحضيض، عند أول هزيمة لجيشنا ،ولم تستطع آلهة الحظ العودة إلينا ، دعنا نطلب السلم ونمد أيدينا الهامدة . ومع ذلك أتمنى لو كانت هناك بقية من شجاعتنا المعهودة . وعندى من وهب النضال ، وتميز بالشجاعة أكثر من غيره ، ذلك الرجل الذى أقبل على الموت ، وعض الأرض بفمه مرة واحدة حتى لايرى موقفا كهذا . لكن إذا كانت لدنيا قدراتنا وكانت رجولتنا مصانة حتى الآن ، وأمدتنا مدن وشعوب إيطاليا بالمساعدة ، وإذا كان المجد قد تحقق للطرواديين بإراقة كثير من دمائهم – فلهم موتاهم ، كما هبت العاصفة عليهم جميعا مثلنا – لماذا نتخاذل بخسة عند أول عثرة لنا؟لماذا يسرى الرعب فى أوصالنا قبل أن يدوى نفير الحرب ؟ إن الكثير من الأزمات يسير إلى الأفضل بفضل الوقت والعمل الدائب على مر السنين المتعاقبة ،وكثير من الناس زارتهم إلهة الحظ بالتناوب وتلاعبت بهم ، ثم وضعتهم من جديد على أرض صلبة : لن يقدم ديوميديس الملك الأيتولى ومدينته أربى العون لنا : ومع ذلك ، سيعاوننا ميسابوس وتولوميوس (٦١) الموفق ، والقواد الذين أرسلتهم شعوب كثيرة جداً . ولن يكون ضئيلا المجد الذى سيتحقق للصفوة

المختارة فى لاتيوم وأراضى اللاورنتيين ، وهناك أيضاً كاميلا (٦٢) التى تنحدر من سلالة الفواسكيين النبيلة ، تقود كتيبة من الفرسان ، وفصائل زاهية بسلاحها البرونزى وإذا كان التيوكريون يطلبونى للنزال وحدى ، وكان هذا يروق لكم ، وكنت أقف عقبة أمام الصالح العام ، فلن يفلت النصر من يدى هذه ، بدافع نفور كهذا ، حتى أنى أود أن أخاطر بأى عمل من أجل مثل هذا الأمل الكبير . سأذهب لمقابلته بشجاعة ، رغم أنه يفوق أخيليوس العظيم ، ويتشح بأسلحة مماثلة ، مصنوعة بأيدى فولكانوس . لقد وهبت حياتى هذه من أجلكم ومن أجل صهرى لاتينوس ، أنا تورنوس ، الذى لا أقل شجاعة عن أى من أسلافى . إن آينياس يدعونى وحدى ، وأنا أرجوه أن يدعونى ، فإن درانكيس ليس أجدر منى ، إذا حل غضب الآلهة ، يهدئه بموته ، وإذا تحقق السؤدد والمجد ، يجنيه بنصره » .

بينما كانا يتنازعان فيما بينهما ، ويناقشان أمورا مبهمة ، كان آينياس يتقدم بمعسكره وجيشه ، وهنا اندفع رسول وسط القصور الملكية بجلبة عالية ، وملأ المدينة برعب بالغ ، يعلن أن التيوكريين المنظمين فى خط قتال ، وفرقة التورهينيين قد نزلوا من نهر التيبر إلى جميع الوديان. فى الحال اختلطت عقول الشعب ، ورجفت قلوبهم ، وثار غضبهم باستفزاز كبير كهذا . فطلبوا السلاح ملوحين بأيديهم ، وصاح الشباب مطالبين بالسلاح ، والآباء الباكون يزمجرون ويغمغمون . وهنا ارتفع نحو السماء ، من كل جانب ، صياح عال ، فى تنافر متباين ، لا يختلف فى ذلك عن أسراب الطيور ، عندما تستقر مصادفة داخل غابة مرتفعة ، أو عندما يحدث البجع المبحوح ضجيجا ، وسط المستنقعات الصاخبة ، فى نهر بادوسا (٦٣) ، الغنى بالأسماك . وصاح تورنوس منتهزا الفرصة : « لا ، أيها المواطنون ، اجمعوا المجلس ، واجلسوا لتمتدحوا السلم ، بينما يندفع الطرواديون بسلاحهم نحو مملكتنا » . ولم يتكلم أكثر من ذلك ، بل نهض وخرج بسرعة . من القصر الشاهق . ثم قال : « أنت يا فولوسوس (٦٤) ،

مر بتسليح فصائل الفولسكيين ، وقد الروتولين . وأنت ، ياميسابوس ، وأنت ، ياكوراس مع أخيك ، وزعا الفرسان المسلحين فى الوديان الشاسعة. لتحرس جماعة منكم مداخل المدينة وتحتل الأبراج ، ولتحمل الجماعة الأخرى السلاح معى ، لتعمل تحت إمرتى » .

فى الحال اندفعوا من جميع أنحاء المدينة نحو الأسوار . واضطرب الملك لاتينوس نفسه من جراء الموقف العصيب ، فأجل خططه العظيمة ، وترك المجلس ولام نفسه كثيرا لأنه لم يرحب من ناحية بآينياس الداردانى ولم يتخذه صهرا ، لصالح مدينته . وأخذ بعضهم يحفرون الخنادق ، أمام المداخل ، أو يحملون الأحجار والأوتاد على أكتافهم . وقد أعطى نفير صوته أجش إشارة دموية إيذانا بالحرب. أحاطت السيدات والصبية بالأسوار فى شكل دائرة ، ألوانها متباينة ، فالعمل المضنى يتطلب جهد الجميع . وحمل حشد كبير من الأمهات ، الملكة أماتا ، إلى معبد بالاس ، وقلاعه الشاهقة حاملة معها الهدايا ، وإلى جانبها ترافقها لافينيا العذراء ، مصدر هذا الشقاء المستفحل ، وعيناها الجميلتان مسدلتان . وصعدت الأمهات ، وبخرن المعبد بالبخور ، ومن مدخله العلوى فضن بنواحهن الحزين قائلات : « أيتها القوية بسلاحك ، ياسيدة الحرب ، يا ابنة تريتون (٦٥) العذراء ، حطمى بيدك حربة القرصان الفروجى آينياس ، واطرحيه على الأرض ممدداً ، والقيه أمام بواباتنا ، منبطحاً » .

أما تورنوس ، فقد ثار وسلح نفسه للمعركة متحدياً . والآن وقد لبس صدريته البراقة فقد أصبح يتوهج بأسلحته البرونزية ، وكان قد لف ساقيه بغلاف من الذهب ، وظل عارى الصدغين ، وعلق سيفه على جانبه ، وكان يضوى بالذهب وهو ينزل من أعلى القلعة. إنه يزهو بشجاعته ، وأمله الآن أن يمسك بعدوه : مثل الحصان ، عندما يهرب من حظيرته ، بعد كسر عقاله ، ويصبح فى النهاية حراً وسيداً فى الوادى الفسيح ، فإنه إما أن يسرع نحو المراعى وقطعان الخيول ، أو أنه ، كما تعود ، يهم بالاستحمام فى النهر الذى يعرفه ، ويصهل ، وهو يتدفق إلى الأمام ورأسه

تمتد إلى أعلى فى مرح زائد . بينما يتمايل شعرمفرقته فوق عنقه وأكتافه .

أسرعت كاميلا لمقابلته . تصحب جيشا من الفواسكيين ، وعند البوابات نفسها ، قفزت الملكة من فوق حصانها ،واحتذى بها كل جيشها ٥٠٠
تاركا جياده ونزل إلى الأرض . عندئذ ، تفوهت بمثل هذه الكلمات : « ياتورنوس ، إذا كان للشجاع قمة ثقة بنفسه عن جدارة ،فإنى أجرؤ وأعد بأن أواجه خيالة آينياس ،وأذهب بمفردى لمقابلة فرسان التورهينيين . دعنى أخوض أخطار القتال الأولى بيدى ، أماأنت ، فقف أسفل الحوائط واحرس الأسوار »

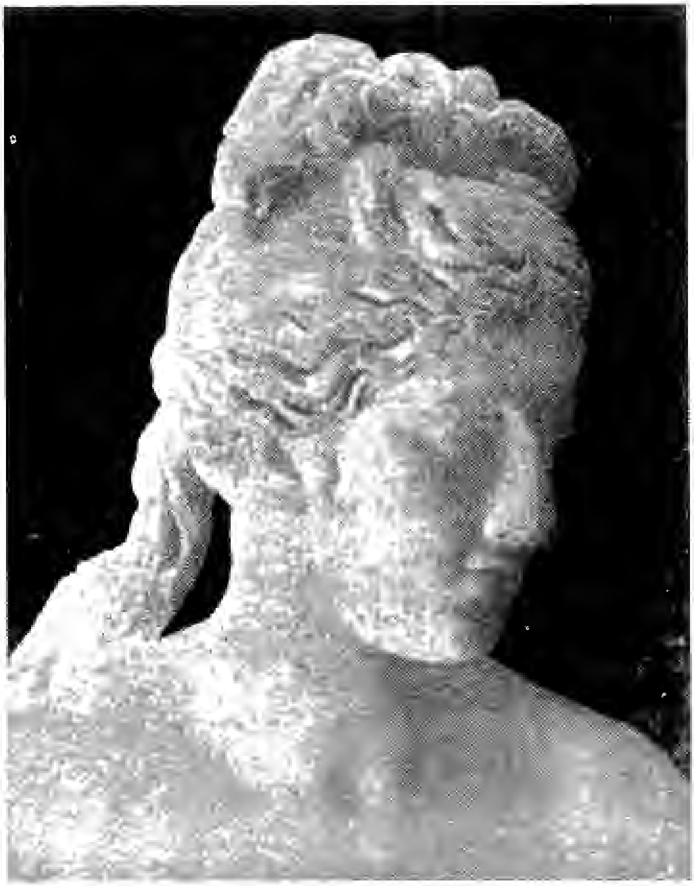

شكل (٤٥)

الربة ڤينوس ، والدة البطل الطروادى آينياس

ردا على هذه الكلمات ، قال تورنوس ، وقد أحدق النظر فى العذراء الموقرة : « أيتها العذراء ، يا مجد إيطاليا ، أى شكر أستطيع أن أقدمه لك وأى معروف يمكننى أن أسديه إليك ؟ لكن ، حيث أن شجاعتك هذه ، تفوق الآن كل شىء ، فلتشتركى معى فى العمل. إن آينياس المتصلف ، كما تقول الإشاعة ويؤكد الرسل المبعوثون ، قد أرسل فصائل خفيفة من الفرسان لكى تطهر الوديان ، أما هو فقد تخطى حافة الجبل ، خلال منحدراته الموحشة ، واتجه نحو المدينة . سأعد شركا حربيا فى ملتقى الغابة المقبى لكى أسد عليه الطرق المزدوجة ، بجيش مسلح . أما أنت ، فعليك ، فى خضم المعركة ، أن تفاجئى خيالة التورهينيين ، وسيكون معك ميسابوس الباسل والفصائل اللاتينية وفرقة تيبورتوس ، وأن تتولى أيضا مهمة القيادة بنفسك » . هكذا تكلم ، وبمثل هذه الكلمات ، شجع ميسابوس والقادة الحلفاء لخوض المعركة ، وتقدم لملاقاة العدو .

هناك واد ، له منعطف ملتو ، صالح لخدع وحيل الحرب ، تحده من كلا الجانبين حافة سوداء مكسوة بأوراق شجر كثيفة ، يؤدى إليه طريق متعرج وممر ضيق ، وتوصل إليه طرق ومداخل مهلكة . وفى أبراج للمراقبة فوق هذا الوادى على قمة الجبل الشاهقة ، يوجد سهل خفى وملجأ آمن : إذا أردت أن تسرع إلى الجهة اليمنى أو اليسرى للمعركة ، أو تقف على حافته ، وتدحرج الأحجار الضخمة على العدو . ومن ثم ، أسرع الشاب إلى ملتقى الطرق المعروف ، واتخذ مكانه ، واستقر داخل الغابات الوعرة .

فى تلك الأثناء ، بدأت ابنة لاتونا (٦٦) ، فى مقرها السماوى ، تخاطب أوبيس (٦٧) رشيقة الحركة ، وهى واحدة من حليفاتها العذارى وجماعتها المقدسة ، وأخذت تطلق من فمها هذه الكلمات الحزينة : « أيتها العذراء ، إن كاميلا تقدم على حرب ضروس ، وعبثا تتسلح بأسلحتنا ، وإنها لأعز عندى من غيرها . إذ لم يكن حب ديانا هذا لها جديدا عليها ، ولم يتحرك قلبها برقتها فجأة . فعندما طرد ميتابوس (٦٨) من مملكته ، بسبب كراهيته

وجبروته الطاغى ، غادر المدينة القديمة ، بريفيرنوم(٦٩) ، وبينما كان يهرب وسط ؛ حام المعارك الحربية ، حمل طفلته ، مرافقة له فى منفاه ، وسماها باسم أمها ، كاسميلا ، وناداها ، بعد تغيير جزء منه ، كاميلا . وبدأ يبحث بنفسه عن المرتفعات الشاهقة فى الغابات المنعزلة ، وهو يحملها أمامه على صدره . كانت الحراب القاسية تعوقه من كل جانب ، وكان الفولسكيون يحومون حوله ، بجيشهم المتدفق . وأثناء هروبه ، إذ بنهر أماسينوس (٧٠) يزيد ويفيض حتى أعلى ضفتيه ، إذ أن أمطارا غزيرة جدا كانت قد غمرته . وعندما استعد للسباحة عبره ، عاقه حبه لطفلته ، وخشى على حمله العزيز . وبينما كان يقلب مع نفسه جميع الوسائل ، بالكاد استقر فجأة على هذا الرأى . لقد تصادف أن المحارب يحمل ، فى يده القوية ، حربة هائلة ، مقواة بعقد ناتئة ، ومصنوعة من خشب البلوط الناضج ، إلى هذه الجهة أوثق ابنته ، بعد أن لفها بلحاء الشجر ، وخشب الفلين البرى ، وربطها فى وضع مناسب وسط الحربة ، وبعد أن وازنها بيده الضخمة ، هكذا وجه حديثه إلى السماء :

« أيتها الرحيمة ، يا ساكنة الغابات ، يا ابنة لاتونا العذراء ، لقد نذرت طفلتى هذه ، أنا والدها ، خادمة لك ، وستكون الضارعة أول من تحمل أسلحتك عبر الرياح ، وتطرد العدو . إنى أتوسل إليك ، أيتها الإلهة ، أن تقبلى خادمتك التى أعهد بها الآن للرياح المجهولة » .

بعد أن تحدث وجه ذراعه ، وألقى بالحربة السريعة ، فأحدثت المياه دويا ، فوق النهر الجارف ، وابتعدت كاميلا البائسة ، فوق الحربة وهى تحدث فرقعة . أما الآن ، وقد اقتربت من ميتابوس جماعة كبيرة من الرجال ، فقد ألقى بنفسه فى النهر ، وساق المنتصر الحربة والعذراء بين العشب الأخضر ، هدية لتريفيا(٧١) . ولم تقبله أية مدينة فى مساكنها أو أسوارها ، أما هو فلم يفرض نفسه بطريقة وحشية ، وقضى حياته ، واحدا من الرعاة على الجبال الموحشة . وهنا ، فى الأحراش وبين عرائن الحيوانات المتوحشة ، أخذ يطعم طفلته على لبن فرس برية من قطيعه ، يعصر ثديها

بين شفتيها الرقيقتين ، وبمجرد أن وقفت الطفلة على أكعاب أقدامها ، فى خطواتها الأولى، سلح يديها بحربة مدببة،وعلق جرابا وسهما على كتفها الصغير . وبدلا من خصلة شعر ذهبية ورداء طويل فضفاض، كان يتدلى من رأسها إلى ظهرها غطاء من فراء نمر.وكانت فى ذلك الوقت تصوب سهامها بيدها الصبيانية الصغيرة ، وقد وضعت حول رأسها حزاماً أملس من الجلد ، واعتادت صيد الطيور والأوز الأبيض من نهر ستريمون. وعبثا أرادتها أمهات كثيرات فى البلدان التورهينية ابنة لهن ، ولما كانت قانعة بديانا وحدها ، فقد حظيت بحب طاهر أبدى لأسلحتها وعذريتها . كم وددت لو لم تجرف كاميلا فى حرب كهذه، ولم تحاول أن تتحدى التيوكريين : وهى لاتزال حتى الآن عزيزة على ،وواحدة من رفيقاتى . لكن هيا ،ياعروس البحر ، ما دامت الأقدار القاسية تثقل عليها ، اهبطى (من السماء) وتعهدى الأراضى اللاتينية ، فعند النذير المشئوم تنشب معركة كئيبة . خذى هذه الأشياء(٧٢) ، واستلى من جعبتى حربة ثأر : تقتصين بها لى ممن قد يدنس جسدها المقدس بجرح ،سواء كان طرواديا أو إيطاليا ، بدمه سواء بسواء . بعد ذلك،سأحمل بنفسى جسد المصابة وأسلحتها دون تلف فى سحابة مجوفة إلى قبرها وأعيدها إلى وطنها » .

بعد هذا الحديث ، هبطت أوبيس ، عبر أجواء السماء الرقيقة وهى تحدث دويا ، وقد أحاطت جسمها بإعصار مظلم . لكن ،اقتربت من الأسوار ، فى تلك الأثناء ، الفرقة الطروادية والقواد الإتروسكيون وقوة الفرسان كلها ،وقد رتبت فى كتائب بأعداد منتظمة . وصال حصان الحرب ، وهو يصهل فى الوادى كله ،وجال هنا وهناك ، وهو يقضم لجامه المحكم ، عندئذ توهجت الساحة ،على نطاق واسع ،بنصال الحراب وتأججت الوديان بالأسلحة المرفوعة . ولم يختلف الحال فى مواجهتهم، فقد ظهر ميسابوس واللاتين المعروفون بسرعتهم ، وكوراس بصحبة أخيه ، وفرقة كاميلا العذراء ، لملاقاتهم فوق الوادى ، وكانوا يدفعون بحرابهم بعيدا ، وبأيديهم المتحفزة ، ويلوحون بمزاريقهم ، واحتدم

تقدم الرجال وصهيل الخيول ، وأثناء تقدمهم ، توقف كل فريق بعد أن أصبح داخل مرمى رماح الفريق الآخر : وبصيحة مباغتة ، اندفعوا يهمزون جيادهم الهائجة ، وفي نفس الوقت ، كانوا يتراشقون من كل جانب ، برماحهم المنهمرة مثل برد الجليد وقد حجبت السماء بظلها . وفي الحال ، تلاحم بقوة تورهينوس وأكونيتوس الشرس برماحهما ، وجها لوجه ، وكانا أول من سقطا بصوت صاخب واصطدم صدراهما ، باصطدام صدري خيولهما : وطار أكونيتوس ، مثل صاعقة أو مقذوف دفعته آلة ، فألقت به بعيدا ، وبعثرت أشلاءه في الجو .

على الفور ، ارتبكت خطوط القتال ، وفر اللاتين ، وقد وضعوا دروعهم خلف ظهورهم واستداروا بخيولهم نحو المدينة : والطرواديون يتعقبونهم ، وكان الزعيم أسيلاس (٧٣) يقود الكتائب . وعندما كانوا يقتربون من البوابات ، أطلق اللاتين صيحة الحرب مرة أخرى ، وأداروا رقاب خيولهم الطيعة ، وولى الطرواديون الأدبار ، منسحبين ، وقد أطلقوا العنان لخيولهم : مثل المحيط عندما يتدفق بفيضانه المتلاحق ، ثم يندفع نحو الشاطىء يلاطم الصخر ، بموجة من الزبد ويشرب الرمال البعيدة بأمواجه المتعرجة ، والآن يتراجع بسرعته ويسحب الأحجار المتدحرجة أثناء جذره ، ويترك الشاطىء بمنحدر ضحل : مرتين ، دفع التوسكانيون الروتوليين المندحرين إلى المدينة ، ومرتين نظروا وهم يهزمون خلفهم وقد غطوا ظهورهم بدروعهم الواقية . لكن ، بعد أن تقدموا للمعركة الثالثة اشتبكت جميع خطوط القتال فيما بينها ، وصوب كل رجل نحو خصمه ، عندئذ ارتفعت ، في الواقع ، تأوهات القتلى ، وغاصت الأسلحة والأجساد والجياد في بحر من الدماء ، واختلط الجرحى بالقتلى من الرجال ، واشتدت المعركة ضراوة . وصوب أورسيلوخوس (٧٤) حربته نحو حصان رمولوس (٧٥) ، الذي كان يفزع من مواجهته ، وترك سلاحه يستقر تحت أذنه : بهذه الضربة ، لم يتحمل الحصان جرحه ، فهب هائجا ، ورفع صدره وشب على قدميه عاليا فوقع رمولوس ، وتدحرج على الأرض . وصرع

كاتيلوس أيولاس (٧٦) وهيرميليوس (٧٧) العظيم بشجاعته والعملاق بجسمه ومنكبيه، وبأكتافه العارية وخصلات شعره الصفراء تتدلى من رأسه المكشوف، يواجه الأسلحة شامخا لا ترهبه الجروح وتهتز الحربة الغائرة بين كتفيه العريضين، وباختراقها تثنى الرجل نصفين من الألم. ويراق الدم القاتم من كل جانب، كل يقيم المذابح ويناضل بالسيف، ومن خلال جروحه يبغى ميتة كريمة. لكن وسط المذبحة، أندفعت كاميلا، تحمل قوسها، مثل محاربة أمازونية (٧٨)، كشفت عن أحد ثدييها فى المعركة، وهى الآن تمطر بيدها وابلا من سهامها العنيفة بغزارة، وتنتزع بيمينها التى لا تكل فأسا ذات حدين، بينما يدوى فوق كتفها، قوسها الذهبى، وهو سلاح ديانا. وكانت أيضا تنسحب إلى الخلف، إذا ما اضطرت للتقهقر، وتدير قوسها وتصوب سهامها أثناء هروبها. لكن رفيقاتها المختارات كن حولها: لارينا العذراء (٧٩)، وتولا (٨٠)، وتاربيا (٨١)، تلوح ببلطة برونزية، وهن بنات إيطاليا، مجيدات فى السلم والحرب: هكذا كانت المحاربات الأمازونيات فى تراقيا عندما كن يجتزن روافد نهر ثيرمودون (٨٢)، ويحاربن بأسلحة متلألئة، سواء حول هيبوليتى (٨٣)، أو عندما تعود بنثيسيليا (٨٤)، ابنة مارس فى عربتها، ويندفعن بصيحة عالية مضطربة، فى صفوف النساء، بدروعهن الهلالية الشكل.

أيتها العذراء القاسية، من ستصرعين أولا بمزاريقك، ومن ستصرعين أخيرا؟ أو كم من أجساد القتلى ستطرحين أرضا؟ كان أيونيوس (٨٥) بن كلوتيوس (٨٦) أول من طعنت صدره العارى بسهمها الفضى الطويل. فسقط ينزف أنهارا من الدم، وهو يعض الأرض الملوثة بالدماء، ويموت وهو يتلوى فوق جرحه. ثم صرعت ليريس وفوقه باجاسوس: فبينما أمسك أحدهما باللجام، عندما طرحه للخلف حصانه المطعون، نهض الآخر فى نفس الوقت، ومد يده المجردة من السلاح لمساعدة رفيقه المتهاوى، عندئذ سقطا طريحين معا، وأضافت إليهما

أماستروس بن هيبوتاس ، ومالت إلى الأمام برمحها ، وهى تتابع على بعد تيربوس وهارباليكوس وديموفوون وخروميس . وبقدر ما أرسلت العذراء من سهام ووجهتها بيدها ، بقدر ما سقط كثيرون جداً من الرجال الفروجيين ، ومن بعيد ، يركب أورنيتوس القناص ، بأسلحته الغريبة فوق حصان يابوجى (٨٧) ، وكان يحيط منكبيه العريضين بجلد ، كان قد انتزعه المحارب من ثور ، وكان يغطى رأسه بتجويف ضخم ، لفم ذئب وفكين أنيابهما بيضاء ، ويسلح يده بحربة بدائية ، وكان يتجول مزهواً بنفسه وسط القوات وقد علت هامته الجميع . لقد اقتنصته كاميلا — فلم يكن هذا عملا شاقا وسط المعمعة — وطعنته ، وفوق صدر عدوها تفوهت بهذه الكلمات :

« أكنت تعتقد ، أيها التورهينى ، أنك تطارد حيوانات فى الغابات ؟ لقد جاء اليوم ، الذى ترد فيه أسلحة امرأة على مهاتراتكم : بأنك لن تعود إلى أرواح آبائك بأقل مجد ، وقد سقطت بسلاح كاميلا » .

ثم صرعت أورسيلوخوس وبوتيس ، وهما اثنان من أقوى التيوكريين بنية : ولكنها طعنت بوتيس بفأسها من الخلف بين درقته وخوذته ، حيث تضوى رقبة الفارس ، ويتدلى الدرع من ذراعه اليسرى ، وبينما كانت تراوغ أورسيلوخوس ، وهو يطاردها فى دائرة متسعة ، ضيقت عليه الخناق ، وبدأت تلاحق من يلاحقها ، ثم شبت إلى أعلى وأخذت تضاعف ضرباتها القوية ، فى سلاحه تارة وفى عظامه تارة أخرى ، والرجل يتضرع إليها كثيرا ، والجرح يلطخ وجهه بدم دافىء . وهنا تصادف ووقف ابن أونوس ، وهو محارب من سكان جبل الأبنين (٨٨) ، وقد ارتعد من المنظر المفاجىء ، ولم يكن أقل من الليجوريين (٨٩) ، كلما سنحت له الأقدار بالكذب . وعندما أدرك أنه لم يعد يستطيع أن يتفادى القتال بأية وسيلة ، أو أن يثنى الملكة عن هجومها ، حاول أن يدبر حيلة بمكره ودهائه ، وبدأ يخاطبها بهذه الكلمات :

« برغم أنك امرأة ، لم مثل هذا الشرف العظيم ، إذا كنت تعتمدين

على حصانك القوى ؟ دعك من الهروب ، وتشجعى للقتال معى يداً بيد وعلى أسس متكافئة ، وترجلى للقتال على الأرض ، وستعرفين فى الحال لمن يجلب المجد الزائف الشقاء » .

هكذا تكلم ، لكن كاميلا استشاطت بالغضب ، والتهبت بألم مرير وسلمت حصانها لتابعتها ، وواجهته بأسلحة متكافئة ، على قدميها ، غير هيابة ، بسيف غير مزركش ، ودرع غير مزين ، أما الشاب ، وقد ظن أنه قد تغلب عليها بخدعته ، أسرع يستدير هاربا دون إبطاء — بتحويل اللجام ، والفرار بنفسه ، وهو يوخز حصانه السريع بمهماز حديدى . « أيها الليجورى الغبى ، لقد تباهيت عبثا ، برباطة جأشك ، وجربت دون جدوى ، حيل وطنك المخادعة ، ولن يعيدك خداعك إلى أونوس الكذاب حيا ؟؟ » .

قالت العذراء هذه الكلمات ، وبقدمين خفيفتين ، فى سرعة البرق اعترضت طريق الحصان ، وعندما واجهته ، أمسكت بلجامه ، ونازلت عدوها ، وانتقمت من دمه بسهولة . مثل الصقر ، ذلك الطائر المقدس ، عندما يطارد بجناحيه من فوق صخرة عالية حمامة محلقة فى سحابة ويمسك بفريسته ، ويمزقها بمخالبه المعقوفة ، بينما يتناثر دمها وريشها الممزق من السماء .

لكن لم يكن سيد البشر والآلهة ليجلس على عرشه فى أعلى الأولومبوس دون أن يلاحظ هذه الأحداث ، بعينيه الساهرتين . دفع الإله تارخون التورهينى إلى المعركة الطاحنة ، وأثار غضبه بوخزات مؤلمة . وهكذا ، وسط المذابح وترنح القوات ، أسرع تارخون بحصانه ، يستحث الكتائب ، بنداءات مختلفة ، مناديا كل رجل بإسمه ، وجمع شتات الشاردين إلى القتال قائلا :

« ما هذا الخوف وما هذا التخاذل الكبير ، الذى دب فى قلوبكم أيها التورهينيون ، يامن لن تتحملوا الآلام أبدا ، ولن تتحركوا مطلقاً ؟ هل تجعل امرأة منكم فلولا وتشتت قواتكم هذه ؟ وما فائدة السيف ، ولماذا

تحمل هذه الأسلحة العقيمة فى أيدينا ؟ ولكنكم لا تتأخرون عن الحب عندما تقام المباريات الليلية ، أو عندما يعلن الناى المقدس عن رقصات باكخوس لتنتظروا الولائم والشراب على الموائد الزاخرة — فهذا هواكم وهذه متعتكم حتى يتفضل العراف عليكم ويطالعكم بالقرابين وتدعوكم الضحية الدسمة إلى أغوار الغابات » .

قال هذه الكلمات ، واستحث حصانه إلى وسط المعركة ، مستعدا للموت هو أيضا ، وهجم كالزوبعة على فينولوس ، وبعد أن انتزع العدو من فوق حصانه قبض عليه بيمناه ، وأمسكه من صدره ، وهمز حصانه بقوة كبيرة وحمل فينولوس بعيدا ، وعلت صيحة إلى السماء وجه لها جميع اللاتين أنظارهم . وطار تارخون كالبرق فى الوادى ، وهو يحمل الرجل وأسلحته ، ثم حطم حربة عدوه من طرفها وبحث عن مكان مكشوف ، بحيث يطعنه طعنة قاتلة ، والآخر يقاومه ، ويبعد يده عن عنقه ، ويتفادى القوة بالقوة ، مثل نسر أعفر عندما يحمل حية ، خطفها وطار بها عاليا وقد شبك قدميه ، وقبض عليها بمخالبه ، بينما تثنى الحية الجريحة طياتها الملتوية وتتصلب بحراشفها المنتفخة بفمها ، وهى تنهض منتصبة . وليس النسر بأقل منها ، فهو يصرعها بمنقاره المعقوف ، وهى تقاومه ، بينما يرفرف النسر بأجنحته فى الهواء .

بنفس الطريقة ، تحمل تارخون ، مبتهجا ، فريسته ، من جيش التيبورتيين (٩٠) وقد احتذى أبناء مايونيا (٩١) حذو قائدهم ونجاحه وقاموا بهجومهم ، ثم بدأ أرونس (٩٢) ، الذى حان مصيره ، يدور حول كاميلا السريعة ، بحربته ومكره الشديد الذى يفوقها فيه ، ويحاول أن يجد أسهل فرصة قد تسنح له . وحيثما كانت العذراء الثائرة تقحم نفسها وسط الجيش ، كان أرونس يلاحقها هناك ، ويتابع خطواتها فى هدوء : وحيثما كانت تعود ظافرة ، وتبتعد عن العدو ، كان الشاب يوجه حصانه السريع إلى هناك خلسة . وكان يجرب هذه المداخل تارة ، وتلك تارة

أخرى ويحوم حول كل مكان، من جميع جوانبه، يلوح فى مثابرة بحربته الصائبة .

تصادف وجود خلوزيوس (٩٣) ، المقدس لدى جبل كوبيلوس (٩٤) ، وقد كان كاهنه يوما ما، وكان يتألق من بعيد بأسلحته الفروجية الرائعة ويهمز حصانه المزبد، الذى كان يغطيه سرج له زوائد برونزية على شكل ريش ، مثبتة بالذهب ، وكان يزهو بنفسه ، فى ردائه الأرجوانى القاتم ، ويصوب سهاما جورتينية (٩٥) ، من قوس لوكى ، وكان على كتفيه قوس ذهبى . كانت خوذة العراف ذهبية ؛ بينما كان يطوى وشاحه الزعفرانى ، وثنياته الكتانية الخفيفة على شكل عقدة ، لونها أصفر ذهبى ، وكان رداؤه وجوربه البربرى مطرزين بإبرة طويلة . كانت العذراء تطارده ، إما لكى تعلق على واجهة المعبد أسلحة طروادية ، أو لكى تتباهى بغنيمة من الذهب ، مثل صيادة تطارده ، بطريقة عمياء ، وحده دون جميع خطوط القتال ، وتموج خلال الجيش كله ، دون ترو بدافع حب المرأة للغنيمة والأسلاب ، ولوح أرونس بحربته من كمينه عندما واتته الفرصة أخيرا ، وهكذا تضرع للآلهة بمثل هذا الحديث :

« أى أبوللون ، يا أسمى الآلهة ، ياحارس جبل سوراكتى (٩٦) المقدس ، يا من كنا أول من عبدناه ، ومن أجله يتأجج خشب البلوط المحترق فوق كومة بينما نحن عبدتك اعتمادا على إيماننا بك نمر عبر النار فوق جمرات كثيرة بأقدامنا ، إلهنا القادر على كل شىء ، هبنا القدرة على محو هذا العار بأسلحتنا . إنى لا أطلب الملابس التى تلبسها العذراء ، أو نصبا تذكاريا ، أو أية أسلاب ، فإن أمجادا أخرى ستجلب لى الشهرة لكن ليسقط مع طعنتى ذلك الوباء المدمر بعد ردعه وسأعود دون مجد إلى مدن آبائى » .

استجاب فويبوس ، ووهب من قلبه تحقيق جزء من دعائه ، وتبديد جزء فى الهواء الطلق . فقد سمح للمتضرع أن يصرع كاميلا ، ويقضى عليها بموت مفاجىء ، ولكنه لم يسمح له أن يرى عودته إلى وطنه العريق ، وحملت

العواصف كلمته إلى الرياح الجنوبية. لهذا عندما انطلقت الحربة من يده وأحدثت دويا عبر الأجواء استدار جميع الفولسكيين بقلوبهم المتلهفة، واتجهوا بأنظارهم نحو الملكة ولم تكن كاميلا نفسها تدرى شيئا عن الهواء أو الصوت أو الحربة القادمة من السماء، حتى انطلقت الحربة، واستقرت تحت ثديها العارى، وبعد أن اخترقته بعمق، تشربت بدمها العذرى، وأسرعت رفيقاتها، منزعجات، تحطن وتمسكن عليكتهن المتهاوية. هرب أرونس، وقد ذعر أكثر من الآخرين، وفى خوف ممتزج بالفرح، لم يجرؤ بعد أن يثق فى حربته، أو أن يواجه أسلحة العذراء، وهو فى ذلك مثل ذئب قتل راع أو عجل كبير، وقبل أن تطارده سهام معادية يختبىء فى الحال، بالتجول فى الجبال الشاهقة، وهو واع بعمله الطائش وقد أرخى ذيله المرتعش تحت بطنه، وهو يسعى إلى الغابات: هكذا فعل أرونس فاختفى عن الأنظار، وهو مضطرب، واندس بين الجموع المسلحة، وهو قانع بالهرب. وبينما كانت كاميلا تحتضر، سحبت الحربة بيدها، ولكن طرفها الصلب كان مستقرا بين عظامها، داخل الجرح الغائر حتى ضلوعها وسقطت شاحبة اللون، تسدل عينيها من برودة الموت واختفى اللون الناضر من وجهها مرة واحدة. عندئذ، بينما كانت كاميلا تلفظ أنفاسها الأخيرة بدأت تخاطب أكا وهى واحدة من مثيلاتها سنا، وأخلص لكاميلا من الأخريات، والمشاركة الوحيدة لها فى همومها، وهكذا نطقت بهذه الكلمات: « إلى هذا الحد، أيتها الأخت أكا، كانت قدرتى، أما الآن فإن جرحى المؤلم يقضى على، والظلمات تخيم على كل شىء حولى. انصرفى واحملى إلى تورنوس رسالتى الأخيرة هذه، بأن يخلفنى فى المعركة، وأن يبعد الطرواديين عن المدينة، والآن، وداعا ».

بهذه الكلمات، أسقطت كاميلا اللجام، وفى نفس الوقت انزلقت إلى الأرض، رغم إرادتها. عندئذ، وقد سرت فيها البرودة، أرخت جسدها كله، وعنقها الواهن، ورأسها الذى تملكه الموت، تاركة أسلحتها تسقط وفى أنين فارقت حياتها ساخطة إلى ظلمات العالم الآخر. عندئذ،

ارتفعت صيحة هائلة ، وصلت إلى النجوم الذهبية ، وبسقوط كاميلا احتدت المعركة ، وفى وقت واحد ، بدأ جيش التيوكريين كله ، والقواد التورهينيون ، وكتائب إيفاندروس الأركادية يهاجمون بكثافة .

لكن أوبيس ، حارسة تريفيا ، التى تجلس عاليا ، فوق قمم الجبال منذ زمن بعيد ، كانت تراقب المعارك ، برباطة جأشها ، وعندما رأت من بعيد كاميلا ، وقد صرعت بموت مؤلم ، وسط صياح المحاربين الثائرين تنهدت وتفوهت بهذه الكلمات من أعماق صدرها :

« وأسفاه ! لقد لقيت ، أيتها العذراء ، عقابا جد قاس للغاية : لأنك حاولت أن تتطاولى على التيوكريين فى الحرب ، ولم يفدك أنك قاسيت الوحدة فى الغابات تتعبدين إلى ديانا ، أو أنك حملت سهامنا فوق كتفك ومع ذلك لم تتركك مليكتك ، الآن ، بعد موتك ، دون تكريم ، ولن يكون هذا الموت ، دون شهرة بين الأمم ، ولن تتحملى تبعة الثأر لاسمك ، لأن من دنس جسدك بجرح ، سيلقى الموت جزاء » .

فى باطن جبل مرتفع ، كانت تبرز من ربوة أرضية مقبرة ضخمة لديركينوس (٩٧) ملك اللاورنتيين ، منذ القدم ، تغطيها شجرة سنديان ظليلة ، وهناك وهنا وقفت الإلهة رائعة الجمال ، فى بادئ الأمر ، بقفزة سريعة وشاهدت أرونس من أعلى المقبرة . وعندما رأته منتشى القلب ، يزهو فخرا ، قالت : « لماذا تستدير وتبتعد ؟ استدر وتوجه إلى هنا ، تعال هنا لحتفك حتى تلقى جزاء جديرا بكاميلا . ألا تموت أنت أيضا بأسلحة ديانا؟ » .
بعد أن تحدثت عروس البحر التراقية ، سحبت من جعبتها الذهبية سهما مجنحا ، وبعد أن شدت قوسها وصوبت ، قوسته إلى مسافة بعيدة حتى تلامس طرفاه المقوسان فيما بينهما ، وحتى تلامس بيدين مستويتين طرف السهم بيدها اليسرى وصدرها وحبل القوس بيدها اليمنى وفى الحال ، سمع أرونس أزيز السهم ، وطنين الهواء وفى لحظة استقر السلاح فى جسمه ، لقد تركه رفاقه يحتضر ويئن فى لحظاته الأخيرة ونسوه على أرض مجهولة فى السهول ، أما أوبيس فقد أسرعت بأجنحتها فى السماء نحو الأولومبوس

في بداية الأمر، هربت كتيبة كاميلا الخفيفة، بعد أن فقدت سيدتها ثم فر الروتوليون بعد أن ارتبكوا، كما ولى الأدبار أتيناس (٩٨) الباسيل، وبحث القواد المشتتون والقوات المتفرقة عن أماكن آمنة وكانوا يستديرون بخيولهم ويهرولون نحو الأسوار. لم يستطع أحد أن يوقف، بالسلاح، تقدم التيوكريين ومواصلتهم القتل، أو أن يقف في مواجهتهم، لكنهم كانوا يحملون أقواسهم المشدودة على أكتافهم الهزيلة، وأثناء فرارهم، كانت حوافر خيولهم تزلزل السهل المتفتت. وكانت تزحف نحو الأسوار سحابة من غبار أسود قاتم، ومن أبراج المراقبة كانت الأمهات تطلق صيحاتهن النسائية إلى نجوم السماء، وهن يضربن صدورهن. وفي اندفاعهم، بدأ حشد من العدو كان قد اختلط بصفوفهم، يهاجم أول من اقتحموا البوابات المفتوحة. ولم يفلتوا من الموت الزؤام، بل خارت، قواهم في ديارهم وداخل أسوارهم، وفي قلب ملاجئ ديارهم، وفاضت أرواحهم. لقد أوصد بعضهم البوابات، ولم يتجاسروا أن يفتحوا، أو يستقبلوا المتوسلين منهم داخل أسوارهم، ونتج عن ذلك أسوأ مذبحة للمدافعين عن مداخل المدينة بأسلحتهم وللمندفعين نحو الأسلحة. ولما منعوا من الدخول، أمام أعين آبائهم الباكين، أسرع بعضهم إلى الخنادق، بعد أن دفعوا مدحورين، بينما هاجم الآخرون، وقد أطلقوا العنان لأنفسهم على غير هدى، وتلاحموا عند البوابات وأبوابها المحصنة بالقضبان..

عندما رأت الأمهات كاميلا بأعينهن من خلف الحائط، ألقين بسلاحهن من أيديهن، مرتعدات، وفي أوج المنافسة بينهن — مدفوعات بحبهن الصادق لوطنهن — تسابقن في صنع السلاح، بأوتاد وخوابير يابسة من خشب البلوط الصلب وقد تحمسن وتسابقن نحو الموت أمام الأسوار.

في تلك الأثناء، ملأ الخبر المحزن سمع تورنوس في الغابات، وحملت أكا إلى المحارب نبأ الاضطراب المبرح: بأن صفوف الفولكسيين قد

دمرت ، وأن كاميلا قد سقطت ، وأن الأعداء قد هاجموا بوحشية واكتسحوا كل شيء في معركة ناجحة ، وأن الرعب يتجه الآن نحو المدينة .

غادر تورنوس المخابئ الجبلية . وترك الغابات الموحشة غاضباً — هكذا أرادت مشيئة جوبيتر القاسية — وكان من الصعب أن يغيب عن الأنظار بعد أن وصل إلى السهل ، عندما تسلق الزعيم آينياس حافته ، وهو يدخل الممرات المكشوفة ، وخرج من الغابة الظليلة .

هكذا سار الاثنان بسرعة ، وبكل قوتهما نحو الأسوار ، ولم يبتعدا عن بعضهما بمسافات طويلة ، وفي نفس الوقت شاهد آينياس عن بعد السهول تدخن بالغبار ، ورأى جيوش اللاورنتيين ، وكان تورنوس واعياً لآينياس ، الباسل بأسلحته ، وقد سمع وقع الأقدام وصهيل الخيول في الحال ، كانا سيدخلان في قتال ، ويحاولان الاشتباك ، لولا أن فويبوس وردى البشرة ، جعل الخيول المنهكة ، في ذلك الوقت ، تستحم في نهر هيبرو والليل يحل بعد بزوغ النهار ، والمحاربين يقبعون في معسكراتهم ، ويحصنون أسوارهم أمام المدينة .

حواشي الكتاب الحادى عشر

(١) يكرر فرجيليوس نفس السطرفى الكتاب الرابع ، سطر ١٢٩ ولكنه أغفل أن يذكر أن اللاتين كانوا قد هزموا هزيمة منكرة على يد الطروادين وأن حلول الليل كان ملاذا لبقية قواتهم .

(٢) أوروورا Aurora إلهة الفجر : تستخدم الكلمة هنا كناية عن الفجر . هى ابنة هوبيريون Hyperion وثيا Thia أو Thea ، أو هى حسب رواية آخرين ابنة تيتان Titan وتيرا Terra .. وتروى بعض المصادر أن بالاس Pallas ابن كريوس Crius وأخ بيرسيوس Perseus كان أبوها . ومن هنا استمدت لقب أوروورا البالانتية Pallantias . تزوجت أوروورا من أسترابوس Astraeus الذى أنجبت منه الرياح والنجوم . وإن قصص حبها مع تيثونوس Tithonus ، وكيفالوس Cephalus معروفة ، فقد أنجبت من الأول ممنون Memnon وأيماثيون Aemathion ومن الثانى أنجبت فايثون Phaethon . كما قامت بمكيدة عندما حملت أوريون Orion إلى جزيرة ديلوس Delos حيث قتلت بسهام ديانا .

يصور الشعراء أوروورا راكبة عربة وردية اللون وهى تفتح بأصابعها الوردية بوابات الشرق حيث شروق الشمس وتنثر الندى على الأرض وتفتح الزهور . تجر عربتها جياد ناصعة البياض والحجاب يغطى وجهها . أمامها ينقشع الليل Nox ويفر النوم Somnus وتختفى النجوم من السماء كلما اقتربت أوروورا وهى تنطلق دائما أمام الشمس لتبشر بالشروق ويسميها الإغريق إيوس Eos .

(٣) أوكيانوس Oceanus ، إله البحر القوى أو إله المحيط ، ابن كويلوس Coelus (السماء) ، وتيرا Terra (الأرض) ، تزوج تيثيس Tethys وأنجب منها معظم الأنهار الرئيسية مثل ألفيوس Alpheus وبينيوس Peneus وستروموين Strymon ، كما أنجب منها عدداً من البنات سمين أوكيانيديس Oceanides (بنات المحيط) . ويقول هوميروس Homerus

إن أوكيانوس كان أبا لجميع الآلهة الذين كانوا يترددون عليه لزيارته وكان الرومان يصورونه رجلا مسنا له لحية مسترسلة جالسا فوق أمواج البحر . وفى معظم الأحيان يمسك حربة فى يده بينما تظهر على بعد منه بعض السفن ويقف بالقرب منه وحش بحرى .

كان أوكيانوس يهيمن على كل شبر من البحار كما كانت الأنهار أيضا تخضع لسلطانه ، وكان القدماء يؤمنون بسلطان إله أوكيانوس فكانوا يكنون له الهيبة والخشوع كإله يأمنون على حياتهم وسلامتهم تحت رعايته كلما قاموا برحلة بحرية . وكان هناك اعتقاد فيما بعد بأن أوكيانوس هو مجرى الماء الكبير الذى يلتف حول العالم كله فصوروه بثعبان ذيله فى فمه .

(٤) كان أمام آينياس واجبان : أولهما دفن رجاله الذين قتلوا فى المعركة ، وثانيهما تقديم القرابين التى نذروها للآلهة قبل النصر . ورغم أن الدفن قد شغل فكره إلا أنه حرص على أن يفى بنذوره أولا طبقا للطقوس الرومانية (راجع : تيتوس ليفيوس ، الكتاب الأول ، الفصل الثانى عشر ، فقرة ٥ ، وقارن بروبير تيوس ، ٦ ، ١٠ ، ١٥) ، لكن فرجيليوس لم يذكر من قبل متى ولماذا نذر هذه النذور .

(٥) لاشك أن تذكار النصر الذى يتمثل فى جذع شجرة البلوط ، يمثل فى الواقع جسد العدو المهزوم .

(٦) إله الحرب العظيم bellipotens لقب من ألقاب إله الحرب مارس Mars .

(٧) يتساءل المعلقون القدامى عن مصدر هذه الضربات الاثنتى عشرة ، لأنه قبل سقوط حصان ميزنتيوس ووقوعه فى يد آينياس ، ذكر فرجيليوس فى الكتاب العاشر ، سطر ٧٦٣ أن ميزينتيوس كان فى ميدان القتال عظيما مثل أوريون Orion ، كما ذكر أيضا فى سطر ٨٠٢ أن ميزنتيوس أجبر آينياس على الاختباء من كثرة حرابه التى صوبها إليه . ولهذا يفترض المعلقون — كما قال سيرفيوس Servius ، ١٠ ، ٢٣٨ — أنه بعد موت ميزنتيوس أخذ أعداؤه يكيلون له الطعنات تماما مثلما فعل الإغريق عندما هتكوا جثة هكتور Hector . أنظر هوميروس ، الإلياذة ، أنشودة ٢٢ ، سطر ٣٧٥ . ويرى سيرفيوس نفسه أن الثقوب الإثنى عشر فى صدرية ميزنتيوس ترمز إلى عدد مدن الإتروسكيين ، كما ترمز فى الوقت نفسه إلى كراهيتهم للطاغية الذى طالما أنزل بهم أشد ألوان

التعذيب . ويعتقد سيرفيوس أيضاً أن ميزنتيوس كان أشجع من أن يتلقى مثل هذا العدد الوفير من الطعنات إلا بعد موته .

(٨) ملك لاتيوم هو لاتينوس Latinus .

(٩) أخيرون Acheron نهر فى ثيسبروتيا Thesprotia بإقليم إبيروس Epirus ، ويقع فى خليج أمبراكيا Ambracia ، وقد أطلق عليه هوميروس هذا الاسم بسبب مظهر مياهه التى تشبه الموتى . وأخيرون أيضاً واحد من أنهار العالم السفلى ، وأسطورة أخيرون يرويها هوميروس ويرددها جميع الشعراء الذين جاءوا بعده فيقولون إن إله نهر أخيرون هو ابن كيريس Ceres بدون أب وأنه أخفى نفسه فى العالم السفلى خوفا من التيتان ، وتحول إلى نهر مر تنتقل إليه أرواح الموتى أولا . ويقولون إن هذا النهر يستقبل أرواح الموتى لأن ترهل الجسد يصاحب الميت ساعة تحلله . ويعتبره بعض الشعراء ابن تيتان Titan ويفترضون أن جوبيتر أرسله إلى العالم السفلى لكى يمد العمالقة بالماء . وغالبا ما تشير كلمة أخيرون إلى العالم السفلى نفسه كما ترد الإشارة هنا . أنظر هوميروس ، الإلياذة ، الأنشودة السادسة عشر ، سطر ٦٧٥ .

(١٠) البارهاسى Parrhasius صفة تنسب إلى مدينة بارهاسيا Parrhasia فى أركاديا Arcadia ، التى شيدها بارهاسيس Parrhasis والأخرى صفة تطلق على أركاس Arcas بن جوبيتر وكاليستو Callisto ، كما تطلق الصفة بارهاسياديا Parrhasiadea على كارمينتى Carmente أم إيفاندوروس. والبارهاسيون تطلق أحياناً على الأركاديين ولهذا يقصد بالبارهاسى هنا إيفاندوروس الأركادى .

(١١) لم يكن أكويتيس Acoetes فى الواقع سعيدا عندما جاء بالاس لمساعدة آينياس ضد الروتوليين بقدر ما كان سعيداً بمرافقة سيده إيفاندروس يحمل له سلاحه فى الحرب، وقد زاد شعوره بالكآبة بصفة خاصة بعد موت بالاس .

(١٢) إلهة الحظ Fortuna ابنة أوكيانوس Oceanus حسب رواية هوميروس ، وهى مصدر الثراء والفقر ، السعادة والشقاء ، البركات والنقم . وقد عبدت فى أماكن كثيرة باليونان ، كما اهتم بها الرومان اهتماما خاصا حتى أنهم شيدوا لها ثمانية معابد فى إيطاليا أهمها المعبد الذى شيد فى أنتيوم Antium بإقليم لاتيوم .

(١٣) كان إيفاندروس يشعر مسبقاً بأن ابنه بالاس سيموت فى الحرب ضد الروتوليين ومع ذالك لم يمانع فى إرساله لمساعدة آينياس . ولم يفصح عن أخطار المعركة مع الروتوليين (راجع الكتاب الثامن ، سطر ٤٧٠ ، ٦٥٠) ، ولكنه تضرع إلى جوبيتر أن يجعل إلهة الحظ تبقى على حياته حتى يرى ابنه سالما (راجع الكتاب الثامن ، سطر ٥٧٨) .

(١٤) كان آينياس قد وعد إيفاندروس بالعودة من الحرب مظفرين ، وتعهد له بالنصر المبين . أنظر هذه الوعود فى الكتاب الثامن سطر ٥٣٢ ، وما بعده .

(١٥) أى أن بالاس لم يهرب من القتال حتى يتلقى ضربات خائنة غير شريفة من الخلف .

(١٦) أى أن موت بالاس لم يكن موت جبان يجلب عليه اللعنة .

(١٧) أى أن بالاس براء من العار والخزى لأنه كان محاربا شريفاً مات ميتة كريمة ودفع حياته ثمنا لشرفه كمحارب .

(١٨) ديدو الصيداوية Sidonia Dido نسبة إلى صيدا Sidon عاصمة صيدونيس Sidonis فى فينيقيا ، وهى تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط غرب سوريا وتبعد عنها ٥٠ ميلا ، وتبعد عن صور Tyre ٢٤ ميلا . بها ميناء مشهور يعرف الآن باسم ميناء صيدا . عرف نساؤه بمهارتهن البالغة فى تطريز الملابس . ولهذا استمدت ديدو لقب الصيداوية لمهارتها فى التطريز ، وديدو هى ابنة بيلوس Belus ملك صور ، تزوجت عمها سيخايوس Sichaeus الذى كان كاهنا لعبادة هيراكليس . وقد حدث أن بيجماليون Pygmalion قتل سيخايوس واستولى على العرش وفرت ديدو من بطشه إلى ساحل قبرص . ثم أحبت ديدو آينياس بعد ذالك وماتت بمجرد هجره لها دون أن تحظى بالزواج منه وعبدت إلهة بعد موتها (راجع المجلد الأول ، ص ٢١٦ وما بعدها : الكتاب الرابع ، سطر ٤٠٨ وما بعده) .

(١٩) آيثون Aethon اسم حصان بالاس Pallas الذى يقال إنه بكى لموت سيده وهو أيضاً أحد جياد هكتور . أنظر هوميروس ، الإلياذة ، الأنشودة ٨ ، سطر ١٨٥ ، أنشودة ١٧ ، سطر ٦٤٢ حيث تذرف الدمع أيضاً جياد أخيليوس .

(٢٠) نكس الأركاديون أسلحتهم حدادا على موت بالاس .

(٢١) كان لاتينوس قد وعد تورنوس أن يزوجه ابنته لافينيا Lavinia

ولكنه عندما استشار نبوءة فاونوس Faunus (الكتاب السابع ، سطر ٨١) أمره الإله ألا يزوج ابنته برجل من اللاتين وأن يزوجها لآينياس (الكتاب السابع ، سطر ٩٦) من هنا جاءت الإشارة بأن اللاتين كانوا يوما أصهارا لآينياس .

(٢٢) درانكيس Drances صديق الملك لاتينوس ، عرف بضعف بنيته وطلاقة لسانه كان يعارض تورنوس فى استخدام العنف ضد الطرواديين .

(٢٣) إن الضوء المنبعث من مشاعل الجنازة المنتشر فى خط ضوئى طويل بدا وكأنه طريق يخترق الحقول .

(٢٤) مارس Mars إله الزراعة والرعى والحرب . وهو كوالد لرومولوس Romulus يعتبر الجد الأكبر للرومان . وهنا يرمز به للحرب .

(٢٥) طبقا لقوانين الطبيعة يموت الأب قبل ابنه ولكن إيفاندروس عاش بعد ابنه وبهذا تغلب على القدر .

(٢٦) أحضرت فى الجنازة تذكارات نصر تمثل أولئك الذين صرعهم بالاس كدليل على شجاعته .

(٢٧) يرى ايفاندروس أن حياته ستظل كريهة بعد موت ابنه . والسبب فى ذلك أن آينياس لم يقتل تورنوس بعد انتقاماً له ولابنه .

(٢٨) لاورنتوم Laurentum عاصمة الملك لاتينوس فى لاتيوم .

(٢٩) كان رواج تورنوس من لافينيا ابنة لاتينوس وأماتا Amata أحد أسباب الحرب القائمة بين الطرواديين واللاتين لأن آينياس كان ينافس تورنوس فى هذا الزواج .

(٣٠) آينياس هو الذى يطلب لنفسه مملكة إيطاليا .

(٣١) هو اسم الملكة أماتا Amata زوجة لاتينوس - التى تساند تورنوس وتفضله على آينياس زوجا لابنتها لافينيا .

(٣٢) كانت فينوس Venus (أفروديتى Aphrodite عند الإغريق) تساند ابنها آينياس فى الحرب وتنقذه عند الخطر . من أمثلة ذلك أنظر هوميروس ، الإلياذة ، الأنشودة الخامسة ، سطر ٣١١ ، حيث أنقذت أفروديتى آينياس من السقوط تحت ضربات ديوميديس Diomedes بأن أفردت له طرفا من ردائها ليتعلق به .

ومن أمثلة إنقاذ آبنياس أيضاً حمله فى سحابة على يد أبوللون وبوسيدون Poseidon . أنظر هوميروس ، الإلياذة ، الأنشودة الثالثة ، سطر ٣٨٠ ، والأنشودة الخامسة ، سطر ٣٤٤ . قارن أيضاً الأينيدة ، الكتاب الثانى عشر ، سطرى ٥٢ — ٥٣ ، حيث تظهر فينوس كسحابة تخفيه ويهرب خلف هذه السحابة التى تخفى نفسها فى الظلام المترامى .

(٣٣) المدينة الأيتولية هى مدينة أرجوريبا Argyripa التى أسسها ديوميديس ملك أيتوليا Aetolia ، أنظر سطر ٢٤٦ والحاشية رقم ٣٧ أدناه .

(٣٤) فينولوس Venulus واحد من الشيوخ اللاتين أرسل إلى بلاد اليونان العظمى Magna Graecia لطلب مساعدة ديوميدس ضد آبنياس . أنظر الكتاب الثامن ، سطر ٩ .

(٣٥) يابوكس Japyx بن دايدالوس Daedalus ، غزا قطعة من إيطاليا سميت باسمه يابوجيا Japygia ، وتقع فى شبه الجزيرة بين تارينتوم Tarentum وبروندوسيوم Brundusium . ومن أسمائها الأخرى ميسابيا Messapia وبيوكيتيا Peucetia وساليتينوم Salentinum .

(٣٦) جارجانوس Garganus جبل شاهق فى أبوليا Apulia يمتد داخل البحر الأدرياتيكى مسافة طويلة .

(٣٧) أرجوريبا Argyripa ، مدينة فى أبوليا بجنوب إيطاليا أسسها ديوميديس (بن تيديوس Tydeus وديفولى Deiphyle) ملك أيتوليا وذلك بعد عودته من حرب طروادة . ومن أسمائها القديمة أيضاً أرجيبانا Argipana وأربى Arpi ؛ وكانت مشهورة بخيولها الأصيلة وتعرف الآن باسم أربا Arpa وتقع بالقرب من فوجيا Foggia .

(٣٨) سطر مكرر (راجع الكتاب الأول ، سطر ٥٢٠) .

(٣٩) سيمويس Simois نهر فى طروادة ينبع من جبل إيدا Ida ويصب فى خانثوس Chanthus . عرف عند هوميروس ومعظم الشعراء القدامى بأن معظم معارك طروادة وقعت بالقرب منه . ولكن المسافرين المحدثين الذين زاروا المنطقة وجدوا أنه نهر صغير مما أدى إلى جدال فى أمر وجوده

(٤٠) يقال إن منيرفا أطلقت عاصفة على الإغريق عند عودتهم من طروادة لتشتيتهم .

(٤١) كافيريوس Caphereus ، جبل شاهق فى يوبويا Euboea التى يقال إن ملكها ناوبليوس Nauplius علق أضواء زائفة على صخوره لتضليل أسطول الإغريق العائد من طروادة وتحطيمه على هذا الجبل . وذلك انتقاماً لموت ابنه بالاميديس Palamedes الذى قتله أودوسيوس .

(٤٢) بروتيوس Proteus إله البحر ابن أوكيانوس Oceanus وتيثوس Tethys ، وفى رواية أخرى ابن نبتونوس Neptunus وفونيكى Phoenice ، تعلم فن النبوءة من نيبتونوس . ويقال إنه كان ملكا على مصر وأن مينلاوس استشار نبوءته عندما ضل طريقه أثناء عودته بعد حرب طرواده .

(٤٣) نيوبتوليموس Neoptolemus ملك إبيروس Epirus ابن أخيليوس وديداميا Deidamia ، يسمى أيضا بورهوس Pyrrhus بسبب لون شعره الأصفر . يقال إنه قتل على يد أوريستيس Orestes بن أجاممنون Agamemnon أو بتحريض منه .

(٤٤) إيدومينيوس Idomeneus ، خلف والده ديوكاليون Deucalion على عرش كريت . صحب الإغريق فى حرب طرواده على رأس أسطول قوامه تسعون سفينة وأثناء عودته عليه هبت عاصفة قوية فى البحر فنذر أن يقدم أول شخص يقابله على ساحل كريت قربانا للإله نبتونوس إذا ما نجا من العاصفة . ولم يكن هذا الشخص سوى ابنه الذى كان ينتظره لتهنئته بسلامة العودة إلى الوطن فغضب عليه مواطنوه مما جعله يترك كريت ويهاجر إلى إيطاليا ويؤسس مدينة سالينتوم Salentum .

(٤٥) المقصود هنا أجا ممنون ، عند عودته منتصرا من طرواده تربصت له زوجته كلوتمنسترا وقتلته بمساعدة عشيقها أيجيستوس Aegisthus .

(٤٦) زوجة ديوميديس هى أيجيالى Aegiale التى خانته مع خادمها كوميتيس Cometes عندما كان ديوميديس متغيبا فى حرب طروادة مما جعله يترك وطنه ويهاجر إلى بلاد اليونان العظمى بإيطاليا حيث تزوج ابنة ملكها داونوس Daunus وشيد مدينة أرجوريبا Argyripa .

(٤٧) من العقوبات التى لحقت برفاق ديوميديس بسبب اشتراكهم فى حرب طروادة أن بعضهم تحول إلى طيور تجوب البحار وتحوم حول جزر ديوميديس القريبة من جبل جارجانوس المتداخل فى البحر .

(٤٨) المقصود بالآلهة السماوية هنا : فينوس ومارس . ولكن ديوميديس هنا يؤكد على حماية فينوس لابنها آينياس .

(٤٩) إيدا Ida سلسلة من الجبال بالقرب من مدينة طروادة تنبع منها مياه غزيرة تمد بها أنهار سيمويس Simois وسكاماندر Scamander وأيسيبوس Aesepus وجرانيكوس Granicus . ويقال إنه فوق جبل إيدا أعطى باريس جائزة الجمال الإلهة فينوس أم آينياس . وقد كانت الغابات الخضراء تكسو سطح جبل إيدا الذى كان يرى من فوقه منظر جميل مترامي للهيليسبونت Hellespontus والأقطار المتاخمة له . ولهذا يقول الشعراء إن الآلهة كانت تتردد على جبل إيدا أثناء حرب طروادة لتدير معاركها .

(٥٠) نهر توسكوس Tuscus amnis هو نهر التيبر . وسمى بهذا الاسم الجزء الواقع منه فى إتروريا Etruria التى تسمى أيضا توسكانيا أو توسكيا Tuscia .

(٥١) السيكانيون Sicani ، هم شعب أسبانيا الذين هاجروا من وطنهم إلى إيطاليا حيث شيدوا مدينة سيكانيا Sicania .

(٥٢) تالنت Talentum ، مثقال إغريقى يختلف وزنه من دولة إلى أخرى ، ولكنه عادة يزن ٥٠ وحدة من أصغر وحدات الوزن الاغريقية . والتالنت الأتيكى يزن ٦٠ مينا ، وأحيانا يزن التالنت فى مدن إفريقية أخرى ٨٠ مينا . والمينا يزن ٢٤٣ رطلا و ٧,٥ أوقية .

(٥٣) كل مرة كان تورنوس يهاجم فيها معسكر الطرواديين ، كانت جونو تنقذه من الموت وتساعده على الفرار . أنظر الكتاب التاسع ، سطر ٨٠٢ وما بعده ، والكتاب العاشر ، سطر ٦٣٦ وما بعده .

(٥٤) يقصد درانكيس أنه يجب على الملك لاتينوس ألا يدع تورنوس يتسلط عليه بالعنف ويفرض عليه القبول بالحرب مع آينياس والقضاء عليه حتى يفوز هو بالزواج من لافينيا ، مما يعرض البلاد للدمار وينصحه بأن يعقد السلم بميثاق خالد أساسه أن يزوج ابنته لآينياس .

(٥٥) كان الملك لاتينوس قد وعد بأن يزوج ابنته لتورنوس الذى اعتبر من حقه كزوج لابنته أن يفرض عليه رأيه ويقحم اللاتين فى حرب للقضاء على غريمه آينياس الذى ينافسه فى الزواج من لافينيا . وفى هذا تهكم على تورنوس من جانب درانكيس أن يصف تصرف تورنوس هذا « بالحق المكتسب » .

(٥٦) ميثاق السلم الوحيد الذى لاينتهك هو زواج آينياس من لافينيا . ودرانكيس هنا يطلب من تورنوس وعدا بالتخلى عن لافينيا لآينياس . وهذا يعتبر تأكيدا منه لما طلبه من الملك بأن يزوج ابنته لآينياس . ويرى فى هذا الإجراء الحل الوحيد لتجنب

البلاد ويلات الحرب وإقامة سلام دائم بين اللاتين والطرواديين بميثاق أبدى أساسه هذا الزواج .

(٥٧) راجع الكتاب التاسع ، حاشية رقم ٤٣ .

(٥٨) ابن تيديوس Tydides هو ديوميديس Diomedes . . .

(٥٩) أخيليوس اللاريسى Larisaeus Achilles : استمد أخيليوس التسمية من لاريسا Larissa إحدى مدن ثساليا .

(٦٠) أوفيدوس Aufidus نهر فى أبوليا يصب فى البحر الأدرياتيكى ؛ ويسمى الآن أوفانتو Ofanto ، معروف بسرعة مياهه .

(٦١) تولومنيوس Tolumnius عراف فى جيش تورنوس فى الحرب ضد أينياس .

(٦٢) كاميلا Camilla ملكة الفولسكيين . ابنة ميتابوس Metabus وكاسميلا Casmilla ، تدربت على الصيد فى الغابات وتغذت على لبن الفرس . وعندما شبت كرسها أبوها لخدمة ديانا . وعندما توجت ملكة سارت على رأس جيش تصاحبها ثلاث شابات فى مثل سنها وشجاعتها لمساعدة تورنوس ضد آينياس حيث أبادت عددا كبيرا من الطرواذيين ولكن أرونس Arruns قتلها فى النهاية .

(٦٣) بادوسا Padusa ، رافد من نهر بو Po فى أقصى الجنوب ويعتبره بعض الكتاب نهر بو نفسه ويقال إن البجع يتكاثر فيه .

(٦٤) فولوسوس Volusus ، أحد أصدقاء تورنوس وقادته الذين عاونوه فى حربه ضد آينياس .

(٦٥) تريتون Triton ، من آلهة البحر ، ابن نبيتونوس Neptunus ينفخ فى المحارة فيهدأ البحر الهائج . وابنة تريتون هى مينيرفا Minerva ، التى تسمى أيضا تريتونيا Tritonia ، نسبة إلى أبيها تريتون .

(٦٦) هى ديانا التى تسمى لاتونيا Latonia أو لاتونيا العذراء Latonia Virgo نسبة إلى أمها لاتونا .

(٦٧) أوبيس Opis إحدى عرائس البحر التابعة لديانا .

(٦٨) ميتابوس Metabus ملك الفولسكيين Volsci ، والد كاميلا Camilla وزوج كاسميلا Casmilla .

(٦٩) بريفيرنوم Privernum من أقدم مدن الفولسكيين فى لاتيوم Latium بإيطاليا ، أصبحت فيما بعد مستعمرة رومانية . اسمها الحالى بيبيرنو فيكخيو Piperno Vecchio .

(٧٠) أماسينوس Amasenus نهر صغير فى لاتيوم يصب فى البحر التورهينى .

(٧١) تريفيا Trivia هى ديانا التى اكتسبت هذا الاسم نسبة إلى معبدها المقام عند ملتقى ثلاث طرق .

(٧٢) هذه الأشياء : المقصود بها قوس ديانا وسهامها .

(٧٣) أسيلاس Asilas عراف ساعد آينياس فى حربه ضد تورنوس .

(٧٤) أورسيلوخوس Orsilochus محارب طروادى . قتلته كاميلا فى حرب الروتوليين .

(٧٥) ريمولوس Remulus صديق تورنوس ، مات فى حرب الروتوليين تحت وقع أقدام حصانه الذى جرحه أورسيلوخوس .

(٧٦) إيولاس Iollas أو Iolas صديق آينياس ، قتله كاتيلوس فى حرب الروتوليين .

(٧٧) هيرمينيوس Herminius محارب طروادى قتله كاتيلوس فى حرب الروتوليين .

(٧٨) المحاربات الأمازونيات Amazones يقال إنهن شعب كان يعيش على ضفاف نهر ثيرمودون Thermodon الذى يقع على بحر بونتوس Pontus المسمى الآن بحر قزوين Euxine ، فى كابادوكيا Capadocia وهى المنطقة الواقعة بين بيثينيا Pithynia وأرمينيا Armenia وهو شعب معروف من المحاربات العذارى اللاتى ينتزعن أحد أثدائهن حتى لا يعوقهن عند استخدام القوس فى الحرب .

(٧٩) لارينا Larina واحدة من عذارى إيطاليا اللاتى اصطحبن كاميلا فى حرب الروتوليين .

(٨٠) تولا Tulla واحدة من تابعات كاميلا فى حرب الروتوليين .

(٨١) تاربيا Tarpeia محاربة عذراء ساعدت كاميلا فى الحرب ضد آينياس فى إيطاليا .

(٨٢) ثيرموردون Thermodon يسمى الآن تيرمه Termeh ، وهو نهر معروف

فى كابادوكيا Capadocia فى إقليم الأمازون القديم . يقع على بحر قزوين Euxine بالقرب من ثيميسكيرا Themiscyra . وهناك نهر آخر صغير بنفس الاسم ، فى بويوتيا Boeotia بالقرب من تاناجرا Tanagra سمى بعد ذلك هايمون Haemon

(٨٣) هيبوليتى Hippolyte زوجة أكاستوس Euo Acastus ملك ماجنيسيا Magnesia وقعت فى حب بيليوس Peleus الذى كان فى منفاه فى بلاط زوجها واتهمته أمام زوجها بمحاولة الاعتداء على عفتها، لا لشىء إلا لأنه رفض أن يرضى رغباتها ، وهى تسمى أيضاً أستيوخيا Astyochia .

(٨٤) بنثيسيليا Penthesilea ملكة الأمازون ابنة مارس وأوتريرا Otrera أو أوريثيا Orithya ، وقد ساعدت بريامومس فى السنوات الأخيرة من حرب طروادة وحاربت ضد أخيليوس . يقال إن البطل وقد روعه جمالها بكى بالدموع عندما فصل ذراعها عن جسدها فى ثورة غضبه وقتل ثيرسيتيس Thersites لأنه فقأ عينيها وهى تحتضر . وفى رواية أخرى يقال إن أخيليوس قتل ثيرسيتيس لأنه سخر منه لتنكيله بجثتها وقطعه ذراعها .

(٨٥) إيونيوس Euneus أو أيومينيوس Eumenius بن كليتيوس Clytius : محارب طروادى قتلته كاميلا فى إيطاليا أثناء حرب الروتوليين ضد آينياس .

(٨٦) كليتيوس Clytius بن إيولوس Aeolus الذى يتبع آينياس فى إيطاليا ، وقتله تورنوس فى حرب الروتوليين . أنظر الكتاب التاسع ، سطر ٧٧٤ .

(٨٧) يابوجى : نسبة إلى يابوكس Japyx (راجع حاشية رقم ٣٥ أعلاه) .

(٨٨) الأبنين Apenninus سلسلة جبال فى وسط إيطاليا تمتد من ليجوريا Lyguria إلى أريمينوم Ariminum . وأنكونا Ancona وتتصل بجبال الألب Alpes .

(٨٩) الليجوريون Ligures سكان ليجوريا التى تقع فى الغرب من إيطاليا على طول الساحل من إتروريا Etruria إلى الحدود الغالية (الفرنسية) وقد اشتهر الليجوريون بالكذب والخداع وكان ابن أوتوس Aunus أمهرهم جميعاً فى هذا المضمار .

(٩٠) التيبورتيون Tiburtes هم سكان مدينة فى لاتيوم تسمى Tibur ، أسسها تيبورتوس Tiburtus بن أمفياراوس Amphiaraus .

(٩١) أبناء مايونيا Maeonidae هم سكان مايونيا Maeonia التى تشكل جزءاً

من لوديا Lydia فى آسيا الصغرى وهو الجزء المتاخم لجبل تمولوس Tmolus . وأبناء مايونيا هم الإتروسكيون الذين نزحوا من مايونيا إلى إيطاليا .

(٩٢) أرونس Arruns أو Aruns ، محارب طروادى قتل كاميلا ولكنه قتل بحربة ديانا فى حرب الروتوليين .

(٩٣) خلوريوس Chloreus ، كاهن كوبيلى Cybele جاء مع آينياس إلى إيطاليا فى الحرب ضد الروتوليين ، لكن تورنوس قتله .

(٩٤) كوبيلوس Cybelus . جبل فى فروجيا Phrygia بآسيا الصغرى ، عبدت فوقه الإلهة كوبيلى Cybele ابنة كويلوس Coelus وتيرا Terra ، وهى زوجة ساتورنوس Saturnus وقد استمدت الإلهة كوبيلى اسمها من جبل كوبيلوس الذى نشأت عليه وتغذت على لبن الحيوانات المتوحشة فى غاباته . وقد انتقلت عبادة كوبيلى من فروجيا إلى اليونان وإيطاليا . وجبل كوبيلوس هنا يشير إلى الربة كوبيلى .

(٩٥) جورتينية : نسبة إلى مدينة جورتينا Gortyna أو Gortys أو Gortyn فى جزيرة كريت . وجورتينية ، لهذا السبب ، تعنى كريتية . وقد كان الكريتيون مشهورين بأنهم رماة سهام ممتازون .

(٩٦) سوراكتى Soracte ، جبل فى إتروريا بالقرب من التيبر . يرى من روما على بعد ٢٦ ميلا . وهو جبل مقدس لدى أبوللون الذى اكتسب لقب سوراكتيس Soractis من اسم هذا الجبل ، ويقال إن كهنة أبوللون كانوا يسيرون فوق جمرات النار دون أن يحترقوا ، كما يقال إنه كانت هناك فوق جبل سوراكتى عين ماء تغلى عند شروق الشمس وتقتل فى الحال الطيور التى تشرب منها .

(٩٧) ديركينوس Dercennus أحد ملوك لاتيوم القدماء .

(٩٨) أتيناس Atinas واحد من أصدقاء تورنوس الذين حاربوا معه ضد آينياس .

الكتاب
الثاني عشر

د. أحمد فؤاد الشمان

رأى تورنوس أن اللاتين قد ضعفوا – بعد أن دحروا فى معركة خاسرة – وأن الوقت قد حان لتنفيذ وعوده(١) ، وأن العيون ترقبه لذلك اشتط قلبه بغضب لا يخبو لهيبه . وعندئذ كأسد جريح فى حقول البونيين (٢) ، أصابه الصيادون بجرح نافذ فى صدره فاندفع نحو القتال ، بعد أن نفض عن رقبته مفرقته الغزيرة ، وببسالة نزع مزراق الصياد الغائر فى صدره ، وزأر بفمه الملطخ بالدماء – هكذا ثار تورنوس واشتد بأسه ، وهكذا بدأ يتحدث إلى الملك ، بنفس ثائرة قائلا :

« إن تورنوس لا يتوانى أبداً ، فليست هناك حجة يتذرع بها آل آينياس الأوغاد لكى يتراجعوا فى أقوالهم أو يتنصلوا من أفعالهم . إننى ذاهب للقتال . قدم القرابين ، (٣) ياسيدى ، وأعد تلاوة المعاهدة . فإما أن أقذف بيمناى هذه إلى تارتاروس الداردانى الهارب من آسيا ويشاهدنى اللاتين وأنا أدفع وحدى بسيفى العار عن أمتى ، أو ليتخذنا آينياس أسرى وتصبح لافينيا زوجته » .

أجابه لاتينوس بنفس هادئة(٤) : « أيها الشاب قوى البأس ، إنك تبز الجميع بشجاعتك الفائقة بقدر ماهو أصح وأسلم لى أن أفكر وأزن جميع الأمور بحرص وحذر . لقد آلت إليك ممالك أبيك داونوس(٥) ، وأصبحت تملك مدناً كثيرة أخذتها بيدك ، كما لا ينقصنى ، أنا لاتينوس ، الذهب أو حسن النية : كما أن هناك عذارى أخريات فى لاتيوم وفى أراضى اللاورنتيين ، أصلهن غير مشين . دعنى أفصح لك بكل صراحة عن هذه

المعانى المؤلمة ، واستوعبها بنفسك : لم يكن مسموحاً لى أن أزوج ابنتى، لأحد من خطابها السابقين ، وهذا ما تنبأ به الجميع (٦) ، آلهة وبشر . ولما غلبت على أمرى بدافع من حبى لك وبحق صلة الدم بيننا (٧) ، ولأننى لم أستطع احتمال دموع زوجتى الحزينة فقد تنصلت من جميع وعودى : انتزعت ابنتى من خطيبها الذى وعدته بها ، واستخدمت أسلحة غير شريفة ، ومنذ ذلك الوقت وأنت ترى ، ياتورنوس ، كم من المخاطر ألمت بى وكم من الحروب لاحقتنى ، وكنت أنت أول من تحمل الأعباء الجسام . ولأن الهزيمة لحقت بنا مرتين فى معارك كبيرة فقد أصبح من الصعب أن تحقق آمال إيطاليا من داخل أسوار مدينتنا ، فما زالت روافد نهر التيبر دافئة بدمائنا ، وما زالت ودياننا الشاسعة بيضاء بعظامنا . ولماذا أحيد عن طريقى ؟ أليس من الجنون أن أغير هدفى ؟ وإذا كنت على استعداد أن أتخذ منهم (٨) حلفاء بعد وفاة تورنوس ، أفليس من الأحرى أن أنهى النزاع أثناء حياته ؟ ماذا سيقول أقاربك الروتوليون ، وماذا ستقول بقية شعوب إيطاليا — وليت القدر يرد قولى — إذا ما عملت على قتلك بالخيانة فى الوقت الذى تسعى فيه للزواج من ابنتنا ؟ تذكر ما يترتب على الحرب من أحداث متقلبة (٩) ، وارحم والدك المسن الذى يعيش الآن حزيناً ، بعيداً عنا فى وطنه أرديا » .

لكن بهذه الكلمات لم تهدأ ثائرة تورنوس ، بل ثارت أكثر ، واشتعلت نتيجة لتهدئتها وحالما أصبح قادراً على الحديث انطلق قائلا :
« أتوسل إليك ، يا أفضل السادة على الإطلاق ، دعك من هذا الاهتمام الذى توليني إياه ، واسمح لى أن أهب حياتى للمجد (١٠) . فأنا أيضاً يا والدى أجيد استعمال المزاريق والسهام الصلبة بيمينى ، وأستطيع أن أجرح وأسيل الدماء أيضاً وفى هذه المرة ستكون بعيدة عنه (١١) أمه الربة (١٢) التى اعتادت أن تخفيه ، وهو يهرب كالمرأة خلف سحابة (١٣) تخفى نفسها فى الظلام المترامى » .

لكن الملكة (١٤) انزعجت لسماعها شروط المعركة القادمة (١٥) ،

فبكت وتشبثت بابن شقيقتها الثائر (١٦) وهى توشك أن تحتضر وقالت: «أيا تورنوس، بحق دموعى هذه وبحق إعزازك لى هذا إذا كنت تكن لى شيئاً من الإعزاز فى قلبك – إنك الآن أملنا الوحيد، وأنت ملاذ شيخوختى البائسة. فيك يتمثل مجد لاتينوس وسلطانه وعليك يقوم بيتنا (١٧) المتداعى كله: لى رجاء واحد عندك: أن تكف يدك عن محاربة التيوكريين (١٨). فأى مخاطر تنتظرك فى معركتك هذه إنما تنتظرنى أنا أيضاً، يا تورنوس. معك سأترك هذه الحياة الكريهة، فلن أطيق أن أرى آينياس زوجاً لابنتى وأنا أسيرته».

سمعت لافينيا صوت أمها، وقد ابتلت بالدموع وجنتاها (١٩) الملتهبتان، وتحول احمرار حيائها الزائد إلى شعلة من نار علت وجهها المتوهج، مثلما يشرب المرء قطعة من العاج الهندى بلون أرجوانى أو مثلما تتورد زهور السوسن ناصعة البياض عندما تختلط بالورد: هكذا كان التباين فى الألوان يبدو على ملامح العذراء، لقد استبد به الحب فثبت عينيه على العذراء وازداد حماسه للقتال، وبدأ يخاطب أماتا باختصار قائلا: «لا، لا يا أماه! أتوسل إليك ألا ترافقينى بدموعك هذه أو بفأل كهذا وأنا فى طريقى لخوض معركة حربية ضارية، فليس من حق تورنوس أن يعوق الموت. كن رسولى، يا إدمون، واحمل كلماتى هذه إلى طاغية فروجيا (٢٠) وهى كلمات لن تروق له إطلاقاً: بمجرد أن تركب أورورا عربتها القرمزية وتحمر السماء دعه لا يقود التيوكريين ضد الروتوليين ودع الجنود الروتوليين والتيوكريين يستريحون، ولنضع نحن الاثنان (٢١) بدمائنا حداً للحرب وليتقرر مصير لافينيا كزوجة فى هذا السهل» (٢٢).

بعد أن قال هذه الكلمات عاد مسرعاً إلى منزله يبحث عن جياده واغتبط لرؤيتها تصهل أمام عينيه، هذه الجياد التى قدمتها أوريثيا (٢٣) بنفسها هدية إلى بيلومنوس (٢٤)، والتى تفوق الجليد فى بياضها والرياح فى سرعتها، ووقف حولها راكبوها متأهبين يستحثونها ويربتون براحات

أياديهم على صدورها ، ويمشطون خصلات شعر رقبتها . أما هو فقد وضع حول كتفيه سترة مرصعة بالذهب والبرونز الباهت ، كما تسلح بسيف ودرع وحامل لتثبيت خوذته الحمراء ، ذلك السيف الذى كان قد صنعه ، خصيصاً لأبيه داونوس ، إله النار بنفسه وغمسه وهو ساخن فى مياه نهر ستوكس . ثم انتزع بعنف حربة قوية كانت مسندة إلى عمود ضخم بوسط الصالة ، وهى غنيمة أكتور (٢٥) الأورونكى (٢٦) ، وقد هزها وهو يرتعش وصاح قائلا : « الآن أيتها الحربة التى لا تخيب رجائى أبداً ، الآن حان وقتك ، لقد حملك من قبل أكتور العظيم ، والآن تسوسك يد تورنوس . اعطنى القوة أن أطيح بجسد الفروجى المخنث (٢٧) وأن أحطم سترته وأمزقها بيدى القوية وأن أدنس فى التراب ضفائر شعره المموجة بالحديد الساخن والمبلل بالعطر (٢٨) . بهذه الكلمات انتابته ثورة عارمة وانبعثت شرر الغضب من جميع أسارير وجهه وومضت النار من عينيه المتقدتين : مثل ثور أطلق خواره المخيف استعداداً للنزال ، وألقى بكل غضبه فى قرنيه ونطح جذع الشجرة برأسه وأثار الرياح بضرباته وذرى الغبار بحوافره إيذاناً ببدء المعركة . ولم يكن آينياس فى ذلك الوقت بأقل منه حماساً فقد اتشح بالأسلحة التى أعطتها له أمه وشحذ همته للحرب واستشاط غضبه ، مرحباً فى نفس الوقت بتقرير مصير المعركة بموجب الاتفاق المقترح (٢٩) ثم واسى رفقاءه وخفف من خوف إيولوس الحزين وأخبرهم بمصيره ، وأمر الرسل (٣٠) أن يعودوا إلى الملك لاتينوس برده الحاسم وإعلان شروط السلم .

عندما بزغ فجر اليوم التالى ، وكاد أن يلقى بضوئه على قمم الجبال وعندما بدأت جياد الشمس تظهر من أعماق الهاوية وترفع أنوفها لتنفث الضوء منها ، أعد الروتوليون والتيوكريون رجالهم للمعركة تحت أسوار مدينتهم العظيمة فى الوادى ، وفى وسطه كان بعضهم يقيم مواقد النار والمذابح المعشبة لآلهتهم المشتركة وكان الآخرون يحضرون الماء والنار متشحين بأردية من الكتان ويثبتون حول أصداغهم نبات البربينا (٣١) ،

وتقدم جيش الأوسونيين وتدفقت صفوفه عبر البوابات المزدحمة ملججة بالرماح . وفي الجانب الآخر اندفع كل جيش الطرواديين والتورهينيين بأسلحتهم المختلفة مدججين بالسلاح تماماً، كما لو كانت تستدعيهم معركة حربية حامية الوطيس ، لم يكن القادة أنفسهم أقل منهم في ذلك ، فقد كانوا يتنقلون ذهاباً وإياباً وسط الآلاف من جنودهم متألقين بالذهب والأرجوان : منسثيوس حفيد أساراكوس ، وأسيلاس الباسل ، وميسابوس مروض الجياد حفيد نبتونوس . وعندما أعطيت الإشارة انسحب جنود الفريقين إلى مواقعهم وغرسوا في الأرض حرابهم وأسندوا إليها دروعهم . ثم تجمعت بحماس في الشرفات وأسطح المنازل الأمهات المندفعات والجمهور الأعزل من السلاح والشيوخ الضعاف ، كما وقف الآخرون على أعتاب الأبواب .

أما جونو ، فمن قمة الجبل ، الذي يسمى الآن جبل ألبانوس (٣٢)— ولم يكن حتى ذلك الوقت له اسم أو شهرة أو مجد—فقد تطلعت أمامها محلقة بمنظرها على الوادي وعلى جيش اللاورنتيين والطرواديين وعلى مدينة لاتينوس ، وبادرت بالتحدث إلى أخت تورنوس (٣٣) ، حديث إلهة لإلهة تحكم البحيرات والأنهار الصاخبة وهو تكريم خلعه عليها جوبيتر رب أرباب السماء لقاء عذريتها الضائعة : «أيتها الحورية ، يازينة الأنهار ، يا أعز (الحوريات) إلى قلبي ، إنك تعلمين أنني فضلتك على جميع عذارى اللاتين اللاتي وصلن إلى مخدع الخيانة لجوبيتر العظيم وأوجدت لك عن طيب خاطر مكاناً في السماء ، وحتى لا تلوميني ، يايوتورنا ، اعلمي ما سيلحق بك من حزن ، فبقدر ما أذن الحظ وسمحت ربات القدر بأن يعم الرخاء لاتيوم قمت بحماية تورنوس وحماية مدينتك . والآن أرى الأمير (٣٤) يواجه مصيراً غير متكافيء (٣٥) ، فقد حانت نهايته واقتربت ضربة خصمه وليس بوسعي (٣٦) أن أرى هذه المعركة وأن أرى تنفيذ تلك المعاهدة . وإذا كان بوسعك أن تقدمي لشقيقك مساعدة أكثر فعالية ، فلا ترددي ، إنه أمر يخصك ، ورب أشقياء تلحق بهم السعادة

يوماً ما » . وما كادت جونو تنهى من حديثها حتى انهمرت الدموع من عيني يوتورنا وضربت بيدها على صدرها الجميل ثلاث مرات ثم مرةً رابعة فقالت لها جونو ابنة ساتورنوس : « ليس هذا وقت الدموع أسرعي وانتشلي أخاك من الموت لو كانت هناك وسيلة لذلك ، أو اشعلي الحرب وتخلصي من المعاهدة المعقودة بينهما (٣٧) وأنا التي آمرك بذلك » . وهكذا بعد أن نصحتها ، تركتها مترددة النفس مضطربة العقل من جراء الكارثة القاسية.

في تلك الأثناء كانت الملوك تتقدم نحو الأمام ، وفي مقدمتهم لاتينوس في موكب ملكي راكباً عربة تجرها أربعة خيول ، يحيط بهامته المشرقة تاج يسطع بإثني عشر شعاعا ذهبيا (٣٨) وهو شعار جده إله الشمس (٣٩) ، وتبعه تورنوس في عربة يجرها جوادان أبيضان ، ملوحاً بيده التي تحمل حربتين طرفهما من الصلب المطروق . على هذا الجانب تقدم الأمير آينياس مؤسس الجنس الروماني متألقاً بدرعه البراق ، وأسلحته السماوية المقدسة (٤٠) ، وإلى جانبه أسكانيوس الأمل الآخر لروما العظمى ، أما الكاهن بملابسه الطاهرة فقد أحضر وليد خنزير خشن الشعر ، وشاة ذات حولين طويلة الشعر ، وقاد القطيع إلى مذابحه المشتعلة .

تطلع الأبطال بأبصارهم إلى الشمس المشرقة ، ونثروا بأيديهم خليطا من القمح والملح ، وبدأوا يضعون بسكاكينهم (٤١) علامة مميزة على جباه الضحايا من الماشية ، ويصبون بكؤوسهم الشراب على المذابح . ثم ستل آينياس العظيم سيفه وبدأ يصلي : « لتكن شاهدا على ندائي الآن ، يا إله الشمس ، وأنت أيتها الأرض التي من أجلها حاولت جاهدا أن أتحمل مثل هذه المشاق ، وأنت أيها الوالد (٤٢) القادر على كل شيء ، وأنت ياقرينته ياابنة ساتورنوس أضرع إليك الآن أيتها الإلهة الرحيمة ، وأنت أيضا يامارس ، يامن تملأ شهرتك الآفاق ، أيها السيد الذي تنضوي جميع المعارك تحت سيطرتك الإلهية ، إني أناجي ينابيع الماء والأنهار وقداسة السماء في عليائها والقوى التي تسكن في البحار الزرقاء :

إذا ماحدث ، وكان النصر من نصيب ثورنوس الأوسونى ، فيحسن بنا نحن المهزومين فى هذه الحالة أن نتراجع إلى مدينة إيفاندروس وأن يترك إيولوس أراضيه ، ولن يعود بعد ذلك آل آينياس أبداً لتجديد القتال أو لمهاجمة هذه المملكة بالسلاح . أما إذا حالفنا النصر وكسبنا المعركة — وهذا ماأرجحه أنا ، ويؤكده الأرباب بمشيئتهم السامية — فلن آمر الإيطاليين أن يخضعوا للتيوكريين ولن أسعى لامتلاك هذه المملكة وليظل الشعبان اللذان لايقهران كلاهما فى وفاق أبدى ، تحت قوانين متكافئة .

سأقدم لهم آلهتى ومقدساتى (٤٣) ، وليمتلك لاتينوس ، والد زوجتى حق تقرير الحرب ، ولتكن له السلطة الشرعية ، وليقم التيوكريون مدينة من أجلى ولتعطى لافينيا اسمها للمدينة » . هكذا تحدث آينياس أولا ، ثم تبعه لاتينوس ، متطلعاً للسماء ، ماداً يمناه للنجوم قائلا : « أقسم بنفس هذه القوى ، ياآينياس ، بحق الأرض ، والبحر ، والنجوم ، وتوأمى لاتونا (٤٤) ، وبحق يانوس (٤٥) ذى الوجهين ، وبقوة آلهة العالم السفلى ومحراب ديس (٤٦) العبوس . وليشهد على ذلك الخالق ، الذى يقر الإتفاق بعاصفة من عنده . ها أنا ذا ألمس المذابح ، وأشهد المشاعل والقوى الإلهية التى تقف بيننا : لن ينقض بمرور الوقت هذا السلم ولن تفسخ تلك المعاهدة فى إيطاليا أبداً ، مهما وقع من أحداث ؛ ولن تثنينى أية قوة عن عزيمتى ، أبداً ، حتى لو سرت هذه القوة فى الطوفان ، وأغرقت الأرض بالمياه ، وأطبقت السماء على أسفل طبقات الأرض فى تارتاروس تماما كما أن هذا الصولجان (٤٧) (إذ تصادف أنه كان يحمل صولجانه بيمناه) لن يحمل براعم صغيرة تنبت منها فروع وأوراق لأنه كان يوما ما فى الغابة وقطع من أسفل جذع شجرة وانفصل عن أصله ، وقلمته السكين من الأوراق والفروع ، فيما مضى كان جذع شجرة والآن شذبته يد الصانع وطعمته بمعدن مناسب ، وأعطته للسادة اللاتين ليحملوه » .

بمثل هذه الكلمات عضدا المعاهدة المعقودة بينهما ، على مشهد من الزعماء . عندئذ وطبقا للطقوس الدينية ، ذبحوا الماشية المكرسة للقرابين

فوق اللهب ، وأنتزعوا منها أحشاءها وهى مازالت تنبض، وكدسوا المذابح بصحاف كبيرة ممتلئة (باللحوم). كان الروتوليون قبل ذلك يشعرون بعدم تكافؤ هذه المعركة (٤٨) وقلوبهم مشحونة بمشاعر متناقضة أما الآن فقد تعاظم ذلك الشعور لديهم وأيقنوا أكثر من ذى قبل بعدم تكافؤ القوى . وقد ازداد شعورهم بذلك عندما تقدم تورنوس إلى المذبح بخطوات هادئة ، ضارعا فى خشوع ، عيناه إلى أسفل ، ووجنتاه شاحبتان وجسمه اليافع فى ضمور .

وبمجرد أن رأت أخته يوتورنا الهمسات تنتشر وسط الجيش، وقلوب القوم تخفق بالشكوك حتى اتخذت شكل أحد مواطنى كاميرينوم (٤٩) — وكان هذا ينتمى إلى أسرة نبيلة ، معروفة بشجاعة أجدادها وهو نفسه قوى فى استخدام السلاح — واندست فى قلب الصفوف ، وهى تعرف جيداً ماذا تفعل (٥٠) وأطلقت الشائعات هنا وهناك قائلة : « أليس من العار ، أيها الروتوليون، أن تزهقوا روحاً واحدة من أجل قوم بأسرهم كهؤلاء ؟ ألسنا أنداداً لهم فى العدد والعدة ؟ إنهم جميعاً كما ترون من الطرواديين والأركاديين ، وفصائل إتروريا التى جعلتها الأقدار عدوة تورنوس (٥١) . فإذا انضم كل منا للمعركة تباعاً ، فلن نجد بالكاد أمامنا عدواً ، وسيرتفع (٥٢) هو بشهرته إلى مصاف الآلهة، الذين يهب حياته لمذابحهم ، وسيظل حياً على كل لسان، أما نحن، إذا مافقدنا وطننا فسوف نرغم على إطاعة سادة متغطرسين طالما أننا نجلس الآن غافلين عن أراضينا » . بمثل هذه الكلمات ، التهب حماس الشباب أكثر وأكثر وسرت همهمة بين المحاربين ، واقتنع اللاورنتيون ، بل واللاتين أيضاً (٥٣) . إن من كانوا ، إلى وقت قريب يتمنون الراحة من المعارك والسلامة من المتاعب يتوقون الآن للسلاح ، ويتمنون ألايتم الوفاق ، ويشفقون على مصير تورنوس الجائر . وإلى هذه الكلمات أضافت يوتورنا دافعاً أقوى ، فأطلقت فى السماء العالية معجزة لايستطيع أحد بأكثر منها أن يحير عقول الإيطاليين ، ويخدعهم بإعجازها : إذ بدأ طائر جوبيتر الذهبى (٥٤)

وهو يطير فى السماء القرمزية ، يطارد طيور الشاطىء وجمهورها الصاخبة بصوت أجنحة أسرابها، وعندما انقض على الماء فجأة ، اختطف بقسوة أوزة كبيرة بمخالبة المعقوفة .

شد إنتباه الإيطاليين أن الطيور مجتمعة قد غيرت مسار طيرانها وهى تصيح — ويالعجب ماراوا — فقد حجبت السماء بأجنحتها (٥٥) مكونة حاجزاً فى الجو ، فضيقت الخناق على عدوها ، حتى قهر من شدة المطاردة، وهو الطائر بثقله ، وأسقط من براثنه فريسته فى النهر ، وهرب بعيداً وسط السحب. وعندئذ حيا الروتوليون الفأل بالصياح ، وحرروا أيديهم (٥٦) وكان أول من تكلم تولومنيوس العراف قائلا : « هوهذا ، هذا ماكنت غالباً أبحث عنه فى نبوءاتى. إنى لأقبل الفأل ، وأعترف بالآلهة، استلوا سيوفكم معى ، وسأقودكم بنفسى أيها البؤساء يامن أضحيتم كالطيور الهزيلة ، يرعبكم بالحرب أجنبى وغد (٥٧) ويحاول تخريب شواطئكم بالقوة. لكنه سيولى الأدبار ، وسيطلق العنان لأشرعته بعيداً فى اليم، فقط ركزوا صفوفكم ، ووحدوا قلوبكم، واحموا مليككم (٥٨) الذى يود العدو انتزاعه منكم فى المعركة » . وبعد أن انتهى من حديثه قفز إلى الأمام ، وقذف فى مواجهة العدو رمحاً أحدثت ساقه ، المصنوعة من العقيق ، صفيراً وهى تشق الهواء فى ثبات ، وبهذا انطلق فى الحال هتاف هادر ، واضطرب جميع المحاربين وغلت قلوبهم بالثورة .

طار الرمح حيث صادف تسعة أشقاء أقوياء البنية يقفون فى طريقه وهم على كثرتهم أنجبتهم زوجة تورهينية مخلصة من جوليبوس الأركادى ، فأصاب واحداً منهم قرب وسطه ، حيث يحتك ببطنه الحزام المثبت حولها وحيث يقضم بإبزيمه أربطته (٥٩) ، وكان شاباً بهى الطلعة ذا أسلحة براقة، فاخترق ضلوعه واستقر على الرمال الصفراء . أما إخوته، وهم زمرة جريئة، فقد تملكهم الحزن، فاستلت جماعة منهم سيوفهم بأيديهم ، وأمسكت جماعة أخرى بحراب من الصلب، واندفعوا إلى الأمام فى جنون. هرعت لملاقاتهم قوات اللاورنتيين ، أما من جانبهم، فقد تدفق بغزارة

الطرواديون والأجولينيون (٦٠) والأركاديون بأسلحتهم الملونة . هكذا كان يجمعهم شعور واحد ، هو رغبتهم فى تقرير المصير بحد السيف. نهبوا المذابح وهبت عاصفة قوية من الرماح شملت السماء كلها ، وانهمر منها وابل من المزاريق . وحمل الكهنة معهم الأوانى (٦١) والمواقد وهرب لاتينوس نفسه عائداً بتماثيل آلهته المدحورة ، بعد أن ألغيت المعاهدة وأطلق بعضهم العنان لعجلاتهم الحربية ، وألقى الآخرون بأجسامهم قافزين على ظهور جيادهم ، واشتركوا فى المعركة بسيوفهم المسلولة. ولما كان ميسابوس متلهفاً على إلغاء المعاهدة ، فقد أفزع أوليستيس الملك التوزهينى الذى كان يحمل الشارة الملكية : هاجمه بجواده ، فارتد الملك عائداً إلى الوراء ، واندفع المسكين إلى الخلف ، نحو المذابح المواجهة لهم فانقلب على رأسه وكتفيه. لكن ميسابوس انقض عليه غاضباً بحربته ، ورغم توسله كثيراً ، فقد نال منه بقسوة ، بأن وجه إليه ضربة قاصمة ، وهو شامخ فوق صهوة جواده ، وقال : « لقد تلقى ضربته (٦٢) ، وإن هذا هو أفضل قربان يقدم للآلهة العظيمة ». أسرع الإيطاليون وجردوا أطرافه الدافئة (٦٣) . واختطف كورونايوس وهو فى طريقه جمرة فحم متقدة من المذبح ، ونفث لهيبها فى وجه إبوسوس ، عندما جاء هذا وهم بتوجيه ضربته ، فتوهجت لحيته الكثة ، وباحتراقها انبعثت منها رائحة الدخان ، ومتابعاً ضربته ، أمسك بيسراه خصائل شعر خصمه المرتبك ومستنداً على ركبته الراكعة ، طرحه أرضاً ، وهنا طعنه فى خصره بسيفه القاطع . وتبعه بودالبريوس (٦٤) بسيفه المسلول فانبرى للراعى ألسوس ، الذى كان مندفعاً فى مقدمة الجيش بين المزاريق ، لكن ألسوس وهو يلوح ببلطته إلى الخلف ، أصاب خصمه فى وسط جبهته وذقنه ، وتلطخ درعه كله بالدم المراق ، وخيمت على عينيه راحة قاسية ، ونعاس لا يقاوم ، وتحول نورهما إلى ظلام دائم .

لكن أينياس العظيم ، عارى الرأس (٦٥) ، ظل يمد يده اليمنى الخالية من السلاح ، وينادى رجاله بصوت مرتفع قائلا : « إلى أين تندفعون ؟

كيف قامت هذه المعركة وانتشرت ؟ اكبحوا غضبكم . الآن وقد نقضت المعاهدة وجميع الشروط المتفق عليها ، فالقتال من حقى وحدى فقط اتركونى ، ودعكم من المخاوف ، وسأعمل بيدى (٦٦) حتى تكون المعاهدة نافذة ، فمقدسات الآلهة هذه ما زالت تضع تورنوس تحت رحمتى ». وسط هذه الأصوات ، ووسط هذه الكلمات انطلق نحو آينياس سهم يصفر بجناحيه ، غير معروفة اليد التى أطلقته ، أو القوة التى جعلته يسرع فى دورانه ، من حقق مثل هذا المجد للروتوليين : أهى محض الصدفة أم إله ، لا أحد يعرف ، وما زال شرف هذا العمل المجيد سراً ولم يستطع أحد أن يتباهى بأنه قد جرح آينياس .

عندما رأى تورنوس أينياس ينسحب من بين الصفوف ، وقواده يرتبكون (٦٧) ، اشتعل حماسه ببارقة أمل فى النصر ، فطلب جياده وأسلحته ، وأسرع فى خيلاء بالقفز فوق عربته وشد على سرعها بيده. وأثناء سيره بسرعة ، قتل كثيراً من الرجال الشجعان ، وترك كثيرين شبه قتلى ، وسحق صفوفاً بأكملها تحت عربته وأمطر الهاربين بوابل من الرماح . كان مثله فى ذلك مثل مارس عندما يتعطش لسفك الدماء ، فيدوى بدرعه بجانب جداول نهر هيبروس (٦٨) المتجمد ، ويشعل الحرب ، ويطلق العنان لجياده الغاضبة التى تفوق سرعتها الرياح الجنوبية والغربية فى السهل المكشوف ، عندئذ تئن ثراقيا من أقصاها إلى أقصاها تحت ضربات حوافر الخيول ، وتسرع حوله وجوه أتباعه : الرعب الأسود ، والغضب ، والشراك - كذلك كان تورنوس فى المعركة ، ينخس جياده التى تنضح بالعرق ، وتدوس بحوافرها الأعداء بطريقة تدعو للشفقة وتنثر بحوافرها ، وهى تعدو ، الندى المختلط بالدم ، وتبعثر الرمل المشوب بالدماء . لقد قتل الآن سثينيلوس (٦٩) ، وثاموريين ، وفولوس بعد أن اشتبك مع هذا وذاك ، فقد قتل الأول من بعيد ، ومن بعيد أيضاً قتل ابنى إمبراسوس ، جلاوكوس ولاديس ، اللذين كان إمبراسوس نفسه قد رباهما فى لوكيا ، وزودهما بأسلحة متشابهة ، وهيأهما سواء للقتال يداً بيد

أو لسباق الريح من على ظهر الجياد : وفى مكان آخر كان يتقدم وسط المعركة يوميديس ، المحارب الشهير ، ابن دولون (٧٠) العتيق، يبعث من جديد اسم جده ، وشجاعة والده وقوة ساعده ، دولون الذى تجرأ يوماً ما وطلب لنفسه كمكافأة له ، عربة ابن بيليوس (٧١) ، عندما ذهب يستطلع معسكر الدانائيين (٧٢) لكن ابن تيديوس (٧٣) أنعم عليه بمكافأة أخرى (٧٤) ، لقاء جرأته هذه ، وحرمه من جياد أخيليوس . وإذ رآه تورنوس بعيداً فى السهل المكشوف ، لاحقه فى بادىء الأمر برمح خفيف اخترق الفضاء الشاسع بينهما ، ثم أوقف جواديه ، وقفز من عربته وهبط فوق المسكين الذى كان يحتضر ، وضغط بقدمه على رقبته ، وانتزع السيف من يده اليمنى ، أغمد السلاح البراق عميقاً فى حلقه ، وأضاف قائلا : « لترقد هنا ، أيها الطروادى ، وتقيس الحقول وأراضى هيسبريا (٧٥) ، التى جئت تسعى إليها بالحرب ، هكذا ينالون جزاءهم أولئك الذين يتجرأون على أن يجربوا حظهم معى بالسيف ، هكذا يقيمون أسوار مدينتهم » . وبضربة حربة ، أرسل أسبوتيس لمرافقه ، وكذلك خلورياس ، وسوباريس وداريس ، وثرسيلوخوس ، وثوموينيس ، الذى طرح من فوق رقبة حصانة الحرون . تماماً مثل هبوب الرياح الإدونية (٧٦) الشمالية عندما تعصف على بحر إيجة العميق ، وتدفع بالأمواج إلى شواطئه ، حيث تجتاحها الرياح فتنقشع السحب فى السماء — كذلك كان تورنوس حيثما ذهب أفسحت له الطرق صفوف بأكملها واستدارت القوات متدفقة وقد ساعدته سرعته على ذلك ، وكلما قابل الهواء عربته دفع ريشة خوذته الطائرة . أما فيجيوس (٧٧) ، فلم يطق صبراً على تهديد تورنوس وثورته العارمة ، فألقى بنفسه أمام عربته ولوى بيده اليمنى فكى الجياد ، فهاجت وأزبدت على لقمة اللجام ، وبينما كان يجر ، وهو معلق على نير العربة احتكت رأس الحربة العريضة فى جانبه ، فشجت الدرع السميك واخترقته واحتكت بسطح الجلد فجرحته . إلا أنه استدار لمواجهة عدوه ، وعرض له درعه باحثا عن ملاذ (ينجو به) من سيفه المسلول . وهنا دفعته عجلة

العربة أثناء دورانها فطرحته أرضاً ومن ثم لاحقه تورنوس، وبضربة من سيفه بين الإطار السفلي للخوذة والطرف العلوى لدرع الصدر، أطاح برأسه بعيداً وترك جذعه على الرمال .

بينما كان تورنوس، منتصراً يشيع ذلك الدمار فى السهول، كان منسثيوس ، وأخاتيس المخلص، برفقة أسكانيوس، يصطحبون آينياس إلى المعسكر وهو يدمى، ويتكىء على حربته الطويلة وهو يتبادل (٧٨) خطواته . كان ثائراً ، ظل يتحامل على نفسه لاستخراج رأس السهم المكسور ، وبحث عن أقرب طريقة للخلاص منه : فأمرهم بأن يقطعوا الجرح بسيف عريض ويمزقوه عميقاً حتى مكمن السهم ، ثم يعيدوه إلى المعركة. والآن بدأ يتقدم إليه يابيكس بن ياسيوس، المقرب أكثر من الآخرين لدى فويبوس، والذى أسر أبوللون نفسه بحبه الجارف يوماً ما، فمنحه وهو راض مغتبط من فنونه وقدراته وعرافته وقيثارته وسهامه السريعة. ولكى يؤخر (يابيكس) الموت عن والده المحتضر ، فضل أن يعرف قوة تأثير الأعشاب ويزاول الطب وينكب على الفنون الصامتة (٧٩) التى لا تحقق شهرة. وقف آينياس يزمجر بمرارة مستنداً إلى حربته الضخمة وسط جمع غفير من المحاربين المتجهم، ولكنه لم يتأثر بدموعهم كان الطبيب المسن مطوقاً برداء مطوى إلى الخلف على الطريقة البايونية (٨٠) ، وبواسطة يده الشافية وأعشاب فويبوس الفعالة بذل جهداً كبيراً دون جدوى : حاول أن ينتزع السهم بيده أو يقتنص رأسه بملقط كلابى، فلم يفلح منعه الحظ ولم تجد مشورة أبوللون وبدأ الرعب المخيف يجتاح السهول أكثر فأكثر والشر يقترب شيئاً فشيئاً . إنهم يرون الآن السماء وقد امتلأت بالغبار، والفرسان تصول وتجول تحتها والحراب تسقط بغزارة وسط المعسكر ونحو السماء يرتفع صياح مقبض ينبعث من الشبان المحاربين الذين يسقطون فى يد مارس القاسية .

تأثرت فينوس إذ ذاك بما ألم بابنها من ألم لا يستحقه، عندئذ قطفت الأم ساقاً من عشب الديكتامنوس (٨١) من فوق جبل إيدا بجزيرة كريت،

مكسوا بأوراق يانعة وأزهار أرجوانية.(ولم يكن هذا العشب مجهولا لدى الماعز البرية (٨٢) عندما كانت السهام المجنحة تستقر فى ظهورها) وبعد أن أخفت فينوس وجهها بسحابة معتمة، أحضرت العشب وغمسته فى ماء النهر المسكوب فى أبريق براق بعد أن أضافت إليه الدواء الشافى سرّاً . ونثرت عليه رحيق الأمبروسيا (٨٣) الصحى ودواء البانا كيا (٨٤) العطرى . غسل يابكس المسن جرحه بهذا الماء وهو يجهل قدرته على الشفاء وفجأة اختفى كل ألم فى جسمه ، وثبتت كل قطرة من دمه فى جرحه العميق . وعلى الفور سرى الدم فى يده وسقط منها السهم بسهولة وعادت قواه الجسمانية المتجددة إلى ما كانت عليه : « أحضروا للرجل أسلحته بسرعة ؛ ماذا تنتظرون؟ » . بهذا صاح يابيكس عالياً وكان أول من أشعل حماسهم ضد العدو» . إن هذا لا يتأتى بفعل قوة بشرية أو فن رفيع ، وليست يدى هى التى تسعفك ، ياآينياس ، إنها قوة كبيرة ، إنه إله ذلك الذى يقوم بالعمل ويعيدك لتقوم بأعمال أعظم » .

لما كان آينياس متحمساً للقتال فقد ستر ساقيه بالذهب من كل جانب ، ولما كان يمقت التباطؤ فقد لوح بحربته . وبمجرد أن أخذ الدرع مكانه فى جانبه والسترة فى ظهره ، ضم أسكانيوس فى عناق متسلح ، وقبله من خلال خوذته قبلة خفيفة فى شفتيه وقال : « يابنى ، تعلم منى الشجاعة والكد الحقيقى وخذ الحظ من الآخرين . الآن ستحميك يدى فى الحرب وستقودك إلى مغانم عظيمة : تدبر عندما تتقدم بك السنون فى القريب العاجل نحو النضوج ، أن تتذكر هذا وأنت تستعيد نماذج من ذويك . دع والدك آينياس وخالك هكتور يوقظان روحك » . وبعد أن قال هذه الكلمات مر من البوابات مندفعاً وهو يهز رمحه الضخم بيده، واندفع معه فى الوقت نفسه أنتيوس (٨٥) ومنسثيوس (٨٦) فى جيش مكتظ وتدفق الحشد كله تاركاً المعسكر ثم اختلط السهل بستار من الغبار واهتزت الأرض المذعورة تحت وطأة أقدامهم ، ومن خلف السور المواجه رأى تورنوس القادمين ، كما رآهم الأوسونيون فسرت رعشة

باردة فى أعماق أوصالهم. كانت يوتورنا – قبل جميع اللاتين – أول من سمعت صوتهم وعرفته فهربت مذعورة . أما (آينياس) فقد أسرع فى طريقة وسحب جيشه المغبرّ إلى السهل المكشوف ومثلما تهب العاصفة ، وتتجه السحب نحو الأرض خلال وسط المحيط (فيدرك الفلاحون البؤساء مقدما ، وقد هلعت قلوبهم حسرة أنها ستلحق الدمار بالأشجار والخراب بالمحاصيل وستدمر كل شيء على أوسع نطاق) ، أمامها تهب الرياح وتنفجر أصواتها على الشواطئ – كذلك قاد الزعيم الروتى (٨٧) جيشه ضد أعدائه فى المواجهة ، واصطف الجميع إلى جانبه فى صفوف متراصة . يضرب ثومبرايوس (٨٨) أوزيس (٨٩) بسيفه بقوة ، ويقتل منسثيوس أركيتيوس (٩٠) ويجهز أخاتيس على أبوللو (٩١) ، أما جياس (٩٢) فيقضى على أوفنس (٩٣) ، كذلك سقط العراف تولومنيوس (٩٤) نفسه صريعاً ، إذ أنه كان أول من قذف حربته نحو العدو ، ويعلو الصياح نحو السماء ، ومرة أخرى يولى الأدبار الروتوليون المهزومون عبر الحقول وسط سحب من الغبار أما آينياس نفسه فقد رأى الا ينزل الموت بالمنقلبين على أعقابهم أو يعتدى على أولئك الذين يقابلونه وهم راجلون وتحت طائلة أسلحته. لكنه تابع تورنوس وحده بنظره الثاقب وسط الضباب الكثيف ، يدعوه وحده للمعركة .

عندئذ دب الخوف فى قلب يوتورنا ، المحاربة العذراء ، فطرحت ميتيسكوس ، سائق عربة تورنوس الحربية ، ودفعته بعيداً عن الأعنة ملقى بعيداً عن عريش العربة ، واحتلت مكانه بنفسها ، وأمسكت يداها بالأعنة المتأرجحة ، وتقمصت شخصية ميتيسكوس فى كل شيء ، فى صوته وهيئته وأسلحته . وكما يمرق عصفور الجنة الأسود عبر منزل فسيح لسيد غنى ، ويرفرف بجناحيه عبر ردهاته الضخمة ، يلتقط لصغارة المغردة فتات الفضلات ونفايات الطعام ويغرد تارة فى الساحات الفضاء ، وتارة حول غدير ماء – كذلك فعلت يوتورنا تحملها الجياد وسط الأعداء ، متخذة طريقها فوق العربة المسرعة ، وطافت كل الميدان ، وهى الآن مرة هنا ، ومرة هناك تتظاهر بأن أخاها منتصر ولكنها تخشى

عليه أن يقترب من القتال وتود أن ينطلق بعيداً عنه . لم يفعل آينياس أقل من ذلك فقد سلك طرقاً ملتوية لمقابلة الرجل (٩٥) مقتفياً أثره، ووسط الصفوف المبعثرة كان يناديه بصوت عال ، وكثيراً ما كان يلمح عدوه ، فيعدو على قدميه محاولاً أن يسبق الجياد السريعة ، كما كانت يوتورنا تستدير مراراً وتغير اتجاه عربتها . آه ماذا يتعين على (آينياس) أن يفعل ؟ إنه يطارده بطرق مخادعة ، دون جدوى . ، وأفكاره المشتتة تودى بعقله فى اتجاهات خاطئة ، وتصادف أن كان ميسابوس يحمل فى يده اليسرى حربتين غليظتين ، طرفاها من الصلب ، خف بالحركة وصوب واحدة منها ، وقذفها بضربة لا تخطئ الهدف . عندئذ توقف أينياس ، ثم توارى خلف درعه ، وهو يرتكز على ركبته ، ومع ذلك فقد اخترقت الحربة السريعة هامة خوذته وأطاحت بريشاتها العليا من ذؤابتها . عندئذ اشتد غضبه ، وقد أثارته الخيانة ، عندما أحس بأن جياد عدوه وعربته قد ابتعدت (٩٦) ، عند ذلك أشهد جوبيتر وأشهد المذابح المقدسة على نقضهم المعاهده مراراً وتكراراً . لقد نفد صبره أخيراً فانغمس وسط الأعداء فى معركة ثانية وبوحشية أثار مذبحة بشعة بلا تمييز وأطلق كل العنان لغضبه .

أى إله يستطيع الآن أن يفسر لى مثل هذه الأهوال الفادحة ، ويخبرني فى أغنية بقتل القواد وشتى المذابح التى ينزلها بالتبادل ، تارة تورنوس ، وتارة أخرى البطل الطروادى بجميع أنحاء الوادى ؟ هل كانت إرادتك ، ياجوبيتر ، أن تقع فى صدام مهول كهذا شعوب ستعيش فى سلام أبدى ؟ لم يتوان آينياس طويلاً حتى طعن سوكرو الروتولى فى خصره حيث الموت العاجل ، وأغمد سيفه الصلب فى الضلوع التى تقى صدره (تلك كانت المعركة التى أوقفت تدفق التيوكريين فى البداية) . أما تورنوس فقد طرح أرضاً أموكوس (٩٧) وأخاه ديوريس (٩٨) من فوق جواديهما . ثم هاجمهما على الأقدام ، فضرب أحدهما وهو يتقدم وقتل الآخر بسيفه ، ثم علق رأسيهما المبتورين فى عربته ،

ومضى بهما وهما يقطران دماً. وأما آينياس فقدأنزل الموت بتالوس، وتانايس، وكيثيجوس الشجاع، فصرع الثلاثة فى هجمة واحدة، ثم قتل أونيتيس الحزين، وهو من سلالة إخيون(٩٩)، وابن بيريديا. وذبح تورنوس أخوين(١٠٠)، كانا قد جاءا من لوكيا وحقول أبوللون، وأجهز على مينويتيس(١٠١) الأركادى الذى كان شاباً يافعاً يمقت الحروب دون جدوى، وكان عمله وبيته المتواضع على حدود مستنقعات ليرنا (١٠٢) الزاخرة بالأسماك، وكان لا يعرف مناصب العظماء، وكان أبوه يفلح أرضاً مستأجرة.

وكما تفعل النيران التى تزحف من جانبين متقابلين على غابة جافة بأدغالها التى تطقطق بشجر الغار المحترق (١٠٣)، أو كما تفعل الأنهار المزبدة عندما تندفع سريعاً إلى أسفل من الجبال الشاهقة وتتسابق نحو البر فتحدث ضجيجاً، وتخرب فى طريقها كل شئ.. كذلك تماماً انخرط كل من آينياس وتورنوس فى القتال، فالآن يستبد الغضب بهما، وينفطر قلباهما اللذان لا يعرفان الاستسلام، الآن تندفعان إلى جراحهما بكل قواهما. وبينما كان مورانيس يجاهر بأسلافه ويتباهى بالأسماء القديمة لأجداده ويستعرض قبيلته بأكملها من خلال الملوك اللاتين الذين ينتمى إلى سلالتهم، عاجله (آينياس) بحجر من أعلى التل فاكتسحه وأوقعه على الأرض بفعل قوة دحرجة الصخرة الضخمة، وطوّته العربة تحت عنانها ونيرها، وبضربات متعددة داسته حوافر جيادها المسرعة دون أن تعرف أنه سيدها.

وبينما كان هوللوس مندفعا وقلبه مزغرد بثورة عارمة تصدى له (تورنوس) وصوب رمحا نحو صدغيه الحاطين بالذهب فاخترق الخوذة واستقر عميقا فى مخه. إن يمناك، يا كريتيوس، يا أشجع الإغريق، لم تنقذك من تورنوس، كما لم تحم الآلهة كاهنها كوبينكوس، عندما قابل أينياس وغدا صدره فى طريق السلاح ولم يفد المسكين تباطؤ درعه البرونزى. وأنت أيضا يا أيولوس، رأتك السهول اللاورنتية تسقط وتتناثر أشلاؤك فى كل مكان على الأرض، أنت الذى لم تستطع أن تقضى عليك كتائب

أرجوس ، ولا أخيليوس ، محطم مملكة بريا موس . هنا مكان موتك ، وتحت جبل إيدا كان قصرك الشاهق ، قصرك الشاهق فى اورنيسوس (١٠٤) ، وهنا على الأرض اللاورنتية مقبر تك . وهكذا احتشدت جميع القوات من أجل المعركة ، جميع اللاتين وجميع الدردانيين : منسثيوس وسيريستوس العنيف وميسابوس مروض الجياد وأسولاس الباسل ، وكتيبة التوسكانيين وفصائل إيفاندروس الأركادية ، كل يعمل ما فى وسعه ويجاهد بأقصى قوة ممكنة بلا توقف ولا إبطاء ، يناضلون فى معركة شاملة .

شكل (٤٦)
لاتونا وولداها ابوللون وديانا

عندئذ ألهمت آينياس أمه ، فائقة الجمال ، بفكرة التقدم نحو الأسوار وإطلاق كتيبة على المدينة على وجه السرعة ، وإلحاق هزيمة مفاجئة باللاتين . وبينما كان آينياس يتعقب تورنوس بين الصفوف هنا وهناك ، ويجول بنظره فى الجيش فى هذا الاتجاه وذاك ، رأى المدينة لا تشترك فى مثل هذه الحرب الضارية وتعيش فى هدوء وسلام . وفى الحال اتقدت فى ذهنه فكرة معركة أكبر ، فاستدعى قواده : منسثيوس

وسيرجيستوس وسيريستوس الشجاع ووقف على ربوة حيث تجمهر حوله بكثافة بقية جيش التيوكريين ، وهم بعد لم يخفضوا دروعهم أو حرابهم ، ووقف فى وسطهم على الربوة المرتفعة وقال : « لا تدعوا التأخير يجد طريقه إلى أوامرى ، فإن جوبيتر يقف بجانبنا ، كما أرجو ألا يتوانى أحد فى الهجوم ، ذلك أن خطتى هى المفاجأة . اليوم مالم يرض اللاتين بقبول نيرنا والتسليم لنا كمهزومين ، فسأدمر تلك المدينة (١٠٥) ، سبب الحرب ، ومقر الملك لاتينوس وسأسوى حطامها الملتهبة بالأرض. هل انتظر حقاً حتى يسمح تورنوس بتقرير النزال (١٠٦) بيننا وقتما يحلو له وحتى يختار أن يقابلنى مرة أخرى إذا ماهزم ؟ هنا ، أيها المواطنون ، بلغت الحرب الملعونة قمتها ووصلت إلى ذروتها . أحضروا المشاعل بسرعة وأعيدوا صياغة المعاهدة بالنار » .

بعد أن انتهى آينياس من حديثه ، كون الجميع صفاً واحداً وتقدموا فى كتلة متراصة إلى الأسوار بقلوب سباقة إلى النضال لا تقل عن آينياس. وعلى غرة ألقيت السلالم وظهرت المشاعل المباغتة. اندفع البعض نحو البوابات وقتلوا الحراس فى المقدمة وقذف الآخرون برماحهم وحجبوا السماء بمزاريقهم . أما آينياس نفسه فقد كان فى الطليعة يمد يده تحت الأسوار وبصوت عال يلوم لاتينوس (١٠٧) ويشهد الآلهة أنه اضطر للقتال مرة أخرى وأن الإيطاليين أصبحوا أعداءه مرتين حتى الآن وأن هذه هى المعاهدة الثانية التى ينقضونها . ويدب النزاع بين المواطنين المذعورين بعضهم ينادى بفتح المدينة وترك البوابات على مصاريعها أمام الدارانيين ويودون أن يجروا الملك (١٠٨) نفسه إلى الأسوار ، والآخرون يحملون السلاح ويسارعون للدفاع عن الحوائط : تماماً مثل الراعى عندما يقتفى أثر النحل إلى خلاياه فى مخبأ صخرى ويملأه بدخان نفاذ ، والنحل بالداخل مذعور من أجل سلامته ينطلق مسرعاً هنا وهناك خلال معسكره الشمعى ، يتقد غضبه بأزيز صاخب والرائحة القاتمة تتسرب إلى مأواه ، والصخور من الداخل تطن بطنين محتبس بينما الدخان ينتشر فى الهواء الطلق .

حل هذا المصير القاسى باللاتين الكادحين، وهز المدينة كلها من أعماقها بالحزن . رأت الملكة (١٠٩) من فوق قصرها العدو يقترب والأسوار تقتحم واللهب يطير فوق المنازل، دون أن تتصدى له قوات الروتوليين أو قوات تورنوس. عندئذ ظنت المسكينة أنه قد قتل فى المعركة، فصاحت وهى شاردة الذهن بضيق مفاجىء قائلة إنها المتسببة فى الجريمة وإنها مصدر المتاعب، وبعد أن تفوهت بكثير من الكلمات الحزينة من خلال كربها الجارف عزمت على الموت، فمزقت رداءها الأرجوانى ومن فوق عتبة مرتفعة علقت مشنقة موتها البشع وعندما علمت السيدات اللاتينيات البائسات بتلك الكارثة، مزقت ابنتها لافينيا بيدها فى بادئ الأمر خصلات شعرها التى تشبه الزهور ووجنتيها الورديتين ، ثم تجمهرت حولها بقية السيدات وهن يهذين وظلت الأبهاء الفسيحة تدوى بالنحيب . ومن ثم ينتشر الخبر المشئوم فى جميع أنحاء المدينة فتهلع له القلوب ، ويمضى لاتينوس فى ثوب ممزق وقد سلب لبه لموت زوجته وتدمير مدينته ، ملوثاً شعره الأشيب بغبار دنس . ويلوم نفسه كثيراً لأنه لم يستقبل آينياس الداردانى منذ البداية ولم يقبله زوجا لابنته دون تردد (١١٠) .

وفى تلك الأثناء كان تورنوس يحارب فى الطرف البعيد عن الوادى ويطارد نفراً من الشاردين، وقد أصبح الآن أكثر تراخياً وشيئاً فشيئاً أصبح أقل تيهاً بسرعة جياده . لقد حمل إليه النسيم تلك الصرخة الممزوجة بأهوال مجهولة ، وقرعت أذنيه الغائرتين صيحات المدينة التى تغط فى الفوضى ودويها الكئيب . « ويلى ! ما أفدح هذا العويل الذى يهز الأسوار؟ وما أعظم هذا الصراخ الذى يدوى من المدينة البعيدة؟ ». هكذا تحدث ، وفى جنون شد اللجام إليه . وأجابته أخته (١١١) التى تقمصت شخصية سائقة ميتيسكوس وكانت تقود عربته وجياده وتمسك بلجامها ، وتفوهت بمثل هذه الكلمات : « من هذا الطريق، ياتورنوس، نتعقب أبناء طروادة حيث يفتح الطريق أمامنا نصر مبكر، وهناك آخرون

يمكنهم الذود عن ديارهم بأيديهم . فقد أغار آينياس على الإيطاليين واشتبك معهم فى قتال عنيف . دعنا نحن أيضاً نشيع الموت الزؤام بأيدينا بين التيوكريين ، فلن تكون أقل منه فى عدد ضحاياك ولن تتراجع من أجل مجدك فى الحرب » .

رد تورنوس على هذه الكلمات بقوله : « أختاه ، لقد عرفتك منذ زمن بعيد ، أولا عندما تفننت فى نقض المعاهدة وأقحمت نفسك فى هذه الحرب ، والآن عبثاً تخفين نفسك أيتها الإلهة . ولكن من أراد لك أن تنزلى من الأولومبوس ، وتتحملى مثل هذه المتاعب الجمة؟ هل قدر لك أن تشهدى أخاك التعس وهو يلقى مصيره القاسى؟ ماذا أفعل إذن ؟ أو أى صدفة تحقق لى السلامة الآن ؟ إن مورانوس العظيم ، الذى لم يكن لدى رجل آخر أعز منه ، رأيته بنفسى يموت أمام عينى وهو ينادينى بصوته وقد أجهز عليه بجرح هائل .

لقد سقط أوفنس المسكين حتى لا يرى خزينا ، واستحوذ التيوكريين على جثته وأسلحته . ترى هل سأحتمل (رؤية) منازلنا وهى تهدم — وهو الشئ الوحيد الذى كان ينقصنا فى هذه الكروب —دون أن أرد على تقريع درانكيس بساعدى ؟ هل سأدير ظهرى وتشهد هذه الأرض تورنوس هارباً ؟ هل الموت مقبض إلى هذا الحد دائما؟، أى أرواح الموتى (١١٢) ، كونى رحيمة بى لأن مشيئة الآلهة العليا تقف ضدى . بروح طاهرة وبريئة من تلك التبعة سأنزل إليكم وأنا جدير دائما بأجدادى العظماء » .

بمجرد أن انتهى تورنوس من حديثه ، أنظر ! من وسط الأعداء ، جاء ساكيس مسرعاً محمولا على جواد مزبد وقد جرح فى وجهه بسهم معاد واندفع يستنجد باسم تورنوس قائلا : «أى تورنوس ، إن أملنا الأخير يتوقف عليك فارحم رعاياك . إن آينياس يهاجم بالسلاح ويهدد بتدمير أعلى قلاع الإيطاليين والقضاء عليها : وحتى الآن تطير القذائف النارية

فوق الأسطح: إليك يتطلع اللاتين، إليك يوجهون أبصارهم، والملك لاتينوس نفسه فى حيرة من أمره: من يتخذ صهراً له، وإلى أى حلف

شكل (٤٧)
ربات القدر الثلاث

ينحاز. وعدا هذا فإن الملكة التى كانت تضع كل ثقتها فيك قد قتلت نفسها بيدها وتوارت عن نور الحياة وقد تملكها الذعر. إن ميسابوس وأتيناس الشجاع يساعدان وحدهما قواتنا أمام البوابات، وحولهما من كلا الجانبين تقف فرق مكتظة وحقل حديدى من السيوف الصلبة المسلولة

يثير الرعب بينما تقود أنت عربتك فى وادمهجور». وفى ذهول وحيرة من تغير صورة الموقف، وقف تورنوس محملقاً لايتحرك. وفى قلبه وحده يجيش خزى كبير وجنون مختلط بالحزن، وحب مدفوع بالغضب وشجاعة صامدة. وبمجرد أن انقشعت الحجب عن فكره وعاد الضوء يسطع على ذهنه، حرك مقلتى عينيه المتوهجتين نحو الأسوار، ومن عربته تطلع خلفه إلى المدينة الرحبة. لكن انظر ؟ إن سيلا اولبياً من اللهب يتدفق عالياً بين المبانى نحو السماء ويستقر فوق البرج، ذلك البرج الذى شيده تورنوس نفسه. بكتل متصلة ثبتها على عجلات وزودها بسقالات (١١٣) عالية. «الآن، يا أختاه، الآن تنتصر الأقدار، كفى عن التباطؤ ودعينا نذهب حيثما يدعونا الإله والقدر القاسى، بقى أن الاقى آينياس. بقى أن أتحمل الموت مهما كانت مرارته، ولن تشاهدينى، ياأختاه، مكللا بالعار بعد ذلك. أتوسل إليك أن تدعينى أستسلم لغضبى هذا قبل أن يصيبنى مس من الجنون». قال هذا ثم قفز من عربته بسرعة إلى ميدان القتال واندفع بين الأعداء وسط الحراب تاركاً أخته وانطلق يعدو مسرعاً مخترقاً صفوفهم من المنتصف. ومثل صخرة تهوى باندفاع إلى أسفل من قمة الجبل بعد أن اقتلعتها الرياح سواء جرفتها عاصفة شديدة أو فككها الزمن وقوضها بمرور السنين، وباندفاع عظيم تتحرك كتلة الجبل الصماء أسفل المنحدر وتتدحرج على الأرض مكتسحة أمامها الأشجار وطاوية معها القطعان والرجال — كذلك اندفع تورنوس وسط الصفوف المشتتة إلى حوائط المدينة حيث الأرض مشبعة تماماً بالدم المراق والريح تصفر بالحراب الطائرة ثم أشار بيده. وفى الحال بدأ يتحدث بصوت عال قائلا: «أيها الروتوليون، وأنتم أيها اللاتين، أمسكوا عن استعمال حرابكم، مهما يكن المصير فهو مصيرى، من الواجب أن أكفر وحدى بدلا منكم عن خرق المعاهدة وأقرر المصير بسيفى». تراجع الجميع من الوسط وأخلوا له مكاناً. لكن عندما سمع الزعيم آينياس اسم تورنوس ترك الأسوار وغادر القلاع الشاهقة وطرح جانباً كل تأخير وأوقف كل أعماله، ومهللا بالفرحة انطلق بأسلحته يرعد بفظاظة: ضخماً مثل آثوس (١١٤)،

أو مثل إروكس أو مثل الأبنين (١١٥)، الأب العظيم نفسه، عندما يزأر بأشجار البلوط المتمايلة، ويرفع رأسه الثلجية فى بهجة نحو السماء.

الآن حقا أدار الجميع عيونهم المتوقدة: الروتوليون والطرواديون والإيطاليون، هؤلاء الذين كانوا يحرسون الأسوار الشاهقة، وأولئك الذين كانوا يقوضون بالمنجنيق الأسوار من أسفلها بعد أن خلعوا الأسلحة من أكتافهم. تعجب لاتينوس نفسه أن هؤلاء الرجال الشجعان الذين ولدوا فى بقاع متباعدة من الأرض يتقابلون معا ويتخذون قرارهم بالسيف، وإنهم بمجرد أن يصطف الفريقان فى الوادى الفسيح ينطلقون بسرعة إلى الأمام فى بادىء الأمر يقذفون برماحهم من بعيد ثم يندفعون إلى المعركة بالدروع وصليل الأسلحة. وتئن الأرض، ثم بالسيف يوجهون الضربة تلو الضربة ويختلط الحظ بالشجاعة فى وقت واحد. ومثلما يتناطح ثوران وجها لوجه فى غابة سيلا (١١٦) الكبيرة أو على قمة جبل تابورنوس (١١٧) فى معركة ضارية، والرعاة يتراجعون فى رعب ويقف القطيع بأكمله صامتا فى خوف، بينما تقع البقرات فى حيرة من منهما، سيكون سيد الغابة الذى ستتبعه جميع القطعان، وبكل قوة غاشمة يكيلان لبعضهما الجراح بالتبادل ويتناطحان بقرون متوثبة، وتغرق رقبتاهما وكتفاهما فى بحر من الدم وكل الغابة تدوى بالخوار — كذلك تماما كان آينياس الطروادى والبطل الداونى (١١٨) يتنازلان بدرعيهما وصوت تصادمهما المرتفع يملأ الجو.

كان جوبيتر نفسه يرفع كفتين فى مستوى واحد على عمود ميزان ويضع فيها أقدارهما المختلفة: ذلك الذى ستنتهى به المعركة (إلى النصر)، وذلك الذى يرجح كفته بثقل قدره (١١٩). والآن يندفع تورنوس إلى الأمام معتقدا أن هناك أمانا، ويقفز بجسمه كله إلى أقصى ارتفاع بسيفه المرفوع ويضرب: ويصيح الطرواديون واللاتين المتأهبون، كل من الجيشين متوثب، لكن السيف الغادر ينكسر، وفى منتصف الضربة يخيب أمل صاحبه المتقد بالحماس (١٢٠)، (وكاد يهلك) لولم يسعفه الهروب. وبأسرع

من الرياح الشرقية هرب تورنوس (١٢١) عندما لاحظ مقبض سيف لا يعرفه فى يده التى لا يحميها سلاح . ويقال إنه فى بادئ الأمر عندما اندفع مسرعاً إلى المعركة وركب خلف جياده المشدودة إلى نير عربته ترك سيف والده، وفى اندفاعه خطف سيف سائق عربته ميتيسكوس، وقد قام هذا (السيف) بعمله طالما كان التيوكريون الشاردون يديرون ظهورهم، لكن عندما تقابل مع درع فولكانوس الإلهى واصطدم به تهشم السلاح البشرى (١٢٢) بفعل الضرب وتناثر مثل الثلج المتفتت تتلألأ أجزاؤه على الرمل الأصفر. وعلى ذلك طفق تورنوس وقد استبد به الجنون، يذرع ساحة القتال هنا وهناك هرباً (من خصمه) ، يندفع تارة فى هذا الاتجاه وتارة أخرى فى ذاك ويدور فى اتجاهات دائرية مذبذبة، فمن جميع الجوانب يحيط به التيوكريون فى حلقة مقفلة، فهنا مستنقع قفر وهناك استحكامات منحدرة تطوقه.

وعندئذ ظل آينياس يلاحقه فى اصرار ، وبالرغم من أن ركبتيه كانتا تعوقانه أحياناً من جراء جرحها بسهم وتعرقلانه وتضنان عليه بسرعة الخطى ، فقد كان آينياس يطارد تورنوس ويضيق الخناق على عدوه اللاهث خطوة بخطوة : مثل كلب الصيد عندما يمسك أيلا احتجز بجانب نهر أو حوصر بالرعب من الريش القرمزى، وعندما يجرى نحو الأيل وينبح عليه ويضيق عليه الخناق، يهرب الأيل هنا وهناك فى ألف اتجاه خوفاً من الشراك وضفة النهر العالية، ولكن الكلب الأومبرى (١٢٣) الماهر فاغراً فاه يتشبث بتلابيبه ومن وقت لآخر يضغط عليه ويفتح فكيه تجاهه كما لو كان سينهشه، لكنه عندما يستحوذ عليه (يمكنه) من تفادى عضته الكاذبة. وبدأ الصخب يرتفع حقا، واستجابت للضوضاء الأنهار والمستنقعات المحيطة، ورعدت السماء كلها بالضجيج. وأثناء هروبه كان تورنوس يعنف جميع الروتوليين وينادى كلا منهم باسمه ، وكان يستحث السيف فى يده وهو يعرف أنه ليس سيفه . وكان آينياس بدوره يهدد بالموت ويعجل بمصير كل من يقترب منه، ويرعب

أعداءه المرتعدين ويهددهم بتدمير مدينتهم ، ويستمر فى الهجوم برغم جرحه. لقد أسرعوا بتغطية خمسة دوائر ، وسلكوا عدداً كبيراً من الطرق هنا وهناك، إذ إنهم لا يبحثون عن غنائم وضيعة أو جوائز رياضية ، بل يبتغون حياة ودم تورنوس . وحدث أن كانت هناك شجرة زيتون عتيقة ، أوراقها مرة ، مقدسة لدى فاونوس(١٢٤) ،شجرة يقدسها منذ القدم البحارة الذين اعتادوا ، عندما ينجون من الأمواج ، أن يضعوا بجانبها هداياهم لإله لاورنتيوم ويعلقوا عليها نذورهم من الملابس. ولكن التيوكريين ، غير مبالين بشئ ، قطعوا جذعها المقدس حتى يستطيع آينياس وتورنوس أن يتنازلا فى سهل مكشوف ، هنا تقف حربة آينياس جامدة ، هنا ثبتها وغرسها قوته العاتية فى الجذع الصلب ، وانحنى الداردانى يريد أن ينتزعها بالقوة ويطارد بها تورنوس، لكنه لم يستطع أن يمسكها لسرعته. عندئذ حقاً صاح تورنوس وقد مسه الذعر قائلا : « أتوسل إليك ، يا إلهى فاونوس، أن ترحمنى ، وأنت أيتها الأرض ، ياأرحم الإلهات تشبثى بالسلاح ، إذ كنت دائما أقدس عبادتك ، التى على العكس قد دنسها بالحرب أبناء آينياس » . تكلم تورنوس وتضرع طالباً المساعدة من الإله بتوسلات مستجابة. فبالرغم من نضال آينياس إلا أنه ضعف أمام الشجرة العنيدة ولم يستطع بعد أن أضاع وقتاً وبذل جهداعنيفاً أن يشق كتلة البلوط الصارمة. وبينما كان آينياس بجانبها ويضغط عليها بقوة، مرة أخرى تقمصت الإلهة الداونية يوتورنا شخصية السائق ميتيسكوس وجرت إلى الأمام وأعادت لأخيها سيفه . لكن فينوس، وقد تملكها الغضب لتصرف الحورية الجرئ، اقتربت وانتزعت الحربة من حيث كانت راشقة فى الجذع . عندئذ انتصبا وقد تجدد سلاحهما وشجاعتهما : أحدهما يثق فى سيفه ، والآخر يقف صلباً شامخاً بحربته ، يواجهان بعضهما ويتلهفان لمعركة مارس .

فى تلك الأثناء بدأ جوبيتر ، ملك أولومبوس، القادر على كل شئ ، يخاطب جونو وهى تراقب المعركة من سحابة ذهبية قائلا :

«الآن، ماذا ستكون النهاية يازوجتى؟ ماذا يبقى أخيراً ؟ إنك تعرفين، وتعترفين أنك تعلمين أن آينياس كبطل على الأرض، تباركه السماء، وترفعه ربات القدر إلى النجوم . ماذا تخططين، أو بأى أمل تتعلقين فى السحب الباردة ؟ أيروق لك أن يتدنس إله بأن يجرحه واحد من البشر ؟ أو هل يجب أن يعود إلى تورنوس سيفه المفقود فيكتسب به المغلوب قوة جديدة ؟ إذ بدونك ماذا كانت تستطيع يوتورنا أن تفعل ؟ كفى عن ذلك الآن . أتوسل إليك، واستجيبى ارجائنا حتى لايقضى عليك فى صمت حزن بالغ كهذا، وحتى لا ترتد إلى همومك الأليمة مراراً من شفتيك الحلابتين . لقد وصل الموقف إلى ذروته . كان فى مقدورك أن تطاردى الطرواديين براً وبحراً وأن تشعلى حرباً ضارية وأن تقوضى أركان بيت (لاتينوس)، وأن تمزجى العرس بالويلات ولكن أمنعك من أن تتمادى فى ذلك» . هكذا بدأ جوبيتر حديثه، وهكذا أجابت الإلهة الساتورنية جونو، وهى تنظر إلى الأرض قائلة: «لقد عرفت حقاً يا جوبيتر العظيم، أن هذه كانت رغبتك : أن أترك تورنوس وأغادر الأرض وأنا غير راضية وإلا ما كنت ترانى الآن وحيدة على عرشى السماوى أقاسى الأمرين عدلا وظلما، بل كنت اتخذت مكانى بين صفوف الجيش نفسها وسط النيران واستدرجت التيوكريين إلى معركة مهلكة . إنى أعترف بأنى قد نصحت يوتورنا أن تساعد أخاها التعس، وأقر بأن من أجل حياته كان عليها أن تجرؤ على أعمال أعظم ولكن ليس إلى حد تصويب سهمه وثنى قوسه، أقسم على ذلك بمنبع ستوكس (١٢٥) الذى لايخمد والذى يتخذ شكل النافورة والذى قدر له أن يكون الشئ الوحيد الذى تخشاه آلهة السماء. إنى أستسلم الآن حقاً وأنا أبغض الحرب وأعافها . ولكنى ألتمس شيئاً واحـداً، شيئا لاتحرمه قوانين القدر، شيئاً من أجل لاتيوم ومن أجل عظمة ذريتك (١٢٦) : أنه عندما تتم فى الحال مراسم الزواج فى سعادة ــ حسناً فليكن ــ ويتعاهدون على السلم، وعندما يتصاعون فى الحال للقوانين والمعاهدات، مر المواطنين

اللاتين ألا يغيروا اسمهم القديم وألا يصبحوا طرواديين ويسمون تيوكريون وألا يبدلوا لغتهم ، وألا يغيروا زيهم . ابق على لاتيوم ، دع الملوك الألبانيين يبقون عبر العصور ، ولتبق الذرية الرومانية قوية متحلية بالشجاعة الإيطالية ، لقد سقطت طروادة ، فلتسقط وليسقط اسمها حيث سقطت » .

عندئذ أجابها خالق البشر والكائنات وهو يبتسم : « أى شقيقة جوبيتر ، والنسل الثانى لساتورنوس (١٢٧) ، يالهامن موجات كثيرة من الغضب تجيش عميقاً فى صدرك . ولكن هيا ، هدئى من غضب كهذا أثير دون جدوى : إنى أحقق رغبتك . فلقد جعلتنى أخضع مغلوباً مقتنعاً . سوف يحافظ أبناء أوسونيا على لغة وعادات آبائهم ، وكما هو الحال سيبقى اسمهم أيضاً ، أما التيوكريون فلن يبق لهم إلا أن يسقطوا ويذوبوا فى المجتمع . سأضيف (للاتين) قوانينهم وطقوسهم المقدسة وأجعل من الجميع لاتين يتكلمون لغة واحدة . ومن ثم سيظهر جنس ممتزج بالدم الأوسونى الذى ستربينه يفوق البشر ويفوق الآلهة فى التقوى ، ولن يكون هناك شعب يحتفى بعبادتك مثل حماسه » . وافقت جونو على ذلك وحادت عن هدفها مبتهجة ، وفى هذه الأثناء تحركت من السماء وغادرت السحابة .

لما تم لجوبيتر ذلك تحول بقلبه إلى هدف آخر وأخذ يستعد لإبعاد يوتورنا عن أسلحة أخيها . يتكلم الناس عن توأمين (من الشياطين) هما ربتا العذاب اللتان حملتهما فى غير الأوان إلهة الليل مع ميجايرا الجهنمية ، وولدتهما معاً فى نفس الوقت وطوقتهما بلفائف تشبه الحيات وأمدتهما بأجنحة تسبق الرياح . وهما تتربعان على العرش بجانب جوبيتر ، على عتبة الحاكم العبوس تثيران مخاوف التعساء من البشر حينما يوزع ملك السماء الأمراض والموت الزؤام أو يخيف المدن المذنبة بالحرب . أنزل جوبيتر واحدة منهما من أعلى السماء وأمرها أن تقابل يوتورنا كنذير فاتخذت طريقها منطلقة نحو الأرض فى زوبعة سريعة . ومثل سهم يطلق من قوس خلال

سحابة ، مزود بسائل من السم الزعاف ، يقذفه محارب من بارثيا (١٢٨) أو كيدونيا (١٢٩) ، سهم لا رجاء فى شفائه ، يندفع مصفراً خلال الظلال بسرعة ، دون أن يلمحه أحد – كذلك أسرعت ابنة نوكس تسعى إلى الأرض . وبمجرد أن رأت جيوش طروادة وقوات تورنوس تحولت إلى هيئة طائر صغير ، كثيرا ما كان يقف فى الليل على المقابر والمبانى المهجورة ينشد فوقها إلى وقت متأخر من الليل فأل شؤم يرقد وسط الأطياف . هكذا غيرت من شكلها الجهنمى أمام وجه تورنوس ثم بدأت تطير هنا وهناك وهى تصرخ وتضرب ترسه بجناحيها وسرى حذر غير عادى إلى أوصاله فأصابه بالذعر وجعل شعر رأسه ينتصب من الخوف والصوت يتجمد فى حلقه .

لكن عندما تعرفت يوتورنا من بعيد على أزيز أجنحة إلهة العذاب ، فكت المسكينة ضفائرها ومزقتها ، وبدافع من حزن الأخت على أخيها شوهت وجهها بأظافرها ، وصدرها بقبضة يديها . « كيف تستطيع أختك أن تساعدك الآن ، ياتورنوس ؟ ماذا ينتظرنى أكثر من ذلك أنا التى تحملت الكثير ؟ بأى وسيلة أستطيع أن أرجىء أجلك ؟ هل يمكننى مقاومة علامة شؤم كهذه ؟ الآن أترك الميدان ، لا تفزعى روحى المضطربة . أنت أيتها الطيور التى تنذر بالسوء ، إنى لأعرف ضربات أجنحتك وصوتها المخيف ولا أخطئ فى تمييز المهام الجليلة لجوبيتر العظيم . هل هذه مكافأته لعذريتى (١٣٠) ؟ لماذا إذن أعطانى حياة أبدية ولم استثنانى من الموت المحتوم ؟ هل فى استطاعتى الآن حقاً أن أنهى كربا كهذا وأذهب مع أخى المسكين ، وسط الأطياف ، أنا الخالدة ؟ وهل يحلو لى شيء بدونك ، ياأخى ؟ أى أرض سحيقة يمكن أن تنشق تحتى وتنزلنى إلى الأطياف السفلى ، وأنا إلهة ؟ » . هكذا تحدثت ثم أخفت رأسها فى حجابها الرمادى ، وبتأوهات كثيرة غاصت الإلهة فى النهر العميق .

ظل آينياس يتقدم نحو عدوه ويلوح بحربة ضخمة مثل الشجرة ،

وبنفس ثائرة يصيح : « الآن، أى تأخير هناك أكثر من هذا ؟ أو لماذا تستمر الآن فى تقهقرك ياتورنوس ؟ يجب أن نتقاتل يداً بيد ، بأسلحة ماضية لا بأقدام سريعة . غير نفسك فى كل الأشكال ، نعم واستجمع قدراتك فى الشجاعة والمهارة ، وإذا أردت ، فطر بأجنحة عالياً إلى النجوم أو اختبئ بأسفل فى سجن الأرض السحيق ». وهز تورنوس رأسه قائلا : « إن كلماتك النارية ، أيها المتغطرس ، لا تثبط عزيمتى ، إن مايخيفنى هو الآلهة وعداوة جوبيتر لى » . لم يتكلم بأكثر من ذلك ، ثم تلفت حوله فلمح حجراً كبيراً ضخما قديماً تصادف أن كان موضوعاً فى السهل كعلامة تفصل بين حدود حقول دار حولها النزاع . هذا الحجر لا يستطيع أن يرفعه على الأكتاف اثنا عشر من الرجال المختارين ، رجال أقوياء البنية من الذين تنجبهم الأرض فى وقتنا هذا. عندئذ أمسك (تورنوس) الحجر بقبضة عاجلة وقذف به عدوه معتدلا على طول قامته وبأقصى سرعته ، ولكنه لم يكن يحس بما يفعله وهو يجرى ويتحرك ويرفع يديه ويقذف بالحجر الضخم ، فقد كانت ركبتاه تتداعيان ، ودمه يتجمد ويقشعر برداً وخوفاً فقد اخترق الحجر الذى ألقاه البطل الفراغ المترامى ، لكنه لم يعبر كل الفضاء (نحو خصمه) ولم يؤد الغرض من قذفه ، وكما فى أحلام الليل ، عندما نسترخى ويثقل النوم أعيننا نتخيل أننا نكافح فى طريق نود أن نسلكه دون جدوى ، وفى وسط المجهود الذى نبذله نقع عاجزين عن الحركة فيفقد لساننا قدرته ، وتخور قوانا التى كنا قد تعودنا (من قبل) أن تسرى فى أوصالنا ، فلا ننبس بصوت أو كلمة – كذلك كان الحال بالنسبة لتورنوس ، مهما جد فى شق طريقه تحول إلهة العذاب دون تحقيق غرضه . ثم أخذت تدور فى نفسه تخيلات متغيرة : يلقى بنظرة على الروتوليين والمدينة فيرتبك من الخوف . ويرتعش من تهديد الحربة فلا يعرف إلى أين يهرب أو بأى قدرة يقاوم عدوه . ولا يعلم أين عربته أو أخته التى تقودها . وبينما كان تورنوس فى حيرة من أمره ، لوح آينياس بالحربة القاتلة ، متفرساً بعينيه ومنتهزاً الفرصة السانحة ، ثم بكل قوته قذفه من بعيد .

لم يحدث أبداً أن أطلق حجر من آلة خلف حصن ودوى بمثل هذا الصوت المرتفع ، ولم يحدث من صاعقة ما خراب هائل كهذا . طارت الحربة مصفرة مثل دوامة هوائية سوداء تحمل الدمار الشديد ، واخترقت حافة درع تورنوس والدائرة العليا من سترته ذات الطبقات السبع واستقرت عميقاً فى فخذه . وتحت وطأة الضربة التوت ساقه من تحته فسقط تورنوس العملاق منحنياً على الأرض وزمجر جميع الروتوليين بالأنين . ودوت جميع أركان التل من حولهم وأعادت صدى صوتهم جميع المنحدرات المشجرة القريبة منها والبعيدة . أما تورنوس فقد تضرع بصوت منخفض وعينين ويدين متوسلتين قائلا : « حقاً ، لقد نلت جزائى ؛ لن أطلب الرحمة ، أما أنت فاغتنم فرصتك . إذا كانت كارثة والد شقى تؤثر فيك ، فإننى أستحلفك بها ، أستحلفك بوالدك أنخسيس ، أن ترحم شيخوخة والدى داونوس ، ردنى إليه أو إن شئت رد جسدى الميت إلى ذوى . أنت المنتصر ، ولقد شاهدنى الأوسونيون وأنا أمد يدى المقهورتين إليك. إن لافينيا زوجتك ، فلا تشتط فى عداوتك أكثر من هذا » . وقف آينياس لبرهة غاضبا بأسلحته وهو يدير أنظاره فيما حوله ، وأنزل يده : كان كلما سكت برهة أكثر كلما بدأت كلمات تورنوس تؤثر فيه أكثر ، لكن فى تلك اللحظة بدت له فوق كتف تورنوس حمالة كتف بالاس المسكين حيث يبرق حزامها بأزراره ، بالاس الشاب الذى ضربه تورنوس ومدد جسده على الأرض مهزوماً ، والآن يلبس على كتفه شارة موت عدوه . وبمجرد أن أمعن آينياس النظر فى الشارة التى ذكرته بحزن جارف ، استشاط غضباً وارتعش سخطاً وقال : « أنت يامن ترتدى أسلاب أعزائى ، هل سوف تفلت من يدى ؟ إنه بالاس ، بالاس الذى يقدمك قرباناً بهذه الضربة ، ويكفر عن نفسه بدمك المذنب » .

هكذا تكلم آينياس ثم أغمد سيفه عميقاً فى صدر تورنوس بحمية نارية ، أما أوصال تورنوس فقد استحالت مرتخية باردة ، وبآهة فاضت روحه حانقة إلى الأطياف فى العالم السفلى .

حواشى الكتاب الثانى عشر

(١) وعوده : sua promissa ، تشير إلى وعود تورنوس التى كان قد قطعها على نفسه بضرورة مقابلة آينياس وجها لوجه فى معركة فاصلة ، وتكريس حياته للملك لاتينوس وابنته لافينيا التى طلبها زوجة له . راجع الكتاب الحادى عشر ، سطور ٤٣٨ — ٤٤٤ .

(٢) البونيون : Poeni ؛ هم القرطاجيون Carthaginienses وقد أطلق عليهم اسم البونيين لأنهم من سلالة الفينيقيين Phoenices .

(٣) كان الرومان إذا ما عقدوا اتفاقية أو هدنة أو معاهدة بدأوها بتقديم القرابين للآلهة .

(٤) بنفس هادئة : sedato... corde ، تلقى الضوء على شخصية لاتينوس المتزنة فى مقابل شخصية تورنوس المندفعة . أنظر سطر ١٠ : turbidus «بنفس ثائرة».

(٥) داونوس : Daunus ، كان ملكا على أبوليا Apulia ، ووالد تورنوس .

(٦) سبق أن استشار لاتينوس نبوءة فاونوس الواقعة بالقرب من لافينيوم ، وحذرته النبوءة ألا يبحث عن زوج من بين اللاتين (راجع الكتاب السابع ، سطر ٩٦ وما بعده) .

(٧) كانت فينيليا أم تورنوس شقيقة أماتا زوجة لاتينوس (راجع الكتاب السابع ، سطر ٣٦٦) .

(٨) المقصود هنا هم الطرواديون ؛ آل آينياس .

(٩) راجع الكتاب العاشر ، سطر ١٦٠ ، eventus belli varios ، حيث جلس آينياس العظيم يفكر فى نتائج الحرب المتغيرة وبجانبه بالاس Pallas يسأله عما سيحدث ؛

(١٠) راجع الكتاب الخامس ، سطر ٢٣٠ ، vitamque volunt pro laude pacisci

(المجلد الأول ، ص ٢٤٤) : كان الرومان يكرسون حياتهم ويضحون بها فى سبيل تحقيق أمجادهم .

(١١) المقصود هنا هو آينياس .

(١٢) أى الربة فينوس Venus ، أم آينياس .

(١٣) فى إلياذة هوميروس (الأنشودة الخامسة ، سطر ٣١١) أنقذت أفروديتى آينياس من السقوط تحت ضربات ديوميديس Diomedes ، بأن أفردت له طرفا من ردائها ليتعلق به . وهنا فى الكتاب الثانى عشر من الأينيدة إشارة إلى إنقاذ آينياس على يد فينوس وهروبه خلف ستار من السحب . عن مثال آخر لإنقاذ آينياس بحمله فى سحابة على يد أبوللون وبوسيدون أنظر الإلياذة ، الأنشودة الخامسة ، سطر ٣٤٤ ، الأنشودة العشرون ، سطر ٣٢١ ، قارن أيضا الأينيدة ، الكتاب الثالث ، سطر ٣٨٠ (المجلد الأول ، ص ١٧٩) .

(١٤) الملكة هى أماتا زوجة لاتينوس وخالة تورنوس وأم لافينيا خطيبة آينياس .

(١٥) شروط المعركة القادمة هى أن يكون القتال فرديا ، معركة رجل لرجل ، بين تورنوس وآينياس .

(١٦) أى تورنوس ، ابن اختها وخطيب ابنتها .

(١٧) المقصود بالبيت هنا « الأسرة المالكة » التى يتوقف كيانها على تورنوس إذا ما نازله آينياس خطيب لافينيا وقتله .

(١٨) المقصود بالتيوكريين هنا آينياس لأن المعركة فردية ، معركة رجل لرجل بين تورنوس وآينياس . وغالبا ما تستخدم صيغة الجمع للتعبير عن الاحتقار .

(١٩) أى وجنتا لافينيا .

(٢٠) طاغية فروجيا : Phrygius tyrannus : هو آينياس .

(٢١) أى آينياس وتورنوس .

(٢٢) المقصود هنا هو أن المبارزة بين آينياس وتورنوس سوف تضع حدا للنزاع بين الطراوديين والروتوليين ، وأن المنتصر سوف يفوز بيد لافينيا ، وسوف تصبح حلبة المبارزة مكانا لإقامة حفل زواج لافينيا .

(٢٣) أوريثيا Orithyia ، هى ابنة إريخثيوس Erechtheus وأم كالايس

Calais ، وزيتيس Zetes من بورياس Boreas . قارن : فرجيليوس ،الزراعيات ، الكتاب الرابع ، سطر ٤٦٣ .

(٢٤) بيلومنوس : Pilumnus ، هو والد داونوس وجد تورنوس . راجع الكتاب العاشر ،سطر ٧٦ .

(٢٥) أكتور : Actor ، هو رفيق آينياس ؛ولكن المقصود به هنا أكتور آخر هو جد باتروكلوس .

(٢٦) الأورونكى نسبة إلى Aurunci ، وهم الأوسونيون Ausones سكان وسط إيطاليا الأصليين وقد أطلقت الكلمة على الإيطاليين عموما . قارن الكتاب السابع ، سطر ٧٢٧ .

(٢٧) أى أينياس ، قارن الكتاب الرابع ، سطر ٢١٥ (المجلد الأول ، ص ٢٠٩).

(٢٨) يشير فرجيليوس هنا إلى طريقة تصفيف الشعر التى كان يتبعها آينياس فى ذلك الوقت .

(٢٩) الاتفاق الذى اقترحه تورنوس يقضى بأن ينازل آينياس فى معركة فردية ، أى معركة رجل لرجل لتقرير مصير الحرب دون أن يتعرض شعباهما للهلاك . (راجع سطور ٧٥ — ٨٠ أعلاه) ..

(٣٠) الرسل التى بعث بها تورنوس إلى آينياس .

(٣١) برببنا verbena ، أو فرفينا : verbaina ، هو نبات مقدس اسمه «رعى الحمام» أو «رحل الحمام» أو «حشيشة الأوجاع» ،رائحته طيبة تشبه رائحة الليمون .

(٣٢) جبل ألبانوس : Mons Albanus ، يسمى الآن جبل كافو Cavo ، على بعد ٢٠ كيلومترا تقريبا جنوب شرق روما . ولم يتخذ الجبل اسم ألبانوس إلا بعد تأسيس مدينة ألبالونجا Alba Longa — المدينة الأم لروما —على يد أسكانيوس بن آينياس فى مكان يقع بين غابة ألبانوس Lucus Albanus وجبل ألبانوس . قارن الكتاب الأول ، سطور ٢٦٧ — ٢٧١ (المجلد الأول ، ص ٩١) .

(٣٣) أى يونورنا : Iuturna ، أخت تورنوس وهى إحدى حوريات البحر .

(٣٤) أى تورنوس .

(٣٥) لأن الأقدار ترجح كفة خصمه يثياس .

(٣٦) هنا تتخلى جونو عن تورنوس وتبتعد عن المعركة حتى لاتساعده كما اعتادت أن تنقذه من قبل . (قارن الكتاب العاشر ، سطر ٤٧٣ ، الكتاب الثاني عشر ، سطر ٨٤٠) .

(٣٧) معاهدة السلم المعقودة بين تورنوس وآينياس ، بشرط أن يتنازل كل منهما الآخر حقنا للدماء . (راجع سطور ٧٥ — ٨٠ أعلاه) .

(٣٨) وهو تاج corona radiata محاط باثنتي عشرة قطعة من المعدن البارز تبدو كأشعة radi تسطع من التاج .

(٣٩) كان لاتينوس من سلالة إله الشمس Sol والحورية كيركي Circe أم فاونوس Faunus ، الذي أنجبه لاتينوس من الحورية ماريكا Marica . أنظر الكتاب السابع ، سطر ١١ ، سطر ٤٧ .

(٤٠) أسلحة آينياس سماوية أي مقدسة لأنها من صنع فولكانوس . قارن الكتاب الثامن ، سطور ٦٠٨ — ٦١٦ .

(٤١) كان الرومان قبل تقديم الحيوان قرباناً للآلهة يقطعون بالسكين خصلة من شعر جبهته لحرقها .

(٤٢) أي جوبيتر رب الأرباب وكبير الآلهة .

(٤٣) تقوم الأينيدة على هذه الفكرة التي يتضمنها سطر ١٩٢ :
sacra deosque dabo; socer arma Latinus habeto. ، والتي تقضي بأن يتكون شعب إيطاليا باختلاط الطرواديين واللاتين ، على أن يقدم الطرواديون آلهتهم وطقوس دياناتهم بينما يتولى الإيطاليون السلطة العسكرية .

(٤٤) توأما لاتونا : هما أرتميس (ديانا) وأبوللون اللذان أنجبتهما لاتونا لزيوس (جوبيتر) في جزيرة ديلوس .

(٤٥) عن يانوس Ianus راجع الكتاب السابع ، حاشية رقم ٧٠ .

(٤٦) ديس Dis = بلوتون Plouton إله العالم السفلي .
(راجع المجلد الأول ، ص ٢٣٤ ، حاشية رقم ٧٢) .

(٤٧) قارن قسم أخيليوس في إلياذة هوميروس ، الأنشودة الأولى ، سطر ٢٣٤ ومابعده .

(٤٨) أي النزال بين تورنوس وآينياس الذى تتوقف عليه نتيجة القتال .

(٤٩) كاميرينوم Camerinum مدينة فى أومبريا Umbria واسمها الحالى كاميرينو Camerino ، ويطلق على سكانها اسم Cam

(٥٠) تلعب يوتورنا نفس الدور الذى يلعبه بالاس Pallas فى إلياذة هوميروس (الأنشودة الرابعة ، سطور ٧٨ - ١٠٥) فى فسخ المعاهدة المعقودة بين الطرواديين والإغريق .

(٥١) إنها هنا تسخر من النبوءات التى نادت بوضع محاربى إتروريا تحت إمرة آينياس . قارن الكتاب الثامن ، سطر ٤٩٨ .

(٥٢) أى تورنوس

(٥٣) كان اللاتين أقل حماساً للحرب من اللاورنتيين الذين كانوا تحت إمرة تورنوس .

(٥٤) أى النسر (راجع الكتاب التاسع ، حاشية رقم ٣٩) .

(٥٥) بسبب كثرة الطيور ، وهذا يدل على اتحادها ضد العدو المشترك .

(٥٦) اصطلاح عسكرى consensio militaris ويشير إلى الإستعداد للحرب بمعنى « حرروا أيديهم من كل عائق استعداداً لحمل السلاح » .

(٥٧) أى آينياس .

(٥٨) أي تورنوس .

(٥٩) هذه العبارة توضح موضع التقاء جزئى حزام الكتف . قارن إلياذة هوميروس ، الأنشودة الرابعة ، سطر ١٣٢ .

(٦٠) الأجوليثيون هم الإتروسكيون . قارون الكتاب السابع ، سطر ٦٥٢ .

(٦١) أوانى كانت تستخدم فى خلط النبيذ .

(٦٢) لقد تلقى ضربة الموت hoc habet ، تعبير يستخدمه النظارة عندما يلقى أحد المصارعين حتفه فى حلبة المصارعة .

(٦٣) مازالت أطرافه دافئة لأنه لم يكن قد فارق الحياة بعد .

(٦٤) بوداليريوس Podalirius ، هو ابن أيسكولابيوس (Asklepios = Aesculapius) إله الطب لدى الإغريق والرومان .

(٦٥) لكى يميز القوم وهو يخاطبهم .

(٦٦) أى بقوة السلاح :

(٦٧) بسبب جرح آينياس .

(٦٨) هيبروس : Hebrus ، النهر الرئيسى فى ثراقيا ويسمى الآن مارتيزا Martiza . وكانت ثراقيا محل إقامة الإله مارس إله الحرب . (راجع الكتاب الثالث ، سطر ١٣ ، المجلد الأول ، ص ١٦٦) .

(٦٩) ستينيلوس : Sthenelus ، ملك موكيناى Mycenae وابن بيرسيوس Perseus ، ووالد يورستيوس Eurystheus .

(٧٠) دولون : Dolon ، جاسوس طروادى . قارن قصة دولون عند هوميروس ، الإلياذة ، الأنشودة العاشرة ، سطر ٣١٤ ومابعده . حيث تعهد دولون باستطلاع معسكر الاغريق ليلا لقاء وعد من هكتور بمكافأته بعربة أخيليوس وجياده ، لكن ديوميديس قبض عليه وقتله .

(٧١) ابن بيليوس : Pelides ، هو أخيليوس .

(٧٢) الدنائيون = الإغريق (راجع الكتاب الثانى ، حاشية رقم ١ ، المجلد الأول ، ص ١٥٥) .

(٧٣) ابن تيديوس : Tydides ، هو ديوميديس (راجع الكتاب الثانى ، حاشية رقم ٢٨ ، المجلد الأول ، ص ١٥٥) .

(٧٤) كافأه ديوميديس بأن قتله لقاء جرأته على التجسس على معسكر الإغريق .

(٧٥) هيسبيريا : Hesperia ، هى إيطاليا (راجع الكتاب الأول ، حاشية رقم ٦٧ ، المجلد الأول ، ص ١١٧) .

(٧٦) نسبة إلى الإدونيين Edoni أفراد قبيلة فى ثراقيا اشتهرت بالصخب والعربدة ، ومن هنا كانوا يشبهون بهم الرياح العاصفة .

(٧٧) فيجيوس : Phegeus ، والد ألفيسيبويا Alphesiboea ، زوجة ألكمايون Alcmaeon .

(٧٨) كان آينياس يتكىء على طرف حربته فى كل مرة يضع فيها على الأرض ساقه المصابة ، بالتبادل مرة كل خطوتين .

(٧٩) كانت الموسيقى والعرافة — حيث يستخدم الصوت والكلام ويتوفر الغموض أيضا — تحقق لصاحبها المجد ، بعكس مهنة الطب التى يعمل صاحبها فى صمت فكانت لا توصل إلى الشهرة فى روما أثناء العصور القديمة .

(٨٠) أى على طريقة البايونيين ، وهم أفراد قبيلة تسكن فى المنطقة الواقعة فى مقدونيا .

(٨١) الديكتامنوس : dictamnus ، نبات ينبت فى جزيرة كريت على جبل إيدا Ida ، كما يوجد بوفرة على جبل ديكتى Dicte الذى سمى النبات باسمه . ومن الخواص الطبية لهذا العشب قدرته على التخلص من الأجسام الغريبة التى تدخل الجسم .

(٨٢) كانت الماعز البرية تشفى من جراحها إذا ما أكلت من هذا العشب ، على حد قول أرسطو وشيشرون وغيرهما . وفرجيليوس هنا يؤكد هذه الحقيقة .

(٨٣) الأمبروسيا : Ambrosia ، هى طعام الآلهة الذى ذكر فى إلياذة هوميروس ، ويلاحظ استعماله هنا فى الأينيدة كمرهم لدهان الجروح .

(٨٤) الباناكيا : Panacea ، هو دواء لكل داء ، كما يتضح من أصل الكلمة اليونانية . وهو من الأعشاب الأسطورية التى تعالج جميع الأمراض .

(٨٥) أنثيوس Antheus ، هو ابن أنتينور Antenor أحد المقربين لدى باريس Paris وأنثيوس أحد رفقاء آينياس .

(٨٦) منسثيوس : Mnestheus ، طروادى من سلالة أساراكوس Assaracus . وكان أحد المتنافسين على جائزة آينياس لأحسن قارب فى الألعاب الجنائزية لأنخسيس Anchesis والد آينياس فى صقلية . وأصبح جداً لعشيرة الميمانى Memmii فى روما . (راجع المجلد الأول ، ص ٢٤٠ وما بعدها) .

(٨٧) الروتى : Rhoetius ، أى الطروادى نسبة إلى روتيوم Rhoeteum وهو جبل يمتد داخل البحر على الهليسبونتوس Hellespontus فى طروادة . والمقصود بالزعيم الروتى هو آينياس .

(٨٨) ثومبرايوس : Thymbraeus ، نسبة إلى ثومبرا Thymbra وهى مدينة فى طروادة بها معبد لأبوللون فأصبح ثومبرايوس Thymbraeus لقباً من ألقاب أبوللون .

(٨٩) أوزيريس : Osiris ، نسبة إلى الإله المصرى أوزيريس زوج إيزيس Isis .

(٩٠) أركيتيوس Arcetius ، أو Archetius (أرخيتيوس) من المحاربين الروتوليين .

(٩١) إبولو : Epulo ، من المحاربين الروتوليين .

(٩٢) جياس : Gyas ، رفيق آينياس الذى برز فى المباريات التى أقيمت فى صقلية بعد موت أنخسيس (راجع حاشية رقم ٨٦ أعلاه) .

(٩٣) أوفنس : Ufens ، أمير حارب إلى جانب تورنوس ضد آينياس . قتله جياس ونذر آينياس أبناءه الأربعة كضحية لتهدئة روح صديقه بالاس Pallas تماماً كما فعل أخيليوس عندما قتل بعض الشباب الطروادى على قبر صديقه باتروكلوس Patroclus .

(٩٤) تولومنيوس : Tolumnius ، عراف فى جيش تورنوس .

(٩٥) الرجل ، هو تورنوس خصم آينياس .

(٩٦) إن اطلاق سهم على آينياس تسبب فى إعاقته بعض الوقت عن متابعة تورنوس حتى اختفى هذا عن نظره ، لذا غضب آينياس واعتبر هروب تورنوس خيانة : لأنه كان قد أبرم معه معاهدة على أن يلتقيا وحدهما فى معركة منفردة حتى يجنبا شعبيهما ويلات الحرب .

(٩٧) أموكوس : Amycus ، أحد رفقاء آينياس الذين قتلهم تورنوس فى الحرب .

(٩٨) ديوريس : Diores ، أحد أصدقاء آينياس الذين اشتركوا فى المسابقة التى أقامها آينياس بجانب قبر أبيه أنخسيس فى صقلية .

(٩٩) من سلالة إخيون Echion ، إخيون هو المؤسس الأسطورى لمدينة طيبة ، وإخيون فى الأساطير بطل أنقذ حياة إخوته الخمسة وساعد كادموس Cadmus فى بناء مدينة طيبة فكافأه كادموس على خدماته بأن زوجه ابنته أجافى Agave . وإخيون هو والد بنثيوس Pentheus من أجافى ، والذى اعتلى عرش طيبة بعد كادموس . ومن اسمه أطلق على طيبة اسم Echioniae ؛ كما سمى الطيبيون باسم Echionidae أى أبناء إخيون .

(١٠٠) الأخوان هما كلاروس Clarus ، وثايمون Thaemon . (أنظر الكتاب العاشر ، سطر ١٢٦) .

(١٠١) مينويتيس : Menoetes ، هو قائد سفينة آينياس فى مسابقات الملاحة التى أقامها آينياس فى الاحتفال بذكرى وفاة والده أنخسيس فى صقلية . ألقى به فى اليم جياس Gyas ، رفيق آينياس لعدم انتباهه . وقد أنقذ مينويتيس نفسه بأن سبح

إلى إحدى الصخور . (راجع الكتاب الخامس ، سطر ١٦١ ، المجلد الأول ، ص ٢٤١) .

(١٠٢) ليرنا : Lerna ، إقليم فى أرجوس Argos على حدود أركاديا Arcadia . كانت مشهورة بدغل ومستنقع حيث كانت بنات داناؤس Danaides – كما يروى الشعراء – يقذفن برؤوس أزواجهن بعد قتلهم . فى هذا المستنقع أيضاً يقال إن هيراكليس قتل الوحش المعروف هيدرا Hydra (الأفعوان) . وكانت تقام فى ليرنا أعياد تسمى ليرنايا Lernaea وذلك لتمجيد باكخوس Bacchus ، وبروسيربينا (= برسيفونى) Proserpina ؛ وكيريس (= ديميتر) Ceres . وقد اعتاد مواطنو أرجوس فى هذه الأعياد أن يحملوا الشعلة المقدسة من معبد ديانا Diana (= أرتميس) فوق جبل كراثيس Crathis .

(١٠٣) خشب شجر الغار عندما يحترق فى النار يتشقق ويحدث صوتا يشبه الطقطقة .

(١٠٤) ليرنيسوس : Lyrnessus ، مدينة فى كيليكيا Cilicia بآسيا الصغرى ، أخذها ونهبها أخيليوس والإغريق فى حرب طروادة وقسمت الغنائم على الغزاة .

(١٠٥) تلك المدينة ، هى لاورنتيوم Laurentium ، التى تسمى الآن باتيرنو Paterno . وكانت عاصمة إقليم لاتيوم Latium فى حكم الملك لاتينوس Latinus .

(١٠٦) النزال بين آينياس وتورنوس .

(١٠٧) يلوم لاتينوس لأنه يقف مع شعبه إلى جانب تورنوس وضد آينياس .

(١٠٨) الملك هو لاتينوس .

(١٠٩) الملكة هى أماتا .

(١١٠) يحذف بعض النقاد سطرى ٦١٢ ، ٦١٣ إذ سبق ورودها فى الكتاب الحادى عشر ، سطرى ٤٧١ ، ٤٧٢ . ولقد حذفناها فى ترجمتنا هذه .

(١١١) أخته هى يوتورنا .

(١١٢) أرواح الموتى : Manes ، كان القدماء يطلقون هذا الاسم على الروح التى تفارق الجسد عند الموت ، ويعتبرونها من آلهة العالم السفلى ، ويفترضون إقامتها فوق المدائن وشواهد القبور . وكان الرومان خاصة يعبدونها فى خشوع تام ، وكان العرافون يبتهلون إليها دائما عندما يباشرون طقوسهم الدينية .

(١١٣) راجع الكتاب التاسع ، سطر ٥٣٠ ، حيث كانت الأبراج الدفاعية تزود بعجلات وسقالات يمكن إنزالها إلى شرفات الأسوار عند الهجوم عليها . قارن أيضا الكتاب التاسع ، سطر ١٧٠ .

(١١٤) آثوس : Athos ، جبل فى مقدونيا يبلغ محيطه ١٥٠ ميلا ، وهو يبرز من بحر إيجه مثل الأنف ويبلغ من شدة ارتفاعه أنه يحجب جزيرة لمنوس إلى مسافة ٨٧ ميلا .

(١١٥) الأبنين : Apenninus ، سلسلة من الجبال تمتد وسط إيطاليا من ليجوريا إلى أريمينوم Ariminum وأنكونا Ancona . غالبا ما تخيل الشعراء الأنهار والجبال فى صورة أشخاص : مثل جبل أطلس ونهر التيبر وجبل الأبنين ... الخ .

(١١٦) سيلا : Sila ، أو Syla ، غابة كبيرة فى إقليم بروتى Bruttii بالقرب من جبال الأبنين Apenninus .

(١١٧) تابورنوس : Taburnus ، جبل فى كمبانيا Campania محاط بأشجار الزيتون .

(١١٨) نسبة إلى الداونيين Dauni ، الذين كانوا يسكنون الجزء الشرقى من إيطاليا والذين هزمهم داونوس Daunus (والد تورنوس) ، واستمدوا اسمهم منه . والمقصود بالبطل الداونى هو تورنوس بن داونوس ، راجع سطر ٢١ أعلاه ، حاشية ٥ .

(١١٩) الكفة الراجحة تعنى الموت . عن وزن الأقدار قارن هوميروس ، الإلياذة ، أنشودة ٢٢ ، سطور ٢٠٩ — ٢١٣ ، حيث يصور الشاعر زيوس وهو يضع قدر أخيليوس فى كفة ميزان وقدر هكتور فى الكفة الأخرى التى ترجح وتلامس العالم الآخر .

(١٢٠) أى تورنوس .

(١٢١) قارن هروب تورنوس من آينياس فى هذه الملحمة بهروب هكتور من أخيليوس فى إلياذة هوميروس ، أنشودة ٢٢ ، سطور ١٣٦ — ١٧٦ .

(١٢٢) المقصود بالسلاح البشرى هو سلاح ميتيسكوس الذى كان يحارب به تورنوس فى ذلك الوقت والذى صنع بيد بشرية ، أما الدرع الإلهى فهو الدرع الذى صنعه الإله فولكانوس مع الأسلحة الأخرى ، التى طلبت فينوس من فولكانوس صنعها خصيصا من أجل ابنها آينياس الذى يحارب اللاورنتيين على حدود الروتوليين بأمر من جوبيتر . قارن الكتاب الثامن ، سطور ٥٣٥ ، ٦٠٨ — ٦١٦ .

(١٢٣) نسبة إلى الأومبريين Umbri ، وهم سكان وسط إيطاليا القدامى . وكلاب الصيد عند الأومبريين معروفة بمهارتها .

(١٢٤) راجع الكتاب الثامن ، حاشية رقم ٧١ .

(١٢٥) ستوكس (= ستيكس) Styx ، (راجع الكتاب السادس ، حاشية رقم ٢٩ = المجلد الأول ، ص ٣١٥) : عندما كانت الآلهة تقسم قسما غليظا فإنها كانت تقسم برأس ستوكس ، « الإله النهر » الذى كان يوصل إلى عالم الموتى . قارن هوميروس ، الإلياذة ، الأنشودة الخامسة عشرة ، سطرى ٣٨ — ٣٩ .

(١٢٦) كان ساتورنوس Saturnus ، والد جوبيتر ، يحكم لاتيوم ، ومن ذريته انحدر لاتينوس ولهذا يعتبر اللاتين من ذرية جوبيتر . (راجع الكتاب السابع ، سطور ٤٥ — ٤٩) .

(١٢٧) أنجب ساتورنوس جوبيتر أولا ثم أنجب الربة جونو ، ثم أنجب بعد ذلك عدداً لا يحصى من الأرباب والربات .

(١٢٨) بارثيا Parthia ، إقليم فى آسيا . اشتهر البارثيون بأنهم أقوياء محبون للحرب كما كانوا من أقوى الفرسان ورماة السهام فى العالم .

(١٢٩) كودونيا Cydonia ، مدينة فى كريت بناها مستعمرون من جزيرة ساموس Samos الاغريقية ومن المعتقد أن مينوس Minos ملك كريت القديم قد أقام فيها .

(١٣٠) يقال إن يوتورنا قابلت حب جوبيتر لها باستخفاف ولم تبادله الحب ، فحكم عليها أن تحيا حياة أبدية لايدركها الموت وأن تقضى حياتها عذراء إلى الأبد .

المحتويات

الصفحة

مقـــدمة	٥
الكتاب السابع	٧
الكتاب الثامن	٨٩
الكتاب التاسع	١٤٥
الكتاب العـــاشر	١٨٥
الكتاب الحادى عشر	٢٣٩
الكتاب الثاني عشر	٢٨٥

الإشـــــــراف اللـغـــوى: حسام عبد العزيز
الإشـــــــراف الفـــنـــى: حســـــن كـــامـل
التصميم الأساسى للغلاف: أســـامة الـعـبـد

تم طبع هذا الكتاب من نسخة قديمة مطبوع

لكى نفهم فرجيليوس ونتذوق أعماله لا يكفى أن نعرف تمام المعرفة أنه كان فنانا عظيما فقط، بل من الضرورى أيضا أن نكون على دراية حقيقية بالعلاقة التى قامت بينه وبين عصره، ذلك العصر الذى يمثل فى الحقيقة نقطة من نقط التحول المهمة فى تاريخ البشرية جمعاء، فلم يكن فرجيليوس رائدا لمجموعة من الأدباء البارزين الذين بلغت اللغة اللاتينية على أيديهم ذروة مراحل ازدهارها فحسب، بل كان أيضا يجمع فى أعماق ذاته بصورة فريدة وإلى حد منقطع النظير بين كل من العناصر الذاتية والعناصر الثقافية التى تكونت منها الحضارة اللاتينية؛ فقد كان فرجيليوس أعظم من قاموا بتوضيح أهداف عصره والتعبير عن مثله العليا فى سبيل تحقيق الرقى والسيادة للجنس البشرى كان يتأمل عالم الماضى وعالم المستقبل فى آن واحد وفى أثناء وقفته بين هذين العالمين، فإنه قد عبر تعبيرا صادقا عن ماضى أمته وأبناء جنسه.

تصميم الغلاف: نسرين كشك